مختارات "المفيد"

عبد الغني العريسي

قدّم لها
ناجي علوش

دار الطليعة - بيروت

وبعضهم الآخر عن مساندة فرنسية . وكان التحالف كله يرجو خيراً من هذه المساعي .

وهنا كان الاشكال . فالدول الكبرى المنتصرة ذات المصالح ، ما كان ممكناً أن تقدم تنازلات لقوى عربية ضعيفة .

ويكشف ما حدث بعد الحرب حقيقة هذه الأزمة . لأن اطراف التحالف العربي حاولوا أن يحصلوا على مكاسب ، وان يقدموا تنازلات . وحين حرموا كل شيء قاوموا ... ولكن مقاومتهم كانت ضعيفة ، العظمة يستشهد في ميسلون ، والشريف حسين يموت منفياً ، والوطن يقسم ويجزأ ويحتل ...

لقد جاء أجل السلطنة . وكان السلاطين ببطشهم ، وسوء إدارتهم ، ونهبهم أموال الشعب ، قد قادوا الى تراجعات خارجية . ولقد قادت سياستهم الى تغلغل القوى الاستعمارية داخل السلطنة .

ثم جاء الاتحاديون ، فانتهجوا سياسة داخلية طاغية وغبية . وربطوا مصيرهم على الصعيد الخارجي بطرف من اطراف الصراع العالمي حينذاك .

وكان العرب ، خلال السلم ، ضعفاء تابعين ، أمّا خلال الحرب ، فإنهم لم يكونوا قوة يحسب لها حساب . وعلى الرغم من استفادة الحلفاء من اعلان الشريف حسين الحرب على السلطنة في حزيران سنة ١٩١٦ ، الاّ أن هذه الاستفادة كانت محدودة جداً ، ولم تكن عاملاً من عوامل انتصار الحلفاء في الحرب . وهذا لا يعفي الشريف والحركة الاصلاحية من المسؤوليات التاريخية ، ولكنه لا يحملهم أيضاً وزر سقوط السلطنة التي يشاء عشاق السلطان عبد الحميد الجدد ، والمدافعون عن راية الخلافة العثمانية من الماركسيين المتراجعين وجماعة الاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامي وغيرهم ... وغيرهم .. ان يحملوهم اياها ، لا لشيء الاّ لادانة الحركة القومية العربية الحديثة كلها ...[1] .

---

(١) يمكن هنا مراجعة عدد من الكتب حول تاريخ هذه المرحلة :

(أ) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، وخاصة الجزء الرابع ـ الاسلام في القرن التاسع عشر ـ نقله الى العربية : د . نبيه امين فارس ، ومنير بعلبكي ، اصدار دار العلم للملايين : الطبعة الثانية ١٩٥٥ .

(ب) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر .

(جـ) محمد عزت دروزة : نشوء الحركة العربية الحديثة : المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت .

٢ ـ سيرة عبد الغني العريسي :

كان عبد الغني العريسي ، أحد الذين اعدموا سنة ١٩١٦ . ولم يكن حينذاك قد تجاوز السادسة والعشرين ، ولقد سُجّل عبد الغني مع الشهداء ، الذين يحتفل بهم لبنان الرسمي كل عام . الاّ أن عبد الغني المناضل المفكر القومي ما زال مجهولا مثل معظم شهداء ١٩١٦ خاصة ، وشهدائنا عامة .

ما زال مجهولا ، لأن الاحتفال بهؤلاء الشهداء ، لم يتعدّ كتابة بعض مقالات عامة عنهم جميعا ، أو خواطر لا تسمن ولا تغني من جوع . ولقد استشهد عبد الغني صغيرا . ولم يترك مؤلفات مطبوعة ، غير مقالاته المنشورة في المفيد وغيرها . واذا كان تراثه المخطوط قد أتلف عندما كان مطاردا ، وقبل القاء القبض عليه ،فان تراثه المنشور ، اي المقالات ، لم يجد أحدا يعنى باعادة نشره . مع أن مقالات المفيد التي كتبها العريسي ، وجريدة المفيد كلها ، تستحق دراسة متأنية .

وعلى الرُغم من أن العريسي مات صغيرا ، فانه أبرز رجال الحركة القومية العربية الحديثة في مجالين :

الأول : بلورة الفكر القومي العربي ، وطرح الفكرة القومية العربية واضحة جلية .

الثاني : التعبئة المستمرة المتحمسة لنهضة العرب ، وتحريرهم من الاستعباد ، وصيانة أرضهم من الاستعمار الاوروبي ..

ولقد قال عنه صديقه عوني عبد الهادي : « مفكر الحركة العربية وكاتبها ونابغتها » وأكد ذلك آخرون[٢] . ومع ذلك ظل العريسي مجهولا . ويعود ذلك الى التالي :

١ ـ لم يُدرَسْ تاريخ الحركة العربية الحديثة جيدّا ، ولم يدرس تاريخ منظماتها السرية والعلنية ، ونشاطاتها ، ليعرف دوره جيداً .

٢ ـ لم تدرس المفيد ، ولا كتابات الشهيد ، ولا ترجماته ، ليقدر حق قدره .

---

(٢) ـ حديث مع السفير اكرم زعيتر .

وسنحاول نحن هنا أن ندرس عبد الغني العريسي دراسة أولية موجزة ، ضمن اطار « سلسلة التراث العربي المعاصر » .

١ ـ مولده ونشأته :

ولد عبد الغني في بيروت ، سنة ١٨٩٠ ، كما ذكر أقاربه[٣] . وهو ابن محمد بن عبد الرحمن العريسي . وأصل العائلة من ليبيا ، ومن منطقة الزاوية تحديدا ، حيث ما زال هناك بيت العروسي . وتذكر مصادر العائلة أن عبد الرحمن هاجر الى مصر ، ومنها الى بيروت ، حيث بقي أخ له في الاسكندرية . وعمل عبد الرحمن بالتجارة ، وكان له محل في ميناء البصل ، وكان يتعاطى تجارة الخضار ، ويستورد الخضار من الأقطار العربية المجاورة .

درس عبد الغني في الكلية الاسلامية . وكانت مدرسة تنمّي الوعي العربي ، والروح الاصلاحية الاسلامية . وعندما تخرج عبد الغني منها درّس فيها . ثم قرر ان يواصل دراسته في باريس ، فذهب اليها .

وقد اقيم له حفلا وداع ، واحد في دمشق وآخر في بيروت ، بمناسبة سفره . وأشارت المفيد الى سفره في عددها ٨٩٣ الصادر بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩١٢ . وكذلك في العدد ٨٩٥ الصادر في ٣٠ كانون الثاني ١٩١٢ . وأشارت في عدد تال الى أنه سافر طلباً للعلم ، وليس بسبب الملاحقة[٤] . ثم نشرت خبر وصوله في العدد ٩٠٤ الصادر بتاريخ العاشر من شباط سنة ١٩١٢ .

عاد عبد الغني في تموز[٥] الى بيروت . ومكث فيها حتى اوائل تشرين الثاني ، حيث عاد الى باريس[٦] .

وتشير المعلومات التي بين ايدينا الى انه درس الصحافة والعلوم السياسية ، دون أن نعرف بالتحديد نوع الدراسة ، اذ انه عاد يحمل دبلوماً في صيف ١٩١٣ . وقد وصل بيروت يوم ١٩١٣/٨/١٠ ، بعد ان قضى عشرة ايام في القاهرة[٧] .

ويذكر العريسي من أساتذته PINON الذي أوردنا تعريفاً له في الفهرس الوارد في نهاية الكتاب . كما يذكر مورنس .

وكان يوالي ارسال مقالاته من باريس ، وقد حمل بعضها كلمة باريس الى جانب اسمه . كما تظهر النصوص المنشورة .

أصدر سنة ١٩٠٩ بمشاركة فؤاد حنتس جريدة المفيد التي واصلت الصدور حتى

---

(٣) نهرا ، لطف الله : تاريخ الحرب في سورية ولبنان : صدر سنة ١٩٢٠ . يقول انه ولد في ٣٠ شوال سنة ١٣٣٠ هـ . اي ٢٩ ايار سنة ١٨٩١ ولكن اهله يذكرون غير ذلك.

(٤)المفيد العدد ٩٠٢ تاريخ ٧ شباط ١٩١٢ .

(٥) المفيد العدد ١٠٢٤ الصادر في العاشر من تموز ١٩١٢ .

(٦) الفتى العربي ٣٥ ـ ١١٢٠ تاريخ ٦ ت ٢ ،١٩١٢ .

(٧)المفيد ، العدد ١٣٤٦ تاريخ ١٠ آب ١٩١٣ .

سنة ١٩١٥ ، على الرغم من ملاحقة السلطات لها باستمرار ، واغلاقها مرارا . وكان عبد الغني وزميله فؤاد حنتس الذي توفي سنة ١٩١٣[٨] ، يصدرانها باسماء أخرى مثل لسان العرب وفتى العرب ، حتى تعود المفيد الى الصدور . ولقد نقلت المفيد الى دمشق ، بعد اعلان الحرب الاولى ، ودخول عارف الشهابي شريكا فيها . وكان الشهابي قد اصبح الشريك الثاني بعد وفاة فؤاد حنتس .

وكانت المفيد جريدة يومية ، ولكنها كانت مدرسة ، تنشر الفكر القومي ، وتعبىء العرب ، وتنقل أخبار الوطن العربي كله ، وتبشر بعلاقات صحيحة ومتساوية مع الاتراك ، ضمن الجامعة العثمانية . وهو ما يجعلنا نعتقد أنها الجريدة الرسمية « للعربية الفتاة » .

كما كان عبد الغني يشارك في بناء المنظمات السرية ، والتعبئة القومية بكل أشكالها ، كما سيجيء في مكان آخر .

وكانت بيروت ، مسقط رأسه ، تشهد منذ منتصف القرن التاسع عشر ازدهارا ثقافيا واقتصاديا وتوسعا سكانيا . وبينما كان عدد سكان بيروت حوالي خمسة عشر الفا سنة ١٨٤٨ ، وصل حوالي مائة وعشرين الفا مع نهاية القرن . «واتسعت علاقاتها التجارية مع الغرب ، وبزت الموانىء المجاورة ، مثل عكا وصيدا وصور وطرابلس . كما نشطت فيها الحركة التعليمية والثقافية ، فتعددت المدارس والكليات ، وازداد عدد الصحف والمجلات [٩] .

وفي هذا الجو نشأ عبد الغني ، كان الفكر الغربي يتسلل ويتغلغل ، وكان الفكر الاصلاحي الاسلامي ينمو وينتشر . وفي هذا الجو كان الوعي العربي ينمو ، من خلال حركة الاصلاح الاسلامية اولا ، ثم مع انتشار الفكر الغربي .

ب ـ وأشياء أخرى عنه :

ليس هناك معلومات وافية عنه . ولكن ما نعرف يكفي لرسم صورة عن شخصيته . تصفه لنا خطيبته عنبرة سلام قائلة : « وقد رأيت عبد الغني ، كما كنت اتخيله ، وكما كنت أعرفه من صوره ، فهو في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، جميل الصورة ، مشرق الوجه ، أميل الى الطول منه الى القصر ، متين البنية ، انيق في ملبسه دون مبالغة ، جذاب في حديثه ، حريص في انتقاء كلماته دون ادعاء ، متحمس لقوميته بتأنٍ وروية ، واثق من نفسه فيما يرويه من أحاديث ، مهما تعددت المواضيع »[١٠] .

---

(٨) المفيد ، العدد ١٣١١ ، ٢٦ حزيران ١٩١٣ .

(٩) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، دار النهار ، ص (٤٨ ـ ٥١) . وكمال صليبي : بيروت في ظل تركية الفتاة ، كما صورت في المذكرات السياسية لسليم علي سلام (١٨٦٨ ـ ١٩٣٨) دراسة باللغة الانجليزية . (غير منشورة) .

(١٠) عنبرة سلام الخالدي : جولة في الذكريات . بين لبنان وفلسطين ، دار النهار ص ٩٦ .

ولقد كان عبد الغني معطاء مضحياً ، باع حصته من املاك العائلة ، ليصرف على النشاطات القومية .

جـ) النشاطات العلنية والسرية :

كانت حياة عبد الغني نشاطا دائبا متواصلا . ولذلك لم يكن غريبا ان تقول عنبرة سلام لدى تذكرها لقاءها معه : «وهناك أصبحت أشتم رائحة ثورة قادمة يهيأ لها جديا في الخفاء ...» وتضيف ، «وكان يردد : انه لا بدّ من اقتحام الصعاب ، ولا بد من الاستعداد للتضحيات لكي نصل الى الأمل المنشود»[١١]

وكان اصدار المفيد من ابرز نشاطات عبد الغني . وكما قلنا ، فانها لم تكن جريدة انها مدرسة . وكانت تحلل وتعبىء . تخوض المعارك الوطنية من أجل وحدة الامة ورفعتها وكرامتها ، وانهاء الهيمنة التركية ، والحيلولة بين الاستعمار الاوروبي وتحقيق أهدافه . ولذلك لم يكن غريبا ان يسميها مصطفى الشهابي «اعظم الجرائد القومية في ذلك الزمن»[١٢] . ولذلك كانت السلطة تتعمد اغلاقها . فما تلبث ان تصدر باسم جديد . وكما تقول عنبرة : (فكان الامر يصدر باغلاق الجريدة اليوم ، فاذا بها تصدر في الغد باسم «لسان العرب» ثم تغلق فتصدر في اليوم الثاني متحدية «باسم فتى العرب»)[١٣]ولأهمية المفيد ، فقد كانت السفارة الفرنسية تترجم مقالاتها ، وكانت تعتبر انها احد المنابر التي تحرك الحملة ضد الصهيونية[١٤]

الّا أن «المفيد» لم تكن كل نشاط عبد الغني ، فلقد انغمس في النشاطات السرية من صغره . وتشير المراجع المختلفة الى انه ساهم مساهمة فعّالة في النشاطات الثورية التي تمخضت عن قيام «جمعية العربية الفتاة» سنة ١٩١١ . ولقد صادرت الشرطة العسكرية من عبد الغني خاتم الجمعية عند اعتقاله . ويذكر محمد عزة دروزة ان عبد الغني كان سكرتير الجمعية[١٥] .

وشارك عبد الغني في تأسيس «نادي الحرية والائتلاف» في بيروت سنة ١٩١٢[١٦].

ومن النشاطات التي شارك فيها عبد الغني مشاركة فعّالة المؤتمر العربي في باريس . وكان عبد الغني عضوا في اللجنة التحضيرية التي أعدت للمؤتمر ، وأجرت الاتصالات

---

(١١) عنبرة سلام الخالدي : المرجع السابق ، ص ٩٩ .
(١٢) مصطفى الشهابي : المرجع السابق ، ص ٧٣ .
(١٣) عنبرة سلام الخالدي : المرجع السابق ، ص ٧٦ .
(١٤) رسالة قنصل فرنسا في بيروت ١٩٠٩/١٢/٢١ ، ورسالة قنصل فرنسا في حيفا ١٩١٣/٤/٣٠ .
(١٥) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ، المكتبة العصرية . ص ٤٨٠ .
(١٦) المفيد ، العدد ١٠٧٢ ، تاريخ ٤ ايلول ١٩١٢

اللازمة لانجاحه . وكان من قراراتها أن ارتبطت مع حزب اللامركزية في الحادي عشر من آذار سنة ١٩١٣ . وكان قرار الارتباط بحزب اللامركزية حكيما ، اذ انه حشد معظم قوى الحركة العربية في جبهة واحدة .

وكان خطاب عبد الغني في المؤتمر أهم ما طرح فيه .

كما أن عبد الغني هو الذي قرأ قرارات المؤتمر في الجلسة الختامية كما يشير كتاب المؤتمر .

واصل عبد الغني نشاطاته بعد المؤتمر ، وواصل اصدار المفيد حتى إضطراره للفرار .. فكانت حياته القصيرة حافلة بالنشاط ، وكان نشاطه كبيرا .

د ـ فراره والقاء القبض عليه واعدامه :

حين بدأت الاعتقالات فرّ عبد الغني العريسي وعمر حمد وعارف الشهابي وتوفيق البساط وظل الاربعة مختفين . وصدر عليه حكم الاعدام غيابياً .

وقد ركب الأربعة سكة حديد الحجاز في الطريق الى الجزيرة العربية . وتوقف القطار في مدائن صالح ، فنزلوا في المحطة . وكانوا يلبسون ملابس العربان . وشك أحد رجال الأمن في المحطة بهم ، فأوقفوا للتحقيق . وانكشفت شخصياتهم .

ويروي محمد جميل بيهم ، في كتابه «العهد المخضرم في سورية ولبنان ١٩١٨ ـ ١٩٢٢» الصادر عن دار الطليعة ، على لسان الأمير سعيد الجزائري ، ان الامير طاهر الجزائري ساعد عبد الغني العريسي وعارف الشهابي في الهرب ، اذ عهد لشقيق الامير عبد القادر بايصالهما جبل الدروز (العرب) ويضيف أنهما اتجها من هناك عبر الصحراء سيراً على الاقدام .

وهذه الرواية لا تتفق مع الرواية المجمع عليها ، والتي تقول أنهما ركبا سكة حديد الحجاز واحتجزا في مدائن صالح . ولذلك فان ما يرويه محمد جميل بيهم ، يمثل المرحلة الاولى من الفرار ، قبل ان يستخدم الفارون سكة حديد الحجاز . ولهذا فانهم على ما يبدو ، هرَبوا من جبل العرب ، سيراً على الاقدام ، والتقوا في سكة حديد الحجاز ، في احدى المحطات على طريق درعا تبوك .

وقد أعيدوا الى عاليه ، حيث حوكموا مجدداً .

وصدر الحكم على عبد الغني بالاعدام . وحين تلي قرار اعدامه ، يقول فائز الخوري ، أحد المتهمين الذين اعتقلوا في نفس القضية ونجوا : «نظرنا اليه كلنا ؛ فاذا هو عالي الجبهة يبتسم . إني رأيته في تلك اللحظة اشجع منه في كل المواقف .وكانت سنّه المذهبة التي نمت عليه في

مدائن صالح تلمع خلال ابتسامته»[١٧] .

وقد نشر قرار الاعدام في صحف بيروت ودمشق يوم ٦ نوار ١٩١٦ ، وكان اسم عبد الغني السابع . ويقول قرار احمد جمال باشا : «لما جرى القصاص على بعض الاشخاص المنتسبين الى الحزب ـ المتشكل في مصر والممالك العثمانية ، تحت تمويه «حزب اللامركزية» والذين حوكموا في ديوان حرب العرفي بعاليه (يشير الى القافلة الاولى) كنت كتبت بأن التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلاً .

ان الوثائق السياسية التي وجدت في قنصلية فرنسا ، واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المفيد الذي القي القبض عليه اخيراً ، بعد ان ذكرنا فراره .. واعتراف سيف الدين الخطيب ورفيق رزق سلوم ... قد نور المسألة من جميع أطرافها ...

وسيق الى ديوان حرب عاليه الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة ، بدرجات متفاوتة ، مع من تبين ان لهم دخلاً في المساعي الخائنة التي تدل على اشتراكهم مع العدو ، ضد الخلافة الاسلامية ، واستقلال الوطن ، بتنفيذ ترتيبات الجمعية ... فحكم بالاعدام على ...»[١٨] .

ويقول احمد ناصر في ذكرياته ، ان الشيخ وصل الى عبد الغني ساعة الاعدام وقال له اشهد يا عبد الغني ، فأجاب بصوت جهوري : اشهد ان لا اله الا الله ، وأشهد ان محمداً رسول الله ، وأشهد ان الخلافة للعرب ، ان شاء الله » .

وحين وضع حبل المشنقة على عنقه قال : «بلغوا جمال باشا ان الملتقى قريب ، وان ابناء الرجال الذين يقتلون اليوم ، سيقطعون في المستقبل بسيوفهم اعناق ابناء الاتراك . ان الدول لا تبنى على غير الجماجم ، وان جماجمنا ستكون أساساً لاستقلال بلادنا ..»[١٩] .

ويورد كتاب ايضاحات أسباب اعدام عبد الغني كالتالي : «حكم عليه بالاعدام غيابياً واخيراً القي القبض عليه . كان ضمن الذين دخلوا في اللامركزية ، وفي تشكيلاتها السرية . وكان مأموراً لترتيب امر القيام بسورية ، كان من العوامل لتهيئة الافكار المضرة قبل المؤتمر وبعده . وكان يسعى بكل قواه لضمان استقلال العرب . وثبت ايضاً انه حرض العربان للقيام» (اي الثورة)[٢٠] .

وكان العريسي قد كتب وصيته ، قبل اعتقاله ، ونحن نثبتها بنصها ،وبالمرجع الذي أخذت منه .

---

(١٧) فائز الخوري : اوراق لبنانية ، الجزء الخامس ، نوار ١٩٥٥

(١٨) ايضاحات .

(١٩) احمد ناصر : اوراق لبنانية ، المرجع السابق .

(٢٠) ايضاحات ، ص ١١٦ .

ـ هل اعترف عبد الغني في السجن ؟ ...

أشيع في حينه أن عبد الغني قدم اعترافات قادت كثيرين الى قفص الاتهام . ويقول فايز الخوري المشار اليه سابقا : «وسمعنا ونحن في حلب .. ان عبد الغني أغرق في سيول اقراراته كثيرين» . ولقد حاول جمال باشا في الكتاب الذي نشره بعنوان ايضاحات أن يشكك بعبد الغني العريسي ، لأن الكتاب يستشهد بفقرات كاملة من اعترافاته . ويبدو أن الموضوع يحتاج الى ايضاح . وهذا الايضاح يتلخص بالتالي :

١ ـ ان العريسي كان رجلا بارزا في الحركة العربية ، ولذلك لم يكن ممكنا له ان ينكر معرفته بما يدور . ان نشاطاته كانت بارزة وعلنية ، ولم يكن من السهل انكاره ، على الرغم من دوره في العمل السري المشار اليه آنفاً .

٢ ـ وكان نشاط الجمعيات العربية في وجه منه علنيا ، ومعروفا لدى السلطات . ولذلك حاول عبد الغني ان يدون في اعترافاته الحقائق العامة المعروفة ، كما يظهر من كتاب ايضاحات ، فيذكر أهداف الحركة العربية ، وبعض نشاطاتها العلنية . كما يذكر بعض الأسماء . الا ان التدقيق في الاسماء يظهر أنها اسماء أشخاص معروفين ، وان ما ينسب لهم نشاطات معروفة ، وغير سرية . ويذكر مصطفى الشهابي ، ان أخاه عارف ، شريك عبد الغني في المفيد ، ورصيفه على حبل المشنقة ، أرسل له من السجن ، رسالة شفوية ينفي فيها ان يكون عبد الغني قد باح بأسرار كثيرة ، ويسمي هذه الاقاويل اكاذيب ملفقة ، «وبأن عبد الغني لم يذكر في اجوبته اسم رجل واحد من الاخوان الوطنيين ، وبأنه كان يضلل المحققين بذكر اسماء أناس من الخائنين المعروفين ... أو ممن لا يمكن أن يدانوا بتهمة سياسية ، أو أشخاص يعيشون خارج أراضي الدولة ، ولا سبيل الى ايذائهم» . ويعلق مصطفى الشهابي على ذلك قائلا : «وقد اثبتت الحوادث بعدئذ صدق ما حرص عارف الشهابي على انبائي به في أفظع ايام المحنة . وظل الترك جاهلين وجود الجمعية (اي العربية الفتاة) كل الجهل . ولولا ذلك ما فاتهم ان يفتكوا بكثير من اعضائها البارزين ، ولا سيما الذين كانوا معتقلين منهم مثل الرئيس شكري القوتلي ومعين الماضي ويوسف سليمان حيدر وابراهيم هاشم ورشدي الشوا وغيرهم»[٢٢] .

ونحن نعتقد أن ما رواه الشهابي صحيح ، وانه يمثل الحقيقة . فلقد حاول العريسي أن يذكر الاشياء العامة ، وان يضلل التحقيق ولذلك تحدث عن الاهداف العامة ، وذكر بعض الاسماء ، بينما أخفى المعلومات السرية التي يجب ان تُخفى ، والتي تتعلق بالتنظيم السري .

---

(٢١) اوراق لبنانية : الجزء الخامس ، نوار ١٩٥٥ ، ذكريات احمد ناصر ، وفايز الخوري .
(٢٢) مصطفى الشهابي : القومية العربية ـ معهد الدراسات العربية العالية ص ٧٦ .

ويشير فايز الخوري في ذكرياته ان عبد الغني كان يبدو واثقا من أنه سيحكم بالنفي ، او يوضع تحت المراقبة . وحاولنا أن نعرف سر هذه الثقة . فلم نجد الاّ تفسيرا أشار علينا به السفير اكرم زعيتر الذي عزا ذلك الى كون عبد الغني خطيب عنبرة سلام ، وكون ابو علي سلام على علاقة حسنة بالاتراك حينذاك . الاّ ان هذه العلاقة لم تجد نفعا .

ومع هذا فان دراسة كتاب ايضاحات ضرورية . لان الكتاب يستشهد أساساً بما اسماه اعترافات عبد الغني . ويذكر محررو الكتاب في المقدمة ان عبد الغني «اعترف بحقائق مهمة جداً» . ويضيف محررو الكتاب : «ولهذا نشر في المواضيع المقتضبة ما جرى استنساخه من خط يده»[٢٣] .

وينسب الكتاب اقوالاً متنوعة لعبد الغني : منها :

١ ـ أقوال لا تضيف جديداً ، ولا تضر أحداً ، مثل : «ان الافكار العربية ليست بنت يومها ، وانما الذي اذاعها الجمعيات السرية العربية»[٢٤] .

٢ ـ اقوال لا تستقيم مع ما عرف عنه من صمود حتى النهاية : مثل ما نسب اليه حول المنتدى الادبي : «والغاية من تأسيسه ان يجمع كل الطلاب العرب ، ويبث فيهم فكرة القومية العربية ، ونهضة العرب بأية واسطة كانت ، ولو بمساعدة الدول الاجنبية التي تؤدي الى احتلال او حماية»[٢٥] .

٣ ـ اقوال يمكن ان يكون قالها ، لانها تتعلق بجمعية مثل «النهضة اللبنانية» يعتبر عبد الغني ان نشاطها جريمة[٢٦].

ان ما ينسبه الكتاب لعبد الغني كثير ، ولكن ما نشر بخط يده قليل جداً ، وما ينسب اليه قوله حول المنتدى الادبي ، يبدو مأخوذاً من نص ، حذف شيء من اوله . ويلاحظ ان كل ما ينسب له لا يعطي اية معلومات عن المفيد او «العربية الفتاة» ، وهذا هام جداً .

ومع ذلك فاننا نستطيع ان نقدر ما تعرض له عبد الغني وزملاؤه في السجن ، وان كان هذا لا يعفي رجلاً مثله من مسؤولية اي اعتراف قدمه . حتى لو كان يتعلق بجمعية النهضة اللبنانية وعملاء فرنسا ...

---

(٢٣) ايضاحات : عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه . نشرت هذه الايضاحات من قبل القائد العام للجيش الرابع ـ مطبعة الطنين ١٣٣٤ هـ . المقدمة صفحة ٣

(٢٤) المرجع السابق ص ٧ .

(٢٥) المرجع السابق ص ٦ .

(٢٦) المرجع السابق ص (٣٠ ـ ٣١) .

٣ ـ أفكاره ومواقفه السياسية :

سنحاول هنا ان نوضح بعض الجوانب الهامة التي ساهم العريسي في بلورتها .

أ ـ **القومية العربية** : بلغت الدعوة للقومية العربية عند العريسي ورفاقه درجة عالية من التبلور والنضج : أننا هنا امام داعية قومي تبلور لديه الوعي بوجود الامة العربية ، وتحققت لديه القناعة بضرورة النضال لتحقيق الوحدة . ولما كان العريسي قد بلور مفاهيمه في الخطاب الذي القاه في المؤتمر العربي في باريس ، فاننا سنعتمد عليه أساسا في تحديد افكاره ... يتساءل العريسي في بدء خطبته : «هل للعرب حق جماعة» ويجيب: «ان الجماعات في نظر علماء السياسة لا تستحق هذا الحق إلّا إذا جمعت على رأي علماء الألمان وحدة اللغة ووحدة العنصر وعلى رأي علماء الطليان وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب ساسة الفرنسيس وحدة المطمح السياسي.فاذا نظرنا الى العرب من هذه الوجوه الثلاثة علمنا ان العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة عنصر ، ووحدة تاريخ ووحدة عادات ، ووحدة مطمح سياسي . فحق العرب بعد هذا البيان ان يكون لهم على رأي كل علماء السياسة دون استثناء حق جماعة ، حق شعب ، حق امة» . ويعتبر العريسي أن «أول حق لجماعة الشعوب هو حق الجنسية » . والعريسي يرى « .. أننا عرب قبل أي صبغة سياسية : حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة ، رغما مما كان ينتابنا من حكومة الاستانة من انواع الادارات كالامتصاص السياسي او التسخير الاستعماري أو الذوبان العنصري» .

ولا يدخل العريسي في التعريفات أو التفصيلات ، فيما بين يدينا من كتاباته كما فعل الحصري فيما بعد . انه يقرر وحدة الأمة ، ومطمحها في الوحدة ، ولا يدع مجالا للنقاش . فللعرب حق الجماعة ، حسب كل المذاهب . وهو كثيرا ما يستخدم التعبيرات الرومانسية في الحديث عن الأمة والعلاقة بها . وهو يعبر عن هذه العلاقة في افتتاحية للمفيد قائلا : «اننا نحب قومنا اكثر من كل قوم ، مع ارادة الخير لكل قوم ، ونذود عن مصالح قومنا ، قبل كل

قوم ...»[٢٧] . ويتحدث مرة أخرى عن الأمة والوطن ، وهو يشير الى العلاقة مع القناصل الاجانب فيقول : «ان الوطن مقدس ، والأمة معنى جليل ، فلا تضربوا بها عرض الحائط»[٢٨] . والعربي ، في رأي العريسي ، «من وصلته رابطة من نسب ، ووحدة من لغة . وكان تواقا للعرب ، نزاعا اليهم ، يغار عليهم غيرة البطل النبيل ...» وهو يؤكد انه في مذهبه هذا على خلاف مع علماء الالمان والفرنسيس[٢٩] .

وكان هاجس المفيد ؛ ومن ثم لسان العرب وفتى العرب العمل «لتعزيز الجنسية العربية»[٣٠] .

وانطلقت المفيد من أن الجامعة الجنسية «تخدم الانسان» . ولذلك فقد «جعلت اماما كثيرة نافعة للانسانية» . كما أن الجنسية (تيار جارف) لا يقوى على مقاومته مقاوم»[٣١]

وعليه فان العريسي يرى حركة الوحدة العربية جزءاً من حركة القوميات ، ولا يراها منفصلة . انها حركة تاريخية لا تقاوم .

وهو لذلك يرى : «ان العواطف القومية مجار حيوية للشعوب لا تستنزف الاّ باستئصال الشعوب فمن حك في صدره ان يسد مجرى الانهار خاب نؤه ، وأخفق سعيه ، لأن المجاري اذا سدت مسالكها ، تراكم ماؤها ، ففاض على الجنبات ، وأحدث ما ليس في الحسبان»[٣٢] .

ويعتبر العريسي اللغة عاملاً اساسياً في تكوين الامة ، والمحافظة على كيانها . ولذلك فهو يرى «حياة العرب بحياة لغتهم» و «حياة الأمم بحياة اللغات»[٣٣] . وهو يؤكد على أهمية اللغة مرة أخرى ، معتبراً «ان الامم لا تحيا حياة المنعة ، ولا يمكّن لها بين اخواتها ، الاّ اذا رزقها الله من يحتفظ بعراها الوثيقة ، واواصرها المحكمة . وأشدها احكاماً ، واوثقها رباطاً جامعة اللغة . فاللغة أداة لقوام العنصر ، ووسيلة لجماع النهضة . فاذا اندرست اللغة اندرس العنصر ، وعفى القوم ...»[٣٤] .

ان العريسي يعتبر ان للعرب خصائص وميزات . وقد حافظوا عليها . ولكنه لا يتحدث عنها . وهو لا يسقط صلة النسب من عوامل الوجود القومي ، بل يعتبر انه لا بدّ ان يكون

---

(٢٧) المفيد ، العدد ٥٩٥ ، ١٩ ك٢ ،١٩١١ ، افتتاحية السنة الثالثة .

(٢٨) المفيد ـ المرجع السابق .

(٢٩) فتى العرب ـ العدد ١٤٣٥ ، يوم ١٥ كانون الاول ١٩١٣ .

(٣٠) فتى العرب ـ بيروت ١٨ شباط ١٩١٤ .

(٣١) فتى العرب ـ بيروت ٢٨ شباط ١٩١٤ ـ واحسان عسكر : نشأة الصحافة السورية ، دار النهضة العربية ، ص ١٣١ .

(٣٢) لسان العرب ، باسم العرب نحيا ، وباسم العرب نموت ، العدد ٢٣ ايلول ١٩١٢ .

(٣٣) المفيد ، العدد ١٧٠ ، ٢٤ آب ١٩٠٩ ـ اللغة العربية في بيروت .

(٣٤) المفيد ، العدد ١٣٩ ، ٢٠ تموز ١٩٠٩ ـ تفرنس العرب .

هنالك رابطة من نسب . الاّ اله لا يحدد ذلك . وتعريفه للعربي ، كما رأينا يقوم على دعائم ثلاث : صلة النسب ، اللغة ، النزعة العربية . انه هنا يوحد بين الموضوعي والذاتي ، بين العاملين الموضوعيين : صلة النسب واللغة ، باعتبارهما يورثان ، ولا يأتيان اختياراً ، وعامل الوعي .

ماذا قصد العريسي بصلة النسب ، أو رابطة النسب ؟ لا يبدو هذا واضحاً في كتاباته .

ب) ـ العلاقة بين العرب والترك :

قادت دعوة العريسي الى تحديد موقف من العلاقات مع الترك . فالعرب اكثرية الشعب العثماني[٣٥] . وهم «كاهل الشعب العثماني ان نام ربض وان تحرك نهض »[٣٦] .وعليه فان الطلب الأول هو المساواة . ولذلك تصيح فتى العرب : «الى مساواة القوم يجب ان ندعو أنفسنا» لنعرف كيف ننازعهم البقاء[٣٧] . فما الذي يعنيه ذلك كله ؟ لقد حدد العريسي دلالات ذلك في خطبته أمام المؤتمر العربي الاول . وهو هنا يؤكد على عدد من الحقائق الهامة . ومن هذه الحقائق أنه يرفض أن يعامل العرب معاملة الغالب للمغلوب على قاعدة «حق الفتح» . فما تستطيع الدولة العلية ان تدعي ذلك بالنسبة للعرب . «فانما قد تثبتت قدم هذه الدولة في بلادنا بمساعدة من سلفنا ، كما يعرف ذلك كل متعمق في التاريخ . ولهذا ننكر كل الانكار « حق الفتح » ، فانما نحن قاعدة هذه الدولة ، من قبل ومن بعد لا أسرى مسخرون» . ويضيف العريسي بعد ذلك : « آلينا على انفسنا ان نحافظ في هذه المملكة على مكانتنا ، على جنسيتنا ، على مساواتنا ، فلا أرض بعد اليوم تستعمر ، ولا أمة تسخر ، فانما نحن الرعاة لا الرعية » .

ويحدد العريسي بعد ذلك الموقف من قضايا ثلاث :

١ ـ السلطنة .

٢ ـ القوة التشريعية .

٣ ـ القوة الاجرائية .

وفيما يتعلق بالسلطنة فانه يقرر ان العرب لا يفكرون بالانفصال «ما دام الدستور جاريا على معنى الدستور» ، «وما دامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة » . وهو يحاول أن يوضح ذلك قائلا : «فارتباطنا بهذه الدولة يتراوح اذن بين ضمان هذه الحقوق ، فان كثر فكثر ، وان قل فقل» . أما القوة التشريعية المؤلفة من مجلس الاعيان ومجلس النواب ، فانه ينطلق من كون العرب ثلاثة عشر مليونا ، «وانهم اكثر من نصف المملكة» . ولذلك فهو يطالب بتمثيلهم على أساس نسبتهم . وعليه فان العرب معذورون في « ... نظر علماء الحقوق » إذا اعتقدوا «ان كل قانون لا يوضع بمشاركة ابناء العرب يكون غير مستوفي الشروط من حيث الحق

---

(٣٥) المفيد العدد ١١٥٨ ، ٢٤ ك ١ ، ١٩١٢ .

(٣٦) المفيد ، العدد ٩٥ ، ١٩ ك ٢ ، ١٩١١ .

(٣٧) احسان عسكر : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

والعدل» . ويطالب العريسي بالموازنة «بين كل الجماعات ، فلا يأكل الكبير الصغير ، ولا ينتقص الصغير الكبير» . وعليه فانه يطالب بأن «تكون الانتخابات حرة بعيدة عن كل مداخلة ، وان يشرع باحصاء للنفوس جدي جديد» . ثم يمضي منتقدا الدولة لتقاعسها عن اجراء الاحصاء «لئلا يزداد عدد النواب العرب في مجلس الأمة» . وفيما يتعلق بالقوة الاجرائية ، اي التنفيذية ، فانه ينتقد تشكيل الوزارة بلا مشاركة عربية . ذلك ان حق الجماعات يستلزم ان تؤلف الامة الحكومة ، وهذا غير قائم في السلطنة . «وعليه ، فاننا نعتبر بعد اليوم أن وزارة تؤلف على هذه الصورة غير مستوفية الاركان في نظر حق الجماعات ، أو حق الشعوب ، لانها لا تمثل الا قسما من الأمة» . ويرى العريسي أن الوزارة .. «في علم الحقوق العامة لا تكون وطنية الّا اذا مثلت كل ابناء الوطن ، ولا تكون شرعية الا اذا جمعت فيها ارادة المجتمع كله ..» . ويستطرد العريسي مطالبا بنصف الوظائف في العاصمة . وبكل الوظائف في البلاد العربية . ويعتبر ان حق العرب يبقى مغموطا ما دام ذلك لم يتحقق .

ويطالب العريسي بأمور أخرى . منها مثلا صرف نصف القروض التي تعقدها الدولة في البلاد العربية . كما يطالب بأن تكون اللغة العربية لغة رسمية «في البلاد العربية ، بمادة قانونية تذكر في القانون الأساسي ، لا قانون حكومة مؤقت ، يمكن الغاؤه من حين الى آخر بتقلب الوزارات المستعجلة» .

وقصارى القول : أن العريسي يطالب بالمشاركة الفعلية في السلطنة ، وبالاستقلال الذاتي . وهو يقول : «نطلب هذا الحق كشركاء في الدولة ، شركاء في القوة الاجرائية ، شركاء في القوة التشريعية ، شركاء في الادارات العامة . أما في داخلية بلادنا ، فنحن شركاء أنفسنا : في اموال المعارف؛ اموال النافعة ، اموال الاوقاف ، حرية الاجتماع ، حرية الصحافة ، وذلك لا يكون الّا بتوسيع صلاحية المجالس العمومية» .

ولا ينسى العريسي أن يحدد طريقة الوصول الى هذه الغاية ، وهي اتخاذ «كل الوسائل الشرعية » . فاذا ما سعت حكومة الاستانة لاخفات اصوات العرب بالقوة والقهر ، فانهم سيتخذون طريقة : «نفشل بها اثرة رجال الحكومة» . ويطلب من رجال الحكومة ان يفكروا قليلا ، لأن النبي العربي « ... لم يخضع العرب بضغط ولا قوة ، وانما استطاع استمالتهم بمعقول القرآن ، وتحقيق مبدأ العدل والمساواة والاخاء »[٣٨] .

ولهذا كان خط العريسي خاصة ، والمفيد عامة يقوم على ما يلي :

١ ـ المطالبة بحقوق العرب ، في السلطة والوظائف ، وكل الامور[٣٩] .
٢ ـ المطالبة بوحدة الشعوب العثمانية على أساس المساواة .[٤٠]

---

(٣٨) محب الدين الخطيب (جمع وتقديم) المؤتمر العربي الاول ، صدر سنة ١٩١٣ عن حزب اللامركزية ، ص ٤٢ ـ ٥٠ .

(٣٩) المفيد ، العدد ٦٥٧ يوم ٤ نيسان ١٩١١ ـ خطاب العسلي حول حقوق العرب .

(٤٠) المفيد ـ العدد ٦٢٨ يوم ٢٨ شباط ١٩١١ ـ مقال عمر منصور .

٣ ـ مهاجمة سلوك الاتحاديين العنصري[٤١] .

٤ ـ دعوة العرب الى اليقظة والوحدة ضمن اطار الجامعة العثمانية ، والعمل لاعلاء «شأن اللغة العربية والامة العربية» ضمن نفس الاطار[٤٢] .

وكان عبد الغني حريصاً على السلطنة ، وقد انكر على الذين يندفعون لغير التعقل والروية ، وهو يرى بالنسبة للعرب ان الدولة دولتهم والوطن وطنهم . ولذلك فهو يستحلف الدولة الاسراع في المعالجة[٤٣] .

وكان قبل ذلك ، حين هاجم الطليان بيروت[٤٤]قد أعرب عن موقفه من الصراع العثماني قائلاً : «أصبح هذا الصراع العثماني ، بعد فعلة الطليان في بيروت ، لا يجاهد الا في الدفاع عن حوزة الامة . وأصبح هذا القلب لا يخفق الا لهذه الأرض التي نعلوها ، ولهذه السماء التي تعلونا . وأصبح هذا العقل لا يفكر الّا في وضع البلاء عن هذه الاحياء . فالعرب يألون على أنفسهم ، أنهم لا يدعون شبراً واحداً من الأرض العثمانية تحتله اليد الاجنبية . فاشهد اللهم ...» . ويضيف : «يا قوم ، ان هذا الشرف العثماني أصبح مهدداً من قبل الدولة الاستعمارية ، بسبب ما نظهر من الخور في العزيمة ، والخوف من التهديد ، والالتجاء الى عقد الصلح الشريف ... فنحن كلما أظهرنا الخنوع للقوة ، كلما ازدادت فينا المطامع ..» .

ويوجه عبد الغني نقداً شديداً لسياسة الاتحاديين . وهذا شأن المفيد عامة . فالاتحاديون ضربوا الالبان وحاربوا اليمن « .. فأريقت دماء باسم الاتحاد ، وتقطعت الاوصال باسم الاتحاد ، وتمزق الابناء باسم الاتحاد ، وأجلوا بعضهم بعضاً باسم الاتحاد ، فبا شؤمه من توحيد لا اتحاد » . وهو ينتقد سياسة التوحيد عامة ، لان «سياسة التوحيد مع الشعوب لا تجدي نفعاً ، بل تزيد في اختلاف العناصر ضراماً» . ويضرب مثلاً عن علاقة الالمان بالبولنديين وكيف يعتبر البولنديون الالمان اكره الامم . كما يضرب أمثلة أخرى .

وما يريده الاتحاديون من وجهة نظره هو «أن تفنى كل لغات العناصر العثمانية ، وتبقى لغة واحدة ، ان تسحق كل الشعوب ، فيمتص مصاصها عنصر واحد ، ان تتضور كل الاقوام ليشبع فرد واحد ، ان تفتقر كل الجماعات ليغنى فريق دون غيره ، ان تجهل كل الطبقات لتسود طبقة واحدة ، ان تقطع النخلة من جذورها لتبلغ رطبها فئة واحدة»[٤٥] .

ويواصل العريسي حملته على الاتحاديين ، فيشير الى ثورات اليونان والعرب والبلغار والالبان واليمن الخ ، معتبراً أنها «لم تكن الّا نتيجة مساس النزعات القومية والتسلط

---

(٤١) المفيد ـ العدد ٦١٧ يوم ١٥ شباط ١٩١١ ـ العناصر العثمانية .

(٤٢) المفيد العدد ١١٦١ يوم ٢٨ كانون الاول ١٩١٢ ـ المفيد في عامه الجديد .

(٤٣) فتى العرب ١١٩ ـ ١٥٥٣ ، ٣ ايار ١٩١٤ ـ الاصلاحات العثمانية ومكانة العرب الذاتية .

(٤٤) المفيد العدد ٩٣٠ ، ١٤ آذار ١٩١٢ ـ بيروت والراي العام الاوروبي .

(٤٥) المفيد العدد ١٠٦٢ ، ١٤ آب ١٩١٢ ـ أينا احق ان يتبع ؟ .

والقهر ..» . ثم يمضي منبهاً الاتحاديين : «فجدير بمن تنزع بهم أنفسهم من الاتحاديين الى تتريك العناصر ، والضغط على العواطف القومية ، ان يتنكبوا هذه السياسة الخرقاء ، ويفسحوا للشعوب ان تسترسل في تعزيز جنسيتها ، لأن ذلك ادعى الى استحكام الجامعة العثمانية ، وأصلح لاستمساك اعضائها ، لأنه لا وطنية بلا جنسية» .

وقد انطلق العريسي في ذلك كله من ان العرب «أمة حية لا تقبل الاستعمار بوجه من الوجوه» . وان لهم في «المملكة المباركة» ما لغيرهم «بل وزيادة» ولذلك يجب ان يشاطروا الناهضين بادارة الامة ، «فنعمل على حفظ كياننا العنصري من الاندراس ، وجامعتنا العثمانية من الاضمحلال» كما يقول .[٤٦]

وهكذا فهو مع وحدة العرب والترك ، ضمن اطار المملكة ، وضد سياسة التتريك ، ولكنه لا يفكر بالعرب والترك فقط ، فهو مع وحدة كل عناصر الامة فاذا «اتحدت عناصر الامة من عربي وتركي وارمني والباني ، كانت حصناً حصيناً ، وحرزاً مكيناً ، لا تتناولها يد سوء ، ولا يتطاول اليها قرح أذى»[٤٧] .

ولا حل الاّ بالاصلاح العام[٤٨] . ولا حل غيره .

جـ ـ محاربة الصهيونية ـ كانت المفيد من اكثر الصحف اهتماما بموضوع الاستعمار الصهيوني في فلسطين . وهي تتابعه من مناقشات مجلس المبعوثان الى صفقات بيع الأرض في فلسطين . والمفيد ينشر احيانا ما تنشره الكرمل[٤٩]لصاحبها نجيب نصار ، المتخصص منذ سنة ١٩٠٨ بمحاربة الصهيونية . ونشر المفيد مرة رسالة من حيفا عن الصهيونيين . وتعلق المفيد على الرسالة قائلة : إلى مقام الولاية الجليلة نرفع هذه الصرخات الأليمة ... ما كان سكوتنا عن المسألة الصهيونية الا بعد أن رأينا كلامنا يذهب أدراج الرياح ، يوم كان للاتحاديين صولة على الأمة ، وتساهل مع الصهيونيين .. أما اليوم ، وقد تبدلت الحال ، فعسى أن تنتبه الحكومة الحاضرة الى ما أغضت عنه الحكومة الغابرة . يهاجر اهالي بلادنا الى اميركا ، ويهاجر الصهيونيون الى بلادنا . ولا ريب بأنه سيأتي علينا يوم اذا استمر الحال على هذا المنوال يصبح العربي في بلده أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام »[٥٠] ثم عادت المفيد ، وحذرت من ان يكون مصير فلسطين كمصير طرابلس الغرب ، ما دامت حركة الاستعمار الصهيوني في فلسطين على هذا النجاح المستمر »[٥١] .

وكان موضوع الصهيونية من المواضيع التي تثور أو تثار خلال الصراعات السياسية

---

(٤٦) لسان العرب ، العدد ١ ـ ١٠٨٣ ٢٣ ايلول ١٩١٢ ، باسم العرب نحيا .

(٤٧) المفيد ، العدد ٩٤ ، ٢٨ ايار ١٩٠٩ ستة وستة اثني عشر ...

(٤٨) المفيد ، العدد ١١٧٠ ، ٧ كانون الثاني ١٩١٣ ـ الموقف في البلقان ، وفي غيره من البلاد العثمانية .

(٤٩) المفيد ـ العدد ٦٠٨ يوم ٥ شباط ١٩١١ ـ الجمعية الصهيونية في فلسطين .

(٥٠) المفيد ـ العدد ١١٥٣ يوم ١٨ كانون الاول ١٩١٢ ـ الصهيونيون في حيفا .

(٥١) المفيد ـ العدد ١١٧٧ يوم ١٥ كانون الثاني ١٩١٣ ـ الصهيونية والاصلاح .

في السلطنة . وكان النواب العرب يهاجمون الجهات التي تتعاطف مع الصهيونيين ، أو تتغاضى عنهم في الدولة . فلقد هاجمت المفيد مثلا جريدة «الجون تورك» التي تدافع عن الجمعية الصهيونية ، وتحاول انكار مقاصدها . وتعزو السبب الى كون الجريدة مؤسسة بأموال اسرائيلية[٥٢] . كما انها تنقل هجوم أحد النواب على وزير المالية ، خلال مناقشة سياسة القروض ، واتهام الحكومة بمناصرة الجمعية الصهيونية الساعية الى تأليف حكومة يهودية مستقلة في فلسطين ، وربط احد القروض بهذه الجمعية[٥٣] .

ان موقف المفيد من قضية الصهيونية منسجم مع موقفها القومي ، ومع محاربتها كل أشكال السيطرة الاستعمارية .

د ـ الموقف من الاستعمار : كان العريسي ضد الهيمنة العثمانية . الاّ انه كان مع التفاهم لتحقيق وحدة الشعوب العثمانية ، أما الاستعمار الاوروبي فهو ضده بلا هوادة . ولذلك فهو يكتب مرة ، بعد ضرب الطليان بيروت أن العرب «يألون على أنفسهم أنهم لا يدعون شبرا واحدا من الأرض العثمانية تحتله اليد الاجنبية» . وهو يرفض مصالحة الطليان في طرابلس الغرب ، ويطالب بمعارضة الوزارة اذا قبلت الصلح . والصلح الشريف في رأيه ، «لا يكون الاّ بخروج ايطاليا من طرابلس الغرب خاسرة ، لتعلم ويعلم غيرها ان الدولة العثمانية ليست حملا يؤكل لحمه سائغا» . ثم يكشف ، بعد ذلك ، منطق الاستعمار الاوروبي . يقول هذا المنطق : «ان اوروبة هي الحق وبيدها الحق» . ولذلك فاذا ما احتلت دولة أوروبية منطقة أتاحت لدولة أخرى احتلال منطقة أخرى .

وعبد الغني العريسي لا يقبل الاستسلام ، بل يدعو الى المقاومة ، ويرى ان المقاومة تحتاج الى القوة المادية ، فالقوة المعنوية لا تكفي . وهذا يحتاج الى الترقي .

وتتابع المفيد اطماع الدول الاستعمارية في الدولة العثمانية . فتكشف اطماع الانجليز في المنطقة ، وما يستفيدون من سكة حديد بغداد[٥٤] . كما تتابع اطماع اوروبة في المنطقة ، وما يدور بين دولها من خلافات ، وعلاقة هذه الاطماع بسكة حديد بغداد . وينبه كاتب المقال الى الاعتبار من التجربة والتنبه لما يجري[٥٥] .

وتتهم «المفيد» فرنسا بالعمل على تفرقة الجامعة الاسلامية ، وتستشهد بسياستها في مراكش وتونس والصحراء الكبرى وليبيا[٥٦]كما تنشر رسالة تلميذ عربي في فرنسا، يتحدث عن احتلال فرنسا الجزائر ، وكيف تنهج سياستها لفرنسة مستعمراتها ، ويعبّر عن أساه لتخاذل العرب ، وكيف أن جزءا من الأرض العربية سيذهب[٥٧] . ويظل هذا موقف «المفيد»

---

(٥٢) المفيد ـ العدد ٦٤٥ يوم ٢١ آذار ١٩١١ .
(٥٣) المفيد ـ العدد ٦٤١ يوم ١٦ آذار ١٩١١ .
(٥٤) المفيد ـ العدد ٦٤٦ يوم ٢٢ آذار ١٩١١ .
(٥٥) المفيد ـ العدد ٦٤٤ يوم ٢٠ آذار ١٩١١ ، حول بوتسدام اوسكة دار السلام .
(٥٦) المفيد ، العدد ٦٥٧ يوم ٤ نيسان ١٩١١ ـ المسلمون والاقباط . فرنسا والشيخ السنوسي .
(٥٧) المفيد ـ العدد ٦٤٦ يوم ٢٢ آذار ١٩١١ .

عموما ، وان كانت تذكر مرة ان حكومة فرنسا ، تحترم «العنصر العربي»[٥٨] . وهذا لا ينال من موقفها العام .

ونستطيع هنا ان نتابع موقفه الواضح في عدد من المجالات ، المتعلقة بالاستعمار . فهو :

١ ـ لا يرى إمكانية الاعتماد على عدل أوروبة وانصافها : «فان هذه الامور يعدونها من السفاسف في هذا المحيط ، لأنه لا وجدان في سياسة . فالوجدان والعدل والنجدة والانصاف دعائم ترتكز على القوة ، لأن الاخلاق السياسية في اوروبة تقوم مقام الدين . ورأس هذه المبادىء السياسية ، لا حقّ دون قوة . فعلى امتنا ان تلجأ للقوة المادية ، مع الاحتفاظ بمعتقداتها الشرقية»[٥٩] .

٢ ـ يحارب سياسة الاستدانة لان «الديون العمومية ميزان لموت الدولة ، لا سمح الله ، وحياتها»[٦٠] .

٣ ـ يتبنى موقفاً معادياً للامتيازات التي اعطيت للدول الاجنبية . وهو اذ يصف الفرحة ، يوم اعلان اسقاط الامتيازات ، فانما يعبّر عن موقفه تعبيراً رائعاً . تقول المفيد : «حق لكل عثماني ان يبتسم بعد طول عبوس ، وترتاح سريرته من اضطراب مئات السنين . كان العثماني بالأمس عبداً فأصبح اليوم حراً ، كان بالأمس رهن السلاسل والقيود فأصبح اليوم طليقاً . كان بالأمس يئن تحت عبء الامتيازات الاجنبية الثقيل ، فألقاه اليوم عن عاتقه ، فجدير به ان يظهر بمظهر البشر والسرور »[٦١] .

٤ ـ ينتقد مظاهر التغرب بشدة . واذا كانت المفيد تشدد على أهمية اللغة العربية كما ذكرنا ، فإنها تنتقد التفرنس[٦٢] وتشير الى اهداف فرنسا من انشاء ا لمدارس الفرنسية . كما تنتقد استخدام التركية والفرنسية في دوائر البرق ، وتطالب الحكومة الدستورية «ان تمزق وتحرق لوائح الانباء البرقية ، وتحطم وتهشم زجاجات البريد ، وتستبدلها باللغة العربية والتركية . والاّ فما معنى أرض عربية تلغى لغتها ، وتستعمل مكانها لغة اجنبية ، ان هذا لهو العجب العجاب» . وتعود المفيد لهذا الموضوع اكثر من مرة[٦٣] .

٥ ـ يندد بالذين يتصلون بالقناصل الاجانب ، ويرفضون المشاركة في الحياة السياسية العثمانية . وقد تعرض لهذه الفئة من اللبنانيين الذين لجأوا الى القناصل ، ورفضوا عضوية مجلس المبعوثان، قائلاً : «فمن الحكمة للبنان ، اذا كان يرغب في التقدم ان يوجه وجهته للدولة العثمانية ، ويقطع كل أمل بالدول»[٦٤] .

---

(٥٨) المفيد ، العدد ٦٤٩ يوم ٢٦ آذار ١٩١١ .

(٥٩) المفيد ، ١٩ شباط ١٩١٢ ـ في الطريق .

(٦٠) المفيد ، المرجع السابق .

(٦١) فتى العرب ، العدد ٢١٧ ـ ١٦٠١ يوم ١١ ايلول ١٩١٤ ـ يوم المهرجان الكبير

(٦٢) المفيد ، العدد ١٣٩ ، ٢٠ تموز ١٩٠٩ ـ تفرنس العرب .

(٦٣) المفيد ، العدد ١٧٠ ، ٢٤ آب ١٩٠٩ ـ اللغة العربية في بيروت .

(٦٤) المفيد ، العدد ٢٧٠ ـ ٢١ كانون الاول ١٩٠٩ ـ لبنان يسيء الى نفسه .

و «المفيد» عامة ، تزودنا بعطاء يومي ، ضد الاستعمار ، ضد الاعتماد على الدول ، وتعرفنا بأن شرعة اوروبة هي القوة . ولم تبدُ مستعدة للمساومة في يوم من أيامها .

هـ) سلطة الفرد وسلطة الامة : حاول عبد الغني ان يربط وجود الأمة بسيادتها وسلطانها. ولذلك فهو لا يلبث ان يؤكد على سيادة الامة، السيادة الشرعية الفطرية[٦٥]. ويربط العريسي بين حقوق الفرد وحقوق الامة. ويرى ان الثاني نتج عن الاول، وان «حق الجماعة» قائم «على الجنسية، والقائل بأن لكل شعب جمع وحدة العنصر واللغة ان يدير نفسه بنفسه»[٦٦] .

ان سلطة الجماعة ، الامة ، تقوم على الاكثرية . وهي تتعارض مع سلطات الفرد ، او الهيئة الخاصة . «وليس من شيء أضر على العالم في مجموعه ، والأمم في كيانها وحياتها ، من تحكم فرد على أمة ، وسيطرة سلطان على شعب . واستئثار هيئة خاصة من الناس بالتفرد في الحكم ، وانفاذ الكلمة على الناس بقوة من السلطة ، وعدة من الرهبة» .

ومن المحتم حين يحدث شيء من ذلك ان يحدث «تنازع القوتين وصدام الضدين ..» . و «هناك لا يلبث ان يضعف ذلك العرش ويصغر ويتلاشى . يتلاشى ولا عجب امام سلطة الامة ، وقوة الامة وسلطان الأمة »[٦٧] .

ويقوم سلطان الأمة « على دعائم ثلاث من الحق ، هي كل عظمته وكل فخاره وهي دعائم الحرية والإخاء والمساواة ... »[٦٨] .

ولذلك فان العريسي يطالب بحرية الوجدان[٦٩] ويرى ان من حق الفرد ان يقاوم الظلم بالوسائط الشرعية[٧٠]. وهو لا يرى فرقاً بين فرد وآخر «ان الامة مليكها واولياؤها وافرادها كتلة واحدة، تجمعهم الوطنية على متسع ومنبسط من الأرض، تحت راية واحدة ولا ميزة لأحد على الآخر الّا بالفضائل لا المناصب، ولا فخر لفردٍ دون آخر ،الّا بالشرف المؤثل، لا بالشرف الموهوم»[٧١] .

وعبد الغني بالطبع يذكر ما وضعته الامم الاوروبية في قوانينها من حقوق الانسان والمواطن ، وينتقد انتهاك الاتحاديين لها[٧٢] .

أما بالنسبة لحق الجماعة ، فانه يتلخص بالتالي : أ) حق الجنسية : والجنسية عند عبد الغني تعني القومية . يقول عبد الغني «فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية ، حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة ، رغما عما كان ينتابنا من حكومة الاستانة من انواع الادارات كالامتصاص السياسي او التسخير الاستعماري أو الذوبان العنصري . فكل ما تذرعت به الاستانة من الوسائل لم يؤد الى غير نتيجة واحدة ، وهو الحرص على مكانة حق

---

(٦٥) المفيد ، العدد ٩٧٤ ، ١٩ آذار ١٩١٢ ـ الحزبان وحركة الانتخابات .
(٦٦) فتى العرب ، العدد ٣٠ ـ ١٤٦٤ ـ ١٨ كانون الثاني ، ١٩١٤ ـ تطور الامم في مثلها الاعلى .
(٦٧) المفيد ، العدد ٤١ ، ٢٧ آذار ١٩٠٩ ـ الى الكتاب والخطباء ـ بتوقيع الفتى العربي .
(٦٨) المرجع السابق .
(٦٩) المفيد ٢٩٩١٩ شباط ١٩١٢ ـ مولد النبي عليه الصلاة والسلام .
(٧٠) المفيد ٨٩٦ ٣١ كانون الثاني ١٩١٢ ـ شكر وتذكير لاحد صاحبي الجريدة .
(٧١) المفيد ، العدد ١١٥ ، ٢٢ حزيران ١٩٠٩ ـ الشرف الموهوم .
(٧٢) المفيد ، العدد ٩٣٤ ، ١٩ آذار ١٩١٢ ـ الحزبان وحركة الانتخابات .

الجماعة ، واحياء هذا الحس الشريف النبيل حس الجنسية . فاقتفاء للماضي نقرر مناهضة كل ما يؤول الى اضعاف هذه القومية ، والتذرع بكل ما فيه حياة لخصائص العرب وميزات العرب فنحن كتلة حية ، قائمة بذاتها ، وخاصتها لا تدع اية قوة تمس بناء هذا الركن الركين». ب) حق المشاركة في قوى الدولة الثلاث ، السلطنة ، القوة التشريعية ، القوة الاجرائية . أما السلطنة ، فلا نفكر بها «ما دام الدستور جارياً على معنى الدستور» ، ولا نفكر بالانفصال عن السلطنة «ما دامت حقوقنا فيها مرعية مخفوظة» . أمّا بالنسبة للسلطة التشريعية فلا قانون بلا تمثيل . وهو اقدس حق للامة ، وهو مغموط . وما دام الامر كذلك «فإننا نعذر اذا صممنا على ان نتذرع بالوسائل التي تصون حقوقنا في هذا المجلس ، سواء في زيادة نوابنا او حرمة تمثيلنا» . أما السلطة الاجرائية فان حق الجماعات «يتطلب من الامة ان تؤلف الحكومة ، وأن لا تتألف الحكومة الاّ من الامة » .

وهو لذلك كله يعتبر حكومة الاستانة «غير مستوفية الشروط والاركان من وجهة العدل ؛ ما دام حقنا غير محفوظ لان الحكومات في نظر «اعلان حقوق الانسان» لا تكون مشروعة ، الاّ اذا احترمت حق الافراد ، فمن باب اولى حق الجماعات وحق الشعوب»[٧٣] .

واذا كان للافراد حق مقاومة الظلم ، فمن باب اولى ان يكون هذا الحق للجماعات ؛ وبأية واسطة[٧٤] . ويعود عبد الغني ، فيؤكد ذلك في خطبته الى المؤتمر العربي الاول مؤكداً اتباع كل الوسائل الشرعية ، ولكن اذا سعت حكومة الاستانة «وراء اخفات هذه الاصوات بالقوة والقهر ، فإننا نتخذ طريقة نفشل معها اثرة رجال الحكومة» . ويضيف : على هذه السبيل قد ربطنا قلوبنا ؛ وتعهدنا بالتبعية الشخصية والتضامن الاجتماعي ان نتخذ كل الوسائل تحقيقاً لهذه الحياة الشريفة»[٧٥] .

وبناء على ذلك ، أيّد العريسي ، والمفيد طبعاً ، حزب الحرية والائتلاف ،[٧٦]كما أنه أيّد تعدد الاحزاب ، ورفض فكرة الحزب الواحد ، كما رفض اعتبار المعارضة ضارة ؛ وهو في مناقشة ذلك يقول : «فيا للغباوة والجهل ، ان للنفوس البشرية حاجات متعاكسة ورغائب متشاكسة»[٧٧] .

وكان عبد الغني لا يلبث يرغي ويزيد : «فوالذي قلب الملك ، ووطد الدستور ، واعز الامة ، لتبدّل الأرض غير الأرض ، ان دام رجال الحكومات ينظرون للرعية نظر السادة لمواليهم ، والموسرون للمعدمين نظر الجبابرة لحواشيهم» . والامة «ما زالت عطشة ، فلا ينقع غلتها ، ولا يروي نفسها الاّ اباحة الدماء فعلى مجموع الامة ان يرصد نفسه للفداء بغير تأفف في سبيل مصلحتها ، ومنفعة ابنائها وخدمة افرادها ، والذب عن حياضها ، ان

---

(٧٣) حقوق العرب في المملكة العثمانية ـ النص منشور في هذا الكتاب .

(٧٤) المفيد العدد ٨٦ ٣١ كانون الثاني ١٩١٢ ـ شكر وتذكير .

(٧٥) حقوق العرب في المملكة العثمانية ، اشير اليها سابقاً .

(٧٦) المفيد ، ١٠٦٢ يوم ٢٤ آب ١٩١٢ ، والمفيد ٩٣٤ يوم ١٩ آذار .

(٧٧) المفيد ، العدد ٩٣٤ ، ١٩ آذار ١٩١٢ ـ الحزبان وحركة الانتخابات .

داهمتها الفوادح أو أرهقتها القوارح»[٧٨] .

ولعل مقاله المعنون «تطور الأمم في السلطة والحق» من أهم مقالاته في هذا المجال . انه يطرح فيه فكرته عن تطور السلطة . ويرى ان «كل الحكومات التي نشأت بعد الرومان ملوكية تخص فردا واحداً ، يتخذه الشعب ظل الله في أرضه ، ومنها حكوماتنا العربية لاتصال الجوار ، وقرب المعاصرة ، وتسخير البلاد الرومانية». ولذلك فانه يعتبر ان من «واجبنا بل واجب كل حي كريم ، ان ينزع من قلوبنا ما شربنا ، من فلسفة اليونان ، وان نأخذ بالفلسفة الحديثة السياسية ، القائمة على مذهب «الديمقراطية» ، ومذهب الذاتية»[٧٩] .

ان عبد الغني ، يبدو في هذا المقال ، حريصا على تحديد تصور للسلطة ، ومفهوم للديمقراطية . وهو يتبنى افكار الثورة الديمقراطية عامة . أما ماركس والثورة البرولتارية والاشتراكية ، فلا يتعاطى مع افكارها وأشخاصها : وكذلك المفيد ، حتى من قبيل المعلومات التاريخية . على الرغم من أن عبد الغني يتناول كل القضايا بحس مؤرخ ، ومن زاوية تاريخية ، وعلى الرغم من أن كتّاب « المفيد » كانوا اعظم المثقفين العرب في ذلك الحين .

و) **حرية الصحافة** : كان العريسي مع حرية الصحافة قولاً وعملاً . ولقد طرح ذلك نظرياً ، ومارسه عملياً .

وينبع موقفه هذا من قناعته بضرورة حرية الرأي والاجتماع . وهما جزء من النظرية السياسية التي تبناها . ولذلك طرح حرية الاجتماع وحرية الصحافة في خطاب الى المؤتمر العربي الاول ، واعتبرهما قضايا أساسية مثل اموال المصارف والنافعة والأوقاف[٨٠] .

ولذلك كان يرى ان البلاد الراقية هي التي تصغي حكومتها لصحافتها «فما أرقى البلاد التي تصغي حكومتها لصحافتها ...»[٨١] .

والصحافة ، من وجهة نظر «المفيد» ، ليست صحافة الاخبار ، لأنها «صاحبة الزعامة والسيادة للأمة» .. «ومن كان هذا شأنه» كما تقول : «فأولى به ، ثم اولى ان يرصد نفسه ليوقف الناس على صالحات المهام ، ويستفزهم اليها ، ويطلعهم على المداحض ، ويربأ بهم عنها » . ولما كانت الصحف في ذلك العهد لا تتبع هذا النهج ، فانه يراها هجرت «طيناً، واستمسكت بما لا خير فيه»[٨٢] .

وكثيرا ما كانت المفيد تشير الى حاجتنا الى الشجاعة الادبية ، وكانت تعتبر «انه ينقصنا شيء من الاهمية بمكان عظيم ... حتى اذا حصلناه ، نلنا بعده أشياء . هذا الشيء أرى أنه قد آن أوانه ، إذا عرفنا كيف نستعين به ونستخدمه بيننا . ذلك الشيء الناقص

---

(٧٨) المفيد ، العدد ١١٥ ، حزيران ١٩٠٩ ـ الشرف الموهوم .
(٧٩) المفيد ، العدد ١٤٣١ ، ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٣ ـ تطور الأمم في السلطة والحق .
(٨٠)حقوق العرب في المملكة العثمانية .
(٨١) المفيد ٩١٢ ، ١٩ شباط ١٩١٢ . في الطريق .
(٨٢) المفيد ، العدد ١٠٠ ، ٤٢ حزيران ١٩٠٩ ـ الصحافة في سورية .

عندنا ، والمفقود من بين ايدينا ، هو ما يسمونه الشجاعة الادبية ، التي هي حرية الكتابة ، وحرية الخطابة ، تلك الحرية الضعيفة في نفوسنا ، المفقودة من بين ايدي كتابنا وخطبائنا »[٨٣] .

وكانت المفيد تطالب بالنقد ، نقد الولاة ، ونقد السلطة ، وتعتبر «ان علتنا في هذا المقام اصحاب الصحف ورجال الامة»[٨٤] .

وحين سن مجلس الامة قانون المطبوعات سنة ١٩٠٩ شنت «المفيد» حملة ضارية على قانون المطبوعات الجديد . وكان عنوان مقالها : «حرية الصحافة ـ وتحته عنوان فرعي «تقييد الصحافة اهانة للبشرية» . وترى «المفيد» أن «ما من أمة قيدت صحافتها ، وحجزت حريتها ، الا وفسدت اخلاقها ، وتزعزعت اركانها ، وأصبحت لا ترى الّا مساكنها » . وتواصل «المفيد» حملتها على القانون الذي ليس الّا «سلاسل يتقيد بها العقل والقلب والارادة . وما بعد قيد الثلاثة الّا اختلال الجسم ، واضطراب حركاته ، على غير محورها» .

وترى «المفيد» انه لا يجدي أن نسمي أنفسنا الاحرار الدستوريين ، ونحن نقيد الصحافة . لأن «تقييد الصحافة دليل على الاستعباد ، ومدعاة الى الخوف والخضوع ، ومن ثم الرضوخ للأميال السافلة في أنفسنا»[٨٥] .

ولذلك واجهت «المفيد» الكثير من الصعوبات في علاقتها مع السلطة وقانون المطبوعات . وسنقدم هنا بعض الامثلة .

● اعلنت المفيد في العدد ٩٢١ يوم ٤ آذار ١٩١٢ عن استدعاء فؤاد حنتس للمثول امام الديوان العرفي ، بسبب فقرة نشرت في باب سوق عكاظ .

● صدرت «صدى المفيد» يوم ٣٠ مايس ١٩١٢ ، وأعلنت ما يلي : «حكم الديوان العرفي يوم الثلاثاء مساء بتعطيل جريدة المفيد ، وبدفع خمسين ليرة عثمانية ، لما نشر عن حامية جزر الارخبيل ..» ووعدت الاصدقاء باصدار صدى المفيد ، مع شكرهم على المساعدات المادية والأدبية معاً التيساعدتعلى اصدار هذه الجريدة ..

● ذكرت صدى المفيد العدد ٤ تاريخ ٣ حزيران ١٩١٢ أن الصحف تحتج على القانون الذي وضعته الوزارة ، واعتبرته ضربة قاضية للصحافة العثمانية .

● المفيد تعود الى الصدور ، العدد ١٠١٣ ، ٢٧ حزيران ١٩١٢ ، وتنبه الى مخاطر قانون المطبوعات .

● المفيد ، العدد ١٠٨٢ ، ١٩ ايلول . اوقفت بسبب قصيدة لعمر حمد ، واستدعي هو وفؤاد حنتس الى الديوان العرفي ، حيث استجوبا ، واطلقا ، وعطلت المفيد .

● صدرت لسان العرب ، العد ١ ـ ١٠٨٣ ، في ٢٣ ايلول ١٩١٢ ، بدلاً من المفيد . وكان مديرها المسؤول توفيق الناطور وقد حمل العدد ٢ ـ ١٠٨٤ من لسان العرب ـ ٢٤ ايلول

---

(٨٣) المفيد ، العدد ٤١ ، ٢٧ آذار ١٩٠٩ ـ الى الكتاب والخطباء .

(٨٤) المفيد ، العدد ٤٠ ، ٢٦ آذار ١٩٠٩ ـ مثلما تكونوا يولى عليكم .

(٨٥) المفيد ، العدد ١٢٨ ، ٧ تموز ١٩٠٩ .

خبر دعوى جديدة على لسان العرب ، بسبب مقال العريسي ، باسم العرب نحيا ، وعطلت الجريدة نهائياً ، ولم يصدر منها الا ثلاثة اعداد .

● صدرت الفتى العربي العدد ١ ـ ١٠٨٦ يوم ٢٨ ايلول ١٩١٢ وكان مديرها المسؤول جميل حداد . وظلت تصدر حتى السابع من تشرين الثاني ، ثم عادت المفيد يوم التاسع من تشرين الثاني سنة ١٩١٢ .

وهذه بضعة أمثلة على تجربة المفيد في صراعها من أجل حرية الرأي ، وفي دفاعها عن حقوق العرب ، وحرية الصحافة .

ز ـ افكار تنازعته :

تنازعت عبد الغني العريسي اربعة تيارات متداخلة ومتعارضة ، وهي :

١ ـ الاتجاه القومي العربي

٢ ـ الاتجاه الاسلامي

٣ ـ الاتجاه العثماني

٤ ـ الفكر الاوروبي الحديث .

وكان عبد الغني يؤمن أنه عربي ، وأنه يعمل لتحقيق الوحدة العربية « وتعزيز الجنسية العربية » . ولكنه كان يرى أن تعزيز الجنسية العربية « لا يتناقض مع مصلحة الامة العثمانية » ، لأن نهوض الأمة العربية يحقق هذه المصلحة[٨٦] . الّا انه كان يعطي تعزيز الجنسية العربية الأولوية . وكما بيّنا من قبل ، فانه كان يربط هذه العلاقة مع الجامعة العثمانية بالاعتراف بالحقوق العربية . أما بالنسبة للاسلام ، فان العريسي كان يعتز بالتراث الاسلامي ، وهو يرى الاسلام دين الحرية والمساواة والاخاء[٨٧]. الّا أنه يدعو الى جامعة وطنية « ينضم اليها المسلم والمسيحي والاسرائيلي ، والائتلافي والاتحادي ، بحيث أنه لا يكون أثر للخلاف في بلادنا »[٨٨] . ويحذر من الذين ينفثون « السم بين الطوائف ، لئلا تتكون جامعة ، فتقطع أيدي المتغلبين » . لأنه يرى أن « ... كل الاديان قد أنزلت لمصلحة البشر ، فمن وقر في نفسه ان يتخذ الدين أداة لمآربه السياسية ، ويضيم الطوائف ، فيطعن فيها ، ويقذف بأهلها ، فقد جنى على نفسه وأمته »[٨٩].

والعريسي ، بعد هذا كله ، يدرس فكر الثورة الفرنسية ، ويتبنى افكارها الأساسية . ويظهر في كتاباته جلياً تأثير مفكريها . لقد تبنى شعار « حرية ، اخاء ، مساواة » ، كما يبدو في المختارات التي نقدمها . وهو مع دور الأمة ، والسلطة في الأمة لا لفرد ، ولا لافراد ، بل

---

(٨٦) المفيد ـ العدد ٨٧٦ اول كانون الثاني ١٩١٢ ـ افتتاحية بداية السنة الرابعة .

(٨٧) المفيد ٩١٩ يوم ٢٩ شباط ١٩١٢ ـ مولد النبي .

(٨٨) المفيد ١١٦١ يوم ٢٨ كانون الاول ١٩١٢ ـ الحركة الاصلاحية توالي الاجتماعات .

(٨٩) المفيد ٩١٩ يوم ٢٩ شباط ١٩١٢ ـ مولد النبي .

لجماعة الامة[٩٠] . والأمة « شركة معقودة على وجه الأرض بين احياء وأموات ونسل آت »[٩١].

الّا أن العريسي ، شأنه شأن أديب اسحق ، لم يعكس اي اهتمام بالفكر الثوري والاشتراكي الفرنسي ، ولا يبدو أنه عني به . ولذلك حين ترجم ، ترجم لبول دومير، رئيس مجلس الأمة ، ولغو ستاف لوبون ، وهما محافظان . وقد حاولنا دراسة مصادر فكره ، فلم تسعفنا المصادر العربية والانجليزية . ونأمل ان يقوم بذلك باحث ممن يقرأون الفرنسية ...

واستطاع العريسي في الوقت عينه ، ان يكون قومياً عربياً ، وهذا وجهه الرئيسي ، عثمانياً ، يرى المحافظة على الجامعة العثمانية بتعزيز العرب ، والعناصر الأخرى المكونة لها ، مؤمناً مسلماً ، يرى الاسلام عامل تقدم وتطور ، مثقفاً يدرس علم الغرب وفلسفته ويستوعبهما ، دون ان يتغرب او يضيع . ولعل هذا من أهم ميزاته . ونستطيع ان نقول أن الدعوة القومية العربية ، تبلورت لديه ، كما لم تتبلور من قبل ، وانه جعلها غاية حياته ، واعطاها كل وقته وجهده .

---

(٩٠) المفيد ١٤٣١ يوم ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٣ ـ تطور الامم في السلطة والحق .

(٩١) المفيد ١٤٣٥ يوم ١٥ كانون اول ١٩١٣ ـ فتى العرب واجبه العام .

٤ ـ ملاحظات متفرقة

لا نعتقد أننا وفينا عبد الغني العريسي حقه . أمّا « المفيد » فتحتاج الى دراسات متعددة ، ودارسين يعطون للمفيد الوقت الذي تستحقه . وحسبنا ، في هذه العجالة . والمختارات ، ان نقدم عبد الغني و « المفيد » لقراء العربية ، لأول مرة . تبقى ملاحظات متفرقة نرى ضرورة الاشارة اليها :

أ ـ مدرسة « المفيد » : تبرز على صفحات « المفيد » أسماء متعددة ، بعضها ترد تكراراً مثل نسيب ارسلان ورفيق العظم وحقي العظم وعبد الحميد الزهراوي ، وبعضها تمر لماماً . وهناك أسماء صريحة كالذين أشرنا إليهم ، وهناك اسماء مستعارة مثل : عروة بن الورد ، زهير ، عبد الله بن قيس ، المعري ، دريد بن الصمّة، مراسلنا في العاصمة ، أو مكاتب سياسي .

ومن الجدير بالتسجيل ان نذكر عدداً من هؤلاء الذين نشروا مقالات أو قصائد : وهم بالاضافة الى ما ذكرنا : محمد البزم (شاعر) ، فيصل اليماني ، عارف بك النكدي ، يوسف حيدر (شاعر) ، فؤاد حنتس (شريك عبد الغني في المفيد) شكيب ارسلان ، امين عبد الهادي ، عبد المهدي بك (مبعوث كربلاء السابق) عبد الكريم قاسم الخليل ، محمد محمصاني ، عمر حمد ، توفيق الناطور ، جميل حداد ، جميل الرافعي ، شبلي الشميل ، ومن الاسماء المستعارة ، بالاضافة الى ما ذكرنا : ربيعة (كاتب عراقي) ، ابو سهيل ، ز . ك من بين النهرين ، شوقي ، عثماني طالب حقوق .

ويحتل نسيب ارسلان مكاناً بارزاً على صفحات « المفيد » ، فهو يكتب الكثير من الافتتاحيات . كما أن هناك معلومات تشير الى أنه هو صاحب توقيع عروة بن الورد .. ويذكر مصطفى الشهابي ان عارف الشهابي هو عبد الله بن قيس (مصطفى الشهابي ـ مرجع سابق اشرنا اليه) . ويشارك حقي العظم مشاركة فعّالة في الكتابة .

وهناك اهتمام خاص برفيق العظم وعبد الحميد الزهراوي . وان كان يبدو أنه اهتمام بقائدين ويبرز اسم توفيق الناطور مديراً مسؤولاً لفترة قصيرة ، ثم اسم جميل حداد ...

ومن المؤسف ان يكون كل مَن نُعرِّف عنهم من هؤلاء قد ماتوا . ولا نعرف منهم حيّاً نستطيع سؤاله حول الاسماء المستعارة . وقد يساعد وجود بعض الاحياء ، أو نشر مذكرات بعض الذين ماتوا ، أو مراجعة وثائق الأمن العثماني حينذاك ، على معرفة مزيد من الحقائق عن « المفيد » وكتابها .

ان اكثر من واحد منهم يجب ان تفرد لهم دراسات خاصة ، ومن هؤلاء الزهراوي ، العظم رفيق وحقي ، فؤاد حنتس الذي توفي ابن ستة وعشرين عاماً ، نسيب ارسلان ، عمر حمد ، محمد محمصاني . وتوفيق الناطور .

وهناك عارف الشهابي الذي أصبح الشريك بعد وفاة فؤاد حنتس ، والذي رافق صدور الجريدة حتى اغلاقها . وقد أعدم الشهابي ، كما اعدم عبد الغني ، سنة ١٩١٦ .

ومن الواضح لدى مراجعة « المفيد » أنها ليست جريدة شخص ، بل مدرسة ، وهناك معلومات تشير الى أنها كانت اللسان المركزي لحركة « العربية الفتاة » التي كان العريسي امين سرها ، او كاتبها ، كما يقولون . ولكن ليس هناك ما يؤكد ذلك حتى في كتاب ايضاحات المشار اليه سابقاً . الا أن انتظام صدورها ، رغم كل العقبات ، ووجود اكثر من مالك ، منذ صدورها ، حتى اغلاقها ، ومشاركة هذا الحشد من الكتاب والسياسيين في تحريرها ، يؤكد أنها كانت صوت حركة سياسية . وقد نقلت الى دمشق ، حين نقل مركز العربية الفتاة اليها[٩٢]

ب) المختارات : رأينا أن نسمي هذه المختارات « مختارات المفيد » ، لأن عبد الغني نشر مقالاته في « المفيد » ، ولأن المقالات كانت جزءاً من نشاط سياسي وثقافي تمثل في « المفيد » . وكان عبد الغني على رأس هذا النشاط . لقد اقترن اسم عبد الغني بالمفيد ، ورأينا أن يظل مقترناً .

والمختارات جزءان : جزء كتبه عبد الغني باسمه الصريح ، وهو الجزء الأول . وهناك جزء اعتقدنا أنه له من تتبع الاسلوب ، او من وجود قرائن ، وهو الجزء الثاني . واذا كان الجزء الأول يحمل في الاساس توقيع عبد الغني ، وبالتالي لا مشكلة في نسبته اليه ، فان الجزء الثاني لا يمكن ان نقطع بنسبته كله اليه . وهناك صعوبات تعترض كل دارس . ومن هذه الصعوبات ان عبد الغني تطور خلال السنوات ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ . وان اسلوبه كان يختلف نسبياً باختلاف المواضيع التي كان يتناولها ، ثم كان من الضروري ان ندرس كل الذين كانوا يكتبون بانتظام في « المفيد » ، حتى نستطيع الجزم في موضوع نسبة افتتاحيات المفيد غير الموقعة ، او الموقعة باسم مستعار ، وهذا ما لم نستطع عمله ، حتى الآن . وهذا أيضاً من الأسباب التي حدت بنا الى تسمية المجموعة باسم : « مختارات المفيد » ..

ويستطيع النقاد والقراء من دراسة هذه المختارات أن يلاحظوا مدى علاقة الجزء

---

(٩٢) دروزة ، محمد عزت : نشأة الحركة الوطنية العربية الحديثة . المكتبة العصرية . ص (٥٠٠) .

الثاني بعبد الغني .

بقي ان نضيف أننا بحثنا عن كتابات لعبد الغني في عدد من الصحف التي راجعناها ، والتي كانت تصدر آنذاك ، فلم نعثر له على كتابات غير مقالة نشرت في المقتطف ، وقد أشير الى ذلك في موضعه ، ودراسته الموجهة الى المؤتمر العربي الأول . وقد أثبتنا المقالتين في هذه المختارات .

جـ) ترجمات عبد الغني العريسي :

نشر عبد الغني ترجمات لبول دومير وغوستاف لوبون في المفيد[٩٣] . ثم عاد ونشر ترجمته لكتاب دومير بالعربية بعنوان : «كتاب البنين»[٩٤] . وقد قدّم عبد الغني للكتاب بمقدمة قصيرة ، أشار فيها الى سبب ترجمة الكتاب قائلاً : « التفتّ يمنة » ، فألفيت فتاتنا العربية ، طيبة العرق ، صافية النوء ، طاهرة القلب ، وضاحة الجبين . أطلت على بيئتها وأشرفت على جماعتها ، فطار قلبي عليها اشفاقاً ، من ان تفيض فيها فوضى الاخلاق ، وتقسم امشاجها منازع السياسة . واذ سمعت صرخة «بول دومير» يبصر فتاته ، فاستعنت بحكمته ، ونقلت نأمة صرخته ، الى هذه النابتة العربية الناهضة ، علّها تتجافى عن مفاخر هذه البيئة ، فتعمل على حياتها الطيبة حياة الرجولة واستقلال الفكر ، واعتماد الذات وكبر النفس ، فلا تغمض على قذى ، ولا تنام على أذى[٩٥] .

والكتاب مُهدى « الى رفيق بك العظم ، أحد زعماء سورية » .

وتلي المقدمة التي كتبها عبد الغني ، مقدمة كتبها رفيق العظم نفسه .

ولم نحاول مقارنة الكتاب مع أصله الفرنسي ، لأن هذا ليس من اهتمامنا . ومع ذلك فلا بُدّ من بضعة كلمات عن الكتاب والترجمة .

فالكتاب يتناول مواضيع تربوية عامة ، مثل الواجب ، الاقدام ، السعي والعمل ، العدل والاخاء ، الحرية والتسامح ، المحبة والوداد ، الزواج ، الواجبات الوطنية ، المساواة في الحقوق ، حب الوطن ، قوة الوطن . وهذه المواضيع كانت موضع اهتمام عبد الغني ولقد كتب في بعضها كالارادة[٩٦].

أمّا عن الترجمة ، فقد توخى ان تكون واضحة وقوية . وقد وضع في آخر الكتاب إمعجماً صغيراً لـ « بيان ما يتعذر على التلاميذ فهمه من الألفاظ الواردة في الكتاب »[٩٧].

---

(٩٣) المفيد : الاعداد : ٦٩٨ (١٩١١/٥/٢٢) ٧٠٠ (١١/٥/٢٤) ٧٠٣ (١١/٥/٢٨) ٧٢٧ (١٩١١/٦/٢٤) ٧٣١ (١٩١١/٦/٢٩) و ٧٣٧ (١١/٧/٦) ٧٤٩ (١١/٧/٢٦) و ٨٦٣ (١٩١١/١٢/٢٤) .

(٩٤) المطبعة الاهلية ـ بيروت ١٢٣٩ ـ الطبعة الاولى

(٩٥) المقدمة ، ص ٢ .

(٩٦) نشرنا بحثه عن الارادة في هذا الكتاب .

(٩٧) المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

(٩٨) المرجع السابق ص ١٢٢،٢٢٩ ، ١٣٥ ، ١٤١ .

ويلاحظ على الترجمة ان عبد الغني ترجم الشعر شعراً[٩٨] كما أنه أقحم تدخلات حول العرب والتاريخ العربي ؛ ولو أنه وضعها بين قوسين . فهو يقول ، بعد ان ترجم حديث المؤلف حول الكتب النفيسة : « لو وقفت موقف المؤلف ازاء قومي لقلت : « عليكم بالقرآن الكريم والحديث الشريف ونهج البلاغة ، ومقدمة ابن خلدون والعقد الفريد والاغاني والبيان والتبيين وأشهر مشاهير الاسلام وام القرى والتربية الاستقلالية ، وسر تقدم الانجليز وروح الاجتماع وحضارة العرب والتربية لسبنسر واصول النواميس والشرائع لبنتام وروح النواميس والشرائع لمونتسكيو وتاريخ التمدن الاسلامي . وحري بالفتى الكريم ان يتلمس كل ما كتبه ابن رشد وابن حزم وابن تيمية والغزالي وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب » .

وحين يشير العريسي الى كتاب معاصرين عظام يقول : « ولو خيرّت لذكرت من رجالَ هذا العصر ، جمال الدين الافغاني ، محمد عبده ، احمد لطفي السيد ، محمد رشيد رضا ، رفيق العظم ، عبد الحميد الزهراوي ، شبلي الشميل ، جرجي زيدان ، عبد الرحمن الكواكبي ، يعقوب صروف»[٩٩] .

انه يدخل مثل هذه النصوص ، وان كان يضعها بين معترضات . وقد اقتبسناها ، لأن لها دلالاتها . فهو ، حتى وهو يترجم ، لا ينسى امته وثقافته . وهو ، في النظرة شمولي نسبياً يقدّم هذه المجموعة المتنوعة من الكتب والكتاب ، التي تدل على اتساع ثقافته ، واتساع أفقه .

خاتمة

هذه أفكار وملاحظات عن عبد الغني العريسي . لم تتناول جوانب أساسية من حياته ، مثل طبيعة « العربية الفتاة » ودوره فيها ، وعلاقتها باللامركزية ، ثم علاقة اللامركزية بالصراع السياسي مع قيادة حزب الاتحاد والترقي ، واتصالاتها بالشريف حسين . كما أنها لم تتناول جوانب من فكره مثل موقفه من نظرية الحق ، وعلاقة الحق بالقوة ؛ وآرائه في القضايا الدولية ؛ ونأمل ان يقوم الدارسون المتفرغون بكل ذلك .

كانت في قلب عبد الغني ثورة. وهذا ما لمسته عنبرة سلام عندما قابلته[١٠٠] . ولذلك فانه كان يرى « ان كل اصلاح لا يبنى على قوتنا فهو ابتر ، وكل حق لا يوسد تنفيذه الينا فهو هراء . وسلام على العرب يوم لا يعتمدون في صلاح امرهم إلّا على انفسهم، ولا يتخولون هذه القوة الا بالتذكية والانماء »[١٠١] .

واستشهد عبد الغني قبل ان يرى الثورة تندلع .. وظل فكره بعد استشهاده مطوياً ...

١٩٨١/١/١٨ ناجي علوش

---

(٩٩) المرجع السابق ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(١٠٠) عنبرة سلام الخالدي : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(١٠١) المفيد ، العدد ١٣٦٥ ، يوم ٢٨ آب ١٩١٣ ، الحق في السياسة .

الجزء الأول

مقالات بتوقيع عبد الغني العريسي الصريح

الارادة[1]

« لو ارتتقت السموات والأرض على رجل فتحركت ارادته لفتقهما ووجد من بينهما مخرجا » .

ما من طائفة اختل أمرها ، وضل سعيها حتى أخذتها الرجفة وركبها الهول ، وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالأمس ، إلّا وقد خبت من قبل زناد اختيارها ، وتراخت عزيمتها .

وما من أمة تقوّض مجدها ، وثلّ عرشها ، ومادت سكانها ، وانتزعت اركانها ، وأصبحت لا ترى الّا مساكنها ، الّا وقد خمدت همتها ، وماتت ارادتها ، فتقاعدت عن المهمات ، وتربصت الصدفات ، وقالت أنا ههنا قاعدون حتى يأتي الله بفتح من عنده .

تلك حقائق راهنة في المدنية لا تتغير ، ومبادىء ثابتة في العمران لا تتبدل ، وسنة من سنن الله ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

وكأني بالقارىء يسأل عن ماهية الارادة لا يعرف لها معنى ، ولا يدرك لها كنها ، لما رسخ في ذهنه ، وطبع على قلبه من ان « الانسان مسيّر لا اختيار له ، يمضي على حكم القضاء ومجاري القدر » . نعم ان الانسان يجري على احكام القضاء ، الا ان الله هداه النجدين العقل والهدى ، وأودع فيه قوة تشرك العقل في امرها ، ألا وهي الارادة ، حجر الهمة والعزم ، ومعهد الحرية ، ومقيل النخوة والمروءة، وموطن الغيرة والحمية ، ومبيت الانفة والآباء ، ومقام الاقدام والشهامة .

فالارادة ايها القارىء الكريم خلة ثالثة للروح ، تحدو بالمرء الى مطالب العقل ، وقد يعرض لها هوى النفس ان انكسرت شوكتها وضعفت قوتها ، فيفلتها عما تمليه لها الحكمة والواجب . وثمة الطامة الكبرى والبلية العظمى . وهي غريزية في الانسان ، تبقى خامدة جامدة اذا لم يسع وراء تهذيبها ، واكتسابية تزداد قوة ورقيا كلما تعهدها المرء بالعمل .

---

(١) المقتطف : المجلد ٣٣ ، الجزء الثاني ، ١ شباط ١٩٠٨ ص ١٢٧ .

فاجهد اذاً ايها الرجل في ترقية الارادة حتى لا تدع عليك للهوى سبيلا ، فتكون القابض على زمام امرك ، ويكون السلطان لك عليك وعلى نفسك وجسمك وعواطفك وافكارك واعمالك وخيالك ، فتحيا حرّا سعيدا تحت زعامة العقل والحكمة والواجب والوجدان . وليس مطلب أعلى كعبا وأشرف شأوا من هذا للانسان ، الا وان الحياة بالعمل ان خيرا فخير ، وان شرّا فشر ، وليس للانسان الا ما سعى .

ورقي الارادة بالمران والمعالجة ، وهذان مثالان نذكرهما في معرض الحديث : اذا اتيت مائدة الطعام ، واتيت على ما أتيت من المآكل حتى كفيت وبلغت حد التخمة ، ثم جيء بالحلواء فدعاك باعث اللذة ، واشتغل العقل ، وحكم بضرها ، فاصرف حينئذ عنك النفس ورغبتها واللذة وعواملها . واذا قضيت نهارك في متاعب الاشغال حتى كلّت اعصابك ، ثم علمت ان سيتمثل « دمعة الباكي » مساء ، فدعاك داعي الشوق اليها ، فاضرب عنها صفحا واطو كشحا ، وخلِّ السبيل لراحة جسمك ولراحة عقلك . هاتان مزاولتان للارادة في صغير الامور تعتاد بهما على عمل الارادة في عظيم المهام وكبير الاعمال ، كأن يؤتى اليك بالذهب وانت عامل على الحدود ، لتمكن العدو من الاستيلاء عليها ، فيجيش فيك عاملان عامل الهوى للذهب وعامل العقل للواجب . فان استقرت فيك الارادة تبعت الواجب ، وعارضت الذهب ، ونجحت ونجح الوطن . واعلم ان صرف النفس عن اللذات صعب تناوله ، حرج تداركه ، لأن مطالبها جاذبة عذبة لطيفة طيبة ، الّا على الذين أضاءت عقولهم ، وكبرت هممهم،ونفخت فيهم الأنفة حتى نشطت ارادتهم ، وتوقدت عزيمتهم ، فاولئك قوامون على أنفسهم ، واولئك هم المفلحون .

وأعني بالارادة تلك العزيمة التي إن قرَّت بعد هدى من الحكمةوالعقل ، لا تزعزعها عواصف الشهوات ، ولا تزيلها اهواء الملذات . والارادة ان تغلبت النفس على جانب منها استحكم فيها التردد . ومن اعتوره التردد ، اظلمت عليه حاله وساء مآله . وقد قيل « وان فساد الرأي ان تتردد » . واعلم ان التردد موقفة في العمل ، مجلبة للفشل ، ان ركز عليه الفرد بطلت ارادته ، واضمحلت عزيمته ، واصبح في معترك الحياة .

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

او كسفينة فقدت دفتها في بحر هاجت مياهه تسير ولا تدري اين يسار بها ، تسير على حكم الرياح حتى تأذن الامواج بابتلاعها . والويل كل الويل ان اصاب التردد رجال الادارة ، فتقتلع اوتاد الملك بعد ان يمكّن لها في الأرض ، وتتبدل الأرض غير الأرض لأن الارادة والعزيمة صفتان ضروريتان لمن عهد اليه قيادة جيش او ادارة ولاية او تسيير امة . وقد قال سنكا الفيلسوف الروماني « لا سيادة ان لم تسد الارادة » .

ويظهر لك شأن الارادة ان القيت ببصرك على الرجال العظام كسقراط وزينون وده كارت وقنط وابي حنيفة وابن ادريس وابن تيمية[٨] وصلاح الدين ومونتسكيو ونابوليون

وسبنسر وروسو وبسمارك ومن شابههم ، فتعلم انهم لم يكبروا ولم يطاولوا السماءالاّ بإرادتهم .

قال دوّمر رأس مجلس الأمة في فرنسا البارحة ، وأحد اعضائه اليوم ان كل رجال السيادة والقيادة كانوا من ذوي الارادة . ولقد اصاب في قوله . فهذا ابو بكر وعمر وخالد بن الوليد ونابليون وغلادستون وبسمارك وروزفلت مثال الارادة ورجال العزيمة ، مع ان نابوليون قد رجع القهقرى حتى غلبت عليه ارادة بلوخر وولنكتون . ولو طبعت ارادة هذين الرجلين على اقل وطأة من ارادة نابوليون لكان الغلب له يوم وترلو .وليس هذا بالحدس او الوهم ، ولكنه الحق الصراح . فان جنود الانكليز كادت تقع في قبضة الأسر لو لم تستفز ولنكتون ارادته ، فثبت بجيشه حتى المساء ، وكذلك جنود الالمان ، فانها كادت تهزم شر هزيمة أمام نابليون .

الا ان بلوخر أراد أن تكون له الغلبة فسعى كما أراد ، وقصد الى وترلو فاجتمع الجمعان ، فضعفت ارادة نابليون امام تينك الارادتين اللتين لا مطمع فيهما . وفي التاريخ دلائل اعظم من هذه برهانا ، يرجع اليها من خامرته الريبة في شأن الارادة .

واعلم ان الامم التي يهوي عرشها في عهدنا لم تفقد رجال العقل والذكاء ، بل انما تفقد اولئك الرجال رجال الارادة . فان العقل والذكاء يكادان ان يكونا بمثابة واحدة في كل جيل وقبيل بخلاف الارادة ، فانها تختلف باختلاف الطبائع ، فيختلف معها النجاح في الحياة الدنيا ، ان هي سقطت من الأمة سقط النجاح ، وان نهضت فيها نهضت ، حتى انها لتحسن للفرد بأكثر مما تحسن له الثروة والغنى . نضرب لك مثلا رجلين احدهما ذو يسار ، والآخر ذو ارادة ، فعمل كلاهما في أمر ، الاّ ان الثاني كان رجلا هماماً يتتبع الوسائط ويريد النجاح ، والأول يعتمد على وفرة ماله ، ولا يُعمل العزيمة ، فيخسأ الأول لا محالة ويفوز الثاني فوزا مبينا . فالارادة اذن أسُّ النجاح . قال حكيم عربي « كم من حياة سببها التعرض للموت » ، فأخذه اديب اسحق[٢٤] وقال « رب حياة تكون في طلب الموت » .

هذا اثر الارادة في المدنية . واما اثرها في الاخلاق فهي الأمّارة بكل طبع حميد ، والدافعة لكل خلق مجيد ، حتى اذا رسخت في المرء ، وكانت له ملكة رسخ فيه الثبات والاقدام وحب الواجب وحب الخير وعاطفة الشرف والمروءة والحمية والآباء ، وكل ما كرم من الاخلاق ونبل . فهي ام الفضائل وينبوع المحامد ، ومطلع الاسعاد ومشرق الحياة الطيبة ، تنبذ عن المرء كل خلة ذميمة وان تأصلت ، وكل سيئة وان تمكنت ، وكل خبيثة وان تملكت ، حتى يخلص من النوائب والمعايب فيحيا غيورا أنوفا شهما مقداما ، لا تقيده العواطف ، ولا تقوده الأميال ، حاكما على امره لا تزلق به قدمه حيث تدعوه نفسه ، ويجاذبه قلبه كالصخرة لا يزعزعها تيار الهواء ، ولا تدفعها من مكانها مجاري الماء ، الاّ اذا اضطرب امرها ، ولم تستقر حالها على شيء ، فتقلب ظهرا لبطن ، وبطنا لظهر حتى يودى بها .

وكيف يحاز الحمد والجسم وادعٌ وكيف ينال المجد والعزم فاترُ

فلا رقي اذن للمرء قبل ان تترقى فيه الارادة فتصفو حياته وتروق اوقاته . وقد حقق ذلك الفاضل فردريك باسي فقال في بحث له بالمجلة الافرنسية « ان صلحت الارادة ذهب البؤس بأمه » وهذا حق لما قدمنا من ان الارادة تنفي كل دنيء وسفيه ، وتبعث الى كل عظيم وكريم . وغير خاف ان الدناءة والسفاهة متى تجافت عن المرء ، وقامت مكانهما النخوة والعفة ، فقد ذهب عنه البؤس ولحقته السعادة .

وكما ان للارادة أثراً في الاخلاق ، فلها الأثر الذي لاعفاء معه على الامراض ، لأن الارادة كما اشرنا وطن الهمة ، والهمة شعلة من شعل الحياة ، تحرق كل جرثومة دابها الأذى ، وتميت كل نسمة طبعها البلاء ، حتى تنقاد صاغرة في دوران الدم والعكس بالعكس ان تراخت شكيمة الارادة فيضعف الثبات والاقدام . ومتى ضعف الاقدام مدّت يدها الأوهام ، ومتى استحكمت هذه تمكنت الامراض من الجسم ، ونادت عليه بالفناء والاضمحلال . الا وان المصيبة لتصيب من خاف منها . وعلى ألسنة العوام امثلة من ذلك مضحكات لكنها جديرة بالاعتبار ، منها قولهم « لا تأتي الضربة الا على رأس الاقرع » ، والذين طبعوا على الارادة لفي حرز أمين وحصن حصين . يؤيد ذلك ما روي عن غيتي الشاعر الالماني يوم دهمته الحمى فتغلب عليها بارادته حتى نجا من فعلتها . وقد قال « للارادة اثر عظيم على الامراض تنتشر في الجسم وتنفخ فيه نشاطا يصرف عنه ضرر العاديات » . يحاكي هذا قول بوسويه الذي اشتهرت مراثيه ولا شهرة مراثي الخنساء « للارادة سلطان قوي على الجسم ترمي به الى عظيم الصالحات » ، ويثبت البرهان جليا مما نشاهده من سلامة المرضات والاطباء الذين يلازمون المستشفيات ، ويكادون يقضون حياتهم بين ظهراني جراثيم الامراض ، ولا تمسهم ادنى بلية ، كل ذلك بفعل الارادة التي لولاها لاختطفتهم نسم العلل ، وكانوا في عداد الأموات .

تبين لنا ان الارادة تدرأ الامراض عن الجسم فهل لها اثر في الشفاء ؟ نعم ذلك لا ريب فيه ، وقد علمت هذا الاطباء ، حتى انها لتسر بمداواة من رسخت ارادته وتوقدت عزيمته ، كأنها تقول من قصد وجد ومن سعى سعد . وكيف لا تشفي الارادة وهي قوة من قوى الانسان الحاكمة على جسمه . فكم من المقعدين غشيهم الخوف في فرشهم فارادوا النجاة ، وخفوا الى الركض سالمين من القعاد ؛ وكم من الكسيحين في بيوت لعبت بها النار فاستحوذ عليهم الرعب من هول الموت ، فطلبوا السلامة ، ونهضوا من فرشهم راكضين . وقد قيل ان بعض الزمني ذهب يوم الأحد الى حيث يقيم صلاته ، فسمع ضجيج الخوف بين الناس فتساءل القوم فقيل فرّ اسد من مجمع الحيوان ، وأتى الجوار فتسارعوا وازدحموا للهرب ، وبقي المصاب وحيداً ترجف فرائصه ، حتى اضطرمت ارادته ، واحتركت عزيمته ، فاشتدّ عصبه وذهب مرضه وطلب النجاة كما طلبوا . فلما ذهب الروع واطمأن الناس على انفسهم رجعوا فوجدوا الزمين قد تسلق مكانا عليا في نافذة من النوافذ ، لا يدرون كيف بلغه ، فراموا إنزاله فعز عليهم ، حتى أنزلوه بعد جهد جهيد .

وقيل ان رجلا ضعفت اعصاب لسانه حتى تعذر عليه الافصاح ، فعمد طبيبه الى اختراع آلة تشفيه ، فاشرأبت نفس المريض اليها ، وايقن ان بها الدواء حتى لم يكد يستطيع صبرا . فلما أعدها الطبيب طار لبه مسرة لرغبته في الشفاء ، فأخذ الطبيب في العمل ، ووضع ميزان الحرارة في فم الرجل ليعلم درجة الحرارة فيه ، فظن المريض ان الميزان هو الآلة المقصود بالذات ، فاشتد فرحه ، واجتمعت قوى ارادته في الشفاء ، حتى صرخ فصيحا شفيت فشكرا ايها الطبيب فبهت الذين سمعوه .

هذا ولا تكاد تنتهي اعاجيب الارادة بحيث لا نبالغ ان قلنا المستحيل مستحيل ولا نشطّ في كلمات بدأت بها هذه السطور وهي :

« لو ارتتقت السموات والأرض على رجل تحرّكت ارادته لفتقهما ووجد من بينهما مخرجا »

* * *

عهد التمّجد[1]

غير نكير أن عهد التمجد في اية أمة من الأمم لهو أشدّ العهود تدنياً ، فاذا منيت به الأمم سارعت الى الاضمحلال ، وتدرجّت الى التلاشي .

وأعني بالتمجد أن يظهر المرء بما ليس فيه ، ويفخر بما هو عنه بعيد ، ويتبجّح بما هو ليس من أهله ، لجهل فيه أو تجاهل ، أو لحبّ العظمة دون السعي وراء أسبابها .

هذا هو عهد التمجد في الافراد . وأما في الأمم ، فقد يدفعها الى أن تفاخر بأجدادها ، وتباهي برفات آبائها ، وهي على أدنى شأن من الرقي ، وأسفل درك من العمران .

رأينا هذا في الأمة العثمانية ، فآلمنا أشدّ الألم . فمن قائل نحن أساتذة الغرب ، ومن آخر نحن غزاة الأرض ، وفريق ينادي : نحن حملة العلم .

كان للعرب الكرام صولة ولأبهتهم منزلة . فقد نقلوا علوم اليونان الى العربية ، ونقل عنهم الغربيون ، ففاخروا بها ، ولهم في ذلك حق لا ينكر .

دوّخ العرب الأرض ، ففتحوا بلاد فارس والشام ومصر وطرابلس الغرب ومراكش وبلاد الاسبان ، حتى وطئت أقدامهم نصف بلاد الفرنسيس ، وأعالي مدن الطليان . فلهم أن يتباهوا على بقية الأمم بما أوتوه من نبل النفوس وابائها ، وشمم الهمم ونشاطها .

ولكن ما بال الأمة العثمانية صغيرها وكبيرها يسعى وراء التمجد ، ولا يعمل على العظمة والسؤدد ؟ فانا نرى رجالها في مجالسهم كأنهم ورثوا الالوهة ارثا ، وهم على مسحة من العلم ومسكنة من السياسة .

---

(١) المفيد ، العدد ١٠٤ ، ٩ حزيران ١٩٠٩ .

أدخلْ الى بيت من بيوت الحكام أو منازل الاعيان ، فتشعر من نفسك انقباضا ، يترجم عن التأفف من هذه الحياة ، ويشفّ عن السخرية بعادات القوم . فانه قضي على الداخل أن يُطرق رأسا ، ويحني جسما اجلالا لرب البيت واحتراما لهيبته ، فِعْل الذي يقدس أولياء من دون الله . ثم يلبث أمامه متحفظا مستمسكا يخشى أن تبدر منه حركة ، أو تفرط منه زلّة ، مراعاة لحرمة الأدب ، وما ذلك من الأدب في شيء .

ان هذا الأدب اداة لاماتة النفوس وتربية الاخلاق على الصغار والهون ، وزعزعة ركن المساواة ، لأنه يغرس في القلوب أن الحكّام أو الأعيان من غير طينة ، أو من برزخ يفوق بني البشر بدرجات .

نشأ هذا الخُلق مما كان يبثه الملوك في عمالهم من التعاظم وحب الظهور على أفراد الأمة ، فرسخ في الاذهان أن جبلة الحكّام من غير جبلة الانسان ، فهم في نجوة من المكانة لا يدانيها الشعب ، وذروة من المجد لا تتناولها أيدي الناس أجمعين . وأشدّ الملوك تمسكا بهذه الزخارف الباطلة عبد الحميد ، فقد كانت تتنّزل من لدنه آيات الأبهة على ولاته حتى تحاذرها عناصر الأمة .

هذا وقد أدهشنا وأذهلنا ما رأيناه في فرمان جلالة السلطان محمد الخامس باعدام محمود بشير ، من ألفاظ التمجد والتعاظم التي لا ترضى بها الأمة ، ولا تخنع لها الذمة . وقد جاء في أوله يخاطب الوالي أدهم بك على هذا الوجه :

« افتخار الأعالي والأعاظم المستجمع جميع المعالي والمفاخر ، المختص بمزيد عناية الملك الدائم من مميزي رجال دولتي العلية ، الحائز والحاصل الوسام المجيدي ذي الشأن من الطبقة الأولى ، والي ولاية بيروت أدهم بك دام علوّه » .

تذكر أيها القارىء الكريم حالة الأمة اذ يقرأون أن زعيمها ، بل رئيسها ، بل سلطانها يخاطب عاملا من عماله بهذه الألفاظ الضخمة التي لا تتنزل على نبي من الانبياء (افتخار الاعالي والاعاظم المستجمع جميع المعالي والمفاخر) ، فهم ولا شك ينطبعون على الاستخذاء والاستكانة والنظر الى الوالي نظرهم الى الملك الجبّار المتعالي القهّار .

نحن أمة نود أن نحيا حياة مساواة ، وأن نعتبر رجال الحكومة اخوانا لهذا المجموع ، اصطفيناهم ليديروا أمرنا ، وينظروا في مصالحنا ، وأن ليس لهم ميزة على الأمة ، الا أنهم يقبضون راتبهم من أفرادها .

واليك ما جاء لنائب الشرع بعد مقدمة الوالي :

« أقضى قضاة المسلمين ، وأولى ولاة الموحدين ، معدن الفضل واليقين رافع أعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين ، المختص بمزيد عناية الملك المعين مولانا خلوصيّ افندي نائب بيروت زيد فضائله » .

ما أغنانا عن هذه النعوت التي لا طائل تحتها ، والتي يدحضها الحسّ واليقين . من يؤمن أن قاضي بيروت وارث علوم الانبياء والمرسلين ؟ من يعتبر أنه أقضى قضاة المسلمين ؟ .

فما بالنا لا نراعي الحكمة ونعطي لكل ذي حق حقه من الصفات . فلو قابلنا ما يكتب لحكام الانكليز او لقضاتهم لرأينا من آياتهم عجبا .

رب قائل يقول أن هذه عادات ويجب مراعاتها ، فنقول نعم أن هذه عادات ويجب استئصالها ، لتحيا الأمة والحكام حياة اخاء ومساواة وحرية .

ملاحظة المحرر : حوكم عبد الغني فيما بعد على هذا المقال .

* * *

مولد نبينا عليه الصلاة والسلام[1]

في مثل هذا اليوم منّ الله على البشر برجل مثلهم ، فتمثلت فيه آية المساواة «ان أنا الا بشر مثلكم» فهداهم الى دين الاخاء فاصبحوا بنعمة الله اخوانا وسبلهم طريق الحرية (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ، «وان تولوا فانما عليك البلاغ» . فصلوات الله على هذا النبي العظيم نبي الأمم عامة ، ونبي العرب خاصة .

كفى للامة العربية فخرا ، ان أنبت الله منها رجلا عمت شريعته الأرض ، فعمت لغته ، ولن يستأصلها السفهاء والقرآن على وجه الأرض . فالقرآن قسطاس الحق ، صورة الحق ، فمن حدثته نفسه ان ينال الحق عزّ وجل بشيء ، فقد حدثته نفسه سفها ، ورمت به شططا يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره .

كفى للأمة العربية فخرا أن أخرج الله منها رجلا ، كوّن لها وللناس نظام الفرد ، وكوّن نظام الاسرة ، وكوّن نظام الأمة ، فكانت « خير أمة اخرجت للناس » .

كفى للأمة العربية فخرا ان أنزل الله على رجل منها شريعة جمعت ضروب المذاهب الاجتماعية والسياسية والمدنية ، فعمل بها الاعاجم ، فكانوا كالمسلمين ، ولو كانوا غير مؤمنين .

هذا هو النبي العظيم ، فقد أصلح الله به العقول ، فأخرجها من ربقة الأوهام الى فضاء الحقيقة ، أخرجها من عبادة الخلق الى عبادة الحق ، أخرجها من آصرة الذل الى متسع العز ، أخرجها من دائرة التقليد الى الحرية المطلقة .

هذا هو النبي العظيم ، فقد قوّم الاخلاق ، فعرّف قومه بمعاليها ، ونهض بهم الى مستوى ضربوا به الأرض ، فسقطت بين أيديهم ، وتناولوا اطرافها فعقدت لهم ، وأخذوا بأوتادها يديرونها كيف يشاؤون «والأرض يرثها عبادي الصالحون» .

* * *

---

(١) المفيد ، العدد ٦٣٨ ، ١٢ آذار ١٩١١ .

في مثل هذا اليوم يولد النبي العربي القرشي ، واضع مبادىء الاتحاد والتضامن بين الأمة . وفي يومنا هذا يلتفت النبي الى قومه ، فيجدهم قد تفرقوا شيعا ، فيا ايها الذين آمنوا (لا تنازعوا فتفشلوا) .

في مثل هذا اليوم يولد النبي العربي القرشي مقيم الأسس الديمقراطية . وفي يومنا هذا يلتفت النبي الى قومه فيرى ان السلطة قد استأثر بها فريق دون آخر ، وظهروا بمظهر الجبابرة العند ، يأخذون بخناق الوالد والولد . فيا قومنا لا تضرموا الشر بيننا ، فقد كان النبي العظيم يقول لليهودي الخائف (هوّن عليك ، فانني لست بملك ، انما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد) .

في مثل هذا اليوم يولد محمد العربي الفقير فينهض بأعباء الأمة ، ويصلح شأنها ويأخذ بأمرها . وفي يومنا هذا يلتفت النبي الى قومه فيرى فقيرهم وكبيرهم قد أعرض عن الأمة بجانبه ، وتلهى بنفسه عن ذويه . فيا أيها الذين آمنوا ! (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم) . ويا أيها الناس ! (كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته) .

في مثل هذا اليوم يولد النبي العظيم ، وتولد مناقشة الأمة لاوليائها . وفي يومنا هذا يخفت صوت الحق ، ويتزلف الناس للولاة زلفى العبيد . فيا أيها القوم ! (عما لكم اعمالكم ، ومثلما تكونون يولّى عليكم) .

في مثل هذا اليوم يولد محمد النبي الكريم ، فيحتم على المؤمن ملازمة العزة والمنعة وطلب الحق وغلب الشعوب .

وفي يومنا هذا يلتفت النبي الى قومه ، فيجد منهم الاذلاء الذين لا ينبضون لاذى ولا يتحركون لقذى ، فينادِيهم بلسانه المبين (لا خير في بدن لا يتألم) .

في مثل هذا اليوم يولد النبي العربي العظيم الثابت على خطته ، العامل على تأييد شريعته ، مع ما اوذي به من وطىء الكفرة على عنقه ، ورمي الاقذار على جسمه .

وفي يومنا هذا يرمينا النبي بنظرة ، فتجدنا نقول في المجالس كيت وكيت .

(سطر غير مفهوم) فيا أيها المؤمنون تعالوا الى كلمة حق كان يصدع بها نبيكم: (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما رجعت عن هذا الأمر) .

* * *

ولكن ويل لهذه الأمة ، فكأني بقبر نبيها ـ قد تطأطأ وانتفض ، فنهض صاحبه تنتفخ اوداجه وتتقلص اعصابه ، وتحمر عيناه حنقا على هذه الأمة التي يمتصها الأغيار فلا تهزها ضارعة ، ولا تدفعها اكرومة . وكأني به قد اتكأ على جذع من النخل يخاطب قومه :

أمتي ! أمتي ! ان الضيم متربة فلا يسومنكم . من سكت عن مظلمة ضربه الله بأخيه . ومن نكث على قلبه غلب على امره . فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وانتم الاعلون .

من اعتدى على حقوقكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . فان الهمم الخائرة والعزائم الفاترة ذلول لمن ركب .

تقرعكم في ارضكم قوارع ، فلا تغضبون ، وتنال القوارص امتكم فلا تمتعضون ، كالحمر المستأجرة تموت لغيرها . وان عاشت فعلى خسف وهوان .

أمتي ! أمتي ! ان المؤمن من غضب لحق ورضي عن حق ، فلا يغضبنكم شنآنكم الا عن نبل ، فيد الكريم قهارة ، وان لم تعمل . ولا يأخذن بكم حلمكم الا عن قوة ، فحلم الضعيف خوّار وان لجلج .

فوالـذي نفس محمد بيده : ان العرب أكرم الأمم عنصرا ، وخير الشعوب جوهرا ، فمن جفاهم جفاني ومن آذاهم آذاني . فأنا عربي وقد بعثني الله من بينهم نبيا ، اهدي الناس صراطا سويا .

فترحا للذين يسيئون اليهم وسحقا . وويل للذين ينيلون لغتي وشريعتي رهقا .

فوالذي نفس محمد بيده لم ينزل الله كتابه قرآنا عربيا الا ليعرب الشعوب ، فويل للذين يخرجون العرب ..... انفاسهم .

أمتي ! أمتي ! ان الغفلة مدرجة الانقراض ، فراعوا بأبصاركم ووعدا بأسماعكم . اترضون ان تنقرض لغتكم ويمحى دينكم ، وينطفىء ذكر نبيكم ؟ آنى لي ولكم !

ولنعملن احدكم ان في كل ليلة تعرض علي اعمالك . فان كنتم على ضيم فأنا براء منكم لا لا . لست ابرأ منكم . ان امتي امتكم : امة مكينة ، امة جامعة ، وامة ناهضة ، لسحق كل جبار عنيد .

فوالذي نفس محمد بيده إن الله خلق دم العربي حيا لا ينضب ماؤه ، ولا يجف عرقه ، فما هي إلا خلسة الفجر حتى يستعيد ما بنيت لهذه الأمة الاسلامية من المجد والفخار والغلب على الشعوب .

* * *

لا عرب ولا ترك [1]

حدا بنا لتفصيل هذه الكلمة من يومنا هذا ما جاء على السنة البعض من أن العرب والترك في نزاع لا يستقر له قرار . فدفعاً لما قد يخالج الافكار من الريبة نقول :

ان استمساك هذين العنصرين لا يقدر ان يحله مقتدر . فروابط عديدة تجمع بين هذين الركنين اولاهما رابطة الدين وثانيهما رابطة الوطنية .

فرابطة الدين لا تتراخى الا اذا تجرد العرب عن دينهم ، وانتزع الترك الايمان من قلوبهم . وأنّى للعربي والتركي ان ينبذا الدين ظهريا ، فهو الرابطة الوحيدة التي تبقى مستحكمة ، ولو تداعت سائر الروابط الى الاضمحلال .

---

(١) المفيد العدد٦٨٦ ، ٨/أيار/١٩١١ .

تبقى هذه الرابطة مستجمعة مستأصلة ، لأن فكرة الخلافة الاسلامية ما زالت ولن تزال متشعبة في كل ذرة من ذرات هذا العالم الاسلامي .

ما ابدع حكمة الشارع العظيم ، وما أعلى فكرة الخلافة الاسلامية ، فقد انجلى لصاحب الشريعة ان كل الروابط قد تتفكك في حين من الاحايين الا الرابطة الدينية . فوضع الفكرة الكبيرة ، فكرة الخلافة الاسلامية ، لتبقى هذه الأمة حية تتماسك من مشرق الارض لمغربها ، لسحق كل من يمس كيانهااو يحط من منزلتها .

هذه هي الرابطة الطاهرة التي أخذت بقلوب العرب والترك ، فجمعتها على خير مجمع الا وهو حفظ كيان الاسلام القائم في هذه المملكة .

يقولون ان بين العرب والترك سوء تفاهم ، كذبوا والله فيما يقولون . ليس ثمة سوء تفاهم ، وانما هناك مناقشة عائلية في بعض الروابط الوطنية .

يقولون ان بين العرب والترك سوء تفاهم ليوسعوا مساوف المناقشات ، ويوهموا الاجانب بأن بين العنصرين وعامة المملكة شيئاً من التوتر ، فيدعونهم للمداخلات السياسية . فشتان ما يتوهمون ، فوالله ما زالت الرابطة الاولى رابطة الدين مزروعة في قلوب العرب والترك ، فلن يجدوا وصلة لبغيتهم ولا سبيلا .

فنحن ندوس كل من يفتئت على العنصرين بسوء التفاهم ، لأن العنصرين يعتقدان انهما دعامة المملكة ، وان سوء التفاهم لا يتسرب الى هذه الدعامة التي حضنت ولا تزال تحضن ولن تزال تحضن جميع العناصر والطوائف ، فليتق الله المشاغبون .

فالعنصران عند هذه النقطة يذوبان ويتداخلان ويتمازجان ، ولا يظهران الا بمظهر واحد ، الا وهو (مظهر الاسلام) فلا عرب ولا ترك .

الرابطة الثانية رابطة الوطنية .

يجمع العرب بالترك رابطة الوطنية ، فالعرب والترك لا يستطيعان الا أن يعيشا في وطن واحد . مهما اشتدت المناقشات في فروع هذه الرابطة بين العرب والترك ، فلا تبلغ فكرة الانفصال او الانسلاخ كما يوهم الناس بعضهم . فان المناقشة ليست بسوء تفاهم لان اختلاف الرأي لا يدعو لاختلاف القلوب ، وليس بغريب ان يتناقش العرب مع الترك في بعض الأمور ، فهذا شأن الاحزاب . فاذا تناقش العربي مع اخيه التركي فمناقشته تكون بمثابة مناقشة التركي للتركي ، أو مناقشة العربي للعربي . فكما ان العرب يناقشون الاتراك في بعض ادارة المملكة . فالترك انفسهم يناقشون بعضهم بعضا أيضاً وانشقاق التسعين مبعوثاً ليس ببعيد .

فانشقاق هؤلاء النواب لا يحمل على نية السوء للوطن ، ولا سوء التفاهم بين القلوب . بل جل الأمر اجتهاد في الرأي . فهذا الفريق يقول مثلا بحرمان النواب من نوال الامتيازات والفريق الآخر يعاكسه . وكذلك الأمر مع العرب ، فانهم يقولون مثلا بوجوب تعليم العربية في المدارس الابتدائية والرشدية بارسال الموظفين الى البلاد العربية ، العالمين بلغة اهلها،بانفاق

حصص معارف الولاية في الولاية نفسها ، بانفاق حصص نافعة الولاية بالولاية نفسها ، فيما يعاكسهم فريق آخر .

فالمعاكسة انما هي مناقشة في اجتهاد الرأي لصلاح المملكة . فمهما تناقش العرب والترك فلا تخرج مناقشتهم ومنافستهم عن اصلاح هذا الوطن . وتقوية حصونه ورجاله لدرء كل اجنبي ، وسحق كل يد مسيئة تمتد الى هذه الجامعة بأذى .

فيتضح مما تقدم ان ليس ثمة سوء تفاهم يؤدي الى البغضاء ، ولا نزاع تتقطع به الاوصال ، بل اجتهاد في الرأي لتمكين الوحدة العثمانية ، وتعزيز هذا الوطن العزيز .

على ان هذه المناقشة افرادية لا تتجاوز المجموع ، فان المجموع أمر معنوي لا يمسه الماسون . فاذا انتقدنا خطة طنين مثلا ، فمعنى ذلك ، اننا لا ننتقد اخواننا الترك ، لان طنين ليست بالترك بل افرادية ، تمثل رأي أفراد من رأي صاحبها ، فكما جاز انتقاد التسعين مبعوثا لها ، ومقاطعة ضباط الروملي لها ، جاز لنا ايضا انتقادها . فالانتقاد لا يحمل على النصرة الجنسية ، ولا على سوء التفاهم بين العنصرين ، فلو كان انتقادنا لطنين بغضا في اخواننا الترك ، فماذا نحمل انتقاد التسعين مبعوثاً ، وجلهم من الترك ، ومقاطعة الضباط وجلهم من الترك ايضا . فالأمر كما أسلفنا اجتهاد في الرأي ليس إلا .

فكل المباحث التي تدور بين العرب والترك لا تمس مجموع العنصرين ، فليطمئن المرجفون بالاً فليس ثمة عرب ولا ترك .

وان طنين تمثل رأي صاحبها لا رأي العنصر االتركي . فجرائد الثغر تمثل رأي اصحابها لا رأي الطوائف . ولهذا نقول ان الجرائد مهما اختلفت في المناقشة ، لا ينبغي ان يتسرب اختلافها الى الطوائف المنتسبة اليها هذه الجرائد . فالمسيحيون من هذا القطر تجمعهم رابطة الجنس واللغة الوطنية مع المسلمين ، كما تجمع مسلمي القطر رابطة الدين والوطنية مع الترك ، وتجمع المسيحيين العرب رابطة الوطنية مع الترك .

فالعرب مرتبطون بالترك لا محالة . فالمسلمون منهم برابطة الدين والوطنية ، والعرب مسلمين ومسيحيين مرتبطون بانفسهم اشد ارتباط برابطة الجنس واللغة والوطنية . فمهما سعى ارباب المطامع السياسية بأن يحلوا هذه الروابط فمصيرهم الى خزي الدهر وفشل الابد .

ومهما نفثوا بسمومهم الاجنبية ، فنفثاتهم مردودة في صدورهم ، تقهر منهم كبدا وتقتل قلباً .

المسيحيون أعلى من أن ينقادوا لتلك السموم ، والمسلمون اعقل من أن يؤاخذوا المسيحيين لبعض الجرائد . فالطائفتان تعتبران انهما شقيقتان ، كما يعتبر العربوالترك انهما اخوان . فلا عرب ولا ترك ولا مسلمين ولا مسيحيين بل كلنا وطنيون عثمانيون .

* * *

تحركوا جماعات[1]

كانت اورمتنا العربية لا تضم الى جانبها الا كل عالي الهمة ، محكم الروية ، تتمثل في ذاته الأمة ، فيعمل فردها ما ينوء تحته مجموع اليوم . أما وقد تفككت شبائك النهضة وتراخت علائق العزائم ، فعلينا ان نعمل جماعة لعلنا ترتبط لنا عقدة وتستجمع قوة ، فنكوّن من التلاشي نسمات ومن العدم حياة .

عدمت بياني اذا لم اتطير من تفكك الروابط واتذمر من توتر الاوصال . وعسى الله ان يكذب هذا التطير ، فيكون هذا التوتر حفزة المتحفز ، لا نكوس المتقاعس الخذلان .

اية قوة ادفع ، وأي سهم انفذ ، ان كان كل فرد من قومنا لا تزال تمثل في ذاته الأمة ، فتنضم الافراد جماعات جماعات للعمل في طيب الحياة .

هذا ما ابتغيه لامتي من المرتقى الاخلاقي الاجتماعي ، فهو آية في كمال الحياة . فاذا عمل به اذ ذاك قومي فعملهم موطد الدعائم لأنه عمل أمم متكاتفة متحالفة والا فيدهم شلاء في الطين لا تزيدهم إلا وسخا ولا تدرأ عنهم ضراً .

دعاني الى ما اسلفت حركة جديدة مباركة ، حركة الكلية الاسلامية في دمشق ، وهنا مجال للقول ، فقل : تحركوا جماعات .

نعم تحركوا جماعات ، لأن من سنن الوجود ان كل عمل للجماعة لا تقوم به الا الجماعة . ومن خالف سنة الله فقد كاد لنفسه ، ومن كاد لنفسه فقد باء بخزي العمل .

تحركوا جماعات وسارعوا في مهل . تحركوا جماعات واقدموا على عقل وحكمة ، فاننا نحن الشرقيين تعودنا ان نخلق كبارا ، فنموت قبل ان يشع علينا نور الحياة . الا وان المنبَّت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى .

نحن الشرقيين تعودنا ان نفور ولا نلبث ان نغور . ولهذا ينبغي ان نبدأ في حركتنا العلمية ، حركة الكلية الاسلامية ، صغارا ، ونسهر على تؤدة وبصيرة ، فمثلنا مثل الصخرة على شفا الانحدار ، وان تحركت يسيرا سلمت وان عجلت تهشمت .

وعليه وجب ان نضع في بادىء الأمر أساساً للكلية الاسلامية ، حتى نبلغ فيما بعد مستوى الكلية . والاساس يكون باصلاح الموجود . لأن اصلاحه اقرب تناولا من ايجاد الجديد .

في دمشق مدرسة استعدادية (المدرسة العثمانية) ،فاذا كون القائمون عليها اربع سنوات اخرى للدروس العلمية ، كان عملنا خير عمل معقول يرجى من ورائه الخير لهذا البلد الطيب ، ومن ثم نتدرج في ارتقائها حسب ما تتطلبه نهضة البلاد .

هذا ما أرتئيه ان كانت ثمت سبيل للاتفاق مع صاحبها ، فتنزع منه كل سلطة في المدرسة ولا يسير الا بارادة العمدة والا فايجاد جديد خير من التقييد .

---

(١) المفيد (٦٩٩) ٢٣ ايار ١٩١١ .

عار على ولاية كولاية دمشق ، تضم بين اكتافها مليوني نسمة حسب الاحصاء الحقيقي ، ولا يكون فيها معهد راق للعلم . والعار كل العار على أم البلاد اذا لم يتحرك رجالها فيعملون جماعات على خيرها .

ان دمشق قاعدة البلاد العربية العثمانية ، ومنار الهداية للشعوب الاسلامية ، فاذا انطفأ نورها اظلمت الدنيا في وجوه اخواتها ، كما هي الحال في يومكم هذا . واذا استنارت ونهضت تفجرت النهضة من اطرافها وانبعثت نشأة الاسلام من رقدتها ، فحركت من المؤمنين ساكنا ومن قومنا كامنا .

يا قومنا ! ان الحياة للقوي في كل زمان ومكان . تلك سنة الله في كل جيل وقبيل ، وقد تختلف القوة باختلاف الازمنة . وما كان يصلح في الزمن الاول من استعمال الرماح لا يصلح في هذا الزمن . فلا بد من مراعاة الازمنة . ويومنا هذا لا يتطلب الا علما فالقوة بالعلم . ان الطلاب العشرين الذين أتوا البلاد العربية ارتيادا للعلم لا يكفونكم المؤنة . فان كان لكم عشرون طالبا ، فلغيركم من الشعوب اربعماية وخمسماية طالب . فلا سبيل لتجنب الخطر ، خطر الموت ، الا بترقي المجموع ، حتى لا يأكل لحومه الاقوياء ولا يمتص دماءه الاشداء . فتعالوا لنصرة هذه الحركة المباركة في دمشق الشام . فان الخير معقود في نواصيها .

نحن لا نتمالك ان نشكر اولئك المحسنين الذين جادوا ويجودون بأموالهم لمشروع الكلية الاسلامية ، وانما ننصح به قومنا كلمة واحدة الا وهي :

ان الاعمال ايا كانت ، اذا انحصر قوامها بالتبرع والاكتتاب ، لا تلبث ان تضيق عليها المذاهب ، لأن الذين يتبرعون اليوم ينكصون عن التبرع في السنة الآتية . وهذا أمر طبيعي لا مرية فيه وقد شاهدنا حقيقته في اعمالنا العامة في بيروت .

فدفعا للفشل من أن يلم بمشروع الكلية الاسلامية الذي نكلؤه بأعيننا ونحنُّ اليه بجوائحنا، ارى ان نتوسل مع قبول تبرع اهل الاحسان الى أمر اذا توصلنا الى تحقيقه كان الفوز حليفنا .

ان دمشق ملأى من الاوقاف التي ارصدها اهل الخير للعلم . فاستولت عليها نظارة الاوقاف دون ان تصرف مداخيلها على ما شرطه الواقف . ادع جانبا كل الاوقاف ، وتمسك بوقف المدرسة السليمانية ، فان ايرادها يبلغ خمسة عشر الف ليرة في السنة فاستولت عليها نظارة الاوقاف ، ولا تصرف منها الا قليلا . وهذا حقيقي يظهر جليا لمن تمعن في دفتر الاوقاف .

فأرى من الضرورة للقائمين بهذا العمل العظيم ، ان يتكاتفوا مع حزب الاحرار المعتدلين ، لانفاق ايراد هذا الوقف على المدرسة المذكورة . لأن المادة ١٣ من خطة هذا الحزب تقول :

(تتخذ الوسائل اللازمة لصيانة ابنية الاوقاف واماكنها ، ورعاية شرط الواقف بدوامها واحيائها وايجار المدارس المخصصة في تحصيل العلوم وتدريس العلوم العصرية الجديدة .

مع العلوم الدينية كما هي الحال في الجامع الأزهر. بحيث يخرج من هذه المدارس علماء اعلام ، يتمكنون من خدمة الدين والشريعة المؤسسة على اصول الشورى وخدمة الوطن ، ويسعى الحزب في اصلاح ما اختل من شرط الواقف في الاوقاف ، ويوجد الاسباب التي تقي ضياع لغة كل عنصر وادبياته) .

فيا قومنا تحركوا جماعات ، فيد الله مع الجماعة . ولا ريب ان الحكومة لا تتأخر عن ارجاع هذا الوقف للمدرسة المذكورة ، لأنها تعلم العلم اليقين : ان شرط الواقف كنص الشارع .

ولا مرية ان خمسة عشر الف ليرة في كل سنة تكفيكم المؤونة لاقامة اعظم كلية اسلامية في هذه البلاد .

فتدبروا الأمر وتفعنوا الرأي وخابروا اراكين الاحرار المعتدلين ، فانهم لا يتهاملون ثانية عن نصرتكم ، وتحقيق امنيتكم والا فان الركون الى الاكتتاب والتبرع دون غيره لما لا يشتد به عضد ولا تستقيم معه قناة .

* * *

الله اكبر[1]

قوة الخلافة الاسلامية ـ عاطفة الدين والوطن ـ حج جلالة السلطان .

كلمة نطق بالأمس بها أمير المؤمنين في صحراء الالبان ، فارتجت لها قلوب المسلمين في انحاء الأرض خشية وورعا ، واجفلت منها قلوب الفرنجة هلعا وجزعاً .

ارجع ايها القارىء الكريم الى نفسك ، وتفحص دخائل سريرتك ، عما يخالجها من اقامة محمد رشاد اماماً يصلي بثلاثماية الف من المؤمنين في بيئة تمخضت فيها الفتنة وحضأت من ورائها الدسائس .

الماليسور يتمردون ، واهل الجبل يثيرون ، والبلغار يعتدون ، واليونان يحركون ، والروس يهددون والطليان يوقدون .

لا شك ان صلاة الخليفة بثلاثماية الف في تلك الصحراء ، يخرون مع سجدته وينهضون لنهضته ، ويتحركون لحركته ، ذكرى لمن تعامى عن ان ثلاثماية مليون في الأرض ينفرون لنفرته ويغضبون لغضبه . فليثق اليأس المشاغبون .

وليعلم هؤلاء ان هذا الامام ، وهذا الخليفة اذا نادى : حيّ على الصلاح ، زحف وراءه ثلاثماية مليون ، واضطربت الأرض بالنداء : حيّ على الفلاح .

---

(١) المفيد ٧٢٣ ، ٢٠ حزيران ١٩١١ .

فالله اكبر يوم تتمشى هذه الجموع فتسحق المعاندين ، وتحرق المتهجمين وتتبدل الأرض غير الأرض.

فنحمد الله ان تغلب معنى الخلافة الاسلامية على الامبراطورية العثمانية ، وظهر لاولياء الامر ما لهذا المعنى من القوة الهائلة ، اذا اشتدت الازمة وتعاصت الكلمة .

واولى بذواتنا وسادتنا ان يوعزوا لجاهد واخوته ، فيتفهموا ان اطلاق الامبراطورية العثمانية على هذه المملكة لما يمس عواطف المسلمين ، وتنقطع به قوة المؤمنين . ومتى انقطعت هذه القوة ، لحق بالدولة الخسار لا قدر الله والدمار .

ان معنى الخلافة قاعدة لا ارسخ منها للسياسة الخارجية تستند عليها الدولة في مهمات الأمور ، فان سعى الأغرار في استبدالها كانوا كالجناة على أنفسهم ، بل على الأمة العثمانية ، ومن ثم على الأمة الاسلامية .

كلا لا مطلنا بالاذى كل من يمس مقام هذه الخلافة ، او ينتقص من قوتها . فالخلافة الخلافة يا أمير المؤمنين ، فهي درعنا ان امتحنا ، وغيثنا ان أجدبنا . فامنع بحكمتك هؤلاء الاغرار ، والا وردنا تهلكات البوار .

ان الأمم والممالك لا تقوم لها قائمة الا متى اتحدت عواطفها وتوحدت ميولها . وان الأمير لا يمتلك قلوب رعيته ، ولا يتصرف بها حسب ارادته ، الا متى ضرب على مشاعر امته ، فقد عرف باليقين ان اكثر العواطف اتحادا في هذه المملكة ، واقربها تمازجا ، واشدها تحسسا عاطفة الدين ، فاعمل بها يا أمير المؤمنين وأنت العزيز في قوته ، الحصين في منعته .

سعى كثير من القوم في استبدال عاطفة الدين بعاطفة الوطن ، فلم ينالوا بغية ولا مراما، وربثما تتغلب هذه على تلك ، يخشى السقوط . واشد سقوط الأمم ماكان بين الفترات يا أمير المؤمنين .

خطب القوم يا خليفة الله في ارضه ، فاستحثوا انفسهم باسم الوطن ، واستوكفوا الأكف ، فلم ينبض لهم عرق ولم يخفق قلب . ثم نشط ناهض ، فنادى ان (اعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (وجاهدوا في سبيل الله) (وانفقوا مما رزقكم الله) ، فخشعت قلوب ، وذرفت دموع ، وبرَّت ايدي .

فالسياسة السياسة ! فان قومنا لا يشعرون الا باسم الدين ، فعلينا باقامة شعائره . واعظم مظهر لها شعار الخلافة .

على ان الدين لا ينفي الوطن ، فالاسلام دين وجنسية . وما انفك الدين الاسلامي منذ نشأته عن السياسة . فديننافي السياسة والمصلحة . وسياستنا في المصلحة والدين : واينما تكون المصلحة فثمت دين الله كما يقول ابن القيم الجوزي .

نعم ان الدين الاسلامي لا ينفي الوطنية ، فهو حريص على اخاء المواطنين من غير المسلمين ، حفيظ لمساواتهم ، رقيب لحريتهم فلهم ما لنا ، وعليهم ما علينا .

ولهذا لا يتخوف عقلاء المواطنين من هذه الرابطة ، فقد ايقنوا ان باتحاد المسلمين

ونهضة المؤمنين ، بقاء حياتهم ورغد عيشهم . ولا يتخوف منها الا اعداء المملكة . فاحرص يا أمير المؤمنين على هذه الرابطة ، رابطة الخلافة الاسلامية . ولا تنهنه منها مهما شنع الاجانب بمبدئها « البانس لا ميسم » . فالعدو لا ينعى الا بما يخشى سطوته ويحاذر قوته .

ان اشد وثاق لهذه الرابطة ، العطف يا أمير المؤمنين على الأمة العربية . فيشتد ساعد الترك ، وتشتد قوتهم ، فينهض العنصران ومن ثم تنهض الأمة جمعاء . ومتى تحرك الجمع ، فأي بأس تحاذر ، وأي جيش تخشى . فلو رميت اذ ذاك فما رميت ولكن الله رمى .

ان الله ليزع بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن . وأي سلطة اعظم من خلافتك يا أمير المؤمنين على قلوب المسلمين . فاعطف على هذه الأمة العربية بزورة ، حتى تجعل قلوبها تكأة لجلالتك ، وخفقاتها هيأة لسلطانك .

أرأيت يا أمير المؤمنين لو انك تقصد الحج في هذي السنين وتؤم الحجيج بصلاتك ، وتدلف الى المسلمين بحجتك ، كيف تخمد ثائرة اليمنيين ، ويضج باسمك ما بين مراكش والصين .

أرأيت يا أمير المؤمنين ، لو انك تبسط في عرفات كفا ، ويأتيك المؤمنون من الأرض صفا صفا ، ويتقربون الى جلالتك زلفى ، كيف تتجدد الأواصر وتعقد الخناصر .

فاعطف على هذه البلاد بزورة أيام الحج ، فان لوقفتك في مكة معاني تحسن مغبة وتحمد أثرا اقله تجديد العهد بارتباط العرب في ملكك وتوفيق عقدة العرش بين بقية المسلمين ، يدفعون من ورائك شرا ويحمون بهذه الخلافة ذمارا .

* * *

الجريمة الثالثة[1]

حملت الينا البرقيات نبأ عن مقتل زكي بك احد كتاب جريدة مطبوعات ، لسان حال حزب الاحرار المعتدلين ، فحملنا الأذى في متسع الصدر ، وتواصينا بالصبر وقلنا :

خلقنا رجالا للتجلد والاسى وتلك نساء للبكا والمآتم

لو كان الأمر ينتهي بقتل الرجال تعزيزا لدعامة الحرية وتوطيدا للديموقراطية لما اكبرنا القتل . ولكنه سحق للنفوس الكريمة ، وضربة لحرية القول ، ونغمة للتسيطر والتغلب . فيالتعاسة الوطن .

تظن الاحزاب السياسية ان في القتل نصرة لما اختطته لنفسها من المبادىء ، وغفلت ان في ذلك شرا ينتقص من قوتها ويحط من شأنها .

---

(١) المفيد العدد ٧٤٦ ، ١٧ تموز ١٩١١ .

ينتقص من قوتها بخسار ثقة الأهلين ، ويحط من شأنها في نظر الاوروبيين . ولو وقف الأمر عند هذا الحد ولما اعتدنا به . غير ان الدول الاوروبية لم تغير من معتقدها في امتنا شيئا ، الا حينما اعلن الدستور فنودي بحرية الطباعة والقول والطمأنينة على النفس . فاذا رأت الدول ان هذه الاحزاب تعمل للتغلب بالقوة والسيف والرصاص ، تولت بوجهها عن محبة هذه الدولة ، ورجعت الى ما كانت تحدثها به نفسها ، الا وهو تقسيم المملكة لا قدر الله .

فالنزوع الى التغلب شر يجر على هذه المملكة ويلا وثبورا . فليتعقل هؤلاء الملطخة ايديهم بالدماء الزكية ، وليعلموا ان الرصاص حجة العجز ، وعنوان الضعف العقلي .

ما كان الرصاص ولا يكون آية النصر . فالنصر للبرهان والعقل في جيلنا هذا . ولذلك لا يؤخر الرصاص ذوي المبادىء السياسية عن نصرة مباديهم وتأييد خطتهم :

قتل حسن فهمي فلم يرتعش لاحمد صميم عصب ، قتل أحمد صميم ، فلم تخالج زكي رهبة ، قتل زكي فلم يتخوف اصدقاؤه ولن تخوفهم ميتة .

فالموت في سبيل المبادىء اطيب الطيبات على ذوي العقول الراجحة والقلوب الصحيحة . ولهذا لا ينبغي للاحزاب السياسية ان تلجأ الى الرصاص والقوة ، من أجل الفوز . فالفوز لا يكون كما اسلفنا الا بالبرهان والعقل :

أجمل غايات النفوس الكبيرة في هذه الحياة ، الموت في سبيل المبادىء . فمهما كان الرصاص مؤلما للجسد ، فلا يوازي ايلام الوجدان للروح على انه ليس في الرصاص ايلام ، لأنه متى تمكن الرصاص من مقاتل الرجل فقد تغيب العقل ، ومتى تغيب العقل فالاحساس مفقود لا محالة ، ومن ثم لا ألم ولا مضام .

مرضت مدة شهر ، نالني فيه اشد الأوصاب ، غير ان العقل كان مغيبا ، فما تحسست ولاشعرت . وهكذا فان الموت لا يضيم الأجساد ولو كنا نشاهدها في طور الاضطراب .

فما بالك اذا اجتمعت طمأنينة الوجدان وراحة الروح مع فقدان ألم الجسم . ذلك ما يتوخاه اولو النفوس العظيمة والقلوب الكبيرة في هذه الحياة .

ولهذا وجب على الاحزاب السياسية ان تلجأ الى غير هذه الطريقة . فانها لا ترد منافسة ولا تأخذ لغاية حميدة . والأحزاب العاقلة انما تسعى لاكثار مريديها بالتعقل والحكمة لا بالضرب والقتل .

فالموت كما ذكرنا ، ألفه قومنا في سبيل الحق . واعظم دليل على رجحان الفضيلة في المملكة ، لاسيما فضيلة الأقدام والشجاعة الأدبية ، ان الكتبة اصبحوا يصرحون بما يخالجهم من الأفكار ، وهم تحت سماء الديوان الحربي . فلو كانت الجماعة تخشى الموت ، لخشيت ديوان الحرب ، جزعا . فليتفهم هؤلاء روح الرجال .

أبت هذه البلاد منذ اليوم ان تحكم بالاستعباد والقوة والتغلب ، والعاقل من يسعى لاكتساب النفوذ ورجحان الكفة باظهار المعقول ونصرة الحق ، بالحجة الواضحة لا بربط

الاعين والسير على التعمية واطلاق الرصاص . وما دام هؤلاء يريدون ان يتغلبوا بالرصاص ، فما الحاجة من مناقشة النواب .

اليست غاية هذا المجلس ان تصل المملكة الى ذروة المجد والعظمة بالمناقشة المعقولة والبرهان الواضح ؟

وما دام كذلك فما معنى قتل المخالفين في الرأي . ان هذا لهو الضغط والاستعباد .

يقول علماء اصول الادارة « ان للامم ثلاثة احكام . فان تسلطت عليها الادارة العدلية فنبشرها بطيب الحياة . وان سيرتها الادارة الملكية ، تخبطها الظلم . وان تغلبت عليها الادارة العسكرية فانذرها بالويل والثبور » .

هؤلاء هكذا يريدون ان يسيروا الأمة بالقوة والرصاص على ما يحبون ، لا على ما تحبه ارادة الأمة . ومتى سارت الأمة على غير رأيها ، فقد انتزعت منها الديموقراطية ، ورجعت الى طور الاستبداد والاستعباد . وحاشا للعقلاء أن يرجعوا بنا الى ذلك العهد .

حاشا للعقلاء ولكن اين هم من هذا الوطن . ففي كل سنة من سني الدستور جريمة لا تغتفر . ففي السنة الاولى قتل حسن فهمي . وفي الثانية احمد صميم وفي الثالثة زكي بك أحد كتاب الاحرار المعتدلين .

ان الأحزاب السياسية ضرورية للمملكة ، لدحض البرهان بالبرهان . ولهذا عقد بول دومر في « كتاب البنين » يقول فيه : ينبغي « للاحزاب السياسية ان يكون الحكم فيما بينها العدل والانصاف لخير المملكة . فلا تميل الى الاستئثار بالرأي دون استشارة آراء المخالفين حتى تصح حجة العالمين .

وبعد فقد وضح الصبح وظهر بأن خير وسيلة للظفر ، الاقناع بالبرهان . وان الرهبة بالرصاص لا تكون اقناعا ، ولا تشفي مراما ولا تؤخر اقداما .

نعم قد يحجم العقلاء عن الموت . اذا رأوا ان موتهم لا يعقب فائدة . ولكن من يموت ميتة زكي وحسن فهمي وأحمد صميم يدرك آية كبرى الا وهي :

ان الوطن لا ينبت رجالا عظاما إلا متى اصبحت تربته كتلة تتشرب بالدماء الزكية، دماء الشهداء في سبيل الحق .

* * *

الدستور العثماني بين اربعات تموز [1]

خصّ الله هذا الشهر بأن جعل فيه آية الغلب للديموقراطية على الاريستوقراطية لأمم

---

(١) المفيد ٢٣ تموز ١٩١١ العدد ٧٥١ .

ثلاث . فنادت أمة الاميركان بدستورها في ٤ تموز . وظهرت سلطة امة الفرنسيس على ملوكها في ١٤ تموز ، وانشق فجر الحرية على الأمة العثمانية في ٢٤ تموز . فسلام على هذه الأمم يوم اديل لحريتها واخائها ومساواتها من الضغط والتقطع والتغلب .

جرى الاميركان شوطا بعيدا في دستورهم . واستوفى الفرنسيس قسطا وافرا من حريتهم ، ومضى علينا سنوات ثلاث ولم نخط نحو معنى الدستور الا قليلا .

معنى الدستور حرية واخاء ومساواة . ونحن آخذون بتحليل معنى كل واحدة لنرى مبلغنا من هذا الدستور فنقول :

اول مراتب الحرية ، حرية الابرام والعمل . اكثر الناس في المملكة يعقدون النية ويجهدون ويجاهدون ولكنهم لا يعملون . لماذا ؟ لأن كثيرا من مأموري الحكومة يقفون دون اعمالهم ، او لأن الأهلين يعارضون الناس فيما يرون صالحا للعمل . فلا يقضي المأمورون عليهم مآرب في انفسهم ومطامع استولت على قلوبهم .

٢ ـ حرية الذهاب والاياب دون معارضة . ولكنا نرى انه لا يمكن لأحد من الأمة ان يمر من بلدة الى اخرى كبيروت ودمشق مثلا دون ان يأتيه المأمور ويعترضه ، فيسأله عن اسمه وجسمه ورسمه وكسمه ومولاه وصناعته الى آخر ما هنالك من الأمور السمجة .

٣ ـ حرية القول ـ من يقدر ان يقول في مملكتنا ما يخالف الرأي العام ، دون ان تنهال عليه اللعنة ان لم نقل الضرب والقتل .

٤ ـ حرية الكتابة ـ انني لا انسى حملة بعض النواب على ناظر البريد ، يوم فتح بعض الولاة رسائل ومكاتيب بعض النواب ، فهانت بهذا الأمر حرية الكتابة وخرقت أجل الحرمات .

٥ ـ حرية النشر ـ من يستطيع من الأمة ان يكتب ما يشاء . وهذا قانون المطبوعات قد أخذ بالخناق . فان كتب ما يعتقده اخذ به الى السجن او النفي او الجزاء النقدي او القتل . ومقتل زكي وفهمي وصميم ليس ببعيد .

٦ ـ حرية الطباعة ـ اسفي على حرية الطباعة ، فانها مربوطة بحرية النشر ، وصاحب المطبعة مسؤول عما ينشره الكاتب فيلقى جزاء ما لم تجنه يداه .

٧ ـ حرية الاجتماع ـ اختنقت هذه الحرية بيد المأمورين . فانه لا يمكن اجتماع الشعب بدون ارادة الآمر . وهناك تختلف اطلاقا هذه الحرية بسلطة المأمور وغلاظته او تسامحه . ولا شيء يضمن لنا حقنا من هذه الحرية .

٨ ـ حرية القيام بشعائر اي دين كان ـ اتحامل على الحكومة اذا قلت ان هذه الحرية غير مضمونة . كلا فقد كفلتها الحكومة ، فتقام شعائر الاديان بكل حرية ولكن ما السبب الداعي لاخذ اموال الاسماعيليين في متصرفية حماه ؟ ...

٩ ـ حرية التمتع بالاملاك ـ ويل للفقير من المتنفذين . فقد يسلبون املاكه واراضيه ، والحكومة لا تسعى في المحافظة عليها ، كما وقع لاراضي الفقراء البؤساء في ولاية سورية

وولاية بيروت والعهد ليس ببعيد .

١٠ ـ حرية الجمعيات ـ ابكي على هذه الحرية ، فانها تسام الخسف من جميع الوجوه . واذا جاز لعنانها بأن يطلق قليلا ، وخالفت بعض الجمعيات ، رموها بأنها جماعية فسادية او تسعى لمصالح شخصية ، فلا يزالون يشنعون عليها ويضربون عليها النطاق حتى يحرج امرها وتنحل رابطتها .

١١ ـ الطمأنينة على النفس ـ هذا هو الأمر المهم من الحرية . فانه العماد الأعظم منها . ولكنه غير كفيل . فقد اخذ الطبيب رضا نور ، واهينت نفسه ، وكاد يودى به دون سبب شرعي ، حتى اذا جد الجد ، ظهرت براءته . فأين الطمأنينة على الانفس يا رعاة الدستور .

١٢ ـ حرية المعتقدات الفلسفية ـ لا يجرأ أحد على ابداء ارائه في المعتقدات الفلسفية ، أو أن يخالف الجمهور في آرائه ، دون ان يضام في شرفه ونفسه وماله وابنه ودينه . فأين هذه الحرية يا دعاة الحرية ؟ .

١٣ ـ الحرية السياسية : في الامم الدستورية كالفرنسيس والالمان والانكليز يصرح بعضهم بوجوب الادارة الملكية ، والآخر بالادارة للجمهورية ، والآخر بالادارة العسكرية ، والآخر بالادارة المطلقة ، والآخر بالادارة المقيدة ، فهل يجسد أحد من أمتنا ان يصرح برأيه ، ويتطلب ادارة غير الادارة الحاضرة . لا أقول فردا من الأمة ، بل نائبا من النواب الذي يتمتع بالحرية التامة . فهل يستطيع ان يقول ذلك على منبر الخطابة في مجلس الأمة ؟ كلا والله ثم كلا ! إذا فأين الحرية السياسية يا دعاة الحرية ؟ .

هذه هي ضروب الحريةفقد رأيناها تتخبط بين ايدي اولياء الأمر دون ان يكفل شأنها أحد ، أو أن يحافظ على حرمتها ولي . فلنأت الى الدعامة الثانية من الدستور .

الدعامة الثانيةالاخاء : يقضي علينا الاخاء ان نحب ونؤاخي من جمعتنا واياهم آصرة الجامعة العثمانية ، وان نتضافر جهدنا على اعانتهم في الماديات والمعنويات ، تضافرا لا نأتي به لسواهم ، لنناهض الاخطار التي تربض لنا ونصادر الاهاويل التي تتربص بنا .

هذا ما يتطلبه الاخاء ، ولكننا نرى الأمر بالعكس ، فان بعض المأمورين ، يسعون جهدهم في اعانة الاجانب على الوطنيين ، فيهتمون لشؤون الاجانب ، اكثر من اهتمامهم في شؤون الوطنيين . فلو أهين اجنبي بعض الاهانة مثلا ، خفت الحكومة وعطلت كل الأعمال للاهتمام بشأنه ، بخلاف ما لو كان وطنيا ، فانها بقدر ما تسعى للمحافظة على الاجنبي ، تتهامل في شأن الوطني ، وهذا ينافي الاخاء الذي يتطلبه الدستور فنحن وجميع الوطنيين اخوان ، ولا نريد بذلك ان تتهاون الحكومة في المحافظة على الاجانب . كلا ، ولكن الاخاء الدستوري يدعونا لأن نبذل جهدنا في راحة اخواننا ابناء الوطن الواحد .

هذا ما يتطلبه الاخاء من الكمالات . فلو تركناه واخذنا بيد القارىء الى ما يجري في الساحة من تبديد الكلمة ، بدلا من ارتباط الأواصر بمناهضة الاخطار التي تتراكم سحابها ،

فوق افق الوطن ، نجد ان اعظم صوت في العاصمة ، يسعى في نفرة العناصر دون اخائها . فلو اخذنا جاهد وحده ، لوجدناه قد اساء بقلمه الى الألبان والعرب والروم والارمن والبلغار حتى والترك انفسهم ، فتزعزعت بذلك دعامة الاخاء . فالاخاء الاخاء يا دعاة الدستور .

وبعد فماذا أقول عن المساواة ؟ لا أطيل البحث على القارىء مخافة السؤم والشؤم ، واجتزىء القول ، بأننا لا نزال نرى رجحان فرد على رفاقه ، ورجحان عنصر على اخيه . بعبارة ثانية أن القوي لا يزال يأخذ رجحانه من ضعف الضعيف .

فيا اولياء الأمر ان المساواة الدستورية تقضي بأن يوازى بين القوي والضعيف ، ان لم نقل يؤخذ الضعيف على القوي سواء بين الأفراد أو بين العناصر . فاجعل اللهم دستورنا على غير هذه الشاكلة انك بهذه الأمة رحيم .

* * *

الموت الشريف[1]

ما عز سلطان الا بالسيف ، ولا امتهنت أمة الا من خوف ، فرب حياة تكون في طلب الموت ، ورب موت يكون في طلب الحياة .

. ان من يتناوم لا يلبث ان ينام ، ومن يستشعر قلبه الموت لا يلبث ان يموت ، فحق علينا أن ننهض لا عن ذعر ، ولكن عن حكمة وتبصرة ، لدفع من يريد أن ينتقص أرضنا ، ويغمط حقنا (فوالله لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه) .

نعم ان ذلك قول الصديق ابي بكر رضي الله عنه ، والله لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه . (ووالله لو منعوني طرابلس لقاتلتهم عليها) ذلك قسم الدولة العلية ، وانه لقسم عظيم .

أنبأتنا البرقيات أمس ان ايطاليا قد انذرت الدولة باحتلال طرابلس بعد اربع وعشرين ساعة بحجة انها تقوم بواجب الانسانية .

ويل لهذه الانسانية الظالمة ، والويل كل الويل لهذا الجميل المهين ! أية انسانية مع التعدي ؟ وأي واجب مع الظلم المشين ؟ .

انسانية واعتساف ! انها والله روغة الذئب .

تريد هذه الدولة ان تمن على ابناء جلدتنا ، فتبتز اموالهم ، وتأكل لحومهم ، وتعرق عظامهم ، وتمتص دماءهم ، فتسخرهم كعبيد العصا لتورّد خدود ابنائها ، وتملأ بطون قومها .

---

(١) المفيد ١/ ١٠/ ١٩١١، العدد ٧٩٥ .

تريد بالانسانية ان يموت هؤلاء العثمانيون من اجل حياتها ، فيعيشون كما يعيش الجزائريون تحت ظل انسانية فرنسا ...

تريد بالانسانية ، ان تقتل العشرة من ابنائنا من أجل واحد من ابنائها ، كما يقتل المصريون تحت ظل انسانية انكلترة ...

ويل لهذه الانسانية الفادحة ، وويل لهذا الواجب الكاذب !

قبحت انسانيتها وساء واجبها ، فإنما الواجب ان تغسل عنها عار الهزيمة يوم مصوع . أولئك قد علموها واجب الانسانية والجميل المعروف ، وسنعلمها ذلك بعد حين .

طاشت بها نزواتها وحدثتها نفسها بالاحتلال ، والعاقل لا يبطر من منام اصابه ، فلسوف تستيقظ وهي على أم رأسها ، تهشم عظمها ، وتنهش لحمها ، تسد رمقها ، وتلأم خرقها .

يا قومي وثقاتي !

ان الشرور اذا تظاهرت ، لا يحل عقدها الا مصقول الحديد ، ومرهوب المدافع ، فاقدموا حزما ، فالموت في حب الرجولة والدفاع عن الوطن لا يزيد الاقدام إلا يمنا وشرفا .

الموت الشريف يدفعنا أن نقف حياتنا للاحتفاظ باستقلالنا ، لأن تخلية السبيل للاحتلال وربة للقضاء على الحياة الأدبية والمادية في جميع انحاء الوطن ، ومدعاة لاحتلاله لا سمح الله .

فاحتلال طرابلس الغرب مقدمة لاحتلال غيرها ، فليتفهم ذلك اولياء الأمر ان كانوا يعقلون . ولذا وجب ان نفترش الأرض ونلتحف الشجر ، فنبيع كل ما ملكت ايدينا من مال وعقار ، ونضطر الدولة للحرب مع هؤلاء الطامعين الخاسرين ان شاء الله .

الموت الشريف يستفزنا لأن نذكي النار دفعا لما يلحقنا من العار في بيع الأرض والانكسار .

كلا لا نبيع الأرض الا بالدماء الجارية على اشفار السيوف لاملايين الالوف ،فذاك خير وأولى بمن يريد أن يموت شريفا .

الموت الشريف يحثنا الى أن نحمل الأذى عن اخواننا في الوطنية ، وعن انفسنا ، لأنهم قطعة كبد من جسمنا .

الموت الشريف يحملنا على ان نصلي الحرب فنذوق الأمرين نستدفع ما يعقر أصلنا ، ونستغضب لما يثلم شرفنا .

نعم ان الحرب شر هائل . ولكن ثمة ما هو أفقم من الحرب وشرها ، الا وهو ضياع الوطن وانثلام الشرف .

فمهما تجشمنا من المشاق ، وارقنا من الدماء ، وفدينا من الابناء فذلك يسير في سبيل الاحتفاظ بهذا الوطن المحبوب .

ان عقبة بن نافع عظيم وطورغود عظيم لانهما حفظا لنا هذه البلاد الواسعة . فمن

تلكأ عن نصرة هذه الولاية ، ولم يحافظ على هذه البقعة من ارض الأمة كان عرضة للاحتكار وموضعا للصغار ، فليتفهم ذلك اولياء الامور.

يا سادتنا في العاصمة !

لا يحسبن احدكم ان عزيمة الأمة قد نضب ماؤها ، وشجاعتها قد فترت شعلتها ، فالأمة العثمانية قضها وقضيضها فداء لكل قطعة من ارضها ، لاسيما اولئك الذين قال عنهم موسى بن نصير للخليفة الأموي يوم افتتح بلدهم « ان هؤلاء العرب في طباعهم يدافعون ويقاتلون فهم الطاوون الصابرون » .

نعم نحن الصابرون على الأذى فلتتكل الوزارة على شجاعتنا وصبرنا وجلدنا في البأساء ، فقد رهنا انفسنا على الموت الشريف « قل اينما تكونوا يدرككم الموت » .

اما وقد وضح ان لا بد من الموت ، فالموت الشريف يقضي علينا ان نموت في سبيل الدفاع ، فنقضي على سكينة من الوجدان وطمأنينة من الواجب . وتمكين من الشرف . وخير للأمة ان تموت في حياة الوطن ، من ان يموت الوطن في حياتها .

* * *

اهداء الكتاب[1]

الى رفيق بك العظم احد زعماء سورية

رأيتُني أيها الصديق ، مطرقاً امام نهر تدفق زخاره وتشعب تياره ، فترنق صفوه وأجن ماؤه ، فدرجت الى منبعه ، وارتددت على أثري ، فتبينت أن الماء يخرج ساكناً صافياً ، عذباً طاهراً ، وان صفوه لا يتكدر الا بتكدر جواره ، ولا يتشعب الا بتشعب صخوره ، فناديت : يا للمحيط ! يا للمحيط ! ....

التفت يمنة فألفيت فتاتنا العربية طيبة العرق صافية النوء طاهرة القلب وضاحة الجبين ، أطلت على بيئتها واشرفت على جماعتها ، فطار قلبي عليها اشفاقاً من ان تفيض فيها فوضى الاخلاق وتقسمٌ امشاجها منازع السياسة ، واذ سمعت صرخة « بول دومر » يبصّر فتاته ، فاستعنت بحكمته ونقلت نأمة صرخته ، الى هذه النابتة العربية الناهضة ، علّها تتجافى عن مغامز هذه البيئة ، فتعمل على حياتها الطيبة حياة الرجولة واستقلال الفكر واعتماد الذات وكبر النفس ، فلا تغمض على قذى ولا تنام على أذى.

اما وانك ، ايها الصديق ، لم تدخر وسعاً ولم تألُ جهداً في بث هذه المبادىء الكبيرة في

---

(١) هذه مقدمة كتاب البنين الذي صدر سنة ١٣٢٩ هجرية . ١٩١١ .

هذه الأمة ، فاعترافاً لجميلك واقراراً بفضلك أقدم كتابي اليك والسلام عليك .

المخلص

عبد الغني العريسي

* * *

السنة الرابعة[1]

١٨ محرم

قضينا بالأمس ربيعنا الثالث ، وأشرفنا في هذا اليوم على الفجر الرابع من حياة الجهاد ، بين عامة تكافح كل تجدد ، وعصابة تعمل على التعبد . فسلام على من ناداه الواجب فلباه ، وعرف واجبه فأداه .

نحن مهما أرهقنا عسرا ، وذقنا مرا ، فلا ننكص عما اختططنا، فالإرهاق يدعونا للتثبت والتجلد ، والاضطهاد يزيدنا تمسكاً في التجدد .

كادت النزعة العربية تذوب فيما يلوب حولها من النزعات القومية ، فما زلنا نحرك ساكنا ، ونوقظ نفوسنا ، حتى بثثنا الحس العربي العثماني بين قلوب هذه الأمة فتراه يرتج عند مساس مصالحه ، فتهتز له أراكين .

فأصبح من البداهة بعد اليوم ان لا نقول كلمة عن مبدأ المفيد ، غير اننا نذكِّر اولئك الذين يريدون ان يبتزوا اموالنا ، ويمتصوا دماءنا ، ويأكلوا لحومنا ، بأننا نحن العرب لا نرضى ان نموت ليحيا غيرنا .

فخطة المفيد واضحة صريحة ، ألا وهي اننا نحب قومنا اكثر من كل قوم ، مع ارادة الخير لكل قوم . فنحن نريد ان نعيد سيرتنا الأولى تحت لواء الدولة العلية فنحسن لانفسنا تهذيبا ، ولقلوبنا عمارة ، ولعقولنا نورا ، حتى اذا اشتد الجمع العربي على المبادىء الصالحة ، مبادىء الرجولة والانفة واستغلال الفكر واجتماع الكلمة ، نهض ونهضت الامة العثمانية بنهوضه . وان العرب كاهل الشعب العثماني ، ان نام ربض ، وان قام نهض .

نحن العرب حكمنا اسبانيا ثمنماية سنة ، واستولينا على ايطاليا مدة ستماية سنة ، وحكمنا فرنسا مائتي سنة . فنحن لن نكون صفراً في كيان الحياة السياسية العثمانية .

نحن العرب .....حكايات*.....

سنة فنود ان تستفزهم السلالة الى نشر المدارس في كل قرية من الولايات العربية، فنعيد

---

(١) المفيد ، العدد (٨٧٦) ك ٢ سنة ١٩١٢ .

* موضع غير واضح في الأصل .

المنزلة الاولى من الحياة العلمية .

نحن العرب ، كان طلاب انكلترة والمانيا وفرنسا وايطاليا يؤمون كليات الاندلس ليأخذوا بعض نور المدنية ، حتى ان احد الباباوية لم يستطع ان يتولى البابوية قبل ان ينخرط في الحلقات العربية سنين طويلة . فنود ان نسترجع ما اقتبسه الأوروبيون منا بتحريض قومنا الى البعثات العلمية الاوروبية .

فنحن العرب ، لم تعرف اوروبة كتب اليونان الا مترجمة للعربية ، فنقلنا مدنية القرون القديمة الى القرون الوسطى ، فنود ان تملأ نابتتنا العربية خزائنها العلمية ، مما تعرب عن كتب افرنجية ، فتنقل مدنية اوروبة الحاضرة الى هذا الجيل .

نحن العرب نهضنا باوروبة مادة وعقلا وخلقا ، فانحططنا اليوم خلقا وعقلا ومادة .

كلا لا ننحط ، فان الامم الاولى قد فقدت نفسها بفقدان مميزاتها القومية وخصائصها الجنسية . فاندرس الاشوريون والفرس والمصريون واليونان والرومان بين انقاض الوقائع ، واندرست اديانهم ولغاتهم وصناعاتهم ، الا الأمة العربية ، فلا يزال دينها ، ولا تزال لغتها ، ولا تزال صناعتها تمتد من مراكش الى الفرس على رأس ثمانين مليون عربي . عدا عما لهذه الامة من الابناء وراء البحار الذين يهتفون للعرب كلما ذر النهار . فاية امة لم تفقد مميزاتها وخصائصها ، لا تلبث ان تسترجع حياتها السياسية ، ولا سيما في وسط هذه الجامعة العثمانية . غريب أمر هذه الامة النبيلة ، فان كل الامم التي غلب على أمرها اكتسبت خصائص الغالب ، الا هذه الامة فقد اكتسب الغالب مميزاتها . فالامة العربية سواء كانت غالبة او مغلوبة ، تضم بين أفرادها ذرات مدنية وحياة طيبة . ومن كانت هذه خصائصه فلن يضمحل ولن يموت .

خصائصنا ومواهبنا قد اخذت تنال مستوى من الحضارة عجيباً ، فنحن العرب اول من اخترع طرق الري للزراعة ، وأول من اكتشف قياس سطح الأرض ، وأول من اخترع المكبرات واستعمل الطرق الهندسية .

نحن العرب اول من اكتشف فلسفة التجربة والاختبار ، واخترع طريقة تحويل المعادن الى ذهب ، وتحويل المعادن السامة الى الادوية ، واكتشفنا الادوية للامراض الجلدية . وأول من وقفنا على داء الجدري ، واكتشفنا الدورة الدموية القلبية وامراض الحلقوم .

نحن العرب اول من زرع القطن في اوروبة ، وزرع قصب السكر ، وأول من أسس المستشفيات ، وأول من اخترع الاعداد والأرقام الحسابية ، واكتشف حركات الاجرام السماوية .

نحن العرب اول من اخترع صناعة الزجاج ، وحسّنا فن النقش وأول من اخترع البارود ، وأول من اسس المكاتب العمومية ، واكتشف مناحي الأرض الجغرافية ، ووسعنا فن الملاحة .

نحن العرب أول من اخترع المدافع والقنابل ، فاستعملنا المدافع في وقعة فريسي سنة ١٣٤٦ ميلادية ، وأول من استعمل الاسلحة النارية واخذنا النار الفرنجية واكتشفنا دورات الأرض وعلم الجبر و(البوصلة) والساعة والكحول والحامض الكبريتي والنتريك والكيمياء والصيدلية والتقطير ، وأول من وضع الرؤيات وقال من الشعر مقدار ما قالته كل شعراء الامم .

هذه هي ثورتنا في عالم المدنية فقد احدثنا فيه نواقص عديدة . وانقطع عملنا المستمر منذ حوّلنا هذه الخصائص وهذه المميزات والمواهب لمصلحة غيرنا . فالمفيد عامل لمصلحة الامة العثمانية بنهوض الامة العربية ، وتخصيص قواها لنمائها وعصْرائها . فنحن لا نريد ان نقطع اوصالنا لتسديد غيرنا ، بل نسدد سوانا بتسديد انفسنا . هذه غايتنا منذ درج المفيد ، ولذلك نجتزىء عن خطة الجريدة بما يأتي :

« الأول »، تحريض القوم بالبعثات العلمية الاوروبية . « الثاني » تأييد اللغة العربية في مدارس الحكومة الابتدائية والرشدية والمحاكم في الولايات العربية . « الثالث » ان يكون مأمورو الحكومة في ولاياتنا عارفين باللغة العربية . « الرابع » ان تخصص حصص المعارف في الولايات العربية للولايات نفسها . « الخامس » ان تخصص حصص النافعة في الولايات العربية للولايات نفسها . « السادس » تحريض الحكومة على احصاء نفوس الولايات العربية . « السابع » تحريض البادية على التحضر. « الثامن » ان تخصص الأموال التي تعقد الدولة قرضها للنافعة في كل ولاية على نسبتها . « التاسع » ان ترجع الأوقاف الى ما جعلت له ، فتصرف اوقاف المعارف في ولاياتنا العربية على ولاياتنا عملا بنص الواقف . « العاشر » ان لا يمتهن العربي في هذه المملكة فله ما للعناصر وعليه ما عليها .

ذلك مبدأ الجريدة ، فيرى القراء البررة ان خطة المفيد عربية عثمانية ، تدرء عن العرب كل اذية ، وتناضل عن حقوقهم وتستصرخهم للحياة السياسية بتسديد عقولهم على نور العلم والمحبة الواضحة . اما تشيعها لاحزاب الامة فهي توالي الحزب الحر المؤتلف ، لما في خطته ما ينطبق على خطتنا ، كالمحافظة على خصائص كل عنصر ، وابقاء حصص المعارف في كل ولاية لنفسها وارجاع اوقافنا الى معارفنا ، بدلا من ان تصرف على تكايا الاناضول وزوايا الروملي مثلاً .

فالعرب دعامة المملكة ، فان وهت هَوَت ، فهم الذين يحفظون كيانها ، وهم الذين يشرفون اسمها ، بما يفدونه من دمائهم واموالهم وابنائهم في سبيل الدولة العلية العثمانية . ورهاننا ما يسدون في شرف الوطنية في الدفاع عن طرابلس الغرب بقيادة القائد العربي الابي نشأت بك الطرابلسي . فقاتل الله من يؤذي العرب في حياتهم ، ويغمط حقوقهم ، وينكث في نهضتهم .

فالمفيد عربي خصص كل قوته لهذه الامة عملا بوصاة النبي القرشي العظيم ، نبينا محمد عليه الصلاة والسلام حيث يقول :

(١) (احبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي)
(٢) (احبوا العرب وبقاءهم فان بقاءهم نور في الاسلام ، وان فناءهم فناء في الاسلام)
(٣) (اذا ذلَّ العرب ذل الاسلام)
(٤) (لا يبغض العرب الا منافق)
(٥) (حب العرب ايمان وبغضهم نفاق)
(٦) (لا يبغض العرب مؤمن)
(٧) (لا تبغضني يا سلمان فتفارق دينك ـ كيف ابغضك يا رسول الله وبك هداني الله ـ تبغض العرب ، تبغضني) .
(٨) (يا علي اوصيك بالعرب خيرا)
(٩) (من غش العرب لميدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي)
(١٠) (وما انزل الله وحيا على نبي من الانبياء الا بالعربية)
(١١) (من احسن منكم ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية)

هذه وصاة الرسول ، فالمفيد عامل بها على خطة التنافس وتسديد القوة العلمية والاخلاقية . فاعملوا يا قومنا لانفسكم ، فمن لا يعمل لنفسه لا يعمل له غيره ، ألا وان شئتم ان تحيوا هذه الدولة العلية ، فاحيوا انفسكم ، فانه لاحياة الا لقوي ، ولا ممات الا لذلول ، ولا حق دون قوة ، ولا نظام دون .... فاستمعوا للقوي واتبعوا الحسنة ، وانتم خير امة اخرجت للناس .

* * *

نهضة جديدة
وخطوة الى الامام من اجل المفيد[1]

انتشر المفيد ولا يزال ينتشر على النحو الطبيعي وسنة الارتقاء ، تعضده ميول الامة واخلاص ذويه ، فنسأل الله ان يسدد خطانا في كل يوم ، عملا بما تقتضيه المصلحة العامة من الواجبات الكبيرة لهذه الامة .

نشأ صغيرا ثم انضم اليه احدنا فؤاد حنتس ، فاشتد ساعده ، وزادت مكانته ، فأصبح مما يعتد به في سبيل النهضة حتى انتشر انتشاراً عظيماً، فتمكنّا من زيادة حجمه ووفرة مواده .

---

(١) المفيد ، العدد (٨٩٣) ٢٨ كانون الثاني ١٩١٢ .

هذا ولا تزال رغبات الامة تتوجه نحوه ، وقلوب الفتية تتمسك بمبدئه، حتى مكنتنا الحال ، وبعثتنا الى ان نفكر فيما يجب عمله بعد هذا الاقبال ، وهذا التمسك قياسا بالواجب ، لأن الواجبات تزداد كلما ازداد المرء قوة وعضدا . وما أعظمَ من تعلق الأمة قوةً ، وما اشد من تمسك الشبان الناهضين سنا .

رأينا من اجل ذلك ان تنضم للمفيد يد ثالثة قادرة ، فتعمل على خدمة هذه الامة ، وان يرحل احدنا عبد الغني العريسي الى باريس لتلقي العلوم السياسية والاجتماعية في احدى كلياتها الشهيرة ، فيواصل المفيد بقلمه من ديار الغرب في كل بريد ، فينقل الى مجموعنا هذا كيفية حياة الامم الغربية وقواتها المادية والمعنوية ، حتى تنسج امتنا العربية على مناهج الامم الحية ، فتأخذ الحكمة الغربية المادية ، وتضيفها الى الحكمة الشرقية المعنوية واية امة ضمت حكمة الاخلاق الى حكمة المادة ، نبشرها بالارتقاء السريع والتمكين في الأرض .

هذا عدا عما يتخصص فيه الراحل في الفنون السياسية والاجتماعية ليبعث به للمفيد تذكرةً للامة ، وافصاحاً عما يجب ان تعمل من اجل حفظ كيانها ، ودرء ما يتهددها من المخاطر السياسية . فان من لا يعلم ضروب السارقين لا يلبث ان يسرق في عقر داره ، ويسلب وهو في مكانه . ومن لا يعرف مراوغة الذئب اكلته الذئاب . ولهذا يجب على جميع افراد الشبيبة ان يكونوا بمنزلة قول سيدنا عمر رضي الله عنه :لست بالخب ولا الخب يخدعني .

هذا ما عزمنا عليه . وسيبارحنا الراحل بعد غد بليغ الهمة شديد النشاط ان شاء الله . وما كاد ينتشر الخبر الا وهلل له جميع اصدقاء المفيد الذين يغارون على توطيده وتأييده ، فاجتمعوا وقرروا ان يقيموا له مساء اليوم الساعة الثانية بعد الغروب حفلة وداعية في منتدى الكلية العثمانية ، تدعى لها جمعية ابناء العثمانية ، وجمعية المقاصد الخيرية وجمعية مآثر التربية ، وعمدة الكلية العثمانية ، وعمدة دار العلوم ، وجمعية العلمية العثمانية ، ورجال صحافة بيروت ، وفريق كبير من الاعيان والاهلين ، فيخطب فيها احمد مختار أفندي بيهم ، والامير نسيب ارسلان ، والشيخ احمد أفندي طبارة والطبيب بشير افندي قصار ، وعبد القادر سعد الدين افندي غندور ، وعارف بك النكدي ، وعمر افندي حمد .

ولا ريب ان رحلة احد صاحبي المفيد الى باريس ستكون داعية لرحلة رجال الشبيبة العربية ، فتستفزهم الى ان لا يضنوا بساعة واحدة من أيامهم ، دون ان يسارعوا زرافات الى الهجرة في سبيل العلم ، كما كان يفعل اجدادهم الاولون .

وغير نكير ان لا حياة لأي فرد حياة شريفة عالية ، الا اذا حشد دماغه بما تقتضيه هذه الحياة . وهذا مثل ينطبق على الامة اكثر من الفرد . فاية امة ينحط مستوى رجالها العلمي لا تلبث ان يسحقها الأقوياء .

فحذار ايتها الفتية العربية من ترقي العناصر في المملكة العثمانية . دون أن تكونوا أنتم

الأقوياء المرتقون .

نعم ان للهجرة في سبيل العلم متاعب من مشقات ونفقات . ولكن ذلك معوض بدرجات فمـــا ألذ التمتع بالشقاء في سبيل الأمة والعلاء .

* * *

شكر وتذكير لاحد صاحبي هذه الجريدة
عبد الغني العريسي (١)

اخواني واعزائي ،

لا استطيع ان أفي الشكر للاصدقاء الذين أقاموا هذه الحفلة الوداعية في هذا المساء ، لأن لساني يقصر عما يكنه جناني ، وانما الفت نظركم الى أمر مهم ، الا وهو ان هذه الحفلة لم تقم لذات شخصي ، وانما احتفاء بغاية الموضوع ، الا وهو الرحلة في طلب العلم . فشكرا لكل من سعى لتعزيز العلم ، وتشجيع الناهضين من أجله .

اما أقوال إخواني الخطباء الذين تكرموا علي بالاوصاف الحميدة والنعوت الفاضلة ، فانما هي اثر منعكس عن اخلاقهم ، لأن الرجل مرآة أخيه يرى فيه ما في نفسه .

يا قومي اني التمس توجيه بصركم الى أمر خطير ، ولو لم أكن في موقف وعظ وتذكير . غير خاف، ان امتنا في موقف حرج شديد ، مما يتألب عليها من قوة العناصر الزاحفة المغتصبة للحقوق ، فلا يقينا هذا الشر ، ولا يدرأ عنا هذا الخطر الا القوة العاملة ، الا وإنه لا حق دون قوة .

يا قومي للفرد حق مقاومة الظلم والجور بالوسائط الشرعية . وأما الامة فلها حق الحياة بأي واسطة ، ولو كانت شرا . فقاعدة (الغاية تبرر الواسطة) انما جعلت من اجل حقوق الامة لا حقوق الفرد ، ولهذا اقول لا نظام دون فوضى .

لا حق دون قوة ، ولا نظام دون فوضى ، مبدآن أكررهما لهذه الامة ما دمت حيا ، لأنه لا نجاة لها الا بهما . فان الصراخ من اجل الحقوق لا يفيد شيئا ، اذا لم تؤيده القوة . وما دمنا نطأطىء الرأس لكل متغلب يغمط لنا حقا ، فلا يستقيم لنا أمر ، ولا تصطلح لنا قناة . على اية قوة ينبغي ان نستند ، وعلى اية فوضى يجب ان نعتمد ؟ الجواب على قوة العلم وفوضى الانفة والاباء . واذا لم نتوسل الى هذه الطريقة ، فلا ريب ان العناصر تمتص دماءنا ، وتأكل لحومنا ، وتهشم عظامنا ، فنموت موت البعير ، موت ذلّ واحتقار .

على هذا بنى صاحبكم رحلته الجديدة . فهو يسعى لتسديد قوته ومداركه من أجل

---

(١) المفيد ٣١ كانون الثاني ١٩١٢ .

الخدمة لهذا المجموع . نعم لا يتبجح بأنه ناهض فيه ، ولكنه عامل على واجبه ، ورحم الله امرأ عرف واجبه فاداه ، وناداه وجدانه فلباه .

ولهذا أدعو كل فتى وكل فرد من هذه الامة ، ان تكون حكمة في دماغه ودقة في قلبه ، تنقر كلما خلا بنفسه ، فيتخذ كل الوسائل لاقناع اهله وذويه وأبويه كرها ام حبا من اجل الرحيل في سبيل العلم حفظا لهذه الامة .

نعم انه يعز علي الرحيل ، ولكن يعزّ علي ايضا ان أرى نفسي ومجموع امتي منحطاً ، يسحق فلا يستصرخ ، ويداس فلا يتألم . فعلينا نحن الشبيبة ان نشقى في سعادة الامة ، لا أن نسعد في شقائها .

على هذه القوائم قد نشأ صاحبكم في هذه الكلية التي يديرها استاذنا الرئيس . وها انني أصرح على مـلأ الاشهاد أنني لم أتلقَ من هذا الرئيس الجليل الا شيئاً واحدا ، الا وهو الثبات على المتاعب ، والتجلد في المصائب ، والصبر على المكروه في طلب الحق .

هذه خصال تناولناها في هذا المعهد ، فأودعه واودع اصدقائي واخواني وبلادي وامتي ولكني لا أودع وطنيتي .

وقصارى القول يا قومنا اننا في حاجة الى التجدد ، فان هذا الجسم اذا لم تتغير ذراته مرة في خمس سنين بلى ، ونحن اذا لم تتجدد افكارنا وعقولنا وقلوبنا ، فمصيرنا الى البلاء .

هذا سيدكم مفتي الثغر لا اجتمع به في مكان الا ويذكر ابن حزم اشهر القائلين بالتجدد ، فنصيحتي الى اخواني التجدد ثم التجدد . والا ما دمنا على القديم من استغراق الوقت في المعنويات واللفظيات والخيالات ، فان العناصر تمتصنا كطفيل الحلمات يأكل غيرها فيموت الاثنان . والادارة الوحيدة التي تقطع دابر هذا الامتصاص قوة العلم وقوة التجدد .

واعني بالعلم ما جمع حكمة المادة الغربية الى حكمة اخلاقنا الشرقية ، وما دمنا نتلهى بالمعنويات والخيالات فلسوف يسارع الى ما قاله احد علمائنا الشهيرين من تلهى في الفضاء كثيرا فقد من الأرض كثيرا .

هذه كلمتي ونصيحتي ولا اطيل البحث ، فلست في موقف تذكير بل في موقف وداع . ولا اقول موقف وداع بل موقف صداقة ووداد . فالى الوداد ايها الاخوان لا الى الوداع .

* * *

في الطريق
لاحد صاحبي هذه الجريدة[1]

ودّعت بلادي وقومي عند غياب الشمس لارجع اليها خادما امينا وعاملا صالحا مستقيما ، على ركانة من الحزم وبلغة من الشباب ، تبعا لقول القائل :

من لم يقم بالمجد قبل مشـيبه وخمـود جمرتـه فليس بقائم

فما هي الا خلوة ليل وجلوة ضحىً ، حتى أطللنا على ضوء الوطن ومحط الأمل ومشرق الحرب مصر العزيزة ، فتبارك ربي وتعالى .

مصر وحالتها الاقتصادية

رأيت مصر اعلى مما كنت اتصور بدرجات ، فهي قطعة أوروبية مصغرة ، تلوح عليها آثار الثروة والعلم . ومما زادني سرورا وفرحا تقدمها الاقتصادي ، فان ايراد الحكومة المصرية يبلغ ستة عشر مليون ليرة ، ومصروفها خمسة عشر مليونا ونصف . فهي تصدر من البضائع بمقدار ٣٥ مليون ليرة ، ولا يرد اليها من البضائع الاجنبية الا بمقدار عشرة ملايين . وكل من له المام بالاقتصاد يعلم مكانة مصر وحكومة مصر الاقتصادية من هذه النسبة . بخلاف ايراد حكومتنا العلية ، فانه يقدر بأربعة وعشرين مليون ليرة ، ومصروفها اثنان وثلاثون مليونا . وبخلاف ما تصدره من البضائع وما يرد الينا من البلاد الاجنبية ، فاننا نصدر بمقدار ١٧ مليون ليرة ، ويرد الينا بمقدار ستين مليون ليرة . واية دولة او امة يزداد مصروفها على ايرادها ، والوارد من البضائع على صادراتها ، فقد كتب عليها الانحطاط والاضمحلال . فعسى ينتبه اولو الأمر والشأن في الاستانة الى هذا الأمر الحيوي .

وعسى يتعظ اولياؤنا فلا يعقدون القروض المالية من اجل المصاريف الحربية والاهلية ، فان الديون العمومية ميزان لموت الدولة لا سمح الله وحياتها . وعساهم يتخذون خطوة مصر دليلا لهم ، فان الديون العمومية كانت تقدر بماية وثلاثة ملايين ليرة ، فاصبحت اليوم خمسة وثمانين مليونا . وقد علمت ان في صندوق الديون العمومية في هذه الايام سبعة ملايين ليرة تود الحكومة ان تدفعها من اصل الديون ، واوروبة لا ترضى لئلا يقل تدخلها في شؤون مصر الداخلية .

ولا يظن ظان ان هذا التقدم يرجع فضله للانكليز . كلا فان كل الذين يديرون هذه الشؤون مصريون وسوريون ، وليس للانكليز من فضل الا توطيد الأمن فقط ، بحيث رأيت بأمّ العين ان مخازن الجواهر لا تغلق في الليل مطلقا ، وليس فيها احد .

---

(١) المفيد ١٩ شباط ١٩١٢ .

السوريون في مصر

اني وجدت في مصر للسوريين جولة تذكر فتشكر ، فقد رأيت سابا باشا يتولى نظارة المالية ، وسعيد باشا شقير نظارة مالية السودان ، ونعوم باشا شقير حفظ الآثار التاريخية ، وبطرس باشا مشاقة ناظر الخزينة الخاصة الخديوية ، وانطون بك مشاقة ناظر الصحة العمومية ، وعبد الله باشا صفير مديرا للمطبوعات ، ويوسف باشا شكور رئيسا لبلدية الاسكندرية ، ونجيب باشا شكور رئيسا لعدة شركات مالية ، وجرجي فيليب مدير بوليس القاهرة ، وميشال بك ايوب ناظراً للجمارك . كل هذه البراهين الساطعة على اكفاء العرب ، والاتحاديون يقولون هاتوا بالاكفاء منكم ليتولوا بغض المهام . فحسبي إلله من الأستئثار والتغلب .

الانكليز في مصر

ما رأيتُ أمة قادرة على الاستعمار مثل هذه الامة الانكليزية ، فانها لا تعارض العواطف المحلية ، ولا تتحدى نزع الخصائص القومية ، بل الأمر بالعكس . فقد رأيت القادة الانكليز للجيش المصري يلبسون اللباس المصري لا الانكليزي ، والطربوش المصري لا القبعة الانكليزية ، ويكلمون الجند باللغة المصطلح عليها في الجيش المصري لا اللغة الانكليزية . نعم ان العار للمصريين باحتلال الانكليز ، ولكن الامة التي يزداد ثراؤها ، وينمو مستواها العقلي والوطني ، لا تلبث ان تخلع هذا النير المشؤوم ، كما فعلت الولايات المتحدة بعد ان ظلت سنين طويلة تحت سلطة انكلترة . وحبذا لو يتفقه الاتحاديون من سياسة هؤلاء الانكليز ، فيتركون سياستهم الخرقاء من نزع الخصائص القومية واستئصال اللغات . فان سياسة الشعوب لا تدوم الا بمطاليب الشعوب وأية جريمة اكبر من ان تسلخ عن امة لغتها وطباعها ومزيتها ، فتذيبها بما لا يغني عن جوع . اضرب لهم مثلا ، فقد رأيت ان كل الدوائر الرسمية تكتب اوراقها باللغتين العربية والانكليزية . أما في ولاياتنا العربية فانهم لا يخجلون من ان يستعملوا اللغة الافرنسية بدلا من العربية مضافة الى التركية ، فترى اوراق البرق ودوائر البريد تعلوها الرسوم التركية والافرنسية في كل البلاد العربية ، فيا ويح من لا يخجل ان يهين الأقوام في بلادهم بامتهان لغتهم .

تحرير النفوس

من أدهش ما علمت ان مصر تحرر نفوسها بليلة واحدة ، وعدد اهلها تسعمائة الف . وكيفية ذلك ان الحكومة عيّنت كثيراً من مأموري التحرير ، ونزلت بيوت الرعية في ليلة واحدة دون ان تعلم اهلها . ولذلك لم يستطع ان يكتم أحد نفسه ،وهنا مجال عبرة وعظة لحكومتنا العلية في تحرير نفوس ولايتنا ، فان النفوس لا تزداد بما تتخذه من الطرق السقيمة .

الصحافة والحكومة

يصدر من المؤيد في هذه الأيام أربعة عشر الف نسخة ، ومن الاهرام خمسة آلاف ،

ومن المقطم خمسة الاف أيضا ، ومن الجريدة الفان . وكلها ذات تأثير عظيم على الحكومة . فقد قرأت في المؤيد ان بعض الاحياء نورها ضئيل في الليل ، فما ظهر الصباح الا وقررت نظارة النافعة زيادة خمسة آلاف قنديل سريعا . فما أرقى البلاد التي تصغي حكومتها لصحافتها ، ولكن اين من تنادي من تلك الآذان الصماء .

هذا ما رأيته في بضع ساعات قضيتها في مصر ، ثم خضنا البحار حتى مررنا بجزيرة صقلية في مضيق (مسين) فذكرت ذكرى جميلة اليمة . ذكرت هذه الجزيرة وهذه البلاد الايطالية كيف غزاها العرب وحكموها مدة مئتي سنة كان فيها البابا يدفع اليهم الجزية ، وكيف الايطاليون يغزون العرب في عقر دارهم اليوم ، فقاتل الله من لا يستطيعون ان يدرأوا عن البلاد شرا .

في الباخرة

وجدت ثلاثمائة وسبعة وعشرين رجلا من المهاجرين السوريين ، واكثرهم من انحاء مرجعيون ، يهجرون البلاد ليضربوا في ارض اميركا ابتغاء الرزق ، فبكيت لفقدان البلاد من الرجال بسبب سوء الادارة . ان البلاد حسنة والرجال شداد عاملون ، ولكن الادارة مضطربة بحيث تعطل البلاد والرجال . واكبر دليل على ذلك ما تقرأه في الاسطر الآتية .

نشاط العربي

ان في جمهورية (هايتي) من بلاد اميركا ثمانمائة سوري دخلوا البلاد ، وليس بأيديهم قوت يومهم ، فما زالوا يعملون حتى تمكنوا بنشاطهم ودهائهم ان يستولوا على كل تجارة تلك الجمهورية ، وعدد سكانها مليونان من البشر ، استولوا على التجارة حتى ضيقوا الخناق على اهلها ، وقطعوا عنهم اسباب الرزق . وقررت الحكومة ان لا مناص من التخلص من نشاط العربي ، الا باصدار قرار ينفي كل ابناء العرب من الجمهورية . وقد فعلت وضربت ميعادا لهم من اجل الخروج ، حتى آخر نيسان القادم .

هؤلاء هم العرب ، وهؤلاء هم رجال الدولة العلية ، فليس الخلل من الرجال والبلاد . كلا بل من سوء الادارة والعمال .

عصبية اللغة

كان يصحبنا على مائدة الطعام في الباخرة رجلان انكليزيان ، فكانا يتكلمان الافرنسية مع المسافرين الفرنسيس كل الاوقات . فما هي الا لمحة بصر نظرنا فيها مرسيليا من ارض الفرنسيس حتى انقطع كلامهما عن الافرنسية بتاتا . فاذا كلمهما احد فلا يجيبان الا بالانكليزية ، على حين انهما لم يتكلما كلمة واحدة انكليزية قبل ان يريا ارض الفرنسيس . فكأن الأرض قد ذكرتهم بواجباتهم والاحتفاظ بلغتهم عند الاحتكاك . هذا درس لابناء قومي يتمسكون به من اجل لغتهم وهم الفائزون . فما ابدع العصبية للغة وللجنس .

رجالنا ورجالهم

دخلنا فرنسا امس فكان اول تأثير تبادر لبصري أن يد الاقدار في الغرب قد خربت كل

شيء ، فاصلحته يد الانسان ، وان يد الاقدار في بلادنا قد أصلحت كل شيء ، فخربته يد الانسان الجاهل .

لا استطيع ان اكتب اليوم شيئا عن فرنسا ، لأنني منذ ساعة قد نزلتها . بل أقول كلمة واحدة نصيحة عامة لأبناء أمتي :

لا ينبغي للامة ان تعتمد في درء الخطر عنها على عدل اوروبة وانصافها ، ولا ينبغي استصراخها لنجدتها ، فان هذه الامور يعدونها من السفاسف في هذا المحيط ، لأنه لا وجدان في سياسته . فالوجدان والعدل والنجدة والانصاف دعائم ترتكز على القوة ، لأن الاخلاق السياسية في اوروبة تقوم مقام الدين ، ورأس هذه المبادىء السياسية ، لاحق دون قوة . فعلى امتنا ان تلجأ للقوة المادية مع الاحتفاظ بمعتقداتها الشرقية .

فاعملوا يا قومنا لقوتكم لتحفظوا أبناءكم وامتكم ومجدكم وسيرى الله عملكم .

باريس .

* * *

مولد النبي عليه الصلاة والسلام[1]

انبثق في مثل غد نور نبينا عليه الصلاة والسلام ، فدكت مظالم وشيدت معالم وقامت دعائم ، فأوحي اليه ان يضع أسس الحياة الاجتماعية ، فصدع بحرية الوجدان « عليكم انفسكم لا يضركم من قبل اذا اهتديتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ . قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر نفسه ، ومن عمى فعليها وما انا عليكم مغبط . من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا . وما أنت عليهم وكيل » .

ونادى بمساواة الناس ، لئلا يختل ميزان الامة ويعبث بها الفساد فانزل عليه « وان حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل . وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا » .

وجاهر بوجوب الاخاء بين البشر ، ليشتد مجموع الامة ، وتستقيم قناة القوم ، فثبت روح الانسانية « الانسان اخو الانسان أحب ام كره . المرء كثير بأخيه » .

« حرية ومساواة واخاء » مبادىء ثلاثة قام بها نبينا العظيم لخير هذه الامة ، كل ذلك على مبدأ الديموقراطية ليعلمها ان كل فرد من افرادها ، سواء كان اميرا خطيرا ، أو خادما حقيراً ، تدركه تبعة اعماله، وتلحق به عهدة اموره ، لأنه مسؤول عما يخلص لهذه الامة الا

---

(١) المفيد العدد ٩١٩ ، ٢٩ شباط ١٩١٢ .

وانكم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الأمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في اهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في مال ابيه ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

هذه هي المبادىء الاساسية الاولى قد جاءت لهذه الامة على لسان النبي العربي الكريم ، فاستبدلتها بالذي هو ادنى ، فأبدلها الله سيرتها ، وضربها بغضب وخسران مبين . فأيّنا أرسخ عقلاً ، وأحكم عزماً ، وأشد بأساً ، تدفعه مروءته ، وتستفزه حميته فيغير للأمة قلبها وعقلها ، ويلبسها لباس التجدد في كل اطوارها ، فاني ارى نبينا عليه السلام ، تعرض عليه في مثل غد اعمال الامة ، فيأخذه الغضب ، ويصرخ في القوم الصرخة تلو الصرخة (يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل . ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

رسخ في اذهاننا ان الأمة معتصمة من كل خطر وزوال ، على حين ان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى في هذا اليوم ما لا نرى . يرى ان عزة المغرب الاقصى والجزائر وتونس والصحراء قد ذهبت وفيها خمسة وثلاثون مليونا . يرى ان منعة مصر والسودان قد استؤصلت ، وفيهما سبعة عشر مليونا . يرى ان مكانتنا في الهند قد انتزعت ، وفيها ثمانون مليونا ، يرى ان سطوة الامة في الصين قد ضؤلت وفيها اربعون مليونا . يرى ان الامة في روسيا قد أهينت وفيها عشرون مليونا . كل ذلك قد يراه النبي ونحن عن هذه المذلة غافلون . فليتفهم سوادنا الاعظم ان العزة والمنعة لا تكونان الا للقوي من الامم ، وان الأرض لا يستطيع ان يديرها الا الصالحون لسياسة الملك ، وان لا بقاء الا للأصلح ، والضعيف لا خير فيه للبشر ، وان الامم لدى الله تعالى بمنزلة سواء في العطاء (فهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ، ليبلوكم في ما آتاكم) (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) « فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » ، « والأرض يرثها عبادي الصالحون » .

فان هذه الامة التي هداها هذا النبي العربي العظيم عليه الصلاة والسلام ، لم يحفظ بيضتها ، ولم يدفع الاذى عن حوزتها الا السيف . وما من امة لا تكون امة مسلحة في هذه الحياة فمصيرها الى الفناء . وكاني بسيد البشر يجدد في مثل غد اقواله العظيمة لتخرق قلوب العارفين « عليكم بالنبل » ، حرض المؤمنين على القتال . من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا . افضل الناس مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله . قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، جاهدوا في الله حق جهاده . من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

يتلهى كبراؤنا واغنياؤنافيجترمون الكبائر بان ينتزعوا من الامة ثمرة اتعابها ، فيفسقون ويفجرون ، وينفقونها على جاحد وامثاله فيما لا خير فيه ، وأمتهم احق بأن ينفق على تعليم أبنائها ، وتسديد مداركها فيستمعوا آيات الله على لسان من يظهر في مثل غد هدى

للعالمين (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلاَّ بأنفسهم وما يشعرون) .

يتولى الاغرار فيغمطون الحق ويظلمون ، فيعرقون العظم ، وينهشون اللحم ، ويقتلون خصائص القوم بأن يبدلوا لغتهم وينفقوا أموالهم في غير ما اعطيت له فلا تحتمل الحمية احدا ، ولا تهز الأنفة فردا ، فيخنعون لظلمهم ويستكينون لارادتهم . وكأني بالنبي الكريم يعض على يده حنقا على هؤلاء الرعاة والرعاع ، فيلتفت الى اولئك ويقول (لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) . ثم يلتفت الى الولاة فيقول (لا تبخسوا الناس اشياءهم ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين) .

نعم حق لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ان يحنق على هذه الامة ، اذ يرى ان ادارتها قد عهد بها الى كل ممخرق اخرق لم تحنكه التجارب ، فيبطل الحق ويحق الباطل . نعم حق له ان يغضب ويقول (اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة) ، (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ، قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون) .

انهم يهملون البلاد ، ويهرقون دم العباد ، فلا ينبغي من الامة عرق لارضها ، ولا يخفق قلب لابنائها ، ولا يسأل الوزراء عما يفعلون ، والله يقول على لسان هذا النبي العظيم (قفوهم انهم مسؤولون مالكم لا تناصرون) .

واذا اعتملت الاريحية رجلا من هذه الامة يطالب بحقها ، ويأمر بالمعروف ، ويذكر الرعية ، اقتصوا اثره ، واخذوه بأنه يحرض على الثورة والعصيان ، وكأني بالنبي عليه الصلاة والسلام يضطرب عند رواية هذه المظالم ، فينادي (مال هؤلاء لا يكادون يفقهون حديثا) (ان الذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) .

ان الحكومة اداة لتنفيذ ارادة الامة ، لا لتقطيع اوصالها وقتل ابنائها . فهي من العوامل المستأجرة لحفظ العناصر ودرء المخاطر .

(يا أيها الناس لا تقتلوا انفسكم) فان نبيكم عليه الصلاة والسلام ، يتأفف ، فيقول (ان قرصتك نملة أحرقت امة من الامم تسبح الله) .

ما كفانا ذلك الألم ، فقد اخذ بعضهم ينفث السم بين الطوائف ، لئلا تتكون جامعة ، فتقطع ايدي المتغلبين . فحذار يا قومي فان كل الاديان قد انزلت لمصلحة البشر ، فمن وقر في نفسه ان يتخذ الدين اداة لمآربه السياسية ، ويضيم الطوائف ، فيطعن فيها ، ويقذف بأهلها ، فقد جنى على نفسه وامته (فان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) . (ولا تسبوا الذين يدعون من

دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم) « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات » .

وكما ان هذا الرسول الحكيم قد نظم الجماعات ، فقد نظم الافراد ، بأن جعل بينهم رابطة التعارف والتضامن ، ولكننا قد أسأنا الحياة الطيبة الاجتماعية ، فمزقنا شمل الاخاء ، وفصمنا عرى التكافل ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول انصر اخاك ظالما (اضرب على يده) او مظلوماً .

انه قد حث الافراد على العمل في الحياة ، ولكننا لم نبالِ ، فاصبح مجموعنا كلا على نفسه ، والنبي الكريم يقول (والذي نفسي بيده لأن يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان يأتي رجلا فيسأله أعطاه ام منعه . ما اكل احد طعاما قط خيراً من ان يأكل عمل يده) . والله تعالى يقول على لسان رسوله (ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن اليك) .

فوأسفي على هذه الأمة . فان هذا الرسول الحبيب قد ولدته امه ليعلم الناس الاباء والانفة فشدد الاغيار عليه الوثاق ، فلما تحركنا اخذونا بالخناق فما اهتززنا ، قيدونا بالسلاسل ذلا واحتقارا ، فقلنا سمعنا واطعنا . يا لقومي يا لقومي ! ان نبيكم يقول « عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل » ما لكم ؟ كيف تحكمون ؟ أفلا تذكرون » .

نادى سيدنا نبي العرب والعجم (ان اريد الا الاصلاح مـا استطعت) فوجدنا رجالنا الا قليلا ، لا يعملون الا على الايقاع والشغب بينهم ، فانفروا اهل النجدة نفرة الكرام ، حتى يستقيم اود من لا يريد لهذه الامة خيرا . فنبيكم صاحب العلم عليه السلام ينادي (ان لصاحب الحق مقالا) (وان خيركم احسنكم قضاء) (وما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرّم الله عليه الجنة) .

هذه وصاة نبي المؤمنين يخلق في مثل غد (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) . نعم اننا قد سددنا الآذان ، واعرضنا عن حكمة النبي العظيم ، فتقطعت اوصالنا وتقطع امرنا الا (وان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) .

فابعث اللهم برحمتك هذه الأمة وجدد رجالها من رقودهم ، فقد كاد يأكلها الذئب سائغا انك « تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي » .

ربنا ان الخوف من المتغلبين شديد ، والصبر على الذل قليل ، والبغي عظيم ، فاكشف اللهم عنا البلاء بعزم الحكماء . اننا نتوسل بقول رسولنا الكريم يوم الأحزاب .

وانزلن سكينة علينـا وثبّتِ الاقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا الينا اذا ارادوا فتنة ابينا

باريس

* * *

بيروت والرأي الأوربي
الصلح الشريف وسياسة اوروبة الحاضرة (١)

اصبح هذا النزاع العثماني بعد فعلة الطليان في بيروت ، لا يجاهد الا في الدفاع عن حوزة الامة . واصبح هذا القلب لا يخفق الا لهذه الأرض التي نعلوها ، ولهذه السماء التي تعلونا ، واصبح هذا العقل لا يفكر الا في دفع البلاء عن هذه الاحياء . فالعرب يألون على انفسهم ، انهم لا يدعون شبرا واحدا من الأرض العثمانية تحتله اليد الاجنبية فاشهد اللهم .

تساقطت البرقيات علينا بعد ساعات قليلة من ضرب المدينة ، فأدمت قلوبنا ، وقرحت اجفاننا ، نحن فتيان الامة العثمانية في هذه العاصمة . وكدنا نطير لبيروت ندفع عنها الاذى بأيدينا ، فيصيبنا ما اصاب اخواننا ، وتسيل دماؤنا كما سالت دماء جنودنا . الا وان خير الدماء قطرات تسيل من اجل الدفاع عن الدولة . فسلام على ابطالنا المرابطين ، ورحمة من الله على شهدائنا الصالحين .

نعم ان القلق كان شديدا ، ولكن السرور كان أشد ، حينما توالت كل البرقيات الاوروبية ، تفيد ان عون الله وانقرة قد دافعا بكل حماس دفاع الابطال . الا وان القوة وان كانت فيهما صغيرة ، فان الوطنية والشجاعة والحمية لم تكن الا كبيرة . فسلام على تلك الأرواح الزكية ، التي فاضت ، والنفوس الكريمة التي سالت .

ان العاقل ليجد ان في ضرب بيروت دليلا على فشل الطليان في طرابلس الغرب ، بما يقيمه العرب والجنود المدافعون من الأسداد والأسوار بشهادة قائد الحملة كنيفا ، اذ سأله ملك ايطاليا عن النجاح فصرّح قائلا . كلا ثم كلا . فارادت ايطاليا ان تنتقم من الذين كانوا السبب الاكبر في مقاومة الباب العالي لعقد الصلح الا وهم السوريون ، فضربت رأس مدن سورية انتقاما وتهويلا . ولكن خاب ظنها ، واخفق سعيها ، فاننا نحن العرب كلما سالت دماؤنا ازددنا تمسكا بالوطن ، وحفظنا عهد الامانة لهذه المملكة . الا وان القلب العربي كالمطاط كلما قذفت به ارتد عليك راجعا .

فالثبات الثبات يا وجوه الامة في معارضة الوزارة اذا ارادت ان تعقد صلحا ، فانه من العار ان يريق اخواننا في طرابلس وبيروت دماءهم ، ويقتلون أبناءهم ، ويؤيمون نساءهم ، ابتغاء الدفاع عن شرف الدولة وسلامة المملكة ، وان تعقد الوزارة صلحا شريفا . ما هذا الصلح الشريف ؟ ـ ان الصلح الشريف لا يكون الا بخروج ايطاليا من طرابلس الغرب خاسرة ، لتعلم ويعلم غيرها من الدول ان الدولة العثمانية ليست بالحمل يؤكل لحمه سائغا .

علام هذا العقد الشريف ... ولم تنثنِ عزيمتنا ، ولم تضعف قوتنا ، والرأي العام في

---

(١) المفيد ، العدد ٩٣٠ ، ١٤ آذار ١٩١٢ .

اوروبة يؤيدنا . انها والله الضربة القاضية على حياة هذه المملكة ، أذا عقد ذلك الصلح الشريف ... لأن اوروبة تتحقق اننا لا نريد ان نبقي هذه الدولة بين الدول . وقد رأيت من الضرورة ان اطلع قراء المفيد على ما كتبته جرائد الامم الاوروبية عن حادثة بيروت ، ليعلموا مجرى الانقلاب على ايطاليا في هذه البلاد ، وتسفيه حركاتها ، فتثبت الامة العثمانية في معارضتها بعقد الصلح ، وتوقن ان الظفر منوط بالصبر .

قالت جريدة النوفل برس النمساوية « ان مهاجمة بيروت مهاجمة لكل الدول . فمن اجل ان تخفف ايطاليا هياج امتها اخطأت فاشعلت هياج الرأي الاوروبي اجمعه عليها » .

وقالت النوفل برس ليبر النمساوية « ان امتداد الحرب لسورية ضربة على المصالح النمساوية التجارية . فلضرب بيروت اهمية كبرى في اوروبة لانه سيئة كبيرة لايطاليا . فهو عدا عن انه خطأ من الوجهة العسكرية ، فهو خطأ من الوجهة السياسية » .

وقالت جريدة برلينر ناجبلاط الالمانية « من البديهي ان الدولة العثمانية اذا اغلقت الدردنيل بالالغام تتضرر تجارة كل الدول الواقفة على الحياد ، لا سيما تجارة البلغار والروس والرومان . ولروسيا الحق الصراح بأن تحتج بكل شدة على سد الدردنيل . ولكن على من تقع المسؤولية ؟ ان المسؤولية لا تقع على الدولة العثمانية ، فانها لا تعمل الا اليسير مما يخولها قانون الدفاع الوطني ، ولكن تقع المسؤولية على ايطاليا ، فانها تتصور انها تخدم مصالحها اذا تضررت مصالح الدول » .

وقالت جريدة اليانجر مانيست بوست الالمانية (ان ايطاليا رمت نفسها بعملها الفجائي في بيروت في مأزق حرج بين فرنسا وانكلترة لانهما الدولتان الأكثر مصالح) .

وقالت جريدة رشبوست النمساوية (ان ايطاليا لعبت في بيروت العوبة خطرة ستحدث خسائر فادحة لمصالح جميع الامم) .

وقالت جريدة الزيت « ينبغي لدول اوروبة ان تحتج على ضرب بيروت ، فانها ليست مضطرة ان تحتمل مصاريف هذه الحرب » .

وقالت جريدة الاكلير الأفرنسية « ان ايطاليا قد اطلقت قنابلها على بيروت وستدفع قيمتها ثمينا . نعم اننا لم نكن نتظاهر بشيء حتى اليوم لايطاليا ، ولكن لتعلم ان عملها هذا لا يحدث الا زيادة في غضب العثمانيين للانتقام ، فالعثمانيون بعد هذا سيهزون اكتافهم ممتنعين » .

وقالت جريدة الافانومان الافرنسية « ارادت ايطاليا بعملها الفجائي في بيروت ان تخيف الدولة العثمانية ، ولكنها لا تنجح مطلقا ، فان العثمانيين قد اظهروا كثيرا بأنهم لا يخافون . فالنتيجة الوحيدة التي اكتسبتها ايطاليا من ضرب بيروت ان الصلح اصبح مستحيلا » .

وقالت جريدة الأومانيتة الافرنسية (من المحقق ان الطليان يعملون بسياستهم في طرابلس الغرب على انتشار فكرة التوحش والهمجية ، وان حركاتهم اليوم في بيروت ستحدث

اثرا في الغرب لا اسوأ منه». ومن المقرر ان خمرة التعصب التي تتوالى في ايطاليا ستفضي الى مشكلات عديدة ، فتتوتر العلاقات بينهم وبين النمسا من جهة ، وبينهم وبين فرنسا من جهة اخرى . وانا لنرى ان غيوما سوداء تحتاطها ذيول دموية ستمر في البحر المتوسط) .

وقالت جريدة جورجن بوست الالمانية (ان اطلاق القنابل على بيروت مخالف لما صرحت به ايطاليا من انها تتجنب المشكلات الدولية ، فالضرب كان دون انذار البواخر الراسية في المرفأ ، كما تقتضيه حقوق الدول . ولا شك ان هذه الحادثة ستجر احتجاجات عنيفة من قبل الدول ذات العلاقات التجارية) .

وقالت جريدة الديبا الافرنسية « ان عمل ايطاليا في بيروت يؤخر حل المسائل ، فهناك رأي عام عثماني ورأي عام اوروبي . ففي البلاد العثمانية ستنتعش العواطف الوطنية دون ان تخمد ، وفي البلاد الاوروبية ستتأثر الدول تأثيرا اليما من ان ترى قتل الابرياء ومساس المصالح الغربية في المرافىء العثمانية . اما نحن فلم نجد ربحا لايطاليا في عملها هذا » .

وقال جريدة اكسترا بلاط النمساوية (ان اطلاق القنابل على بيروت ليس بعمل الابطال) .

وقالت جريدة الرابل الافرنسية (لم نحمل على ايطاليا حتى اليوم ، ولكن نأسف بسبب ان الطليان قد اوقفونا في مركز حرج جدا . فالحكمة تقضي علينا ان لا نصفق لايطاليا في ضرب بيروت) .

وقالت جريدة ولكسز تينغ النمساوية « ان ضرب بيروت لا يقنع الدولة العثمانية على عقد الصلح ، ولا يكسبها عواطف حبية من قبل الدول » .

وقالت جريدة الجورنال وينر النمساوية« هذه طليعة سوء للمصالح النمساوية المهددة » .

وقالت جريدة رشبوست ولكوسبات الانكليزية (ان هذا عمل سيء بالنسبة لانكلترة ، لأنه سيجلب مشاكل عديدة وقد بدأت المحافل السياسية تتحدث بهذه المخاطر لاسيما الخطر الاوروبي) .

وقالت جريدة السوليل الافرنسية (ما دامت ايطاليا تتبع صورة الفتح الاستعماري فان الانكليز والألمان يتركونها تكسب من العرب او من الجنود خيراً أو شراً أما إذا كانت تفكر في نقل الحرب إلى ألمانيا ، أو سوريا ، أو الدردنيل ، فسترى أن رجال الجندرمة سيتعقبونها فيقودونها الى نفسها بأسرع ما تفكر . فيحسن بايطاليا ان تفكر قبل ان تلقي نفسها بالطوارق ، وان تعلم ان الحكمة اخت الطمأنينة) .

هذا هو الرأي العام الاوروبي يترآءى لكم في اقوال الصحف النمساوية والالمانية والانكليزية والافرنسية ، وكلها تسفه عمل الطليان في بيروت . فيا قاتل الله كل من لا ينبض عرقه للشرف العثماني .

يا قوم ! ان هذا الشرف العثماني اصبح مهددا من قبل الدول الاستعمارية بسبب ما نظهر من الخور في العزيمة ، والخوف من التهديد ، والالتجاء الى عقد الصلح الشريف ...

فنحن كلما اظهرنا الخنوع للقوة كلما ازدادت فينا المطامعَ ، لأن سياسة الدول الاوروبية تنحصر في هذه الازمنة الحاضرة بأمرين : الأول مذهب مكياول والثاني مـذهب الاسكندر ، وكلاهما جعلا لينتصف القوي من الضعيف . فمذهب مكياول يقول ينبغي للدولة ان تصل لغايتها السياسية ، ولو كانت الواسطة سافلة منحطة . لأن السياسة لا تتطلب اخلاقا . ومذهب الاسكندر مشهور حيث يقول في مؤتمر في سنة ١٨١٥ « ان اوروبة هي الحق وبيدها الحق » . ومنها نشأت طريقة (الموازنة الاوروبية) في سياسة الدول العامة ، فاتفق مع مذهب مكياول على موازنة القوة بينهن لئلا تقوى الواحدة اكثر من غيرها فتأكل اختها . فان احتلت انكلترا مصر ، طالبتها فرنسا بتسديد الموازنة فتجيز لها احتلال الجزائر . وان احتلت السودان طالبتها بالموازنة الاوروبية ايضا فتجيز لها احتلال تونس . وان احتلت الهند فتجيز لها احتلال مراكش لأجل الموازنة الاوروبية . وان اعترضت روسيا على اختلال هذه الموازنة اجزن لها باحتلال فارس . وان نفرت النمسا اجزن لها احتلال البوسنة والهرسك . وان نادت المانيا بالموازنة ، سمحن لها باحتلال الكونغو . كل ذلك من اجل الموازنة الاوروبية ، والموازنة الاوروبية لم تجعل الا لامتصاص الضعيف الخائر .

وهكذا اقتسمت روسيا والمانيا بولونيا بحجة الموازنة ، واشهرت الحرب على الدولة العلية سنة ١٨٩٠ من اجل الموازنة ، بعد ان تعاهدت الدول على سلامة ممالكها لسنة ١٨٤٠ . ولأجل الموازنة سعت فرنسا والمانيا وروسيا بأن يضيقن على نتيجة ظفر اليابان في الصين ١٨٩٥ . وعلى هذه القاعدة قد اعلنت الحرب ايطاليا على الدولة العلية في طرابلس الغرب من اجل الموازنة . ولكن العرب والجنود قد اظهروا للدول ان هذه الموازنة اصبحت لا تطبق على الدولة العثمانية ، لأنها اتخذت الموازنة الاوروبية حجة لها لا عليها .

ان الموازنة الاوروبية قد اصبحت حجة القوي على الضعيف في سياستنا الحاضرة . فمن اظهر من عزمه قوة ومن حزمه بأسا كان له الحق بان يشاطر الدول هذه الموازنة . ولكن اليس من الغريب ان العرب والجنود يظهرون من افانين الشجاعة عجبا فيستحر في عظامهم القتل دون ان ينكصوا قيد ذراع عن الأرض لئلا يتلوث الشرق العثماني . وفي جرائد باريس ان جماعة سلانيك ارسلوا سالم اليهودي الى رومية لمخابرة الطليان في عقد الصلح ؟

تالله ان هذا ليوهن العزائم ويدفع الى اليأس والقنوط . لا بأس فانا نطلب الحياة بأية واسطة ، وانا ضاربون على ايدي السفهاء الذين يتلاعبون بشرف الامة .

يا قوم ! ان القوة المعنوية لا تغني شيئا ، فقد رأيتم حاجتنا بعين رؤوسكم في بيروت للقوة المادية . رأيتم وجوب النهضة ، وجوب والترقي ، وجوب المعالي ، وجوب التزاحم . فاقطعوا ايدي الذين يخرقون السفينة، ويظهروننا للامم بمظهر الجبناء الضعفاء . واقتحموا المخاطر فإن سحق الحشرات ضروري من بين الامة ، لأن الخطر عظيم اذا دام الاذلاء الضعفاء يسيرونها على ما يشتهون .

فتوسدوا ايها الاباء الحجارة وافترشوا الأرض لتعززوا ابناءكم علما واخلاقا وثروة ،

فانه ليحزنكم غدا ان تسمعوا في قبوركم انين ابنائكم تسحقهم دول الاستعمار بتهاونكم .

باريس

* * *

على اكداس الجماجم[1]
سوق عكاظ

ارسل احد صاحبي هذه الجريدة من باريس على اثر الانتصارات التي احرزها الجنود والاعراب في طرابلس الغرب يقول :

لا لا تبتني الأمة منزلتها الا على اكداس الرجال ، ولا يعتلي بنيانها الا على جماجم الكرام ، لا سيما الامة العثمانية ، فان رايتها الحمراء البيضاء تقول:

ان نور هذا الهلال لا ينبثق الا من بين الدم الاحمر والكفن الابيض .

على هذه القاعدة طبع العثمانيون قلوبهم ، فقدموا جماجمهم أسا للبنيان ، واراقوا دمهم فدى للاوطان ، فيا رحمة الله على الذين استشهدوا وسيستشهدون في هذا السبيل ...

* * *

الحزبان وحركة الانتخابات[2]

ان بيني وبين البلاد مساوف ، ولكنني لا اخفق الا لامتي ، ولا افكر الا في جامعتي ، لأن عاطفة الوطنية ليس لها من حدود . فكلما فكرت ازددت اعتقادا بأن أعظم مصيبة للأمة ، وان رأس المصائب التي تدك حكومتها ، وتشوه حريتها ، وتثلم مكانتها ، وتنتقص شرفها ، هو ذلك الشر الذي ينبغي ان نستمسك لدفعه ، ونجاهد في درئه ، الا وهو عبادة الاصنام المتحركة .

نعم ان عبادة الاصنام المتحركة شر ينبغي ان نحاذره، فلا نخضع الا للحق والواجب مهما كانت العواقب مرة من هذه الاصنام . فلنا أسوة في كثير من الاحرار الذين ماتوا كراما من اجل الدفاع عن الحرية ، وتأييد المذاهب السياسية . فها هو كميل دمولين قد قتلته الحكومة الاستبدادية ، لأنه كان عاملا في تحرير الامة من الاستعباد والظلم . وقد نادى الملأ

---

(١) المفيد ، عدد٩٣١ ، ١٦ آذار ١٩١٢ .

(٢) المفيد ، العدد ٩٣٤ تاريخ ١٩ آذار ١٩١٢ .

اذ صَعَد المقصلة قائلاً : « انا الذي دعوتكم فانظروا ما يلقى داعي الحرية » . وها هو برناف يقول اذ قتلته الحكومة : « اليكم يا قومي جزاء ما صنعته لدعائم الحرية » . فالاحرار معرضون للمخاطر في كل حين ، فمن كرمت نفسه وحسنت مروءته خلع عبادة الاصنام المتحركة ، ولم يعبأ الا للحق والواجب غير هيّاب ولا وجل . فاياكم يا قوم والجزع من الاصنام المتحركة ، فقد قال السيد الزهراوي : « ان الذي يرجو ما فوق الزرقاء لا يرهب ما تحت الغبراء » .

ان خطة الاتحاديين عنصرية ذاتية لا تعمل الا لعنصر واحد ، وان خطة المؤتلفين عنصرية عامة لا تعمل الا لمنفعة كل العناصر . ولا اظن ان أحدا من الأمة العربية يتنازل عن ذاتيته ليذوب في عنصرية غيره ، كما يريد جاحد وجماعته ، اللهم الا اذا لم تكن لذاته منزلة وجود او مكانة حياة ، وحاشا للعربي ان يكون بهذه الدرجة من الانحطاط الاجتماعي .

لا عذر للأمة ، فقد تبين غمط الاتحاديين لحقوق العناصر ، فعليها ان تنضم لصادق بك رأس المؤتلفين وزعيم الانقلاب العثماني ، فان الشوكة لا تنقش الا بالشوكة . والا كانت الأمة كالسنبلة تؤكل حبتها ويشعل هشيمها . فالى التبصرة يا قوم ، والى النفرة في حفظ حقوقكم ، وطيب حياتكم ، فان من نسي نفسه نسيه غيره .

لا ازال اسمع نأمة يرددها بعض العجزة من ان المعارضة مضرة في المملكة ، وانه لا يجب الا وجود حزب واحد لتسيير الامة . فيا للغباوة ويا للجهل . ان للنفوس البشرية حاجات متعاكسة ورغائب متشاكسة ، فهي لا تشعر بحاجة العدل حتى تشعر بحاجة الانتقام ، ولا تتحسس ضرورة الحرية حتى تتحسس بضرورة الضغط ، ولا تستيقظ فيها رغبة النهوض ، حتى تستيقظ فيها رغبة خفض الناهضين ، ولا ترى كرم العواطف حتى ترى تسفّل الشهوات ، ولا تعمل للاحسان حتى تشعر بوجوب الاساءة . فالواجب يدفع النفس والعاطفة تجذبها ، والعقل يقضي على النفس والوهم يمنعها ، فكل خير مقرون بشر ، فاذا لم يجد الشر سدا تغلب على الخير واستحكم ذلك مثل ما نحن في صدده من الاحزاب ، فان لم توجد قوة تعارض منازع الاتحاديين ، فالشر يرجح في المملكة . فعلينا ان نؤيد قوة المؤتلفين في الانتخابات جلبا لما نتوسمه من الخير على ايدي المعارضين .

ظهر في العهد الاخير من اختلاج حركة الاتحاديين انهم ندموا على ما فعلوا ، فذهبوا الى تغيير المادة الخامسة والثلاثين من القانون الاساسي ، بحيث يكون مجلس الامة العوبة في يد الوزارة ، واضحوكة امام الدول الاوروبية ، تحله متى شاءت ، ومن ثم لا تكون سيادة ولا سلطة للامة تقاوم بها الوزارة ، واي دستور وأي مجلس نيابي اذا انتفيت سيادة الامة يا قوم ؟

كل القوانين الاساسية الاوروبية تقول : ان الحكومة لا تكون شرعية الا اذا مثلت الامة ، وكانت عن أرادة ابناء الوطن عامة ، بحيث ان الامة هي التي تبتدع الحكومة على رغبتها . اما الاتحاديون فيريدون ان يقلبوا معنى الدستور بهذه المادة ، فقالوا ان الامة لا

تكون امة الا اذا مثلت الحكومة ، وكانت الامة كما تريد الوزارة ، بحيث ان الحكومة هي التي تبتدع الامة .

لذلك قام النواب المؤتلفون في وجه الاتحاديين لئلا تتقرر هذه المادة المشؤومة ، ففضلوا ان يعطلوا المجلس دون وضعها . فنحن الامة العثمانية ثلاثون مليونا . فلكل فرد من هؤلاء حق من هذه السيادة الفطرية الشرعية ، فان أرادت الامة ان تتنازل عن هذه السيادة لتحكم في رقابها الاغرار ، بعثت بالاتحاديين للمجلس النيابي ليقرروا هذه المادة القاضية .

لا ! لا ! فان كل فرد من قومنا عزيز في نفسه ، كريم في خلقه لا يتنازل عن ذرة من سيادته الشرعية . فمهما عمل الاتحاديون لاسترجاع نفوذهم فلا يفلحون ، لأن الحق مصباح قد حملته العناصر ، فانبثق نوره ، والسيادة صدى قد دوّى بين شعوب الامة فعلم كل فرد ان له الحق ، والحق ذاته ، والحق المتساوي في السعادة الاجتماعية ، الا وهي السيادة الشرعية الفطرية سيادة الامة ، فلن يخفت هذا الصدى ، وفي الامة عين تطرف وقلب يخفق .

وذلك ما يريد الاتحاديون عمله بهذه المادة في المستقبل من نزع سلطة الامة وتقليدها للوزارة تفعل ما تشاء . اما ما عملوه في السنوات الاربع في معنى الدستور ، فانني ذاكر في هذا المقام ما وضعته الامم الاوروبية في قوانينها من الحقوق البشرية لكل فرد ، لتعلم الامة ان الاتحاديين على غير معنى دساتير الامم الغربية . واليك بعض البنود :

١ ـ يخلق الناس ويحيون احراراً متساوين في الحقوق ، ولا يمتاز احد عن الافراد الا إذا ادى خدمة للامة .

اما الاتحاديون فانهم سجنوا زعماء الاحرار ، عذبوا رضا نور ، سجنوا رضا توفيق ، حكموا على طاهر خير الدين ، وحشروا الارمن في مساواتهم بالانتفاع، عن مرافق المملكة دون الاخرين .

٢ ـ غاية الحكومة حفظ حقوق الفرد الفطرية ، الا وهي الحرية والتملك والطمأنينة ومقاومة الظلم . ولكن قلبوا المعنى فقالوا ان الوزارة هي التي لها الحق بالمقاومة لكل حق ، فسخروا بالحقوق الفطرية ، وغمطوا ما غمطوا غير مبالين .

٣ ـ مبدأ كل سلطة قائم في الأمة ، فليس لأية جماعة ، ولا لأي فرد ان يزاول سلطة لا تصدر عن الأمة صراحة .

غير ان جماعة الاتحاديين لم يعترفوا بالسلطة الا لانفسهم ، فذهبوا مذاهب غريبة ، وقالوا بنزع السلطة من الامة والباسها للوزارة .

٤ ـ تفيد الحرية ان يعمل الرجل ما لا يضر بغيره ، وليس لحقوق الفرد الفطرية حد ، الا اذا اضرت بحقوق غيره الفطرية .

فعمل رجال الاتحاد على غمط حقوق الغير .

٥ ـ ليس للقانون ان يمنع الا الاعمال المضرة بالأمة ، ولا يجبر احد ان يعمل ما لم

يأمر به القانون .

غير انهم قد منعوا الناس في نابلس ان يؤسسوا مدرسة أهلية ، ومنعوهم في بيروت ايضا ان يؤسسوا مدرسة لطب الاسنان بحجة ان ذلك من حقوق الحكومة . ونحن نقول ان ذلك ارادة ان لا يتعلم الناس يقين ان العلم نور ، ومن خصائص النور ان يحرق الجراثيم لا سيما الجراثيم الاجتماعية . هذه هي حقيقة لا ريب فيها .

٦ ـ ان القانون ارادة الامة ، فلكل الافراد حق بان يعملوا على وضعه ، سواء كان مباشرة او بواسطة النواب . وقد وجب ان يكون القانون واحدا لكل الافراد في حمايتهم او مجازاتهم . وبما ان الوطنيين متساوون في القانون ، حق لكل واحد منهم ان يتقلد كل رتبة وكل وظيفة في الحكومة حسب استعداده ، وميزة فضائله ومعارفه ليس الا .

ولكن اراد الاتحاديون ان يكون القانون في هذه المرة حسب ارادتهم وان لا يقلد الوظائف الا اتباع حزبهم دون مراعاة الاهلية والكفاءة .

٧ ـ لا يجوز ان يوقف احد او يسجن الا حسب القانون . فالذين يلتمسون او يرسلون او يجرون او يطلبون اجراء الاوامر الكيفية تجب مجازاتهم . رأى الاتحاديون ان هذا التكليف صعب على انفسهم ، فاعلنوا الادارة العرفية في الاستانة ، وانصرفوا آمنين .

٨ ـ ينبغي ان لا يحرج احد لافكاره بشرط ان لا يحدث ظهورها اضطرابا في الأمن. فاضطهد الاتحاديون من خالفهم في أفكارهم .

٩ ـ للفرد حق ثمين وهو حرية المواصلة بالافكار ، فيقول كل رجل ويكتب وينشر ما يشاء بكل حرية ، له الحق بحرية الاجتماع وحرية المطبوعات وحرية التعليم .

غير ان الاتحاديين قد شاءهم هذا الحق ، فضيقوا الخناق في الاستانة على كل اجتماع عام وعلى كل جريدة بحيث اصبحت لا تستطيع ان تقول شيئا .

١٠ ـ يتطلب ضمان هذه الحقوق قوة عامة لمنفعة الناس اجمعين دون منفعة الذين تقلدوها خاصة .

اما الاتحاديون فقد الفوا القوة لمنفعة انفسهم لا للدفاع عن هذه الحقوق .

١١ ـ للأمة حق بأن تناقش كل مأمور عن ادارته . ولكنهم قد قلبوا المعنى ايضا ، فجعلوا المأمور يناقش الأمة عن ادارتها .

١٢ ـ كل امة لا تحفظ فيها هذه الحقوق ، ولا تفصل فيها القوى عن بعضها (كالقوة التشريعية والقوة الاجرائية) ليس لها دستور .

ومن هذا البند تعلم امتنا ان ليس لها دستور فعلي . فعلى امتنا العربية ان تؤيد المؤتلفين في هذه الانتخابات ، حتى تنال ما نال غيرها من الحقوق في المعارف والنافعة والوظائف ، وعار عليها ان ترى وضح الحق فتبقى جامدة خامدة . فالى الشجاعة في العمل ، فما مات شعب الا من خوف ، والى الطمع في الحياة ، ففخر الكرام ان يكونوا طامحين . الا وان الظفر لا يتكدس الا على انقاض المتاعب .

فعلى الذين ينبض فيهم عرق العربية ، وينزعون نزعة الحياة الطيبة لهذه الامة ، ان يندفعوا مع المؤتلفين في المطامح الاجتماعية الشرعية . ومن الخرق في الحكمة ان تحول الحكومة دون هذه المطامح ، لأن المطامح كمجرى الماء ، اذا وجدت سداً فاضت فعطلت ، واذا سألني قومي عمن يجب انتخابهم من المؤتلفين اجبتهم بقول وشنطون اذ سأله قومه عن انتقاء الرجال لقيادة الجيش :

« خذوا النبلاء فانهم اثبت جنانا واحكم استعداداً » .

باريس

* * *

الدولة العثمانية الجديدة والدول الاخرى[1]

من المعاهد العلمية الباريسية يرى معهد باسم (معهد العلوم الاجتماعية العالية) ، يختلف اليه كل من له رغبة في هذه العلوم ليتلقاها على يد اساتذتها الراسخين . وقد احببت ان الخص المحاضرة الاخيرة التي القاها الاستاذ (رونه مورنس) عن الدولة العثمانية الجديدة والدول الاخرى ، لما قد حوت من الحقائق الراهنة في سياسة الدولة العلية الخارجية ، ومركزها ازاء الدول . وقد فاتني ما القاه في الاسابيع الأولى عن (سياسة الدولة الداخلية) ، وعن (الاشغال النافعة في البلاد العثمانية) وعن (الحالة المالية في الدولة العثمانية) ، فنعتاض بهذه عما فات ، قال الاستاذ :

يحدث كل تغيير في طراز الحكومة تغييرا في السياسة الخارجية . ولكن قد لا تتغير السياسة الخارجية ، ولو تغير طراز الحكومة ، كما حدث لالمانيا بعد توطيد وحدتها ، والبورتغال بعد اعلان الجمهورية ، وروسيا بعد اعلان الدستور . فروسيا عدوة الدولة العثمانية ، ولو تغير طراز حكومتها ، بسبب عواطف الامة والمركز الجغرافي .

كانت سياسة الدولة العثمانية الخارجية متجهة في العهد الماضي نحو الاتفاق الثلاثي ، ثم انقلب نحو المحالفة الثلاثية، كما هي الحال في زمنها الحاضر . هنا لا بد من الايضاح والتفصيل .

المحالفة الثلاثية

المانيا ـ كان سفير المانيا البارون مارشال ممقوتاً لدى السلطان عبد الحميد . ولكن نفوذه كان يتناوله في بعض الاحيان . ومنذ تولى بسمارك ومزق معاهدة سان ستفانو ، دخلت المانيا في عهد جديد من النفوذ في العثمانية ، فعقدت محالفات تجارية ، وزار الامبراطور

---

(١) المفيد العدد ـ ٩٤٥ ، ١ نيسان ١٩١٢ .

بلاد.....* سياسة الالمان كثيرا فمد .....* وزادت الوثائق ، حتى أصبحت العثمانية تحت وصاية المانيا في العهد الماضي .

اما في هذا العهد فقد ظن كثيرون ان النفوذ الالماني ينقطع سريعا ، لانها كانت صديقة عبد الحميد . ولكن المانيا قد حفظت نفوذها بسبب ان شوكت باشا واركان حربه وضباطه قد درسوا فنونهم العسكرية في المانيا . فشوكت باشا وجماعته مغرمون بالجيش الالماني للانتصار الذي ناله سنة ١٨٧٠ على الفرنسيس ، مما كان له تأثير كبير في تغيير وجهة الشرقيين .

غير ان ضم البوسنة والهرسك والحرب الايطالية الحاضرة كادت تقطع العلاقات الودية مع المانيا ، واصبح مركز البارون مارشال متزلزلا ازاء الاحرار العثمانيين . ولكن ما لبث ذلك ان تحسن ، ورجع النفوذ الالماني كما كان قبلا .

النمسا ـ لحق الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨ ذل ادبي على يد النمسا ، بسبب ضم البوسنة والهرسك . ولكن هذا الذل قد ازاله سريعا البارون دارنتهال بحسن ادارته ، فوضع في شروط الاتفاق للدولة العثمانية منافع صناعية واقتصادية ، ووعدها بانه سيسعى في الغاء الامتيازات الاجنبية وزيادة الرسوم الجمركية ، ويؤيد مواعيده واحترامه الخالص في سلامة المملكة العثمانية .

ان هذا لامر مهم ولكن النمسا لا تذهل عن سلانيك ، ولا تتعامى عن مراميها في البانيا ، فهي تعمل لهذه الغاية ، وتبذل الجهد للوصول . ولكن لا ندري فيما اذا كانت تستطيع ان تصل ام لا . وعلينا ان نحترز كثيرا من المعاهدات والاتفاقات ، فهي ليست الا ورقا ، لأن الحقائق تناقض المعاهدات في كل يوم ، ومامثل النمسا الا كمثل ايطاليا في الحرب الحاضرة .

واذا ارادت الدولة العثمانية في التمكين من الحياة ، فما عليها الا ان تكون لها مكانة اقتصادية . فاية دولة تفقد مكانتها الاقتصادية تفقد مركزها السياسي ، لأن ضياع المنزلة الاقتصادية ضياع للمنزلة السياسية . واية دولة تتحمل النفوذ الاقتصادي تتحمل النفوذ السياسي . واي امر لا يبنى على قاعدة متينة لا بقاء له . وليس من قاعدة احكم من ثروة الامة ، فنحن نعلم وانتم تعلمون ما تجهد النمسا والمانيا في مشروعاتهما في السلطنة العثمانية ، وما يسعيان اليه من توطيد نفوذهما الادبي ، الامر الذي لا بد للعثمانية ان تنظر اليه بعين البصيرة والاحتراز .

ايطاليا ـ اكتفت ايطاليا بأن تنمي صناعتها وتجارتها في البانيا ، وتعمل على انتشار لغتها بانتشار مدارسها . فهي المعين الأول الخفي لتحريض الثائرين . واذكروا علاقات ارباب الدين الكاثوليك مع البابا تفهموا السر . ولكن ايطاليا قد رأت في البانيا معارضة شديدة من قبل النمسا ، لانها لا تريد ان يكون لها اثر في البلقان لما قد ينتج عن ذلك من الضرر بمرامي النمسا في مكدونيا وسلانيك .

---

* كلمات غير واضحة في الأصل .

اكدت ايطاليا سنة ١٩٠٩ بواسطة رأس الوزارة الحاضرة الايطالية في مجلس امتها ، بأنها تحافظ كل المحافظة على سلامة المملكة العثمانية . ولكن قضت سنتان فهاجمت ايطاليا طرابلس الغرب واعلنت ضمها . غير انه لا ينبغي ان تعتمدوا على هذا الضم ، لانني اعتقد ان عقد الصلح بعيد جدا . فالدولة العثمانية لا تريد ان تعقد صلحا للاسباب الاتية :

١ ـ الخوف من ثورة داخلية تقضي على حياة الدستور .

٢ ـ تعب الطليان وكرههم للحرب بسبب كثرة المصاريف ، لأن ايطاليا تدفع مليونين ونصف فرنك كل يوم على جيوشها في طرابلس الغرب .

٣ ـ كثرة المتطوعين ويقظة العرب في الصحراء .

٤ ـ احترام عواطف العرب في الدولة العثمانية ، لأن امر العرب في المملكة العثمانية حيوي جدا ، فعقد الصلح يوجب سوء تفاهم بين العرب والترك لا يرجى ازالته . وهذا ما يميت الدولة العثمانية . فانا اعتقد ان الصلح بعيد جدا فليس للدولة العثمانية من فائدة في عقده في الوقت الحاضر ، لاسيما ازاء هذه المقاومة القوية الشديدة التي يلقاها الطليان من العرب البواسل الشجعان المخلصين للهلال .

هذه حالة الدولة العثمانية مع دول المحالفة الثلاثية . واما دول الاتفاق الثلاثي فاليك بيانه .

روسيا ـ لا ينظر الى روسيا في الاستانة الا بعين الاحتراز والاحتراس لاسباب تاريخية ، ومرامي سياسية ، ويمكن حصرها في المواد الآتية :

١ ـ ان الروس اعداء بالطبع للعثمانيين بسبب ان مركزهم الجغرافي بعيد عن البحر المتوسط . فاقرأوا التاريخ تجدوا ان روسيا سعت كثيرا ليكون لها مرافىء في بحر البلطيك . فالعثمانيون يقظون كل اليقظة ليسدوا عليها البحر المتوسط ، وهذا سبب تاريخي سياسي .

٢ ـ اغارة الروس على العجم في الوقت الحاضر . وهذا مما يحترز منه العثمانيون كثيرا للعلاقات التاريخية والدينية بينهم وبين الفرس ، لاسيما ان مركز العجم مركز صدام بين الدولتين . فاغارة الروس من جانب ، والانكليز من جانب آخر على العجم ، يقرب الخطر العظيم على المملكة العثمانية . ولكن روسيا ارادت ان تظهر بمظهر الولاء والصداقة للعثمانية ، فسحبت سفيرها من الاستانة ارضاء للدولة ، لانه هو الذي حرك فكرة المضايق . وقد نسبوا اليه ما قيل من ان روسيا ترسل بوارجها الى الاستانة لحصارها اذا هاجمت ايطاليا الدردنيل . غير ان فكرة سيزانوف بوجوب مداخلة الدول لعقد الصلح ، مما يجب ان يحترس منه العثمانيون ، لانهم لا يريدون ان يعقدوه . نعم ان ايطاليا قد تعمل عملا في بحر الارخبيل . ولكن ذلك لا يؤيد عقد الصلح ، بل يوقظ عواطف وطنية في الشعب العثماني .

انكلترة ـ قالوا ان انكلترة صديقة الدولة العثمانية ، ولكنها اليوم ينظر اليها الساسة

العثمانيون بغير مبالاة للاسباب الآتية .

(١) مسألة كريت .

(٢) مسألة مكدونية . فقد استعملت انكلترا في هذين الامرين سياستها الخشنة مع الباب العالي .

(٣) مسألة لنج .

(٤) مسألة زيادة الرسوم الجمركية . فقد قبلتها كل الدول الا انكلترة فقد اشترطت تحسين ادارة الجمارك وفي هذا دليل لاهانة الادارة العثمانية .

(٥) معضلات الخط الحديدي البغدادي والخليج العجمي .

فرنسا ـ هي الدولة التي وقفت على الحياد من اجل سلامة المملكة العثمانية ، لانها لا ترمي الى ضم شيء من الولايات العثمانية . ولكن اذا لم يكن لها مطمع فلها رأس مال كبير في المملكة العثمانية ، مما يساعد على توثيق العرى بين الدولتين . ولكن هناك ضبابا قد تعالى في الافق فما هو السبب ؟ ومن هو الداعي ؟ هو جاويد بك ذاته لانه قد استقرض ماية وخمسين مليون فرنك من المانيا ، بعد أن فشل في انكلترا وفرنسا . ونحن لا نريد ان ندفع اموالنا ليشتري العثمانيون بها مدافع من المانيا ، فتزداد صناعة الالمان وثروتها . والمانيا اكبر عـدو ابدي لفرنسا . وانا لا الوم العثمانيين ، فما على الفرنسيس الا ان يظهروا رجحان مصنوعاتهم ، حتى يقبل عليها العثمانيون . فتناولت صحافة الاستانة الامر ، وظهرت لهجة عدائها ، ثم اخذت من ثمة تفتر مبالاة الفرنسيس في سلامة المملكة العثمانية ، ويخمد الاهتمام بها . فما علينا الا ان نحارب هذا الفتور وهذا العداء ، حتى نطرده من افكار العثمانيين .

والسبب الثاني هو جاويد بك ايضا ، فانه لم يدع مدير البنك العثماني في الاستانة يسافر الى فرنسا لبعض المهام حتى عقد قرضا مع البنك الالماني بفائدة عظمى مما تعود على العثمانية بالخسارة .

ذلك ما اقوله عن سياسة الدولة العثمانية الخارجية ودول الاتفاق والمحالفة . اما الدول البلقانية فاليكم كلمة عنها :

الدول البلقانية ـ ان اتحاد الدول البلقانية ممكن او غير ممكن ، ومع العثمانية او بدون العثمانية .

ان اتحاد البلقان مع العثمانية غير ممكن للاسباب الآتية ـ (١) يبطل نفوذ روسيا على البلقان وتنقطع مرامي النمسا في البانيا . (٢) الاثر الذي تركه العثمانيون في الدول البلقانية لا يمحى من نفوسهم . (٣) لتحقيق هذا الاتحاد ينبغي ان يمحى التاريخ ، لأن العداء التاريخي وعواطف البغضاء مستحكمة في الدول البلقانية ازاء العثمانيين . (٤) كل دولة من دول البلقان ترمي الى قطعة من الدولة العثمانية فاتحادها معهـا يضر بمصالحها .

نعم ان الاتحاد ممكن في حالة واحدة ، وهي ان تترك هذه الدول هذا العداء

التاريخي . وهذا صعب ، لانه اذا انقطع العداء دخلت هذه الدول الصغيرة بالعراك فيما بينها .

قالوا باتفاق بلغاريا والصرب وهذا غير ممكن لأن الشعبين متباغضان لاسيما ان الصرب لا ينظرون بعين الرضا الى كبر البلغار على انقاض العثمانية ، ولكن الاتفاق بين اليونان والبلغار قد يجوز . واذا تم كان ادارة تهديد للعثمانية . وتبادل كلمات الوداد بين رئيس الدين البلغاري وصنوه اليوناني مما يوجب الانتباه على العثمانيين . وقد قيل ان الدولة العثمانية قد اتفقت سرا مع رومانيا ، ولكن لا نستطيع ان نؤيد ذلك الخبر . اما علاقات العثمانية مع اليونان فلا تستقر على حال ، ما دامت مسألة كريت في المجال . وخلاصة القول انني لا اظن ان دول المحالفة الثلاثية قد اكتسبت نفوذا ابديا في الدولة العثمانية ، لان السياسة العثمانية دقيقة مرنة لا تنسى مع ما تبديه من طيب العواطف ما اصابها من الجروحات على يد حليفتي المانيا . والعثمانية وهي لا تدخل اليوم في الاتفاق الثلاثي لان احد الساسة الشهيرين قد قال : « ان للدولة العثمانية اصدقاء كثيرين لا تريد ان تفضل احدا على الآخرين » .

باريس

* * *

اينا احق ان يتبع[1]

نشأ في المملكة حزبان لقيادة الامة ، فتولاها الاتحاديون مدة اربع سنوات حتى أديل منهم للائتلافيين . اما وقد نيط رجحان الكفة للاحزاب بالانتخابات النيابية ، فنحن نبسط للملأ ما يقتفيه الحزبان من الخطط ، ليكونواعلى بينة مما يراد بهم في حياتهم السياسية ، فلا يضلوا من بعدها ابدا .

السياسة العامة لادارة الممالك اثنتان : سياسة توحيد وسياسة ائتلاف . فاشتهر الالمان بالاولى والانكليز بالثانية . والحزبان في مملكتنا العثمانية قد تلقفا هاتين السياستين . فالاتحاديون يجرون على سياسة التوحيد ، والمعارضون يعملون على سياسة الائتلاف .

تفيد سياسة التوحيد ان تتناثر العناصر التي تتكون منها المملكة فتذوب في جامعة عنصر واحد ، وأدواتها التفريق بين ابناء كل عنصر ، بما يذكيه الحزب من المشاحنات الدينية والدهاء . فيتذرع انه يريد استئصاله حبا في التمكين ، فيقتل الدين باسم الدين ، والتسخير فيجرد كل قوم من كل سلاح ، حتى اذا استرخت أواصر العنصر وتبعثرت ذراته ، اطل

---

(١) المفيد ، العدد ١٠٦٢ ، ٤ آب ١٩١٢ .

الحزب بقوته ودهائه فلا يجد منازعا . والتعليم فيجهد في نزع المزايا القومية لابناء كل عنصر ، ويدس بما يحط من شأن كل قوم ، حتى يتطبع الطفل على كراهة تاريخه ، ويسترسل في حب جماعة غير جماعته ، وعمال الحكومة فيبثون في كل طائفة ، ان خير الامة يقضي بتناسي كل نزعة قومية وان سلامة الوطن تستوجب تسليم المقاليد لفريق واحد دون غيره .

وقد أعرب جاهد في طنين عن سياسة التوحيد الاتحادية فقال « ان العناصر العثمانية حلقات دائرة حول العنصر الحاكم ، فيجب ان تذوب كلها في جامعة هذا العنصر »

امّا سياسة الائتلاف فتفيد ان يبقى كل عنصر من عناصر المملكة ممتعا بمواهبه الطبيعية ، لا يسمن عنصر من مجاعة اخيه ، ولا يدفىء قوم جسده من بشرة رفيقه ، بل يرتبطون برابطة الوطنيـة متساندين مؤتلفين ، لا يغمط لهم الحزب حقا ، ولا يستأخرون عن أنفسهم واجبا ، وادواتها اعطاء كل ذي حق حقه ، فلا يتذمر فريق ولا يتبرم آخر ، بل يحيون حسب ما يشتهون بشرط ان لا يخلوا بأركان الجامعة الكبرى جامعة الوطنية .

وقد افصح لطفي فكري عن هذا الرأي من منبر خطابه في بيروت فقال « ان العناصر العثمانية متساوية في الحقوق ، فلا يجوز ان نسلب فريقا ليحيا الآخر . فقاعدتنا في سياستنا ائتلاف العناصر واتفاقها على حفظ خصائصها في الجامعة العثمانية » .

وغير خافٍ ما بين السياسيين من التفاوت العظيم من حيث السكينة الداخلية على أن سياسة التوحيد لم تخلص عنها نتيجة راضية ، فهي محفوفة بالمخاطر والمهالك ، وقتـل ابناء الوطن ، وضياع الاوقات ، وتبذير الاموال . فهاهم الالمان لا يزالون يقهرون البولون منذ سنة ١٧٧٢ ، لينزعوا عنهم لغتهم ، ويمحوا تاريخهم ، ويصطبغوهم بالصبغة الالمانية ، ولكن عبثا يحاولون ، فالصبغة الفطرية والنزعة القومية مبدأ كل وجود .

منعوهم ان يدرسوا لغتهم في المدارس . ولكن حرم على الامهات ان يكلموا ابناءهن وبناتهن في البيوت الا باللغة البولونية ، سلخوا عنهم تاريخ امتهم . وجازوا كل من يصنع تاريخا لهذه الامة باشد الجزاء . ولكن ابت الامهات الا ان تعلم بنيها تاريخ ابائهم ، فانتقل درس التاريخ من المدارس الى موائد الطعام خلسة وخفية .

فسياسة التوحيد مع الشعوب لا تجدي نفعا ، بل تزيد في اختلاف العناصر ضراما . لذلك كانت اكره الامم لدى البولون امة الالمان . وكيف تود من شعب مقهور مظلوم ان يعين غالبه ؟

جرت على هذه العادة دولة الانكليز ردحا من الزمن مع الاميركان ، فاستثقل هؤلاء عبء التسخير والقهر ، ففكوا القيد ، ونادوا بالاستقلال سنة ١٧٧٦ ، فعلم الانكليز منذ ذلك العهد سوء المغبة من سياسة التسخير ، فبدلوا الكيفية ، وسارعوا الى سياسة الائتلاف ، لئلا ينقض عليهم غير الاميركان من شعوبهم . ووضعوا ضروبا ثلاثة لسياسة اقوامهم ، قائمة كلها على مراعاة العواطف وحرمة الخصائص ، فبدلوا اكثر المأمورين الانكليز في الهند برجال من اهل البلاد ، يحكمهم ملك الانكليز ووزارته . وافسحوا في حقوق سكان اوستراليا

وكندا حسب ما يريد الاهلون ، وخولوهم ان يحكموا انفسهم بانفسهم . فللاستراليين وزارة مستقلة من شعبهم وللكنديين وزارة مستقلة من صميمهم ايضا . واجازوا لشعوب افريقيا الجنوبية ، ومنها النتال والترنسفال والاورغ بتاسيس جمهورية يرأسها الزعيم « بوته » ، ومجلس نيابي ، كما اجازوا لجزيرة مالطة بمجلس نيابي ايضا .

فغنمت دولة الانكليز بسياسة الائتلاف رضاء شعوبها ، واتفاقهم على حفظ مصلحتها التجارية والسياسية ، دون ان تخسر شيئا من قوتها . بل ان القوة قد ازدادت بزيادة الرضى والقبول ، فهم والحالة هذه درء لدولتهم لا تنفذ فيه غاية ولا يعمل فيه سلاح .

اما الاتحاديون فقد سلكوا سبيل التوحيد كما سلك الالمان ، فضربوا الالبان مرتين ليعلموا ابناءهم قهرا بلغة غير لغتهم . وارادوا ان يضربوها الثالثة قسرا لولا اباء فريق من العصابة العسكرية قد ضرب على ايديهم ، وكتبوا الكتائب فضربوا العرب في اليمن مرتين ، ليكرهوا الامام يحيى على قبول المأمورين الجاهلين لغة البلاد ، فاريقت دماء باسم الاتحاد ، وتقطعت الأوصال باسم الاتحاد ، وتمزق الابناء باسم الاتحاد ، واخلوا بعضهم بعضا باسم الاتحاد ، فيا شؤمه من توحيد لا اتحاد .

سياسة التوحيد يعقبها سياسة التسخير ، وما كانت سياسة التسخير الا للتدمير . سلكها الاتحاديون قدوة بالالمان ، ولكن شتان بين منزلة البروس في بلادهم ومنزلة الاتحاديين في هذه المملكة . فالبروس هم العنصر الاكثر عددا والأقوى معرفة من بقية العناصر في المانيا . مع ذلك لم ينجحوا مع البولون في استئصال نزعتهم الوطنية على قلة هؤلاء المقهورين ، فكيف بالاتحاديين ، وهم الاقل عددا ازاء العناصر القوية الكبيرة ؟ تالله انها لنزوة الطيش وما كانت النزوة الا ان تنزل في الرؤوس . ذلك ما افضى بالاتحاديين الى الفشل ، وسقوط المنزلة ، وانتزاع السلطة ، وفسحة في الايضاح عن سياسة التوحيد هذه نقول :

يريد الاتحاديون ان تفنى كل لغات العناصر العثمانية ، وتبقى لغة واحدة ، ان تسحق كل الشعوب فيمتص مصاصها عنصر واحد ، ان تتضور كل الاقوام ليشبع قوم فرد ، ان تفتقر كل الجماعات ليغنى فريق دون غيره ، ان تجهل كل الطبقات لتسود طبقة واحدة ، ان تقطع النخلة من جذورها لتبلع رطبها فئة واحدة .

اما تراهم يطمسون على اللغة العربية حتى في مدارس الاطفال ؟ زر كل هذه المدارس الابتدائية في هذه الولايات فلا تجد للعربية اثراً ، والمدرسة الابتدائية التابعة للرشدية في مدينتنا هذه واضحة للعيان .

اما تراهم لا يريدون ان يعلموا العلوم العالية الا فريقا من الامة ، تعهد مدينة باريس فقط تجد ان حكومة الاتحاديين قد بعثت باربعماية طالب من عنصر واحد ، وليس بينهم الا اربعة من الامة العربية .

اما تراهم قد افتتحوا طرقا طويلة كثيرة في الروملي والاناضول ، ولم يخطوا خطة واحدة لهذه البلاد ؟ نعم انهم رمموا ما بيننا وبين صيدا بأربعين الف ليرة ، على حين ان مصاريف الافتتاح لم تبلغ من قبل اربعة الاف ليرة .

اما تراهم كانوا يريدون ان يستدينوا خمسة وعشرين مليون ليرة للسكك الحديدية في الاناضول ، دون ان يخصصوا غيرها من الممالك ؟

اما تراهم يجمعون اموال المعارف من كل الشعوب ، فلا ينفقونها الا في تعليم شعب واحد ، حتى اذا اصاب فئة من بقية العناصر اصابه رذاذ لا يبل غلة ولا يطفىء جذوة .

هذه هي سياسة التوحيد الاتحادية ، سياسة ابتزاز وامتصاص ، سياسة قهر وتسخير ، ازاء سياسة المعارضين ، سياسة الائتلاف القائمة على تعليم كل عنصر بما يقدمه من المال ، وترقية كل ولاية في الاقتصاد بما تدفعه من الرسوم ، وحفظ كل لغة لكل قوم من الانقراض ، وادارة كل بلد برجال يفهمون اهله ، ونظر الشعوب نظر الحنان والاخاء ، لا نظر التدويخ والتدمير . فأينا بعد هذا احق ان يتبع .

لا شك ان الكريم بسجيته لا يرضى الا بحفظ خصائصه ، ولا ينسلخ عن جنسيته ، ويتجرد عن عصبيته الا عبيد العصي ، فمن شاء ان يكون عبدا رقيقا يسلبه الاتحاديون مواهبه ومزاياه ، وينزعون عنه حوله وطوله ، ليقتلوه بقتل اخوانه فيتخلف الى هذه العصابة .

نحن لا ندري كيف نفسر تهافت بعض ابنائنا ، والذين عرفوا بالنية الخالصة ، والصدق المتين لتأييد هذه الجماعة الملوثة ايديها بدماء الابرياء ، كما ثبت في محاكمة الشهيد الذكي ، نتساءل ولا ندري كيف يعين ابناؤنا من يريدون ان يقتلوا فينا كل عاطفة قومية ، من يريدون ان يسخروا بلادنا ، من يريدون ان يصبغونا بغير صبغتنا . من يريدون ان يأكلوا اموالنا ، من يريدون ان يريقوا دماءنا ، من يريدون ان يشردوا بنا كل مشرد في كل واد مبعد .

فاذا لم تكن فينا عاطفة تحس ، او عرق ينبض لدفع سياسة التوحيد التي تمزق احشاءنا ، وتنكل بجماعتنا ، فأيّ معنى للوجود ، وكمال الوجود قائم على نيل العواطف الوطنية ؟

لم يسمع في عالم الوطنية ان احدا يرهف السلاح ليهدم اركانه ويقطع اعضاءه ، فما بال طائفة من جامعة اخواننا اشتهرت بالنبل وكرم الاخلاق تأخذ بنصرة هذه العصابة لتفرق عظامنا ، وتنهش لحومنا ، فان كانت النصرة للمبادىء فان المبادىء لتبرأ من ظلم الفرد فكيف بظلم الشعوب .

فيا اخواننا في الجنسية والوطنية ! هذه سبيلهم وهذه سبيلنا ، فاينا احق ان يتبع ، قد تبين الرشد من الغي وما بعد الهدى الا الضلال . فالى نصرة الائتلافيين ندعوكم في عراك الانتخابات ، فان من لا يعمل لمصلحة نفسه لا يعمل لمصلحة غيره . فلا ييأسن احدكم ، فاليأس قاتل صاحبه . اما وقد رأيتم ان ظلمة الليل قد اعقبها وضح الصبح ، وان عصف الرياح قد انتهى بسكينة الصحو ، فتحركوا ثقالا لتأييد الائتلافيين في الانتخابات الحاضرة ، فشر الاوبئة ما لازم المياه الراكدة .

* * *

باسم العرب نحيا
وباسم العرب نموت[1]

أرق ما في الفرد عواطفه ، فاذا تجمعت عواطف القوم كانت رقتها ابلغ من رقة عواطف الافراد ، لذلك اذا أحرج الناقمون مجموع العواطف القومية ، تسارع احساسها الى اليقظة ، فظهر بمظهر أقـوى ووضوح اعظم ، مستحكم الحلقات متضافر القوى ، لاسيما العواطف العربية العثمانية ، لأن القلب العربي ككرة المطاط ، كلما ضغطت عليها ، ارتدت عليك صداما .

ان العواطف القومية مجار حيوية في الشعوب ، لا تستنزف الا باستئصال الشعوب ، فمن حك في صدره ان يصد مجرى الأنهار اخطأ نؤه واخفق سعيه ، لأن المجاري اذا سدت مسالكها ، تراكم ماؤها ففاض على الجنبات ، وأحدث ما ليس في الحسبان .

يؤكد علماء الاجتماع ان القوانين الطبيعية تتشابه كثيراً مع القوانين الاجتماعية ، حتى ان الكثيرين يذهبون الى ان القوانين الاجتماعية نواميس طبيعية . فالارض اذا تلظت حممها ، وضاقت عليها مذاهبها ، فلم تجد مخرجا شققت الارجاء ، وتنفست الصعداء .

فنحن عرب عثمانيون مهما حاول الغلاة الاتحاديون نقض هذه الجنسية ، لاننا خلقنا عرباً بالرغم عن انفسنا ، فلو كان في الامكان ان ينحط الرجل فينسلخ عن ماهية امته ، لعذرنا القائمين بفكرة الذوبان . ولكن أبت النفس الكريمة أن تكون دنسة ساقطة الى هذه الحطة الشائنة .

نعم اننا عرب عثمانيون بالرغم عن انفسنا ، لأن الجنسية وديعة قد انتقلت الينا دون ان نشاطر آباءنا هذا الرأي فيها . فهي ضمانة يتناقلها الأبناء عن الاجداد للاحفاد . ويا ويل خلف يخون هذه الوديعة ، يصبح مثلا لمذلة الدهر ونقيصة الابدية .

فحكمة السياسة قائمة على مراعاة العواطف القومية بين جميع العناصر ، وارضاء نزعاتها واستمالة قلوبها ، بما تأتيه من جميل الاثر ، فالخبيرون يقولون بأن ثورة اليونان سنة ١٨٢٢ وثورة رومانيا سنة ١٨٥٤ ، وثورة الصرب والبلغار والبوسنة والجبل الأسود سنة ١٨٧٦ ، وثورة الكريديين سنة ١٨٩٨ ، وثورة الالبان سنة ١٩٠١ وسنة ١٩١١ ، وسنة ١٩١٢ ، وكذلك ثورات اليمن لم تكن الا نتيجة مساس النزعات القومية والتسلط بالقوة والقهر .

فجدير بمن تنزع بهم انفسهم من الاتحاديين الى تتريك العناصر ، والضغط على العواطف القومية ، ان يتنكبوا هذه السياسة الخرقاء ، ويفسحوا للشعوب ان تسترسل في تعزيز جنسيتها ، لأن ذلك ادعى الى استحكام الجامعة العثمانية ، واصلح لاستمساك اعضائها ، لأنه لا وطنية دون جنسية .

---

(١) لسان العرب : ٢٣ ايلول ١٩١٢ .

نعم لا وطنية دون جنسية لأن من يتنزل عن ذاته ويبيع معنى حياته ، ويتجرد عن جماعته ، ويتبرأ من امته لا فائدة منه لغيره ، ومن بخس نفسه بخس سواه .

وحقيق بغلاة الذوبان ان يسيروا سيرة الرجل الكبير مدحت باشا ، فانه كان العامل الكبير لاحياء العواطف العربية ، ما بين الشام والعراق منذ سنة ١٨٧٠ ، يقين ان الجامعة العثمانية لا يشتد ازرها الا باشتداد جنسيات العناصر العثمانية . والقاعدة الاجتماعية تقول ، كلما كانت الاسر قوية متضامنة ، كانت الأمة في ذروة من المنعة ، ومنتهى من العزة .

هذه خطة مدحت باشا في سياسة الشعوب ، وهذه خطة كامل باشا وحزب الحرية والائتلاف ، وخطة كل الدول الاوروبية ، فما من دولة اوروبية الا وهي قائمة على الجنسية ، تحافظ على خصائص كل قبيل ، ومراعاة عواطفه واعطاء مطالبه الا ما ندر، وذلك في سبيل الاستعمار .

فنحن العرب امة حية لا نقبل الاستعمار بوجه من الوجوه ، فلنا في هذه المملكة المباركة ما لغيرنا ، بل وزيادة ، لأن نفوسنا اكثر عددا ، واراضينا اكثر اتساعا ، فنحن مضطرون بحكم انفة الطبع ، واباء النفس ان نشاطر الناهضين بادارة هذه الامة ، فنعمل على حفظ كياننا العنصري من الاندراس ، وجامعتنا العثمانية من الاضمحلال .

فالامة العربية العثمانية لا تقدم رؤوسها للجز ليستعلي عليها غيرها ، فان الرؤوس لا تتراكم الا لاعتلاء ابنائها .

الامة العربية لا تقطع سواعدها لتصل سواعد غيرها ، بل تحكم الصلة فيما بين افرادها ، حتى يتصل بها سواها . فمهما حاول المتشدقون الاتحاديون ان يطمسوا على هذه النزعة الطيبة الصالحة ، ويجعلوا العرب عبدة خدمة يساقون كالبعير فلا يستطيعون .

فأولى بالغلاة الاتحاديين ان يستيقظوا من احلامهم ، فينظروا نظرة العقلاء في سياسة الدول الحاضرة مع شعوبها ، فيعلموا ان الضغط على العواطف القومية ، وفكرة تحويل الشعوب ، وصبغها بصبغة واحدة ، من قواعد سياسة القرون الوسطى . اما محور سياسة الدول الحاضرة ، فهو مراعاة العواطف ، وارضاء الخصائص ، وتوسيع الصلاحية لكل قبيل .

سبق لنا قبل اليوم ، فتكلمنا عن انكلترة وسياسة الائتلاف مع شعوبها ، ومراعاة مزايا كل امة من اممها دون الضغط عليها . فرأينا من الحكمة ان نورد بعض الامثلة من سياسة الدول الاخرى مع عناصرها ، ليتفقه المخلصون .

خذ أمة النمسا والمجر ، تجد أن العناصر فيها تكاثرت زيادة عما في الامة العثمانية بمرات . فالامة المجرية أجناس ، منهم الالمان والسلوفاك والروتان والرومان والصرب والقروات . والامة النمساوية تتألف من الالمان والروتان والتشاك والبولون والسلوفان ، وكلهم يدينون باديان مختلفة ، بين كنيسة شرقية وكنيسة غربية ، وعقيدة ارثوذكسية وعقيدة كاثوليكية ، فرأت الدولة النمساوية ان خير سياسة تختطها لعناصرها ان تخول كلا منها

صلاحية كبرى فيبحث كل قوم عما يجب لخير بلاده ، ومنفعة امته ، ولذلك سمحت لكل عنصر ان يكون له مجلس نيابي خاص ، ومجلس أعيان خاص يتناولان قوانين الامور المحلية ومقتضيات المصلحة الخاصة . واما السياسة العامة فقد ناطت بها المجلس النيابي النمساوي العام ، ومجلس الاعيان العام ايضا .

واجازت للمجر ان يكون لهم مجلس نيابي ومجلس اعيان خاص ، ووزارة خاصة كبرى من وظائفها ان تدير السياسة الداخلية والمعارف والنافعة . واما سياسة العنصرين العامة فانها ترجع الى وزارة اكبر من الوزارتين الخاصتين ، تتألف من ناظر الخارجية وناظر الحربية وناظر المالية ليس الا .

لذلك قد ارضت الدولة النمساوية كلا من عناصرها ، فهم يعملون على ما يشتهون لخير بلادهم ، دون ان تضغط على عاطفة من عواطفهم بل الامر بالعكس ، فانها هي التي تربي عواطفهم القومية ، وتسمح لهم بأن يتولوا شؤونهم بأنفسهم .

ولنا عبرة بما احدثته بالامس ، فانها ما كادت تلحق البوسنة والهرسك باملاكها ، الا وخولت هذا الاقليم ان يكون له مجلس نيابي خاص بشؤونه ، يرقّي نفسه برأيه ، مركب من ٩٣ مبعوثا ، منهم ٦٦ صربيا ارثوذكسيا ، و٢٩ مسلما ، و٢١ كاثوليكيا ، واثنان يهوديان .

خذ الالمان اكثر الامم تشيعا للمركزية ، والضغط على الشعوب ، لم يستطيعوا الا ان يراعوا عواطف عناصرهم كالبروس والبفيار واللكسمبورج والورتنبرج والساكس والهس والباد والدارستاد والبوهام والشلزويك على اختلاف مذاهبهم الدينية .

فقد اجازوا لثمانية وثلاثين مقاطعة ان يكون لكل واحدة منها مجلس نيابي ومجلس اعيان يتولى شؤون المقاطعة الخاصة ، لأن هذه المقاطعات لا تريد ان تكون آلة مسيرة من قبل قاعدة الملك برلين ، ارضاء لنزعات شعوبها . اما الشؤون الخارجية والداخلية العامة ، فمرجعها المجلسان النيابي والاعيان الاكبران .

وها هم الالمان اشد اعداء الفرنسيس ، قد خولوا الالزاس ان يكون لها مجلس نيابي خاص بشؤونها سنة ١٩١١ ، يقيناً ان ادارة الشعوب لا تكون الا بمراعاة عواطف الامة ، فابن الالزاس لا يريد ان يسير بارادة برلين بل بارادة ابناء قومه وارادة نفسه .

واليكم مملكة البلجيك ، فانها تتركب من عنصرين الفلمندي الالماني والوالون الفرنسي . فما زال الفلمندي حتى انتصف بصون خصائصه ولغته ، فاصبحت الشرائع في بلجيكا لا تنشر الا باللغتين ، وورق التمغة لا يطبع الا باللغتين ، والمسكوكات لا تضرب الا باللغتين ، والمأمورون ان يكونوا الا عارفين باللغتين ، والفلمند يطلبون اليوم ان تكون لغتهم رسمية اجبارية في كل المدارس الاميرية ، حتى الكليات ودور الفنون .

وها هي الولايات المتحدة فانها تتكون من ٤٥ مقاطعة ، لكل منها مجلس نيابي خاص ، ومجلس اعيان خاص وفوقهما مجلسان آخران عامان .

وهذه دولة سويسرا فانها تتركب من ٢٢ مقاطعة ، يسكنها ثلاثة عناصر افرنسية

والمانية وطليانية ، واللغات الثلاث فيها لغات رسمية لدى الحكومة .

وهذه دولة المكسيك في اميركا ، فقد نبذت السياسة المركزية ، واوسعت لشعوبها الصلاحية التامة في ادارة خصائصها ، والمحافظة على كيانها ، منذ سنة ١٨٥٧ ، وجعلت لكل مقاطعة مجلسا نيابيا ومجلس اعيان ، كما هي الحال في "الولايات المتحدة .

وكذلك دولة فنزويلا الاميركية قد جرت على هذه الخطة منذ سنة ١٨٨١ ، وكذلك دولة الارجنتين منذ سنة ١٨٥١ ، ودولة البرازيل منذ سنة ١٨٩٠ .

فهذه اعظم الدول الاميركية والاوروبية ، ودعت سياسة القرون الوسطى ، وجعلت دستورها وقوام سياستها حسب رغائب الاهلين ونزعات عواطفهم . فنحن العرب اشد الناس اخلاصا للعثمانية ، لا نتطلب ان نكون على خطة هذه الامم خطة اللامركزية المتطرفة ، انما نطلب توسيع المأذونية ، كما هو مفصل في خطة حزبنا حزب الحرية والائتلاف في امور المعارف والنافعة والاوقاف ، مع مراعاة خصائصنا القومية ، وعواطفنا الجنسية .

فمهما حاول الناقمون ان يقطعوا من اوصالنا ، ويخفتوا من اصواتنا ، فان الحق كالشعلة نافذ شهابه .

العربي لا يرضى بأن يساق سوق البعير ، فمهما احتال الاتحاديون في الضغط ، فقلب العربي كما اسلفنا ككرة المطاط ، كلما ضغطت عليها ارتدت عليك صداما .

فنحن باسم العرب نحيا ، وباسم العرب نموت .

* * *

الموقف في البلقان[1]

ثبت ان المحالفة البلقانية دفاعية لا هجومية عقدت اواصرها سياسة الروس لامتداد نفوذ الصقالبة ، وانحرافهم عن البحر المتوسط ، لما في ذلك من سيطرة الاتفاق الثلاثي امام المحالفة الثلاثية ، ونكاية الخصم اللدود .

وآية ذلك ان دول الاتفاق الثلاثي قد صرحت بوجوب ضغط الحالة الحاضرة في البلقان قبل اعلان الحرب . يعني ان الدولة العلية ستخرج وضاحة الجبين ، فتنفض اطراف الدول البلقانية ، وفيه ما فيه من الوهن لقوى الروس وعصبية الاتفاق .

الا ان الدولة النمساوية التي تتكلم عن هذه الامة الشرقية بلسان المحالفة الثلاثية لم تقل بوجوب المحافظة ، بل اخذت على نفسها بالتربص ، فقال برختولد :

«ان النمسا تكشف عن موقفها في البلقان بعد نتيجة الحرب فاذا انتصرت الدولة

---

(١) المفيد : العدد ١١٤١ تاريخ ١٩١٢/١٢/٤ .

العثمانية اخذت بنصرتها دفعا لتيار الصقالبة ، واذا فشلت كان لها من الراي ما يكون . وفي كلا الوجهين انما تطلب مغنما ، والسياسة قائمة على جلب المغانم ودرء المغارم .

غير ان الحرب سجال ، والنصر معقود بيد الحكيم القدير ، فانقلبت ظلمة الحرب الاولى امام أعين الاتفاق ، وانسحب العثمانيون الى حصون جتالجة لنقص في عدد الجيش الالماني ، كما صرح ناظر الحربية في برقيات العاصمة ؛ فرأى الاتفاق انه خطوة الى الامام في تعزيز مواقفه ، فصرح « غراي » انه يضمن الانتصار ، وصرح «بوانكاره» انه يعترف بالتغيير السياسي والاداري في البلقان ، بعد ان كانا يذهبان الى وجوب ضغط الحالة الحاضرة . فيا للدهاة !!!

اما شأن النمسا بعد تدافع الصقالبة ، فقد اعترفت بتغيير الحالة ، غير انها تخشى من نفوذ هؤلاء فيما اذا استقروا على بحرها الأدرياتيكي ، فقامت تنادي بفكرة الاستقلال للالبان ، ليكونوا ردا منيعا في مقتبل الايام ، ازاء هجمات هذه الدول البلقانية في البحر الادرياتيكي ، فتصد الصقالبة من ان ينفذوا الى بحرها ، نكاية بالروس ، كما سدوا عليها ابواب البلقان باستقلال الجبل الاسود .

فاغتاظت الدول البلقانية امام هذه الفكرة بسبب انها تريد ان تقتسم الالبان فيما بين اليونان والصرب والجبل الاسود ، فذهب دانف رأس مجلس الامة البلغارية الى النمسا ، مزوداً من قبل وزارته ووزارة اليونان بتعاليم اقتسام الالبان ، لان الجارتين تريدان ابعاد الصرب عن ان يكون لهم مطل في بحر الارخبيل ، فتزيدان التعويض عليها من جانب البحر الادرياتيكي .

ولكن النمسا لم تعبأ بهذه المقابلة ، فاصرت على وجوب استقلال الالبان ، وصرحت للدول العظمى بان البانيا للالبانيين كما ان البلقان للبلقانيين ، عملا بمبدأ الجنسية القائمة عليه جميع الدول الاوروبية . وقد خطب برختولد امام النيابات النمساوية ، وهي مجالس لمناقشة الوزارة ، لأن مجلس الامة النمساوية لا يحق له مناقشة الوزراء فقال :

«ان بيننا وبين ايطاليا ميثاقا وعهدا على استقلال الالبان ، فسياستنا كما هي سياسة الطليان تتمشى على هذا المبدأ . ان الامة الالبانية قد برهنت على وجودها ببراهين عديدة مدة قرون طويلة ، ويكفيها انها اثبتت كيانها بأحوال مضطربة ، فحافظت على خصائصها القومية ومزاياها العنصرية ، فعلينا نحن ان نقدم لها الاسباب الكافلة لتتمتع بنعم تمدن اوروبة الغربية» .

غير ان دانف «رئيس المجلس النيابي في بلغاريا» قد تمكن من اقناع النمسا باعطاء مرفأ تجاري للصرب على البحر الادرياتيكي يرتبط بالسكة الحديدية ايس الا مع بلادها ، ورجع ظافرا بسياسة وزارته ووزارة اليونان .

فاصبح الاختلاف على الالبان بين النمسا والصرب دون بقية الدول البلقانية حديثاً يخشى منه انتشاب الحرب وإذا تأججت نارها اضطرت دول البلقان ان تساعد الصرب، لأن

محالفتهم دفاعية ، كما صرح دانف لبرختولد اذ قال : «ان الدول البلقانية مرتبطة اشد الارتباط بحيث تضطر ان تدافع جميعها فيما اذا هاجمت احداها اية دولة من الدول» .

وبقي الامر بين النمسا والصرب على هذا الموقف ردحا ، من بعده أنذرت النمسا دولة الصرب بوجوب الاعتراف والاجابة بمدة اسبوع واحد . والذي يظهر من قرائن الاحوال ان الاتفاق الثلاثي قد مال ميلا عظيما لمرضاة النمسا ، فقد اكتفى من بلوغ امنيته بتعزيز قواه الآلية لئلا تكون حرب تتطاحن فيها الامم الاوروبية من اجل الالبان .

ولهذا اصبحت الصحافة الشبيهة بالرسمية ، سواء الانكليزية او الروسية تنصح الغرب بالاعتدال والتؤدة ، ومنها التيمس فقد الفتت انظار الصرب الى سكينة البلغار وتعقلهم في سياستهم ، وكذلك الروس فانهم بعثوا على لسان سفيرهم في بلغراد يوصونها بالتروي والاعتدال .

ويسلم الواقفون ان الرأي العام في الصرب قد سكن غلواؤه ورضي بعض الرضى باستقلال الالبان دون ان يحدد نفوذه في هذه الامارة الجديدة ، لانه قد رأى ان دول الاتفاق تكاد تنصرف عنه ، ودول المحالفة تؤيد النمسا في مطاليبها . فقد صرح وزير الالمان ووزير الطليان للوزارة الصربية بان دولتيهما تؤيدان النمسا في كل ما تطلبه من اجل الالبان . لذلك تقرر في اذهان الدول بحكم البت وجوب الاعتراف باستقلال المانيا ، مع جعل مرفأ تجاري للصرب على البحر الادرياتيكي ، اي ان الحل يكون وسطا بين الفريقين ، بل يكون اكثر من جانب النمسا منه في جانب الصرب بدرجات .

اما الالبان انفسهم فقد نشطت مساعيهم ، فاجتمع كبراؤهم في الاستانة برئاسة فريد باشا الصدر الاسبق ، وخليل باشا والي بيروت الاسبق ، وقدموا لائحة للسفراء يطلبون فيها الاعتراف باستقلال الالبان . وقد ذهب اسماعيل كمال موفدا من قبل جماعته الى وزارة النمسا ، فزودته بما يجب عمله فرجع قافلا سريعا الى «براج» يعلن استقلال امته قبل وصول الصرب اليها ، ليكون الاستقلال امام اوروبة امرا مقضيا .

وقد ذكرت جرائد المحالفة الثلاثية ان امير الالبان سيكون ثاني اثنين ، اما فريد باشا الصدر الاسبق ، واما فؤاد باشا عم خديوي مصر ، وكلاهما البانيان ، وان الوزارة سيرأسها في بادىء امرها اسماعيل كمال .

موقفنا في البلقان :

بعد ان رأت الدولة العلية انسحاب الجيش الى جتالجة ، وان المقاومة قد انحصرت في ادرنة وبانيا واشـــقودره وطلبت من الدول ان تتداخل في الامر لعقد الصلح ، فصرح الاتفاق الثلاثي على لسان فرنسا انها لا تستطيع المداخلة عملا بقاعدة الحياد ... وتعين ان التداخل يقضي على بعض الارباح . فاضطرت الدولة العلية ان تخابر الوزارة البلقانية رأسا ، وتطلب الهدنة ووضع شروط الصلح ، فأرسلت الى ناظر الحربية يفاوض قائد البلغار العام ، فتوافد سافوف قائد البلغار ، ومعه فيتشـــف وقائد العثمانيين ناظم باشا ، ومعه عزت باشا ونظامي

باشا سفير الدولة في برلين ، وشدوان بك احد اعضاء شورى الدولة فقدم سافوف شروط الهدنة كما يأتي: «١» «تسليم ادرنة واشقودره وبانيا» «٢»توقيف تعبئة الجيش في جتالجه«٣» الاعتراف بتملك الدول البلقانية للولايات المفتوحة ما عدا ولاية استمبول : اي ان بلغاريا تمتلك كل الروملي ، وقسما من مكدونية على بحر الارخبيل والصرب تمتلك ثلث يكي بازاز وقسما من مكدونية ، واليونان تمتلك القسم الآخر من مكدونية . وستعطى بلغاريا مقاطعة سيلسترا ومرفأ وارنه من املاكها مكافأة على حسن رعايتها ، اما الدول الكبرى فلا يعلم حتى اليوم احد ماذا تطلب في عقد المؤتمر الدولي الذي لم يتقرر عقده تقرير باتاً بعد انهاء الحرب .

قدمت شروط الدول البلقانية للدولة العلية ، ولا يعلم احد ما ترفض الدولة وما تثبت . وكانت الصحافة الاوروبية تقول بان الدولة العثمانية ستجيب الى كل هذه المطاليب ، غير ان نجاح الجيش العثماني في الايام الاخيرة بالمدافعة عن جتالجة مع الاسطول قد عدل بعض الافكار . ويقولون ان الدولة العلية سترفض كثيرا من هذه الرغبات . حقق الله الآمال .

المؤامرة

في هذه الاثناء ظهرت مؤامرة كبيرة على كيان الدولة العلية في الاستانة من ابناء البلاد ، فان زعماء هذه المؤامرة قد بعثوا باعوانهم متطوعين في الجيش ، واخذوا يبثون فكرة الثورة بين الجند على العاصمة ، فقامت الحكومة تقتفي اثر هؤلاء الزعماء ، فقبضت على تسعين رجلا ، ومنهم طلعت بك وجلال بك الناظران الاسبقان وسليمان نظيف محرر حق ، وعبد الله جودت محرر طنين وجنبلاط احد النواب السابقين ، فحكمت على الاخير بالاعدام ، وحكمت على عبيد الله مبعوث ايدين السابق ، وجميل افندي محرر في طنين بالحبس خمس سنوات ، وعلى آغتدي افندي احد محرري طنين ايضا بالسجن سبع سنوات . وقبضت على قدري بك وعز الدين افندي ومازلياح وحلاجيان افندي ناظر النافعة الاسبق ، ورجائي بك اخي جاويد وسعاد افندي اخي جاهد . وقد استدعي محمود شوكت باشا لاتهامه بالمؤامرة الى نظارة الحربية . ولكنه لم يوقف وهم اليوم يتأثرون جاويد وجاهد وحقي بابان رؤساء المتآمرين . غير ان جاويد وحقي بابان قد وصلا بالامس الى مرسيليا ، واحمد رضا ينتظرهما في باريس .

فوا أسفي ان العدو يهد من الكيان والوطني يسعى في هدم الاركان على السكان .

باريس

* * *

الموقف في البلقان
والسياسة الدولية في اسبوع[1]

تصاغرت قوى البلغار امام الحصون المستحكمة ، واستعصى الجيش المتراص ان يظهر عليه قاهر ، فاذعن العدو لقبول الهدنة ، الا اليونان ، وعلى ما يوافق المرافق العثمانية ، بان اجاز المرابطين في ادرنة ان يمتاروا ما يشاؤون، ريثما تنجلي بعد اسبوع شروط الصلح في لوندرة ، حيث يحتكم الفريقان ، فاما حياة في سكينة ،واما موت مع خفقان .

تضافرت الانباء على ان شروط الدولة العلية في هذا المؤتمر الصغير ، ستكون بقاء ادرنة واراضي غاليبولي عثمانية . واقطاع اليونان ما تحت مكدونية من الأرض ، وتسليم يكي بازار وقسم من الصرب القديم للصرب الحديث ، واطلاق يد البلغار في الروملي على قسم من ميدية ذاهب الى نصف الطريق ما بين قواله ووده اغاج وآخر ضفاف ماريتزه . واستقلال البانيا ومكدونية تحت حماية المحالفة البلقانية ، مع تمكين المسلمين من النفوذ الواسع على بقية المنازع . ودخول الدولة العثمانية في هذه المحالفة ، فيكون المجموع سدا منيعا لمطامع الدول الكبرى .

ذلك ما ستقدمه الدولة الى هذا المؤتمر . ولا ينال احد بفهمه ما ستقبل الدول البلقانية من هذه المطاليب ، وما ترفضه وما تضيفه حتى يكون دستورا يرتضى به الخصمان . غير ان القرائن تدل على ان البلغار قد ارتضوا ببقاء ادرنة للعثمانية بدليل اجازة ان تتسرب اليها المؤن .

وعلى يمين هذا المؤتمر سيتفاوض مؤتمر السفراء الذي نوهنا عنه قبل اليوم ، تمهيدا للمؤتمر الدولي الكبير ، وفيه ما فيه مما لا تنفد الافهام الى حله ، ولا يخرق الادراك غوامض كنهه .

ابى اليونان ان يرجعوا السلاح الى غمده ، ويمضوا الهدنة إثر الحلفاء ، بسبب ما نجم بينهم وبين البلغار من خلاف على سلانيك ، وما يختص من الضرر في دخول العثمانية بالمحالفة البلقانية ، ورأيي الخاص ان السبب خدعة حربية سياسية .

اطلع الخبيرون على بعض شروط المحالفة ، فجاء فيها ان البلغار يستولون على ادرنة ، والسرب على مناستر ، واليونان على يانية ، والجبل الاسود على اشقوده . وان سلانيك لم تدخل في الاتفاق ، لان سقوطها لم يكن ينتظر .

علم القراء ان اليونان قد دخلوا سلانيك قبل توافد البلغار ، دون ان يقفوا على معرفة الاسباب . فقد نشر قائد البلغار ما جاء فيه : ان البلغار قطعوا خط الرجوع على العثمانيين في سلانيك حتى اصبحوا بين نارين ففضل دخول اليونان قائم على نصرة البلغار ، ولولاهم لما

---

(١) المفيد ، العدد (١١٥٣) ١٨ ك١ ١٩١٢ .

خرق في دفاع العثمانيين مدفع يونان .

ذلك ما يقوله القائد عن لسان حكومته ، لئلا يعتاض اليونان عن يانيه بسلانيك . وفيه ما فيه من الخطر على البلغار ، لانهم يريدون ان يجعلوا ادرنة مكان هذا البلد .

فتراخت عزيمة اليونان بعض التراخي من الاصرار وأذكت النار لاقتحام يانيه . فلما جاء زمن التوقيع على الهدنة أضرت نفسها لان يانيه لا تزال تدافع دفاع الشرفاء الابطال فيربح الحلفاء من حيث تخرج خاسئة خاسرة .

السبب الثاني تخوف اليونان من محالفة الدولة العثمانية ، لان كعبة آمالها في امتداد نفوذها ، وتوسيع املاكها قائمة على البلاد العثمانية . فاذا عقدت الخناصر بينها وبين العثمانية سدت في وجهها ابواب الفتح ، واستغلقت مفاتيح الاستعمار ، فنكوصها على قبول الهدنة مبني على دواعي سياستها الخارجية .

السبب الثالث ، وهو ما أراه ، ان الامتناع كان رأي الحلفاء ، لانهم قد أجازوا للعثمانيين بان يميروا حصونهم فأوعزوا لليونان بان تبقى على الخصام ، لتسد على الدردنيل دخول الجيش من البلاد العربية بالسرعة الزائدة ، وتمنع دخول الفحم لسكك الاناضول ، وترد كثرة المؤن ، فيكون الحلفاء في مأمن من ان منافع الهدنة لا تأتي للعثمانية بكبير خير . فالامتناع انما كان خدعة سياسية حربية ، وذلك يؤيده تصريح بوانكاره في مجلسه النيابي ، اذ قال «ان اليونان لا تلبث ان تمضي شروط الصلح» لا الهدنة «مع رفيقاتها» فرأيه نافذ الى ان هذا الامتناع من قبل المخادعة ، تأييدا للمنفعة .

هذا ما كان بين الخصوم ، اما الحضور امام هذه المناقشات فقد تقلبوا على احر من الجمر ، بعد ان كاد يمد الروس يدهم لمصافحة صخرة الالمان المتحركة ، ومن حولها من الادوات الدولية ، فما سمع النمساويون نأمة الاستقلال للامارتين الالبانية والمكدونية تحت حماية المحالفة البلقانية ، ودخول العثمانية لتعزيزها ، الا وارتعشت فرائصهم ، فهاج صغيرهم ، وماج كبيرهم . فقالت صحافتهم ان هذه المحالفة بمثابة وكر لبيض الدجاج ، يخرج منه ما ليس في الحسبان . وأسرعت حكومتهم بان بعثت الى مجلس الامة تستحلفه لتقرير ثلاث لوائح على وجه السرعة . فما لبث المجلس ان قرر اللائحة الاولى ، وهي كيفية جمع الخيل من الاهلين ، ثم الثانية وهي معونة عائلات الجيش عند اعلان الحرب ، ثم الثالثة وهي بناء الامكنة لاجتماع الجند عند حشده . وهذا غير ما اتخذته من دعوة كل الجيش تحت السلاح .

وقامت مجالسهم ، ومنها مجلس بلدية فينا ، فسار في الشوارع ينادي الويل على الحكومة اذ لم تبادر لحفظ المرافق . فقال خطيبهم «ان نجاح الامم في الامور الاقتصادية والعمرانية ، لا يكون الا مع الدول القائمة على وجدان حقها ، العاملة بقوتها لتأييد منزلتها . اما الدول الجانحة لطلب السلم بصورة الضعف المشين فلا بقاء ولا حياة لها » .

كذلك قد اقتفت وزارة المجر وزارة النمسا ، فبعثت الى مجلس الأمة ثلاث لوائح

بالسرعة الزائدة ، فقررها المجلس دون امهال «١» دين الافراد للحكومة زمن الحرب «٢» جمع الخيل والعربات من الاهلين «٣» دعوة الجند لسنة ١٩١٣ .

هذا ما عملته ، وما كان من الاستعداد الداخلي ، اما ما لجأت اليه من الاساليب السياسية الخارجية ، فقد أرسلت النمسا كبير ضباطها الى رومانيا ، يعمل معها يسلخها عن صداقة الاتفاق الثلاثي بعد ملازمته له عشرين سنة ، ويستند عليها ازاء هذا العالم الجارف من البلقان . فلقي اذنا صغواء ، حتى ان ولي العهد الروماني قد طار الى برلين يتلقى رحب الصدور وسعة القلوب ، وما لبث ان اخذ الاضطراب يتمخض بين الرومان ، وتعالت نأمة المحافظة على ابناء جنسهم في مكدونية ، بعد ان كاد لا يسمع لها صوت ولا ذكر ، فنادى قادة الرأي العام ان اليونان يسومون الرومان سوء العذاب .

ازاء هذه الضوضاء في النمسا والمجر والرومان اضطربت نوادي الروس ، وتمشت قلوبهم من الهلع ، فجمعوا اركان الحرب من اقصى الارض يتفاوضون في بطرسبرج لمدة يومين ، لينفضوا هذه الأزمة الحائمة اللائبة .

بعد هذا الاجتماع ، قام رئيس الدوما يحرك شدقيه ، ويقول : «ينبغي لنا ان نضع نصب العين سعادة البلاد ورغد هذا الوطن الكبير ، وان نفدي جميع ما لدينا من قوة ، ونبذل الحياة عن طيب قلب إذا كان هذا السحاب المتقطع في جو السياسة سيقلب الى صواعق سوداء هائلة . فالروس لا يتأخرون عن اراقة دم اذا كانت الانظار العامة لا تتوجه نحو القطرية البلقانية ، حيث ترتبط المرافق الروسية ارتباطها بالقلوب» .

مضت برهة على هذا القول حتى خرقت آذان الالمان ، لان هؤلاء وكل الساسة العقلاء ، يسمعون متى يريدون ، ويطرشون متى يشاؤون ، فتزحزح بتمن هولك رئيس الوزراة الالمانية عن مركزه ودلف الى منبر الخطابة في مجلس الامة ، وهو قلما يتكلم فقال : «لسنا مؤيدي النمسا في اختلافها مع الصرب ، ولو تقاتل الفريقان . اما اذا عاضدت الصرب دولة ثانية ، فلا نتأخر ان نمد رؤوس الحراب جهرة وعيانا » .

لقاء هذه الكلمة الصغيرة ارتجت اركان اوروبا الكبيرة ، لان قائلها كبير ، ودولته كبيرة ، ونتائجها اكبر . فقال الطان جوابا على قول الوزير : لا نجيب قول بتمن الا بقول بومبار اذ قال له وختر ناظر خارجية الالمان «اننا قد اعتمدنا ان نذهب حتى النهاية» ، فقال السفير الافرنسي : «نحن اعتمدنا ان نرافقكم وربما ذهبنا الى ما بعد النهاية» .

اما الانكليز فانهم قد امتدحوا كلمة بتمن ، وقالوا ان الالمان لا يستطيعون ان يقولوا في هذه المواقف اقل مما قيل . وكأني بهم يعتمدون على قواهم ، فلا يقابلون الصفيق الا بملس الحرير ، فيفرحون وهم غاضبون ، ويكتمون الغيظ وهم فرحون . والله اعلم بما في الصدور .

هذه هي اصوات الدول ازاء الموقف في البلقان في هذا الاسبوع ، فلا يخففها الاّ المؤتمر الدولي ، ولا نظن قعقعة السلاح ودوي الوزراء من اعلى المنابر الا ابتغاء ان يكتسبوا اكثر مما يتمنون ، فينتصفوا ولا يبقى من بينهم مغبون .

وقصارى القول عن السياسة الخارجية ، ان الاتفاق الثلاثي قد تمكن في هذا الاسبوع من استمالة العثمانية للمحالفة البلقانية ، وان المحالفة الثلاثية قد استمالت اليها دولة الرومان . فواحدة بواحدة سواء ولم يبق نزاع في توازن القوى ، الا امر مكدونية والبانيا .

اما الالبان فان اسماعيل كمال بعد ان تفاوض مع زعماء القبائل ، قد اعلن الاستقلال في والونة ، وتألفت الوزراة برئاسته ونيابة رئاسة نقولا فاسيوري والاعضاء هم مفيد بك ومحمد باشا دوهلة وعبدي بك طبطافي ، ومدحت بك ولويس غراغوشي وبطرس بوجا وليف نوظي وبندل تسالي ، فرفعوا الراية الالبانية على كل الابنية الاميرية ، وطيروا البرقيات الى النمسا وايطاليا ، فتهللت الامتان لهذا الاستقلال . وقام وفد من الالبان يؤم العواصم الاوروبية يستعطف بقية الوزارات نصراً لمبدئه وتأييد استقلاله .

بسطت في هذا المقال ما بلغت الدولة مع هؤلاء المغيرين ، وما نشب من ظاهر الخلاف بين الحلفاء ، وما وصلت اليه حالة الالبان ، وما يكتنف الجميع من سياسة الدول فيما بينها ، أما ما يخلص من هذا النجاح ، فعسى ان يكون موعدنا به في الاسبوع القادم .

باريس

* * *

الموقف في البلقان
وفي غيره من البلاد العثمانية[1]

تكامل الاسبوعان وباريس تستقبل وفدا وتودع آخر ، حتى تعارف الجمع في عاصمة الانكليز . فكانت هذه الفترة السياسية معيارا يتراوح في الهواء يخرق منه الساسة حجب خصومهم ، فيعرفون ما يضمرون .

مؤتمر صلح ومؤتمر سفراء ، يزاولان حل المعضلة البلقانية ، تحت ظلال جورج الخامس . اما مؤتمر الصلح ، فما انضم حتى تفرقت حواشيه ، بحجة ان الدولة العثمانية ترفض المفاوضة مع اليونان ، قبل توقيع الهدنة ، فلبث المجال اسبوعا ، او بعض اسبوع ، والباب العالي يراقب لحمة عداء بين النمسا والصرب، ليصطاد الحركة السياسية من حيث يستريح . ولكن بادرة هذه اللحمة قد أخلفت ، فاضطر الباب العالي لاجابة دعوة الداعي ، ويظهر أن للتسويف داعية حزبية ، تدل على ان الوطأة شديدة ، فالدولة العلية تكتسب بالمماطلة تعزيز الجيش وترميم الاسطول ، وكلا الفريقين يتخوفان .

عقد المؤتمر جلساته ، فقدم مندوبو البلقان شروطهم ، فاذا هي فوق ما كنا نتصور ، فيما اسلفنا من المظان الاولى ، فاحتاط البلقانيون ان يتنافروا بسبب المساومة فيما بينهم

---

(١) المفيد ، العدد (١١٧٠) ٧ كانون الثاني ١٩١٣ .

امام خصمهم ، فطلبوا أرباحهم دفعة واحدة من الدولة العلية ، دون تخصيص ، فانقطع عليها ما كانت ترتجي من الاختلاف ، واجهدوا طاقتهم في ان لا يهتاجوا المرافق الاوروبية ، بان تعاموا عن امر الدردنيل ، وتناسوا تحديد الالبان . واليكم صورة الطلب الرسمية :

١ ـ ان تتخلى الدولة العثمانية عن كل الاراضي الاوروبية دون خط يمتد من مالاترا على البحر الاسود ـ سرندجة ـ رودستو . وان تكون هذه المدينة الاخيرة مرفأ للبلغار على بحر مرمرة .

٢ ـ ان تتخلى الدولة العثمانية عن كل الجزر في الارخبيل .

٣ ـ ان المحالفة البلقانية تعترف باستقلال الالبان وللدول ان تحد الحدود .

هذه هي شروط المحالفة البلقانية لعقد المرحلة الاولى من الصلح . واما المرحلة الثانية فلم تشأ ان تحد لها حدا ، ما لم يصادق الباب العالي على الشروط الاولى ، وهي تتناول الغرامة الحربية ، وحمل شطر من الديون العمومية العثمانية .

من امعن وجد لاول وهلة ان في الشروط القضاء المبرم ، فلا يترك المتحالفون للدولة الا شبه جزيرة غاليبولي ، عدا عن ان ادرنة خارجة عن المنطقة العثمانية ، وان البلغار يطلون على الدردنيل ، واليونان يسدون منافذه ، وفي ذلكم ما فيه من المخاطر .

غير ان الذين قد اعتادوا على رؤية الشروط الاولى للمعاهدات الصلحية ، يعلمون ان المندوبين يطلبون المائة لينالوا العشرين . نضرب مثلا حديثا في الحرب اليابانية ١٩٠٤ . فان اليابان طلبوا في مؤتمر بورتسموث ، حيث عقد الصلح مع الروس ، ان تكون لهم جزر سقالين ومرفأ أرثور ، وان يتخلى الروس عن منشورية ، وان يدفعوا الغرامة الحربية ، وان يعترفوا بحماية اليابان لكورية . غير ان مندوب الروس سرج ويت يعلم هذه الحيل السياسية ، فرفضها جميعها ، ولم يسفر المؤتمر الا عن شيء زهيد ، وهو حماية كورية ، واستئجار أرثور ليس الا .

فلنا بعد هذا أمل كبير في حكمة الشيخ . فالاخبار متناصرة بان الرفض لا بد ان يحدث تغييراً ، لا سيما أن الظافر يخفي مراميه بين كثرة الشروط ، فيرضى الخصم بحذف ما لا حاجة له فيه ، ويقر على ما يبتغيه ، كما حدث في مؤتمر الصلح في «راج» بين الالمان والنمساويين سنة ١٨٦٦ . فان الالمان اشهروا الحرب لاخراج النمسا من المحالفة الالمانية ، فبعد انتصارهم في «سادوفا» اشترطوا عليهم اثني عشر شرطا من بينها خروج النمسا من المحالفة ، فما زال مندوبو الالمان يتسامحون مع خصومهم ، ويحذفون ما يريدون ، حتى وصل الامر الى البند الثاني عشر وهو المقصود بالذات ، فخجل النمساويون ان يمحوا كل الشروط ، فقبلوا به حياء صاغرين . فشروط المحالفة البلقانية بمثابة المحالفة الالمانية ، فهي تطلب كثيرا لتنال قليلاً تبتغيه .

ما هذا القليل الذي تبتغيه ؟ ـ ان وطأة الخلاف بين المندوبين ستدور حول ادرنة ، لانها باب الاستانة وباب صوفية . فالباب العالي يهتم بالمقاومة كما تساقطت الاخبار ، فان الضباط قد قفلوا مسرعين الى حصون جتالجة ، والبلغار ينادون ادرنة بلغارية . غير ان

العارفين بالمجاري السياسية الدولية يؤكدون ان الدول ستتداخل فلا تدع تجريد السلاح مرة ثانية ، فيصرون على البلغار بأن تبقى ادرنة للعثمانية ، ويسمحون لهم ان يحتلوها حتى تؤدي العثمانية غرامتها الحربية ، وفي ذلك مرضاة للفريقين كما يقولون . واما الحدود فتكون كما امطنا عنها قبل اليوم من ميدية ـ مارتيزا ـ خليج انوس .

ولكن لا بد من المقاومة والاصرار حتى تصل الدولة العلية الى هذه الدرجة من الحدود . والوزارة عاملة على الثبات ، عدا عن الاسباب الخارجية ، لاسباب داخلية . فان الحزب العسكري القائل بمعاودة القتال قد ازداد كثيرا ، والاتحاديون يعملون في الخفاء على استمالة هذا الحزب ، ليكون لهم عونا على تناول السلطة . لهذا قد اختلفت اراء الوزراء بين كامل وناظم ولوراد نجيان ، حتى خيف على سقوط الوزارة الكاملية . فكامل يذهب الى اتخاذ الاسباب السياسية لدفع ما يستطاع من المخاطر . وناظم يقول بالاسباب الحربية . نعم ان العاطفة العسكرية ، جديرة بكل ثناء ، لكنها لا تكفي لحفظ المملكة من التلاشي ، لان الجند تأخذه حميته ووطنيته ، فيضطر لنسيان واجباته العمومية لئلا يخسر قليلا من سمعته وشرفه الخاص ، وعليه فلا يجب ان نكتفي بعاطفة الجندية الشريفة ، بل لا بد من ان تكون مقرونة بالرأي السياسي . فعلى رجال الجيش ان لا يقاوموا كامل باشا الا بعض المقاومة ، حتى اذا رأوا اصراره اذعنوا له ، لانه اعلم بما وراء البلاد من القوى السياسية .

ونحمد الله ان زال في هذا الاسبوع ما شجر من الخلاف بين الوزراء ، حينما اطلعوا على شروط المتحالفين ، فثبتت الوزارة . وكانت كتلة واحدة ، في رد هذه المطالب الجافة ، فأخذ الاسطول عدته والجيش اهبته . والى هنا وقف بنا الموقف بين الدولة والبلقان ، ونظن ان الحوار ستطيل الدولة امده ، انجازا للمنعة ، والحكيم من يبيت من يومه لغده .

أما مؤتمر السفراء فقد رأى اقدام النمسا واعتمادها على قوتها ، بأن جيشت مليونا من رجالها على الحدود ، فتخوف من هذا الخطر المحدق بساسة اوروبا ، وان تطاولت الى العزة لم يكونوا ولن يكونوا الا عبيد العصا والقوة ، فصادقوا سريعا على استقلال الالبان تحت رعاية الدولة العلية ، بصورة لم تعيّن بعد ، ومراقبة الدول الست ، واعترفوا للصرب بمرفأ تجاري يرتبط مع بلاده بخط حديدي شرع بين جميع الدول . ذلكم ما نشره المؤتمر بالصفة الرسمية ، فاحتجت عليه وزارة الالبان ، بانها لا ترضى ان تكون تحت رعاية العثمانية ، ولو كانت هذه الرعاية اسمية بحتة . غير ان هذا المؤتمر يدور محوره على مرضاة الدول ، فلا نظن انه يجيب نداء الوزارة تودداً للدولة بعد هذه الحرب ، وقد اصبح من المرجح ان يكون امير الالبان الامير فؤاد ابن عم الخديوي .

سمعت النمسا بهذا التصريح الرسمي ، فأوقفت التعبئة دون ان تحل عقدة من قوتها او راية من ألويتها . والغريب انها قد اوعزت اليوم الى الدولة العلية ، تنصح لها بلزوم

الاعتدال والسكينة والاذعان . كانت بالامس تجهر وتدفع العثمانية الى مقاومة السيف بالسيف ، دون ان تضع وزرا للحرب ، اما وقد بلغت امنيتها من استقلال الالبان ، فقد تنكرت وجهتها ، وتغيرت نغمتها ، فسبحان من يقلب القلوب على وجوه المنافع والمرافق .

اذا قلنا ان النمسا قد ارتبطت مع الدولة اليونانية على الوجه الادبي في الحرب البلقانية ، فقد لزمها ان لا تكون في هذه المنزلة من تخلية السبيل . ولكن هيهات ان تكون الاخلاق السياسية بمستوى الاخلاق الذاتية . فاوروبة عاملة على حكمة بسمارك حيث يقول في كلماته الشهيرة بالسياسية الدولية .

«من الجنون ان تفادي الامة بمرافقها احتفاظا بشرف معاهدة او كرامة ميثاق .»

فالحرب العامة بين الدول الاوروبية قد اصبحت بعيدة بعد تصريح مؤتمر السفراء ، فما على الدولة العلية الا ان تستند على قوتها المادية ودهائها السياسي للتخلص من هذه الازمة . واما الانتظار للاستفادة من الاختلاف الدولي ، فذلك ضرب يمتد به قبل عقد المحالفات والاتفاقات الدولية .

هذا ما كان من امر البلقان في السياسة الخارجية ، غير اننا لا نقف عند حد لجموح المطامع ونزوع المنازع . فقد تناولت السياسة في هذا الاسبوع بر الشام وبلاد الارمن ، بعد ان كان هذان الامران يهمس بهما في مخادع الوزراء . خاضت الصحف الاجنبية غمار البحث عن بر الشام من اوجه مختلفة ، حتى توجست الصحف الافرنسية من الصحف الانكليزية . وما زال الطان يكتب المقالات الضافية حتى وقف «بوانكاره» في مجلس الاعيان خطيبا يقول :

«تعلم الدولة العثمانية اننا لزمنا واجب الحياد في حربها البلقانية لزوما اكيدا . فلنا الحظ الاوفر بان تكون علائقنا الكبرى معها في الامور السياسية الاقتصادية كما قلت من قبل ، غير ان مشكلات المستقبل امام كل دولة . فاجتنابا لهذه المشكلات ينبغي لها ان تصغي بكل تعقل وارتياح خاطر الى مطاليب شعوبها وعناصرها .»

«ان لنا في لبنان ولا سيما في بر الشام مصالح وتقاليد ورثناها منذ قديم فنحن باضطرار لان تكون محترمة من قبل الغير» .

«ان بعضهم يفكر ان بيننا وبين انكلترة اختلافا في هذا الوجه ، فلي الحظ بان ازيدكم علما بان الحكومة الانكليزية قد صرحت لنا بكل صدق ، ان ليس لها في هذه الارجاء مجال عمل ولا مرمى سياسة » .

«فنحن قد اعتمدنا ان نحافظ على استقلال المملكة العثمانية ، دون ان نترك ذرة من تقاليدنا او ندوس مصلحة من مصالحنا » .

هذا ما يقوله بوانكاره رأس حكومة الفرنسيس . فسواء كان لفرنسا نوايا في بر الشام ، ولانكلترة مصالح لا تريد ان تظهرها لعالم السياسة ، فعلى وزارتنا الحاضرة ان لا تدع مجالا لتذمر الاهلين . فالموقف حرج فوق ما يتصوره السذج من الغافلين . فنحن نسرّ كثيرا بان يقطع الانجليز آملهم عن هذه البلاد الطيبة . ولكن المطلعين عارفون بان وراء الاقاويل ما وراءها ، وان شر الادواء ما اختفى اثره . فعلى الدولة العلية ان تتذرع بالوسائل المعززة لاكتساب ثقة الشعب واجابة مطاليبه الاصلاحية . فخير السياسة ما كان دائرا على استمالة القلوب ومحبة الشعوب ، فان عجلت بالاصلاح ، واجابة مطاليب العناصر ، اغلقت باب التداخل في وجه كل دولة من الدول ، سواء كانت انكليزية او افرنسية ، لان الامتيازات الاجنبية ، سامح الله من تسامح بها ، باب كبير لا يغلقه الا تحببٌ للشعب واستملاك عواطفه ، بما يعجل له من اجابة رغائبه والمحافظة على مصالحه . ويسرنا ان نرى الباب العالي قد اجاب دعوة العثمانيين ، فمنحهم سعة من صلاحيتهم الادارية ، واليكم ملخص التنقيح الجديد :

١ ـ ينتخب مجلس الادارة من قبل رؤساء القرى ومن مندوبين عن كل ماية شخص يدفعون الضرائب .

٢ ـ دائرة دير القمر يكون لها عضو جديد .

٣ ـ ينتخب عضو جزين للطائفة الدرزية من الشوف بعد اليوم .

٤ ـ لا يجوز توقيف اعضاء مجلس الادارة الا في حالة الجرائم المهمة ، وذلك بعد أخذ رأي المجلس .

٥ ـ يضع مجلس الادارة ميزانية الحكومة وينشرها .

٦ ـ المتصرف مكلف بوضع لائحة اصلاحية في المالية ، ويقدمها للباب العالي ، وللسفراء الستة قبل انتهاء مدته بستة اشهر .

٧ ـ ترى الدعوى التجارية في محاكم لبنان ، بدلا من محاكم بيروت .

٨ ـ يكون عدد الجند ١٢٠٠ بدلا من ثمانماية ، يدربهم ضابط اجنبي ، ينتخب من ضباط الجندرمة في المملكة العثمانية . هذا هو التنقيح الجديد . وقد جاء على السنة الناس ان الباب العالي قد اجاز افتتاح مرفأين للبنان ، احدهما في جونية ، والآخر في النبي يونس . ولكن ذلك لم يسجل في لائحة التنقيح الجديدة التي صادق عليها السفراء .

ان ذلك لا يكفي من الاصلاح ، فان مرضاة قسم من الشعب دون غيره تستلزم الدقة والعناية ، لأن الشعب السوري جدير بأن يكون محط أمل الدولة لمرضاته ورعاية عواطفه . ولهذا وجب على الاهلين ان يطالبوا الحكومة الحاضرة بالاصلاح السريع لكل بر الشام ، وغيره من البلاد العثمانية .

نشرت جمعية الارمن دعوة الى الرأي العام الاوروبي يلفتون بها نظرهم الى اصلاح بلادهم ، فاسرع سفير الروس «جير» يفاوض الوزارة ، فتألف وفد لهذه الغاية من رجال الاصلاح . وقد قالت الطان وهي شبه رسمية «ان الدولة العثمانية اذا لم تسارع الى اصلاح بلاد الارمن ، فانها ترى خطر فقدها عظيما عليها» .

نكتب هذا ليطلع عليها ارباب الحل ، فيتلافوا ما يحدق بنا من المخاطر ، ويرضوا الشعب العثماني بالاصلاح العام ، لان ارضاء فريق يستوجب الفريق الآخر ، وحكمة الادارة قائمة باقامة وزن العدل بين جميع العناصر .

اما مطاليب الارمن فانهم يريدون تطبيق المادة ٦١ من معاهدة برلين القائلة «بوجوب اعطاء الاستقلال الاداري للأرمن كما يجب اعطاؤها لمكدونية » .

فالوطنية والغيرة على البلاد تقضي على رجال الدولة العلية ان يسرعوا بتطبيق الاصلاح العام في المملكة سدا لكل مطمع من الدول . فالامة مضطربة لا تدري من اين تنكب عنها هذه المصائب فعلى الوزارة الكبيرة حمل هذا العبء الكبير ، فهي اعلم بحرج المركز ، والحكيم من بين الساسة من اسرع بالمداواة قبل استفحال الداء واستعصاء الشفاء .

باريس

***

حقوق العرب في المملكة العثمانية[1]

ايها العصبة الطيبة والملأ الصالح ،

نعمتم بالاً وطبتم عنصرا . وبعد فان الحق في كل تكوين سياسي قائم على نوعين : حق فرد وحق جماعة . والجماعات كثيرة ، وأجلها مكانة جماعات الشعوب ، فللشعوب حق غير حق الافراد .

هل للعرب حق جماعة ؟

ـ ان الجماعات في نظر علماء السياسة لا تستحق هذا الحق ، الا اذا جمعت على رأي علماء الالمان وحدة اللغة ووحدة العنصر ، وعلى رأي علماء الطليان وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب ساسة الفرنسيس وحدة المطمع السياسي . فاذا نظرنا الى العرب من هذه الوجوه الثلاثة ، علمنا ان العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة عنصر ، ووحدة تاريخ ، ووحدة عادات ، ووحدة مطمح سياسي . فحق العرب بعد هذا البيان ان يكون لهم على رأي كل علماء السياسة دون استثناء حق جماعة ، حق شعب ، حق امة .

---

(١) كلمة عبد الغني العريسي في ٢٠ حزيران ١٩١٣ في الجلسة الثانية من المؤتمر العربي في باريس .

تتساءلون عن ماهية هذا الحق لجماعة الامة العربية ، فبيانا لهذا الحق اقول : أول حق لجماعة الشعوب حق الجنسية .

فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية : حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة ، رغما مما كان ينتابنا من حكومة الاستانة من انواع الادارات ، كالامتصاص السياسي او التسخير الاستعماري او الذوبان العنصري . فكل ما تذرعت به الاستانة من الوسائل لم يؤد الى غير نتيجة واحدة ، وهو الحرص على مكانة الجماعة ،واحياء هذا الحس الشريف النبيل ، حس الجنسية . فاقتفاءً للماضي نقرر مناهضة كل ما يؤول الى اضعاف هذه القومية ، والتذرع بكل ما فيه حياة لخصائص العرب وميزات العرب . فنحن كتلة حية قائمة بذاتها وخاصتها ، لا تدع أية قوة تمس بناء هذا الركن الركين .

تعودت هذه الحكومة ان تعامل الجنسيات العثمانية معاملة الغالب للمغلوب على قاعدة «حق الفتح» . فنحن نصرح على رؤوس الاشهاد ، بأنه اذا كان في استطاعة الحكومة ان تدعي «حق الفتح» في بلاد البلقان مثلا ، فلا تستطيع ان تدعيه لاحقّاً ولا حقيقة في البلاد العربية . فانما قد ثبتت قدم هذه الدولة في بلادنا بمساعدة من سلفنا ، كما يعلم ذلك كل متعمق في التاريخ . ولهذا ننكر كل الانكار «حق الفتح» ، فانما نحن قاعدة هذه الدولة ، من قبل ومن بعد ، لا أسرى مسخرون .

آلينا على انفسنا ان نحافظ في هذه المملكة على مكانتنا ، على جنسيتنا، على مساواتنا ، فلا أرض بعد اليوم تستعمر ، ولا امة تسخَّر ، فانما نحن الرعاة لا الرعية .

اعتادت الحكومة ان لا تستنفر قوانا الا لمعالجة ضعفها ، ولا تستجبي اموالنا الا لسد عوزها ، وبعبارة جامعة لا تستجمع رؤوسنا الا لتعلو بها عليها . فنصرح في هذا اليوم ، بملء الافواه ، اننا خلقنا قبل كل شيء لانفسنا ، وما دمنا بحاجة لانفسنا فلا يجب ان نضحيها الا لانفسنا . فان طريقة «استعمار الاستئثار» خليقة بالقرن التاسع عشر ، ولكن القرن العشرين يتطلب وجود هيئة بشرية شريفة ، اكثر بصيرة واعترافا بحقوق الامم .

اذا ثبت للعرب حق الجنسية وحق الوجود السياسي، فللعرب حقوق رئيسة تتعلق بقوى الدولة الثلاث :

١ بالسلطنة
٢ بالقوة التشريعية
٣ بالقوة الاجرائية

١) اما ما يتعلق بالسلطنة ، فاننا نصرح أمام العالم الاوربي ، باننا لا نفكر فيه ما دام الدستور جاريا على معنى الدستور ، وانه لا تتطرق الينا فكرة الانفصال عن هذه السلطنة ما دامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة . فارتباطنا بهذه الدولة يتراوح اذن بين ضمان هذه الحقوق . فان كثر ، فكثر ، وان قل ، فقل .

٢) القوة التشريعية ـ ان هذه القوة تتألف في هذه المملكة من (مجلس الاعيان) و

(مجلس النواب) .

فمجلس الاعيان اعظم المظاهر غمطا لحقوق العرب : امعنوا النظر ايها السادة ، تجدوا اننا معشر العرب العثمانيين نبلغ ثلاثة عشر مليونا ، أي اكثر من نصف اهل المملكة . وليس لنا سوى خمسة اعضاء في ذلك المجلس ، فنحن نطلب تمثيلنا فيه على استحقاق ، حفظاً لكرامتنا ومنزلتنا السياسية ، ولأمر آخر أشد ارتباطا بحقوق الجماعات : وذلك ان حق الجماعات قائم على قاعدة «لا قانون قبل تمثيل» ، فما دام هذا المجلس قسماً من القوة التشريعية ، وما دام عددنا لا يمثلنا فيه ، فاننا نعذر في نظر علماء الحقوق ، اذا اعتقدنا ان كل قانون لا يوضع بمشاركة ابناء العرب يكون غير مستوفى الشروط من حيث الحق والعدل . ولهذا فاننا نحتج اشد الاحتجاج على هذا الغمط ، ونأبى ان يكون حظنا في تدبير أنفسنا موكولا الى رأي غيرنا .

مجلس النواب ـ يتساءل الناس عن قلة نواب العرب في هذا المجلس ـ مع ان عدد العرب يفوق غيرهم في هذه المملكة ، فاذا عرفنا ان انتخاب النواب اصبح بين أيدي من احتكروا السلطة واستلموا الادارة ، زال العجب ، وصح ان نقول عن هذه الطريقة ، «طريقة تعيين النواب» لا انتخاب النواب . وما دام اقدس حق لهذه الامة مغموطا ، وهو حق التمثيل ، فاننا نعذر اذا صممنا على ان نتذرع بالوسائل التي تصون حقوقنا في هذا المجلس ، سواء في زيادة نوابنا او حرمة تمثيلنا . واذا كنا قد صبرنا على هذا الامر فيما مضى ، فان حرج السياسة الداخلية ، لم يبق مساعدا على هذا الصبر .

عار أيها القوم ان تحيا امة على عاتق آخرين ، وعار أكثر شؤما ان ترضى الامة بزوال مكانتها لترميم كيان غيرها . والحق كل الحق ان تدوم الموازنة بين كل الجماعات ، فلا يأكل الكبير الصغير ، ولا ينتقص الصغير الكبير . لهذا المبدأ نطلب ان تكون الانتخابات حرة بعيدة عن كل مداخلة ، وان يشرع باحصاء للنفوس جدي جديد . فقد علمتنا الحكومة حتى اليوم انها تتقاعس عن هذا الاحصاء لئلا يزداد عدد النواب العرب في مجلس الامة .

ليسمع «من في العراق» :

صرح بعض رجال الحكومة منذ عهد ليس ببعيد : ان العراق ينبغي ان يكون له نظام خاص ، لا يحق له من بعده ان يوفد عنه نوابا لمجلس الامة ، بحجة انه لم ينل من المدنية حظا يؤهله للنيابة كبقية الولايات .

تلك ايها السادة طريقة جديدة لتقليل نوابنا معشر العرب العثمانيين . ما صدقوا والله بان العراق منحط بمدنيته عن باقي الولايات . فهذا العراق منذ عرف لم تجر فيه المذابح الاهلية الدينية ... ان عربي العراق مهما كان قريبا من الفطرة الاولى ، هو اشد نشاطا ،

---

(١) اشارة الى ذبح الاتراك للأرمن .

واحسن استعدادا ، واوفر ذكاء ، مما في غيره يتصورون . فلتتدبر الحكومة قليلا ، فانها اذا اقدمت على هذه الفعلة ، فالعرب لا يعدمون وسيلة لصيانة حقهم المشروع .

٣) القوة الاجرائية ـ ان حق الجماعات يتطلب من الامة ان تؤلف الحكومة ، وان لا تتألف الحكومة الا من الامة . اما تأليف الوزارات في مملكتنا فقائم على غير هذا الحق . فان عادتهم قد جرت ، كلما تألفت وزارة ، أن لا يبخلوا علينا بمركز واحد او يبخلوا بتاتا . وعليه فاننا نعتبر بعد اليوم ان وزارة تؤلف على هذه الصورة غير مستوفية الاركان في نظر حق الجماعات او حق الشعوب ، لانها لا تمثل الا قسما من الامة . فالوزارة في علم الحقوق العامة لا تكون وطنية الا اذا مثلت كل ابناء الوطن ، ولا تكون شرعية الا اذا جمعت فيها ارادة المجتمع كله ، فتخصيص الوزارات بفريق من الامة دون غيره عمل لا نرضاه بوجه من الوجوه ، بصفتنا قسما اكبر في هذه الدولة . على ان حق الجماعات يخوّل للعنصر الذي لا يمثله ممثلون في القوة الاجرائية ، ان يبقى في ريب من انه ركن من اركان المملكة .

سمعنا كثيرا من رجال الحكومة ان امر الوزارات امر اهلية وكفاءة ... ألا فليقلعوا عن هذه النغمة ، لأن الذين استلموا منا الامور حتى الان ، قد ظهرت مقدرتهم في هذه السنين الاخيرة ! واننا لا نظن أحدا يجسر على القول ، بان في فطرة العرب ما ينافي الكفاءة . فقد قاموا بهذه المهمة حق القيام ، ايام لم يكن بين أيديهم ما بأيدي غيرهم في هذا اليوم .

فنحن نطلب قسطنا المشروع من كل وزارة حتى لا تكون غريبة عنا ، ولا نكون غرباء عنها . نطلب ذلك بما لنا من حق الاشتراك في تسيير امور الدولة ، كما هي الحال في كل قانون اساسي . ونطلبه ايضا عملا بمبدأ حفظ الحياة الوطنية والكيان الجنسي . فقد رأينا كثيرا من المعاهدات الدولية فرضت على رجال دولتنا ، وفيها ما فيها من الغبن للبلاد العربية وكما رأينا ذلك في الماضي نراه في الحاضر . ولهذا لا يسع العرب بعد اليوم الا ان يروا بأم أعينهم ، وأن يديروا مع رجال الاستانة مصير بلادهم ، فان حفظ الذات واستقلال البلاد وشرف العنصر ، يدفعنا الى ان نطالب بهذا الحق بكل ما لدينا من قوة . فالبلاد العربية لا تكون بعد اليوم سداً للمطامع الاجنبية عن بلاد اخرى .

ان من قواعد الحكومات الحديثة ان تكون بين الامة والوزارة وحدة مطلقة ، فلا تنتهي دائرة الوزارة الا في دائرة الامة ، كما ان دائرة الامة ينبغي ان تحيط بأطراف دائرة الوزارة ، واي يوم تنهار فيه هذه القاعدة فالوزارة يومئذ غير شرعية ، ولعل رجال الاستانة يقولون : اننا سنسمح لكم بمركز او مركزين في الوزارة ، اما نحن فرواد حق ويقين ، ولنا حق الاشتراك في الحكم بكل معانيه ، وهذا انما يتم بأن يكون لنا من المراكز الوزارية على نسبة مكانتنا في هذه الدولة .

هذا ما لنا من الحق في القوة الاجرائية على وجه الاجمال ، اما في فروعها فحقنا قد غمطته حكومة الاستانة، فيما يتعلق بكل النظارات، لا سيما ادارة الداخلية فانكم لا تجدون سوى وال واحد على نحو ثلاثين ولاية . وهكذا يمكننا ان نقول عن بقية ما يتعلق بالوزارات

الاخرى ، ولهذا نقول ان حقنا مغموط ما دام نصف الوظائف في الاستانة وكل الوظائف في بلادنا ليس بأيدينا .

ولنا حق صريح ايها القوم فيما يتعلق بالنافعة ، ففيها امر حيوي لا نستطيع السكوت عليه ، فكل قرض يقترض من الدول الاجنبية للامور النافعة ، لنا فيه حظ مشروع ، لان هذه القروض تعقد باسم المملكة . وما دمنا نؤلف نصف المملكة ، فلنا حق بأن تصرف نصف القروض للمشروعات العامة في بلادنا العربية .

وحق آخر هو حق اللغة ، فاننا اكثر تمسكا بمطالبنا المتعلقة باللغة العربية ، ويمكننا اجمالها بان تكون اللغة العربية رسمية في البلاد العربية بمادة قانونية تذكر في القانون الاساسي ، لا في قانون حكومة موقت يمكن إلغاؤه من حين الى آخر بتقلب الوزارات المستعجلة .

هذا ما لنا من حق جماعة للامة العربية ، فان كنا لم نستطع اليوم ان نحيا ، فقد استطعنا كل الاستطاعة ان نموت . اما بعد اليوم فاننا عقدنا النية على ان نحيا على مبدأ : كل امة لها حظ من الحياة تستحقه ، فحظنا الاول نتيجة ما كنا في الماضي . اما حظنا في الحاضر والمستقبل ، فسيكون حظ أمة تطلب حياة الرجولة حياة الامم الحية ، حياة الشعوب الراقية .

وقصارى القول اننا نعتبر حكومات الاستانة غير مستوفية الشروط والاركان من وجهة العدل ، ما دام حقنا غير محفوظ ، لان الحكومات في نظر «اعلان حقوق الانسان» لا تكون مشروعة الا اذا احترمت حق الافراد . فمن باب اولى حق الجماعات وحق الشعوب . نطلب هذا الحق كشركاء في هذه الدولة ، شركاء في القوة الاجرائية ، شركاء في القوة التشريعية ، شركاء في الادارات العامة ، امّا في داخلية بلادنا ، فنحن شركاء انفسنا : في اموال المعارف ، اموال النافعة ، اموال الأوقاف ، حرية الاجتماع ، حرية الصحافة . وذلك لا يكون الا بتوسيع صلاحية المجالس العمومية .

اما طريقة الوصول الى هذه الحقوق فسنتخذ لها كل الوسائل الشرعية وأي يوم تسعى حكومة الاستانة وراء اخفات هذه الاصوات بالقوة والقهر ، فاننا نتخذ طريقة تفشل معها اثرة رجال الحكومة . فليفكروا قليلا : فان النبي محمدا عليه الصلاة والسلام لم يخضع العرب بضغط ولا قوة ، وانما استطاع استمالتهم بمعقول القرآن ، وتحقيق مبدأ العدل والمساواة والاخاء .

على هذه السبيل قد ربطنا قلوبنا وتعهدنا بالتبعة الشخصية والتضامن الاجتماعي ان نتخذ كل الوسائل تحقيقاً لهذه الحياة الشريفة . فالغاية في السياسة تشفع للوسيلة ، ولا سيما اذا كانت الغايات غايات شرف ونبل ، وغايات حق وعدل .

* * *

الحق في السياسة[1]

كما أن للجماعات حقا في الحياة السياسية غير حق الافراد ، فللسياسة اخلاق لا تشبه اخلاق الافراد لضمانة هذا الحق ، ومن البلاء الذي فت في هذه الامة ان كان كبراؤها يطبقون ما اتسموا من معالي الاخلاق الذاتية في ادارة حق الجماعة ، على حين ان الحياة الطبيعية لكل امة لا تستمكن الا على هذه القاعدة : تراحم وعدل وحق بين الافراد وتزاحم وقسوة وقوة بين الجماعات .

فاية امة تتشبع بفكرة العدل البشري وانصاف للشعوب ، مع بقاء بقية الأمم على الجاهلية البالغة والشر المستحكم ، لا تلبث ان تنوء بالعجز السياسي بعد حين . فالانصاف بين الافراد فسحة بركة ، والقسوة بين الجماعات معقود بنواصيها الخير .

ان السياسة غير الاخلاق ، فما تأمر به الاخلاق لا تستدعيه السياسة ، وما تستلزمه السياسة لا تستوجبه الاخلاق ـ قضية ما زال سوادنا ، حتى زعماؤنا ، يخبطون فيها الخبط المتعثر المستعجل ، حتى اشفى بنا الامر الى ما اشفى .

في ادارة الجماعات قاعدة يطلق عليها علماء السياسة (عقل الدولة) فهي محجة الوزراء ان فكروا ، وغاية اولياء الامر ان عملوا .

فما هذه المحجة وما هذا العقل ؟

ان «عقل الدولة» ركاز قائم على مصلحة الدولة يستبيح كل حرمة دون هذه المصلحة ، فلا رأفة بشرية ولا مرحمة انسانية بل لا دين ينذر ولا اخلاق تسيطر . ومن الخطأ ان نتصور في السياسة ما طبع في انفسنا من نبل الاخلاق . فالساسة فئة تجردت عن كل قلب بشري او معتقد انساني ، فاذا عملت بعامل الدين فلمرفق من مرافقها ، واذا تحركت بانصاف فلانصاف نفسها ، واذا قالت بحق فلإحقاق حقها .

اذا تفهم قومنا هذه القضية ، واستوعبها حتى مصاص عظمه، علم ان الرجال العشرة الذين يديرون سياسة الامم في مرتبة لا تقطر معهارشحة من رحمة ، ولا تؤثر فيها صورة من مكرمة فالشر المستديم آيتهم ، والقوة المتجددة المتواصلة كعبتهم ـ على هذا الطراز يدرج من دونهم من الساسة ولا سيما زعماء الاحزاب ، فلا عدل ولا عهد ولا رفق ولا حق في الحياة السياسية .

اذا كان مجتمع البشر على هذا القسط من الكمال ، وكان وزراء الارض على هذا المبلغ من النظر في الحياة ، فكيف تؤيد حقوق الدول ، بل كيف تحفظ حقوق الجماعات ؟

الجواب على ذلك ان الدول في علم «الحقوق الدولية» تعتبر نفسها على ضروب ثلاثة : دول بربرية كالقومبدج والنونكين ، وهذه ليس لها في السياسة من حق ، ودول متوحشة كاللاتي يعيش فيها اهلها غرباء عنها . وهذه لا حق لها الا على قدر ما تمن عليها الدول العظمى .

---

(١) المفيد ـ العدد (١٣٦٥) تاريخ ٢٨ آب ١٩١٣ .

ودول متمدنة كالانكليز والالمان والولايات المتحدة واليابان والفرنسيس. وهذي لا يحق حقها الا بما هو رهين بقوتها .

من هنا يدرك المتبصر ان الحق المسجل في المعاهدات والمواثيق بين الدول الكبرى ، دع عنك بقية الدول ، يتفاوت ضمانة بتفاوت قوة كل واحدة ، فالقوة هي الحق ، والحق مطاط يفسر في السياسة على قدر القوة .

نضرب لذلكم مثلا صغيراً بينا يحضرنا في الذهن ـ جاء في معاهدة لاهاي سنة ١٩٠٧ «ان الحقوق الافرادية لا تلغى باعلان الحرب » . ومعاهدة لاهاي اكبر معاهدة دولية في التاريخ قد صادقت عليها جميع الدول وأولها انكلترة . غير ان هذه قد عبثت بها امام كل الدول ، والغت كل حق لرعايا خصمها المحارب ، فاجتمع السفراء واحتجت عليها الدول . ولكن احتجاجها لم يكن الا خلّبا يفرقع .

هذه هي الحقوق الدولية الموقع عليها باجماع الدول ، وتؤيد وتمحى على قدر من القوة ، لا على نسبة الحق والعدل ، فما بالكم بحق الجماعات في دولة واحدة ؟ ـ ان الامر سواء ، فكم في التاريخ الماضي والحاضر من حقوق للجماعات تسجل في القوانين الاساسية ، فما هي الا لفتة الوديع حتى تكون هباء منثورا . وكذلكم الحال في الحقوق الجنائية والحقوق المدنية ، فكم من ضعيف يهدر دمه دون ان تنصف ظلامته ، وكم من موسر لا تطاله يد القانون .

فالحقوق الدولية والحقوق الاساسية والحقوق الجنائية والحقوق المدنية ، وكل ما نسميه على وجه هذه الارض حقاً ، رهين بما اكتسب من قوة . نعم ان حق الافراد في بعض الامم مضمون من بعض الوجوه ، ولكن حق الجماعات لا تكفله ولا توطده الا صولة من قوة .

لهذا وجب على جماعتنا ان لا تخدع بعد اليوم بما فطرت عليه من حسن الطوية وصفاء السريرة ، فلا تستنجد باسترحام ، ولا تتوسل بكرم اخلاق ولا تنتظر مرحمة ، ولا تترقب انصافا لتحفظ حقها وتؤيد مكانتها ، فالسياسة لا تقوم على مبادىء واخلاق او قواعد شرف ونبل ، واعماق نبع لما يسمونه «بعقل الدولة» ، وعقل الدولة من اتباع القوة ، فمتى تلاشت القوة تلاشى معها الحق صراحا .

لقد سمعت كثيرين من قومنا يقولون ان تربيتنا السياسية ناقصة ، فلو كنا كالاحزاب الاوروبية نفهم معنى السياسة ، وندرك كنه الحق والعدل ، وننصف بقية الاحزاب ، لما افضت بنا الفوضى الى ما لا تحمد مغبته ـ خطأ في الظن ينبغي تصحيحه في هذا المقام . ان الاحزاب في اوروبة ، كالاحزاب في هذه البلاد ، من حيث الاخلاق السياسية ، فالحزب الذي يتولى امر الدولة يود لو انه يستأصل المعارضين على بكرة ابيهم ، وينكل فيهم ويشرد بهم الارض . هذه هي الحقيقة الناصعة لا ريب فيها . ولكن الذي يوقفه عند حده ما يتعاظم امامه من قوة المعارضين . فانصاف الجماعات واحترام حقوقها ، ومراعاة رجالها ، لم يكن في

اوروبا نتيجة عدل وكبر اخلاق ، بل خضوعا للقوة وخشية من البأس والشدة ، واوروبة كلها من عبدة هذه القوة ، فليتفهم ابناء الوطن .

على هذه القاعدة ، والناس أكفاء من جهة التمثيل ، كان حظ الامة العربية مع الحزب المسيطر مدة خمس سنوات . كانت الامة تتأفف وترمي الزعماء بكل فرية ورذيلة بان كانوا يمنعونها حقها ، ويأخذون بخناقها ، فيمتصون منها ما يشتهون ، فتتعالى النأمة طورا بالتسفيه ،وآونة بالاسترحام ،على حين ان ليس للضعيف من حق ،وان الظلم بالظلم أخلق .

ما لبث العرب ان فهموا بما يتلونه صبيحة كل يوم أن الاسترحام آية الذليل ، وان الحق لا يثبت الا الموجود ، وان القوة هي معنى الوجود ، فتضامنوا ، والتضامن من اول مرحلة لتكوين الجماعة ، وتضامنوا في كل صقع ، واتجهوا بقواهم العالية نحو النصرة العربية من كل حدب ، حتى اذعن في العاصمة الزعماء ، وطأطأ الرؤساء ،ونادوا بأعلى اصواتهم ان للعرب حقوقا تحترم ، ومطالب لا تهتضم ، بعد ان كانوا يوصمون كل فتى عربي باهمال «شرير مفسدلر ، مفيد جيلر» فيا عجبا للحق نفسه ينحط ويمجد في حين .

اصدرت الحكومة منشورها في اصلاح الولايات العربية ، بعد ان رأت من العرب ما رأت فهلل فريق وقطّب آخر . امّا نحن ففي عزلة عن هذا الارتياح وهذا التقطيب . وانما نستبشر كلما نمت قوتنا واستوثقت روابطنا ، ونحزن كلما تفككت عقد الاواصر بيننا . يقين ان لا حق يثبت ، ولا وجود يتمكن دون قوة ، فعلى قدر قوتنا كان احترامنا في هذه الجامعة ، وعلى حسب تماسكنا كانت مراعاة حقوقنا بين هذه الشعوب المتزاحمة ، ونحن نوقن ان هذه القوة أضمن من كل منشور ، وافيد من كل اصلاح ، فالاصلاح تبع لهذه القوة .

لذلكم كان منشور الحكومة مطأطأ ، فان ازدادت قوة العرب نالوا من هذا المنشور ما يستحقون ، وان تراخت كان شأنه شأن المعاهدة الدولية في اصلاح الولايات الارمنية .

جاء في المادة الاولى من معاهدة قبرص بين الدولة العلية والانكليز سنة ١٨٧٨ ما يأتي تعريبه بالحرف : «اذا لم تخرج روسيا من باطوم واردخان وفرص ، او اذا حاولت ان تستولي في المستقبل بعد عقد الصلح على اراضي جلالة السلطان في آسيا فان انكلترا تتعهد بأن تتحد مع جلالته للدفاع عن هذه الاراضي بالقوة المسلحة» .

ولقاء ذلك يعد جلالة السلطان لدولة الانكليز بان يدخل الاصلاحات الضرورية التي تقر عليها الدولتان لتلك الاراضي فيما بعد ، تحسينا لادارتها وحماية لرعايا الدولة المسيحيين وغير المسيحيين . ولكي يتخذ الانكليز الوسائل الضرورية لتنفيذ ما يتعهدون به ، فان جلالة السلطان يرضى بان يتنازل عن جزيرة قبرص لاحتلالهم وادارتهم» .

وجاء في المادة «١٦» من معاهدة سان استفانو بين الدولة العلية والروس سنة ١٨٧٨ ما يأتي : «ربما يحدث اجلاء الجنود الروسية عن اراضي الارمن التي احتلتها ، ووجب ان ترد للدولة العثمانية قلاقل ومشكلات من شأنها توتر العلاقات بين الدولتين ، فالباب العالي يتعهد دون تأخير باجراء ما تقتضيه الحاجات المحلية من الاصلاح في الولايات الارمنية ،

وبتوطيد طمأنينتهم من تعدي الاكراد والجركس» .

وجاء في المادة «٦١» من معاهدة برلين بين الدولة العلية ، والانكليز والروس والفرنسيس والالمان والطليان والنمساويين ما يأتي : «يتعهد الباب العالي دون تأخير بتحقيق ما تقتضيه الحاجات المحلية من الاصلاحات في الولايات الارمنية ، وبتوطيد الامن ودرء التعدي عنهم من قبل الاكراد والجركس» .

ثلاث معاهدات دولية قلما تفيد الحق ذرة لم يكن للارمن من قوة عليها يستندون ، وقد شاهدناه ، بأم العين . نعم ان هذه العهود لا تخلو من قوة ، ولكن القوة التي يخلص عنها النتاج الطيب ، هي قوة الذات ، قوة الامة ، فمتى استجمع الارمن قواهم نالوا من حقهم ما يستحقون .

فنحن نعذر اذا لم نستأنس بهذه المنشورات وهذه السكوك استئناسنا بما افضناه عن القوة ، لاننا نعتبر العهود الدولية كلمات حق ينسفها البأس ، كلما هبت المطامع فكيف بمنشورات حكومة ؟

اثبتنا في هذه السنة المباركة وجودنا السياسي تصحبنا القوة ، قوة مال ، قوة رأي ، قوة علم تجمعها قوة تضامن ، فهل يصح للعرب ان يأملوا الوصول الى صلاح امرهم بهذه القوة ؟ ذلكم ما يسألنا عنه كثير من قومنا فجوابا عن ذلكم نقول :

ان ما نعلمه عن قوة العمل في العراق وجوار العاصمة وقوة الرأي في بر الشام والمال في اميركا والعلم في باريس ومصر والتضامن بين مراكز الجمعيات وامراء العرب يخولنا ان نصرح بأن استقامة شأننا في هذه الجامعة العثمانية موكول في أيدينا والى ايدينا ، ما دامت وثيقة العضل . فثقتنا بانفسنا عظيمة ، وأمل الصلاح اعظم وذلكم تصديقا بهذه القوة المستحكمة ، لا تصديقا بمنشورات حكومة .

وهنا مجال لان نقول كلمة صادقة ، قد سمعها قومنا العاملون ـ يتهم كثير من ابناء قومنا زعماء الإدارة ، بأن في أنفسهم سوءاً ، وان في قلوبهم مرضا ، على حين ان الذي تحققناه بالتماس مع هؤلاء الزعماء ان ليس ثمة من سوء نية ، بل الحقيقة كل الحقيقة انهم عاجزون عن تطبيق الاصلاح ، لانهم لا يدركون معنى الاصلاح . فقانون الولايات المكدونية سنة ١٨٨١ من خيرة القوانين ، وهم يقرون بصلاحه ، ولكن لا يعرفون كيفية تطبيقه .

وعليه فاننا نعتبر ان كل اصلاح لا يبنى على قوتنا ، فهو أبتر ،وكل حق لا يوسد تنفيذه الى ايدينا فهو هراء . فمهما نشر من المنشورات الاصلاحية اذا كانت خارجة عن هاتين القاعدتين ، قاعدة القوة وقاعدة الاعتماد الذاتي ، فرميها الارض خير وابقى . وسلام على العرب يوم لا يعتمدون في اصلاح امرهم الا على انفسهم ، ولا يتخولون هذه القوة الا بالتذكية والايمان .

* * *

تطور الامم
في السلطة والحق[1]

ان ملاك الدولة وجماع الامة قائمان منذ تكونت الجماعات على امرين : معنى السلطة في الدولة ، ولمن يجب ان تكون ، ومعنى حق الفرد ازاء الدولة ، وكيف يجب ان يكون .

كانت الامم القديمة تعتبر ان السلطة هبة من الله ، وان الملك ظل الله يخلفه في أرضه ، وان ليس للفرد من حق في الدولة ، فان عاش فانما يعيش للدولة ، وان عمل فلا ينبغي ان يعمل الا للدولة .

غير ان فلاسفة اليونان والرومان قد تفرقوا مذاهب في معنى السلطة ، فاسفرت آراؤهم عن وجوه ثلاثة :

«١» السلطة هبة تتمثل في فرد من الأمة وهي حكومة الفرد ، او بالتالي الاوتوقراطية .

«٢» السلطة تتمثل في المتنفذين من الامة وفي حكومة الافراد ، او الاريستوقراطية .

«٣» السلطة تتمثل في الشعب كله ، وهي حكومة الجماعة او الديموقراطية .

غير أن الرأي الاول هو الذي كانت له اليد الوارثة في دولة الرومان على عهدها الاخير ، وعليه كان محور السلطة . الدولة كانت ملكا لرجل فرد ، والحكومة انما كانت متاعا لصاحب السلطة .

اما حق الفرد في هاتين الامتين فلم يختلف فيه فلاسفتهما . فالفرد اليوناني او الروماني انما خلق لا لنفسه بل لدولته . وما كان الفرد حرا الا لان الدولة كانت تهبه هذا القسط من الحق ، حتى ان هؤلاء كانوا يعترفون بأن حقوقهم امتيازات قد نالوها من الدولة ، لانهم كانوا يعتبرون ان الامة واحدة لا تتجزأ ، وان الفرد جزء او كسر لا يؤلف وحدة لنفسه ، فكله لدولته ودولته قامت لتسخيره .

ذلك ما ورثه آباؤنا ، ودرجت عليه اوروبة من معنى السلطة ، ومعنى حق الفرد بالحرف الواحد . فكانت كل الحكومات التي نشأت بعد الرومان ملوكية تخص فردا واحدا ، يتخذه الشعب ظل الله في ارضه ، ومنها حكوماتنا العربية لاتصال الجوار وقرب المعاصرة وتسخير البلاد الرومانية .

نعم ان العرب قد غيروا معنى حق الفرد في أول عهدهم ، ولكن ما لبث ان تغلب مذهب اليونان والرومان ، وتأصل في نفوس العرب ، ان الفرد لدولته لا لذاته ، حتى يومنا هذا ، وذلك بما عربوه عن الفلسفة اليونانية .

وكما ان فكرة حكومة الفرد قد اتصلت بحكومات العرب ، فقد انتقلت الى حكومات الغرب ، حتى انهم كانوا يعبرون عن سلطة هذا الفرد بالحق الالهي «دروا ديفن» ويقولون انه خليفة الله في ارضه . فمضت على هذه الدول والحكومات ثلاثة عشر قرنا ، وهي رازحة

---

(١) المفيد ، العدد ١٤٣١ . تاريخ ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٣ .

تحت سلطة حكومة الفرد ، واذ نبتت من كل فج طائفة من دهاقين الحكماء ، تزعزع قاعدة الحق الالهي في الحكومات الاوتوقراطية . وما زالت تطير من اقلامها شرارات ، حتى انهارت حكومة الفرد الى حكومة اريستوقراطية ، تدار بنفوذ افراد من الامة لافرد واحد ، وذلك سنة ١٧٠١ ، حين وضع دستور انكلترة ، فتسرب للامم الاخرى ان السلطة قد يمكن ان تكون لغير فرد ، فتحركت طبقات الشعوب ، ولا سيما زعماؤها وقادة افكارها ، ومن ثم رسخ في الاذهان ان السلطة في الامة لا لفرد ولا لافراد بل لجماعة الامة . وعلى هذه القاعدة تأسست جمهورية الولايات المتحدة سنة ١٧٧٦ ، ووضع دستورها سنة ١٧٨٧ ، فكانت اول حكومة ديمقراطية في القرون الحاضرة ، سارت سيرتها من بعدها حكومة فرنسة .

فالحكومة الاوتوقراطية نظمها الرومان ، والحكومة الاريستوقراطية اوجدها الانكليز ، والحكومة الديموقراطية وضعها الاميركان في العصور الحاضرة .

وما زالت السلطة تنتقل بين تجاذب وتدافع فرد وافراد وجماعة حتى كان الغلب للديموقراطية ، وهي سلطة جماعة الامة كلها . واليك لوحة صغيرة من الممالك الراقية في عصرنا ، تعرف منها صحة ما نقول :

انكلترة ـ اوتوقراطية ، ثم اريستوقراطية بدستور سنة ١٧٠١ ، ثم ديموقراطية بقوانين سنة ١٨٣٢ و ١٨٦٧ و ١٨٨٤ .

الولايات المتحدة ـ ديموقراطية بعد دستور سنة ١٧٨٧ و ١٧٩١ .

فرنسا ـ اوتوقراطية ثم ديموقراطية بدستور سنة ١٧٩١ ، ثم اريستوقراطية بدستور سنة ١٨٠٤ ، ثم ديموقراطية بدستور ١٨٤٨ ، ثم اوتوقراطية بدستور ١٨٥١ ثم ديموقراطية بدستور ١٨٧٥ .

المانيا ـ اوتوقراطية ثم أريستوقراطية بدستور ١٨٦٧ ثم ديموقراطية بدستور ١٨٧١ .

النمسا ـ اوتوقراطية ثم اريستوقراطية بدستور ١٨٤٨ ثم ديموقراطية بقانون ١٩٠٧ .

فيرى المتدبر في هذه الامم الحاضرة ان السلطة كانت للعدد الصغير ، ثم صارت للعدد الكبير ، ثم انتقلت الى العدد الاكبر . ويستنتج بتطور تاريخ السلطة مدة عشرين قرنا ، ان العدد في سلطة الامة هو الناموس الاكبر الذي خضعت وتخضع له الدول كرها واضطرارا . فالعدد كما كان يقول «لوروا بوليو» مديرنا في كلية العلوم السياسية لم يكن شيئا ، فأصبح اشياء وسيصبح لاشياء .

اما نحن فكما اسلفنا اخذنا فكرة حكومة الفرد الاولى ونقلناها الى الترك ، ودمنا عليها مدة ثلاثة عشر قرنا حتى نودي بالدستور في مملكتنا العثمانية سنة ١٩٠٨ ، فكان دستورا اريستوقراطيا يتمتع بالسلطة فيه افراد من الامة لا جماعة الامة ولكن الناموس الاكبر ، وهو العدد ، ستخضع له الدولة كما خضعت انكلترة وفرنسا والمانيا والنمسا والولايات المتحدة ، فتكون كل حركات الدولة قائمة على العدد الاكبر الذي لا يرد حكمه ، ولا تنفذ فيه حيلة .

هذا ما تطورت عليه السلطة منذ انتظمت الدول . واما حق الفرد ازاء الدولة فان معناه كان تبعا لطراز الحكومة . فكان في الحكومة الاوتوقراطية ان الفرد لا ينبغي ان يعيش الا للدولة . فلما انقلبت الى اريستوقراطية اصبح الفرد لا يعيش الا لهذه الكمية المتنفذة من الامة ، حتى نادى اصحاب الدعوة الديموقراطية والمذاهب الاجتماعية «الذاتية» امثال «بنتام» الانكليزي و «توكفيل» الافرنسي و «نيش» الالماني و «سبنسر» الانكليزي ان الفرد لا يعيش ، الا لنفسه ، وانما الدول لم تجعل إلا للفرد ، وعليه ارتكزت كل حكومات البشر الحاضرة وأصبحت قضية الديمقراطية والذاتية مبدأ راسخا لكل دول الغرب الكبرى ، لا يحدث فيه تغيير ، وان حدث فانما يحدث في طريقة التطبيق .

وكما اننا بقينا على فكرة حكومة الفرد ، فقد استمسكنا منذ بداية عهدنا الكبير بمذهب اليونان السياسي . ويرأسه ارستطاليس حتى يومنا الحاضر يوم الدستور الاريستوقراطي ، وذلك بان نتصور اننا لم نخلق الا للدولة ، واننا وقود للحكومة .

فواجبنا بل واجب كل حي كريم ان ينزع من قلوبنا ما شربناه من فلسفة اليونان ، وان نأخذ بالفلسفة الحديثة السياسية القائمة على مذهب «الديموقراطية» ومذهب «الذاتية» .

فنسير مطالبين بحقوقنا في مملكتنا العثمانية حتى يكون للعدد الاكبر منزلته في الحياة السياسية . وانّا لبالغون . فالتاريخ هدي للمريدين ، ويحق لنا في هذا المقام ان نفخر على كل الشعوب العثمانية ، بان كانت كل الاصلاحات في المملكة نتيجة سعي اوروبة . اما اليوم فهي نتيجة شعب مفكر يضع اصلاحاته بيده . وهذا حادث من اعظم الحوادث في تاريخ المملكة العثمانية ، واحوالها الاجتماعية في هذه المملكة . وانا لنسرّ بهذه الحركة ، فان ناموس العدد الاكبر قد بدأ يفعل فعلته ، فاول واجب على عقلاء الامة تأييد هذا الناموس حتى تكون الدولة ديموقراطية تعمل فيها جماعة الشعب كله لافرد منه ولا أفراد .

اما الواجب الثاني فهو تأييد ما وضعه اكثر فلاسفة الغرب من مذهب «الذاتية» في هذه المملكة ، ايدها الله . وذلك بان نحول معنى الفرد في الدولة ، فنبث في افراد الشعب ان الدولة واسطة لا غاية ، وانه اذا عاشت الامة فلا تعيش للدولة بل تعيش الدولة لاجلنا ، واذا عشنا فانما نعيش لانفسنا فالدولة للامة ، وليست للدولة وبعبارة ثانية :

الدولة لنا ولسنا لها .

* * *

فتى العرب : واجبه العام [1]

نعني بالفتى كل من جمع في نفسه بأس الشباب وسداد العقل وصحة القلب ، مهما

---

(١) فتى العرب : العدد ١٤٢٥ ، ١٥ كانون الاول ١٩١٣ .

تفاوتت مدارج العمر ، وبالعرب كل من ربطته بهذه الأمة وحدة اللغة ، وصلة النسب ونزعة العرب .

هذا مذهبنا في الجنسية العربية ، نثبته على اختلاف مع علماء الألمان والفرنسيس في تحديد الجنسية . فان الأول لا يتطلبون لصحة الجنسية غير وحدة اللغة والنسب ، والآخرين لا يشترطون غير النزعة . أما نحن فلا نعتبر العربي الا اذا اعرقت فيه الشروط الثلاثة ، لأننا رأينا من هذه الأمة من تضمهم آصرة اللغة ولحمة النسب ، فلا يعملون الا لمرافق قوم غير قومهم ، كثير ما هم بين المأمورين ، فهم في نظر علماء الاجتماع براء من هذه الجامعة ، وقد سمعنا كثيرا من الساسة يتبجحون بالنزعة العربية ، دون ان تجمعهم صلة نسب أو لغة . فما هي الا خلسة المختلس ، حتى انقلبوا على هذه الأمة يزعزعون بنيانها ، ويهدمون اركانها .

فالعربي من وصلته رابطة من نسب ووحدة من لغة . وكان تواقا للعرب ، نزاعا اليهم ، يغار عليهم غيرة البطل النبيل ، فاذا استجمع هذا ، حقت عليه كلمة الواجبات الوطنية لتأييد الحقوق العربية .

سبق لنا ان قلنا كلمتنا عن «حقوق العرب في المملكة العثمانية» يوم اجتمع نواب العالم العربي العثماني من جميع اطرافه في باريس . فليرجع اليه كل أنفٍ غيور فقيه بلغة لقوم يتحسسون .

اذا عرف العربي حقه ، وجب عليه أن يعلم واجبه العام ، دون تخصيص فيما نبسطه له في هذا البيان :

فواجبه في الحياة السياسية ينحصر في امرين . واجب اعتقاد وواجب عمل .

فعلى كل فتى من فتيان العرب ان يعتقد ان الحياة مأساة في الحقوق بين الشعب والسلطة ، فعليه ان يعمل لتأييد حق الأمة ، فاما ان تنتهي المأساة بالضغط والاضطهاد والبغضاء ، فتكون مأساة بؤس وشقاء ، واما ان تنتهي بين الفريقين بالعدل والأخاء ، فتكون مأساة شرف وفخار . على فتى العرب ان يعتقد اذا كان يود ان يحيا حياة النبلاء الاشراف ، ان الامة شركة معقودة على وجه الارض بين احياء وأموات ونسل آت . وان السلطة غاية للفرد لا واسطة لذاتها . وان الفرد غاية لنفسه ولقومه ونسله ، وانه لولا الأمة لما كان الفرد ، ولولا الفرد لما كانت الامة فهما حلقة لا تفرغ . وعليه وجب ان يتخذ فتى العرب من المذاهب الاجتماعية مذهب « الذاتية » ازاء السلطة ، ومذهب « التضامن » ازاء الامة . ومن ثم يشترك في هذه المأساة ، ونحن الضامنون بان الحق سينتهي باطرافه له ولقومه ولذريته .

ينبغي لفتى العرب ان يعلم ان الفرد مجمع اجداد متراكمة في نفسه وجسمه . فكل ما في الجسم نتيجة اعتناء طويل قام به الاجداد منذ أجيال بعيدة ، فحسنوا فيه ماحسنوا حتى بلغ هذه المنزلة . فأجسامنا إرث من الماضي ، بل اجسامنا اجدادنا .

هذا من الوجهة المادية . وأما من الوجهة المعنوية فان كل ما وقع في انفسنا وطبائعنا

واخلاقنا وعاداتنا ولغتنا ثمرة(١) الدؤوب المتواصل الذي قام به الاجداد . فانفسنا تراث من الماضي ، بل انفسنا انفس اجدادنا .

اذا تقرر هذا علمنا ان الأمة العربية ليست خمسة عشر مليونا في الجزيرة ، بل ملايين من العرب قد فتحوا ومصروا يتمثلون كلهم في فتى العرب الحاضر ، روحا وجسما . ولهذا وجب على كل فتى من فتياننا ان يعتقد لتمكين حقه وحق ذويه ، انه قوي البأس ، شديد المراس ازاء السلطة ، كالصخرة ، كلما تلاطمت عليها الامواج حلت عنها الادران ، وازدادت بانوار الشمس رونقا وصفاء .

هذا ما يجب علينا ان نعتقده ازاء الاموات . اما واجبنا ازاء الأحياء ، فقد قضت سنة التضامن الاجتماعي ان يعتقد كل فتى ان كل فرد من العرب يعيش في نفسه وفي انفس بقية الافراد ،وانه يعيش في نفس كل فرد من الأمة كما ان الجميع يعيشون في نفسه . حتى اذا رسخ هذا الاعتقاد وتحسست الامة بأنها كتلة واحدة ، وتحسس كل فرد منها بانه هو القائم وحده فيها ، بحيث اذا تنازعت المشارب ، وتفرقت الاهواء ، ولم يبق أحد من الفتية يحافظ على حقوق جماعته ، حمل عهدة العمل وحده على نفسه للقيام بأمر امته ، وذلك ما عناه اشرف الرسل نبينا العظيم عليه الصلاة والسلام بقوله «كلكم راعٍ وكل راع مسؤول عن رعيته» .

اما واجب الفتى العربي ازاء النسل الآتي ، فهو ان يعتقد ان وجودنا الحاضر اذا كان هبة من الماضي ، فهو امانة للمستقبل . فواجب كل فتى نحو أمته واجب بقاء . وعليه تترتب درجة التبعة على كل فتى من فتيان العرب ، ازاء من يريدون ان يأكلوه ليعيشوا عيشة المفترسين . لا ! لا ينحصر واجبه في واجب البقاء بل واجبه واجب انماء ، لان نبل الاخلاق يستدعي ان نزيد في رأس المال أو هذا الارث . فاذا لم نفعل كان كل توقف عن النمو بدء الجمود ، والجمود آية الاضمحلال فالموت .

على أن الخيانة كل الخيانة ، وسقوط المروءة كل السقوط ، ان نستلم الحسن من الماضي ، فنسلم القبيح للمستقبل . فحذار ايتها الفتية الشريفة ان تلوثي مروءة الآباء بانحلال همم البنين . فالى تأييد حق الأمة ازاء السلطة ندعو اخواننا فتيان العرب لأن واجبهم ازاء الاموات ، وهم منهم ، وازاء الاحياء وهم منهم ، وازاء الذراري وهم منهم يستصرخهم لاحقاق هذا الحق ، حتى يكون الفريقان في موازنة واحدة ويتظللا بسماء واحدة ، ولواء واحد ووطن واحد ، وطن العدل والاخاء المتين .

نسير بذلك على قاعدة ان السلطة من صنع الشعب ، ولذلك لا يجوز ان يكون لها حق أعلى من حق الشعب ، وعلى قاعدة ان السلطة شركة بين افراد الشعب ، والشركة لا تكون اداة عالية على المرابحين .

فسيري ايتها الفتية على اعتماد من النفس ووثوق من المستقبل ، فان نجمة الصبح

---

(١) هنا كلمة ناقصة ربما كانت « الجهد » .

وضاحة للناظرين ، وان الـحوض مهما كان بعيد غوره فهو مرآة المطرقين .

ان السبيل وعرة ، ولكن المخاوف ايتها الفتية خطرة ، فسيري فان في العضل وثاقة ، وفي القلب رباطة ، واعلمي انه لولا الاجنبي لما وجدت الوطنية ، ولولا الضغط لما خلقت الحرية .

أما السدود التي يقيمونها ازاء حق الأمة ، فستندك تحت همم فتيان العرب ، وتتساقط رمادا يسيرون عليه ، فيفتخرون بأن تركوا على منبسطه خطوطا تدل على معالي انفسهم وعظمة مباديهم .

نعم ان الفتية من جراء خطتها تسمع من السباب أصعبه ، ومن اللعن أمرّه ، ولكن قولوا لهؤلاء ما قد قاله أحدهم في مجلس «الانتروفابل» اذ قذف عليه آخر شتائمه من أعلى المنبر «ان اثقال الشتائم اذا تنزلت من هذا العلو لا تسحق» .

* * *

السنة السادسة

١٨ محرم[١]

نزلنا صبيحة هذا اليوم معترك الحياة ، منذ سنوات خمس ، على حين فترة من العامة ، وغفلة من الخاصة . فما زلنا نفري العزم لتمكين الحق حتى برانا ، ونرهق العسر عسرا حتى ملنا وجفانا . وها نحن اولاء نقتحم سنتنا السادسة عالمين ما في الخبايا من محن الاهوال ، وما في الزوايا من العدة لقهر الرجال ، ولكن من لا يعرف بهمة الليل لا يؤنسه وضح النهار ، ومن لا تبرمه ذلة الانكسار ، لا تدركه لذة الانتصار .

نزلنا هذا المعترك منفردين ، واليوم نقدم على حقنا مجتمعين . فاذا لم يكن لجهادنا من ثمرة غير اجماع الكلمة لاستغنى من استغنى ، ولكنه تكوين رأي في البلاد ، ان قلنا بقول جماعته صدع به الشام ، وتلقفه اقصى الجزيرة ، وجَنّت اليه اكباد المهاجرين .

اجماع بين افراد الامة تناقلته الارجاء ، فانجاب ترديده على صفحات اوروبة واميركة وافريقية ، وتجلت اصداؤه بما نشرته يد جلالة السلطان الاعظم في الوثائق الرسمية ، فكان من ثمّة اعتراف بأن لنا وجودا ومكانة ، وحقا وكرامة ، واذا تأخر حتى هذا اليوم تحقيق هذا الحق ، فان لنا ما بعده .

ردح يسير وعناء كبير ابتلينا في جهاده حتى تكون هذا الحس ، فحقيق بنا اليوم ان نأخذ به ، وقد استوثق فاستوى ، الى الحقائق السياسية والحياة الاجتماعية المبنية على

---

(١) فتى العرب العدد ٢ ـ ١٤٣٦ ، ١٦ كانون الاول ١٩١٣ .

العلم والتاريخ ، وعليه فسيرى قراؤنا صفوة الادب ان عنايتنا ستتوجه في سنتنا السادسة الى عقولهم اكثر من قلوبهم .

فننقب عن مفاسد مبادينا السياسية،ونكشف عمّا لاوروبة وأميركة من الأنظمة الاساسية ، ونبسط اراء كبارها في المذاهب الاجتماعية ، حتى اذا دفعت الحجة بالحجة ، تحرك ما تكون من الحس العام عن تدبر وتفهم ، وحقت كلمته لتنفيذ ما لنا من حق ولا مردَّ يومئذ لامر الله .

ذلك ما نتوخاه في خطتنا الجديدة من كتابة مقالاتنا الافتتاحية ، فنرمي الى هداية العقل اكثر من تحريك العواطف بالتي هي ازكى ، ودرء ما يلحق بالامة من الغمط بالتي هي احسن .

وسنتبع المقال الاول بقطعة عن سياسة الدول الحاضرة في كل يوم ، فيتم للجريدة ما قد فاتها حتى هذه السنة من الاشتغال في السياسة الخارجية . اما وقد تزودنا بضاعتنا لهذه الغاية ، فسيكون افاضل قرائنا في مأمن مما سنقول . وسنزيد صحيفتنا مكانة بما نكتبه في كل يوم عن سيرة الامم الداخلية ، لان قوتنا لا تظهر وضعفنا لا يبين الا بالمقابلة مع بقية الامم الحية .

اما موقفنا ازاء الاحزاب السياسية ، فلسنا نمت الى فريق ، بل نحن حزب قومنا . فان احسن الاتحاديون لانفسهم بمراعاة حقنا ، فنحن القوة القاهرة يشحذونها في اوجه من يريدون . وان ادلى لنا الائتلافيون بحق اوضح ونية اصفى ، فلنا ما لهم وعلينا ما عليهم . فخط حركتنا اليوم خط مصلحة ليس الا «اوبورتنيسم»[1]، فأي الحزبين يريد بناخيراً فايدينا بايدي رجاله نصل بها ارواحنا ليزداد بها العاملون همة ونشاطا .

على ان حزبنا لا يفتأ عن تسديد قواه ، بحيث تكون له ذاتية خاصة لا يذوب بها مع اخرين . فان اعرض عنه الفريقان كان له في كل بلد قلوب خافقة ، وعزائم صادقة ، تعلم كيف تصون حقها ، وتحفظ قومها يوم يتنقصها المبطلون .

وبعد فلسنا بحاجة لنكشف عن غاية «فتانا» شقيق المفيد ، فهو يردد في عامه الجديد :

فـلا طَلَـعت عـليَّ الشمس يـومـا اذا عـن حـق قـومـي لا اذود

* * *

---

(١) كلمة فرنسية (Opportunisme) وتعني اغتنام الفرص المتاحة عملياً .

تطور الامم في مثلها الاعلى[1]

لا ميزة للجماعات الحيوانية على مجموعة الجمادات الا بخاصة واحدة خاصة الحركة . ولا خاصة للجماعات البشرية تتعالى بها على الحيوانية الا خاصة التطور . فجماعة الحيوان قريبة من مجموعة الجمادات بانها لا تتطلب تبديلا في نفسها ولا تحويلا . اما جماعات البشر فدأبها ان تسعى للتغير في الافكار وللتطور في الاخلاق ، بما وقر في نفسها من لذة التجدد وحاجة التنقل ، وما كان فرد ليرضى بما هو عليه لان النفس تواقة الى الزهد بما لديها ، نزاعة الى الرغبة فيما هو بعيد عنها . وما كانت امة غير مجتمع هؤلاء الافراد ، فالمثل الاعلى للبشر تطور النفس دون لبث ولا انقطاع .

على هذا فطر البشر ، فاية امة تستحكم فيها آيات الجمود دبت اليها قوارض الاضمحلال . لان الرجل مستودع قوى عاملة صعبة القيادة شديدة المراس تعرف بالشهوات ، والشهوات قد بنيت على التبدل والتطور ، فالرجل قوى متطورة ومن ثم كانت الامة قوى شديدة تتطلب هذا التطور بفطرة ليس لها من دافع . فاذا سعت الامة في تعطيل هذه الخاصة افسدت على الرجل قوته وبدلت ماهيته ، ومن ثم سدّت على مسالكها مطامع الحياة .

علام تطور البشر منذ عرفه التاريخ ؟ وما هي الامثال العليا التي كانت تأخذ بمجامع لبه فيحيى لاجلها ويموت ؟

ظهر البشر فكانت بداية مثله الاعلى ان جعل من الحجر وثنا يسكن اليه عند فزعانه ، ويأوي اليه عند طمأنينته ، فكانت جوارحه لا تتحرك الا لمرضاته ، وجوانحه لا تخفق الا لملاقاته . وعلى هذا عاشت الامم الاولى . ومن ثم كانت الوثنية لهم مثلا أعلى . ولكن ما لبثت الوثنية ان تطورت بين الامم ، ففريق جعل مثله الاعلى «وثنية التجريد» ، وهي ان يكون المثل الاعلى لذات الوثن ، وفريق يدعو الى « وثنية التمثيل» ، وهي حرمة الوثن من اجل انه يمثل المثل الاعلى . ومن وثنية التمثيل تطورت الامم فجعلت لكل حادث من حوادث الكون الها .

هذه مرحلة جديدة لتطور الامم ، فبعد ان كان مثلها الاعلى في الجماد المحسوس ، صار الى غير الملموس . ولكن هذا لم يلبث غير يسير على عهده الاول ، بل تشعب وتطور فجعلت الامم مثلها آلهة عديدة تشترك في تسيير الحوادث ، بدلا من ان يكون لكل حادث إله

---

(١) فتى العرب العدد ـ ٣٠ ـ ١٤٦٤ ، ١٨ كانون الثاني سنة ١٩١٤ .

لا يعنيه غير شأنه ، ومن ثم نشأ عصر الاشراك فكان لتلك الامم مثلا اعلى .

درجت على عصر الاشراك سنون ، ماتت في غضونها الامم فدية لتعزيزه ، وتفانيا في الدفاع عن حياضه ، حتى نبتت «فكرة التوحيد» في جزيرة العرب على طور سيناء ، فَعَزت حركة الحوادث جمعاء الى اله واحد دون الاشراك ، ومن ثم كانت لتلك الامم المثل الاعلى .

وما استوطن هذا واستوى على الطور حتى عقبت عليه روح الشرك تذر من بيت المقدس بوجه جديد ، فاعتاضت اكثر الامم عن التأليه العديد ، وفكرة التوحيد ، «بالشرك المحدود» فانتشر هذا المثل الجديد من الجزيرة الى بلاد الروم والمغول والاسبان ، فاستمكن وكان له ما كان .

توالت على الشرك المحدود قرون ستة ، وفي اعقابها عادت «فكرة التوحيد» بمكة المكرمة ، حيث كانت تستحكم وثنية التمثيل ، فاتت عليها واستقرت ، وتبلجت للعرب مثلا اعلى يحيون لاجله ويموتون في سبيله .

فتطال مثلنا الجديد بهم ، وتطالوا به بعد صدمة الوثنية ، حتى اوغل بين الامم فتلاقى في القرن الثامن مع مثل الشرك بصدمة في مدينة بوتة ردته الى حيث تمكن .

وبعد خمسة قرون ، كر مَثَل الشرك فتلاحم على مثل التوحيد الجديد تلاحما فك منه مثل التوحيد اوصالا وثأر لنفسه عن الاولى .

مثلان في الشرق وفي الغرب قد تدافعت قواهما للغلب في ذلك العهد ، غير ان الغرب قد استرخى عن مثله فاراد تبديله بعد حين ، فتطايرت حمم وتساقطت رمم في القرنْ الخامس عشر ، ارادة ان يقضي على الكثلكة ، حتى ظل المثل الجديد الاعلى مثل «ما وراء الطبيعة» القائل بان الحوادث لا تسيرها ذات ولا ذوات ، بل اسباب خارجة عن الحس تعرف بالطبيعة .

فالامم قد تنقلت في مثلها الاعلى الذي عاشت لاجله وماتت ، من وثنية تجريد الى وثنية تمثيل ، فألوهية استقلال ، فالوهية اشتراك فتوحيد فشرك محدود ، فتوحيد جديد . وكل هذه الامثال تحملها الفكرة الروحية لنفوس البشر دون وثنية التجريد .

غير ان مثل «الطبيعة» لما انتشر قد زعزع من الفكرة الروحية ركنا ترك بعده الامم الغربية بين شك ويقين مدة قرنين ، تلوب فيهما الأنـفس حول خيال من الفكرة الروحية ، واستمساك بالامور الحسية ، حتى علقت امم الغرب فاختلقت لنفسها مثلا جديدا ، مثل «الفلسفة» الاعلى القائل بان للفرد حق الخيار بان لا يتقيد برأي جماعة او سلطة روح او معتقد امة او مذهب فريق بل للفرد ان يتكيف على حسب بدوات عقله وخطرات نفسه .

وهنا مجال لان نلفت النظر الى هذه المرحلة الكبرى في تطور الامم الغربية : كانت

السلطة قبل هذا المثل قوامة على عقول القوم ودين الجماعة واخلاق الامة . فهي التي تفكر في مصير الامة دون ان يكون للامة حق في الفكر ، فما كان عند السلطة من فكرة كانت الامة مقهورة على اتباعها ، فعقل الامة مسخر لعقل السلطة . كانت السلطة هي التي تصبغ الدين بصبغتها والامة محكومة على اتخاذ ديانتها . فكانت السلطة هي التي تكون الاخلاق على مشتهاها والامة تابعة مبتغاها .

اما بعد انتشار مَثَل «الفلسفة» الاعلى ، فقد اصبح الفرد يفكر دون قيد ، ويتخلق بما يهوى دون اكراه ولا يدين الا بما يوحي لنفسه ، وفي هذا المثل قد اجتثت الفكرة الروحية من اصولها في البلاد الغربية .

ويمكننا ان نقول بعد ما تقدَّم ان الامم تطورت الى ثلاثة اطوار : «طور الخيالات» ، وفيه ساد خيال البشر فجعل لهم من التماثيل ما به يأنسون ، ولا يدري احد من المؤرخين منشأ هذا الطور بين الامم . «وطور القلوب» وفيه سادت الاديان واعظمها ثلاثة فتنزلت على البشر معالي الاخلاق لتسديد النفوس وتطهير الاعراق ، ومنشؤها كلها جزيرة العرب . «وطور العقول» وفيه اصبح العقل سيدا ، ومنشؤه اوروبة ، وبه اخذت ، فاستجمعت قواها ، ونهضت به الى اعلاها .

«فطور العقول» قد بدأ بظهور مثل الفلسفة الاعلى ، وغايته الدفاع عن حق الفرد وحرية افكاره واخلاقه ومعتقده . وما زال هذا المثل يعمل معمله بين الامم الغربية ، حتى قلب حياتها الاجتماعية والسياسية . من ثم خلص منه مَثَل جديد اعلى مثل «حق الجماعة» القائم على الجنسية ، والقائل بان لكل شعب جمع وحدة العنصر واللغة ان يدير نفسه بيده .

فطاف مثلنا الجديد الاعلى في اوروبة طوفة مزقت احشاءها ، فقلبت عروشا ودولا ، ونبتت جماعات واممًا ، حتى راينا اوروبة على وجهها الحاضر ، تأخذ من هذا المثل الاعلى حقا ، وتدلي به الى الامم رفقا .

وخلاصة هذا التطور بين الامم ان القرون الأولى قد وضعت «حق الجماد» ، والقرون الوسطى قد اعلنت «حق الروح» ، والقرون الحديثة قد اعترفت «بحق الفرد» ، والقرون الحاضرة قد نادت «بحق الجماعة» .

فالى تطور حق الجماعة بين الأمم نلفت النظر في فصل آخر .

* * *

نبينا عليه الصلاة والسلام[1]

بين ثنيات الظلمة ، وتضاعيف المضلة ، قد اشققت الحياة في مثل امس لمحمد بن عبد الله ، فمثل للعرب رسولا كريما ، ونبيا عظيما ، وتمثل العرب به ، فكانوا خير امة اخرجت للناس .

نعم ان مثل العرب قد تجلى في نبيهم ، فنهضوا به ونهض بهم ، والنار امامه ، لا راس يطرق ، ولا قلب يخفق ـ ذلك نبل العرب قد استمكن في قلب رسولهم ، فحنانا وسلاما !

نشأ سيدنا بين قومه ، يدا طولى ، وقلبا كبيرا ، ومخايل النبوغ ، وعلائم الشرف ، تستجمع نضرة العواطف ، واستحكام الرجولة في قلبه ، فتخرج من يده حديدا ، ومن بصره نورا ، اذ جمع احدهما الى ثاني اثنين ظهر بين الناس معنى العرب .

تلك صورة نبينا عليه الصلاة والسلام يوم اوحي اليه في غار «حراء» فصدع بشريعته ، يخرق صوته من اعماق نفسه ، فينتزع النفوس من اعماق صدورها ، تعلقا بهذا الصوت الرهيب ، لما كان يحمله من قوة الاخلاص ، وعظمة التفاني .

حمل الرسول وحيه في صدره ووقف امام قومه ، فناوأهم وناوؤوه ، وناصبهم وناصبوه ، وهو وحيد لا تجتمع عليه الا نفسه ، امام جمع متراص ، يشج طورا ثناياه ، ويستبيح آونة دمه ، دون ان تأخذ نفسه رجفة ، او تنال قلبه وجفة ، بل كان الشهاب من نار ، والارادة من حديد ، حتى خنعوا لارادته ، وهو يقول «لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما رجعت عن هذا الامر» .

تلك سجايا صاحب الشريعة ، جمع العرب عليها ، فأنشأهم كتلة سياسية قذف بها الامم فعربتها فاستعربت ، واخذت بها اليها فتهاوت ، وكم من امم تسقط بين وميض الهمم ، وشرر العزائم .

قام الرسول بما نوى اليه ، وترك قومه على صورته ، ونضرة الامل تترقرق بين جوانحه ، و «جزيرة العرب» ! اخر كلمة كانت تتلجلج بين انفاسه ، كأنها قطع من قلبه .

هذه هي رسالة النبي العربي الكريم قام بها بين العرب ، وبها هدى العرب ، وبهديهم قد اهتدى غير العرب ، واخر كلمة قالها «جزيرة العرب» ، فيا شؤم قوم لا يضعون صحيفة خدهم احياء لذكرى نبيهم وتجديدا لنهضة عهدهم .

نعم ان الاجداد كانوا اوتاد المشرقين ، بما نفث فيهم محمد بن عبد الله من نشأة الحياة ، فكانوا الظل على المدنية يفيض ، والمورد لكمال البشر لا يغيض وما هو الا مغيب الشفق حتى تهدلت على العرب ، ومن دان بدينهم ، كسف من ظلمات انفسهم ، فنحتت منهم ما نحتت حتى خرجوا بين الامم بثوب الاذل المهين .

ذلكم بانهم تصاغرت نفوسهم عن ان تنال من الرجولة البالغة شأوا ، ومن الشجاعة

---

(١) فتى العرب العدد ٤٦ ـ ١٤٨٠ ، ١٦ شباط ١٩١٤ .

المتأججة مستوى ، ومن الصبر المر منتهى ، فاستحبوا الحياة الذليلة على الموت الجليل ، واستراحوا من حيث تعب الكرام .

هذا ما كان للامة العربية ، ومن تبعها من الامم فماذا عسى ان يكون !

اذا كان ثمة عرق ينبض وأنفة تتحرك ، فما على الذين تأخذهم الغيرة ، الا ان يقوموا بواجباتهم نحو امتهم ، ولا يعلم احد مبلغ هذا الواجب ، الا اذا شخص ببصره الى تلك الروح الكبيرة الصامتة في طيبة الغراء ، فاذا فعل واستقصى ، جالت به هزة خلعت اركانه اذ لا يرى في قبر الرسول إلا : عينا سحاء تدمع وكبداً حرى تتألم .

نعيم عين سحاء هزت طائفة من الناس فهبطت مع موكب امس من خشية ذلك الخفقان ، فيا امل الجد الوضاح ، ويا رجاء السعي النجيح !

تشاءم من تشاءم،ويئس من يئس وقال فريق : «ان املنا الحاضر كورق الخريف ، فاذا اخضر لا يلبث ان يتساقط ضعفا ووهنا » .

اما نحن فلا ننسى اذ ننسى ايتنا الكبرى :

«ما دام مولد نبينا العربي في ربيع ، فاملنا من المستقبل كورق الربيع في الربيع» .

* * *

الاصلاحات العثمانية ومكانة العرب الذاتية[1]

لم تأنس الدولة باصلاح شأنها ، ولم تجنح الى تقويم اودها ، الا في القرن الاخير ، إذ أطبقت عليها الشدائد من كل دانية وقاصية ، وخير الاعتبار ما خلص عن محنة او خسار .

واذا أنعمنا نظرا في ذلك القرن ، علمنا ان الدولة قد خطت في تحكيم الاصلاحات ستة مراحل كلها ترمي الى غاية واحدة هي التحدي باوروبا ، فمعنى الاصلاحات في الدولة العثمانية جعْل الدولة اوروبية في اوضاعها العامة ، تأثراً لما قد بنى عليه بطرس الأكبر اسس دولته وتمشى عليه الميكادو في صروح مملكته ، ونهض به اليوم ابن السماء في إقامة جمهوريته ، والامم تقاليد فوق تقاليد ، ويا خير امة تستطيع ان تنقي ذر الخبيث من القديم فتقيم احسن الحديث بديل العديم .

بدأ التحدي باوروبة او الاصلاح في المملكة العثمانية ايام السلطان محمود الثاني فكان اول عمل قام به للتأثير في اخلاق الامة ان لبس لباس اوروبة والبسه عماله . نعم ان الشيخ ليس بعمته ، ولكن غير نكير ان للظواهر تأثيرا في البواطن . فعل السلطان هذا ، ثم صدر امره سنة ١٨٣٥ باعلان الاصلاحات في إمارة الصرب على قاعدة الاستقلال الاداري .

هذه هي المرحلة الاولى من الاصلاحات ، قام من بعدها السلطان عبد المجيد ، فاعلن

---

(١) فتى العرب العدد ١١٩ ـ ١٥٥٣ ، ٣ ايار ١٩١٤ .

عند نصرة ابراهيم باشا «خطة الكلخاني» سنة ١٨٣٩ ، وفيه من اوروبة شيء جديد ، وهو ان حق العناصر والطوائف شرع في الحقوق والواجبات . ولكن ذلك « الخط» لم يجد من التأثير نصيبا ، ولم يلق من التطبيق وصلة او سبيلا ، وعلى مثله استمرت ارادات سنية ذات المراد في الاصلاح ، فلم تغن في ادارة البلاد فتيلا ، انتصرت الدولة مع حلفائها في حرب القرم على الروس ، فصدرت الارادة السنية اذ ذاك باعلان الاصلاح في المملكة ، فاستهلت له الدول ، وذكرته في معاهدة باريس ١٨٥٦ في المادة التاسعة ، حيث تقول «ان جلالة السلطان قد اصدر بتوسله المتواصل لرفاهية شعبه ارادة لاصلاح شأنه دون تمييز بين العناصر والاديان فالدول تعترف بقيمة هذه الارادة الثمينة ، فلا تتدخل لااجماعاً ولا افرادا في علاقات جلالته مع رعيته ، ولا في ادارة بلاده» .

ولكن العوائق لم تسمح لعبد المجيد بتنفيذ بغيته ، فقام مقامه السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦١ ، فانصرف همه لتعزيز الجيش والاسطول حتى ظهر على اسطول الروس غير ان تبذيره لم يترك له مجالا لاصلاح ادارة بلاده وارضاء عناصره ، فاندفعت البوسنة والهرسك سنة ١٨٧٥ الى ما لا خير فيه ، فأجمعت الدول على طلب الاصلاح من الدولة للولايتين ، فاصدر عبد العزيز ارادتين باعلان الاصلاحات ، وفي احداهما ما يأتي تعريبه «منذ اليوم تكون جماعة الجندرمة من الرجال المستقيمين» .

صدرت تلك الارادتان ولم تتخطيا حد الاعلان ، فسرى الاغبرار الى الصرب والجبل الاسود والبلغار ، فاجمعت الدول على ارسال مذكرة فصَّلت فيها ما يجب ادخاله من الاصلاحات في تلك الولايات ، فاجاب عبد العزيز بانه مانحها دون تلكؤ او اعجاز . غير ان الامر كان قد خرج عن حد الطوق ، فخلع عبد العزيز وخلفه مراد ، ثم عبد الحميد ، اذ كان البلقان على شعلة نار ، فكان ما كان ، حتى وضعت روسية وجوه الاصلاح في رمن في معاهدة سان استفانوس ثم جاءت انكلترة فسجلت ذلك الواجب في معاهدة قبرص ، ثم عززته الدول الست في معاهدة برلين .

ولما كانت سنة ١٨٨١ تألفت لجنة دولية فوضعت لمكدونية لائحة اصلاحية ، ولكن الدولة لم تشأ تنفيذها بما قد توهمت فيها من الشرور .

تلك هي المراحل الخمس التي ترددت فيها أمة الاصلاح في سني ٣٥ ، ٣٩ و ٥٦ و ٧٨ و ٨١ من القرن التاسع عشر في هذه المملكة .

واذا تدبر البحاثة الدقيق وجد ان كل هذه الاصلاحات العثمانية لم تكن ناشئة الا عن ارادة احد السلاطين ، او رغبة الدول الاجنبية ، وانه لم يوجد بين الشعب العثماني لذلك التاريخ قوم يرفع لاصلاح شأن عقيرته او يبدي ارادته ، حتى ظهر العرب في سنتهم الماضية من القرن العشرين يصرخون بملء قلوبهم ويطالبون بداعية انفسهم اصلاح شأنهم ، فالشعب العربي اول شعب قام منذ ستماية سنة في الجامعة العثمانية يضع بنفسه خطته الاصلاحية ، وهول عنصر ائتمر قومه لتأييد حقوقه القومية فالعرب يكتبون صفحة جديدة في

حياة الدولة العثمانية ، بان كانت حركتهم بين شعوبها اول حادثة وطنية ، ومؤتمرهم اول مؤتمر في التاريخ العثماني منذ عرف التاريخ العثماني .

وقصارى القول ان الاصلاحات العثمانية كانت تسوقها ارادة سلاطين او رغبة دول ، فلا الارمن ولا الصرب ولا البلغار ولا الجبل الاسود ولا البوسنة والهرسك وضعوا بانفسهم لائحة اصلاحية ، بل اوروبة هي التي املت لهم .

اما العرب فقد املوا بانفسهم لانفسهم ما يحتاجون . وهذا اية على كفاءتهم الذاتية ، وتفوق مراميهم الوطنية ، وسداد مداركهم السياسية . والفرق عظيم بين شعوب تتوسل بارادة غيرها ، وشعب يضع جماع ثقته بنفسه ، وهنا فخر العربي بذاته ، واذا انتسب العثمانيون فالعرب الى استقلال الرأي والمكانة الذاتية ينتسبون .

الا وان الشعب الذي لم يسبقه شعب من العثمانيين في وضع لائحة مثل لائحته ، او يقيم مؤتمرا مثل مؤتمره لشعب صادق في ارادته، جريء في عزيمته ، حر في سجيته ، قوي برجاله ، ومن استجمع هذا فلا يغمط له حق ، ولا يهاض له جناح .

فالعرب وثيقون بأنفسهم ، فخورون برجالهم ، بان كانوا ابلغ همة ، وابعد بصيرة ، واعز انفا من كل الشعوب العثمانية التي سبقتهم الى طلب الاصلاح ، اما اولئك الذين استسلموا الى اليأس والخور ، وانكمشت قلوبهم على التذمر في صدورهم . فليس لهم حق في الحياة ، لان اليائس لا يحق له ان يعيش . كما ان المتذمر لا يحق له في السياسة ان يطيش . نعم ان ما ادلت به الحكومة من الاصلاحات للعرب ، فليس الا الغيض من الفيض . ولكن العاقل يا قومنا لا يتذمر من دولته ، ولا يسترسل الى اليأس في لجلجته اما ، ونحن الذين رفعوا الدولة الى احكام امرنا ، فالخير العام عام ولو استمهل .

وعليه فنحن ننكر على الذين يندفعون لغير التعقل والروية ، ونستحلفهم باسم ما عز في نفوسهم ، وشرف ماكرم في اخلاقهم ، ان يتدبروا كثيرا ، ولا يغبروا يسيرا ، فالدولة دولتهم والوطن وطنهم .

هذا ما نقوله لقومنا . اما الذين يدعون بان العرب قد غاروا بعد ان فاروا فساسة مخطئون ، وعليه فانا نستحلف ساسة الاستانة كما استحلفنا قومنا ، بان يسرعوا في صدقهم ، ويلبوا اخوانهم ، فالعرب ركنهم المكين ان وهوا فاولئك قد هووا ، وقاعدة ملكهم الركين ، ان قعدوا فبهم قد ربض ؛ وان نهضوا فبهم قد نهض .

* * *

بين الاتفاق والتحالف[1]

بعد ان كانت مقدرات الامم تجري برأي الفرد ، أصبحت تجري برأي الجماعة . وما لبث هذا العهد ان تحول من رأي جماعة الى رأي جماعات . وعليه انقسمت اوروبة الى شطرين ، شطر التحالف وشطر الاتفاق . والفرق عظيم بين الاسمين ، ولو كانت النتائج واحدة . فالتحالف بمعناه أقوى من الاتفاق ، لان الاول يدل على مواثيق وثيقة قائمة بذاتها ، اما الاتفاق فهو أقل من هذا المعنى . فانما هو يقوم على ادنى من الوثائق الدولية الكبرى . وعليه فالمحالفة الثلاثية اقوى معنى في الحق الدولي من الاتفاق . ولو كان الامر انهما يؤديان الى غاية واحدة .

غير ان كبار الساسة من فريق الاتفاق يسعون اليوم في أن يتحول هذا الاتفاق الى محالفة رسمية كالمحالفة الثلاثية ، فيرجع كل ما يتعلق بأية دولة من دول الاتفاق في الامور الخارجية الى الدول الثلاث ، بحيث لا تعمل واحدة الا برأي الثلاث ، كما تسير المحالفة في جميع أمورها .

سعى الى هذه الخطة ـ خطة تحويل كل الأمور الى المذاكرة المشتركة بين دول الاتفاق ـ السير ادوارد غراي ، وما زال يعمل عليها حتى يومنا هذا .

كانت سياسة انكلترة بعد معاهدة التصفية الكبرى التي انهت فيها كل المشكلات بينها وبين فرنسة ، تسير دون معارضة مع سياسة صديقتها . ولكن السير ادوارد غراي منذ تولى الامور الخارجية ، أصبح همه الاكبر ان يجعل خطتي الدولتين متجهتين ، في وجهة واحدة ، للتقرب من معنى المحالفة . وهذا قد شاهدناه في حوادث البلقان الاخيرة .

وما زال غراي يسعى سعيه الحثيث نحو هذه الغاية ، حتى جرت أمس زيارة جورج الخامس وغراي وكثير من رجال السياسة الخارجية باريس ، فتعلقت النفوس بتحقيق المحالفة بدلا من الاتفاق ، ليتم التحالف بكل معانيه ، كما هي الحالة بين المانيا والنمسا وايطاليا .

نعم ان الاتفاق خطا خطوة واسعة نحو التحالف بان كانت معاهدة فرنسة مع روسية في سنة ١٨٩١ معاهدة تحالف ، فلم يبق لاجل تحويل الاتفاق الثلاثي الى محالفة سوى ان ينقلب اتفاق ١٩٠٤ بين فرنسة وانكلتره الى تحالف ايضا .

ولا يبعد ان تكون زيارة غراي ورجاله موضوع هذا البحث ، لا سيما ان غراي قد اختلى مع سفير روسيا ودومرغ رئيس الوزارة الفرنسية وكل رجاله المشتغلين بالصفة الرسمية في السياسة الخارجية عدة جلسات ، صدر من بعدها منشور جاء فيه ان ستكون سياسة الدولتين بعد اليوم في مجرى واحد ، بحيث تتأمن الموازنة الدولية ، ويتحقق معنى المدنية ويتوطد السلم العام ، لان الدولتين قد اتفقتا على كل ما يتعلق بمصالحهما في العالم .

---

(١) فتى العرب العدد ١٢١ ـ ٥،١٥٥ ايار ١٩١٤ .

هذا ما قد جاء في المنشور الرسمي ، فاسرعت صحافة الدولتين الى الذهاب فيه مذاهب شتى ، واكثرهم قد رَجح ان الدولتين قد دخلتا رسميا بصفة التحالف بعد الاتفاق . وقد قالت صحافة المحالفة الثلاثية عن هذه الخلوات والاجتماعات ان المذكرات قد دارت على امور شتى واتفقت الدولتان عليها واهمها «(١) السيادة على البحر المتوسط للاتفاق دون غيرها (٢) المرور عن طريق الهند (٣) السياسة في اسيا الصغرى (٤) توحيد العمل في الشرق الأدنى » .

ذلك ما قد رددته صحافة الالمان من الامور التي اتفق عليها الفريقان . اما انقلاب الاتفاق الى التحالف فقد انكرته الحكومتان ، واسرعت حكومة الروس الى انكاره . وسرعة الانكار من المصادر الرسمية الكبرى ، لدليل على وجوب انكار الانكار . فلو لم تكن هناك مصلحة للتكتم على هذا الامر ، لما اسرعت الدول الثلاث الى انكاره دفعة واحدة .

ويظهر من قرائن الاحوال ان الاتفاق قد جرى فيه شيء غير يسير ، لا سيما ان البرقيات قد انبأت بأن رئيس الجمهورية سيسافر بعد حين للمقابلة مع قيصر الروس .

فالحركة في السياسة الدولية مضطربة ، لا يكاد يمزق مرماها الا من تطاولوا الى مقاعد الوزراء . وليس كل الوزارة . واذا تدبرنا قليلا علمنا ان رغبة الاتفاق في تحويل اتفاقه الى تحالف ، لم تبن الا لغاية كبرى وعمل كبير ، او لحفظ الموازنة مع المحالفة لان المحالفة قد خطت خطوة جديدة على ما يظهر في سياستها الخارجية ، بحيث أصبح كل أمر من أمور كل دولة ، ولو كان لا يمس الا دولة واحدة ، قد يتفق عليه ، والكلمة العليا تصدر من برلين .

جرت مقابلة باريس بعد ان جرت مقابلة ابازيا ، حيث اجتمع مديرو سياسة النمسا وايطاليا بعد ان اجتمعوا بغليوم رئيس المحالفة . وقد كنا ذكرنا اكثر الامور التي ترمي اليها المحالفة ، وما قد قررته في مقابلة ابازيا ، ويمكننا اختصارها في هذا الباب . وهي الاتفاق «١» على السياسة في البحر الادرياتيكي «٢» على سياسة البحر المتوسط «٣» في اسيا الصغرى .

فمقابلة ابازيا انتجت مقابلة باريس ، ويمكن ان تكون مقابلة باريس غير صدى لتلك المقابلة . ولكن المتدبر في موضوعات المقابلتين يجد ان الغاية تكاد تكون واحدة . فالبحر المتوسط واسيا الصغرى كانا من غايات المقابلتين ، ولا شك ان اتفاق هؤلاء سيكون معارضا لاتفاق اولئك .

هذا ما قد جرى . وبما ان الامر يتعلق بالبحر المتوسط وبآسيا الصغرى ، فقد يهمنا ان نعلم اي الفريقين سيكون مهاجما في خطته وايهما مدافعا .

هنا ستتوقف الامور السياسية اذهان المشتغلين في السياسة للايضاح ، واستقراء حركة الفريقين . ولكن اذا اعتقدنا ان مقابلة باريس كانت من نتائج مقابلة ابازيا ، فالاتفاق الثلاثي في سبيل الدفاع لا الهجوم ، وعليه يصح ان تميل الدولة العلية اليه . ولكن السياسة لا تبنى على الظنون ، فربما كانت المقابلتان على سبيل الهجوم ، وهناك الويل بل الويلات ، ولكل من الامم ما تستحقه ، فان احتاطت لنفسها فخيرا تصنع ، وان غفلت عن نفسها فالى ضررها تسعى .

حرب جنسية لا حرب انتقام[1]

بعد ان كانت الحروب تتلظى لهبا في سبيل المجد والفخار ، ودفع السبة والعار ، عمد ارباب الرياسات الى اصلائها في جلب المغانم ودفع المغارم ، فما من حرب تعلن في يومنا الا لحياة شعب ومرافق جماعة .

فحربنا الحاضرة لم تنشب لدرء سبة القتل وغسل العار ، بل لتأييد خطة موضوعة منذ نصف قرن لحياة الشعوب ، وما حياة الشعوب الا بموت الشعوب . ففعلة « برنشيب » لم تكن دافعة لهذه الحرب بل حجة لجأ اليها ارباب الرياسة . وما الحوادث ، بل وما الاديان ، الا عوامل تسخرها السياسة في هذا القرن لبلوغ المآرب والوصول الى المطالب .

اذا عرفنا هذا عن النمسا ، فأيّ مأرب تبغي ، والى ايّ مطلب ترمي ؟

ـ الجواب عن ذلك يتطلب التفصيل ، فاليه نسترعي الاسماع .

كانت سياسة النمسا منذ قرون ترمي الى الاستعمار في بطن اوروبة وغرب البلاد . اما وقد اطبقت عليها معاهدة « فيللا فرنكا » ومعاهدة « زوريخ » لسنة ١٨٥٩ من جانب الطليان ، وسدت عليها المنافذ معاهدة « براغ » لسنة ١٨٦٦ من جانب الالمان ، توجهت عنايتها الى الفتح في الشرق ، فوضعت خطتها في أمورها الخارجية على قاعدة (ناء اوستن درنكين) اي (الى فتح الشرق) ، تريد بذلك البلقان وما البلقان بيسير .

استرسلت النمسا في تطبيق هذه القاعدة ، فكان ذلك العهد بدء نمو العنصرية ، وعهد تكوين الدول على مبدأ الجنسية ، فوجدت في البلقان من الصقالبة سداً يحول دون غايتها ، ورتاجا يقف دون وجهتها ، فتراجعت تتحد مع ابناء جنسها الالمان لتظهر على ذلك السد المنيع ، فتكوّن من ثم في السياسة الخارجية مبدأ جديد لم يكن من قبل ، يعرف بالجنسية الجرمنية ازاء الجنسية الصقلبية ، وفي زعامة الاولى اولئك الالمان والنمساويون ، وفي زعامة الثانية اولئك الروس والصرب ومن اتصل بلحمتهم .

فكانت اكثر الحوادث التي تثور في البلقان تدافعا بين هاتين الجنسيتين . فاما الجرمنية ، واما الصقلبية ، فالجرمنية تريد اثقال الصقلبية بحيث ترزح فيمتد نفوذها على تراجعها . والصقلبية تريد اكتساح الجرمنية فتردها الى حيث مرجعها . وما جل تاريخ البلقان الحاضر الا مجموعة حوادث لا تخرج عن احدى هاتين الغايتين :

بدأ الروس في توطيد الصقلبية في البلقان على يد الرومان ، فأحكمت عليهم حمايتهم في سنة ١٨٤٨ ، حتى كان مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ ، ففكت به الدول أغلال الحماية عنهم ، وتقلص نفوذ الصقالبة في البلقان خاسرا .

مضى عشرون سنة على ذلك العهد ، فعاود الروس الكرة ، وظهرت الصقلبية في البلقان ، وفي طلائعها بوادر الغلب والرجحان . هنالك جاشت عصبية الجرمنية ، فأفسد

---

(١) فتى العرب العدد ـ ١٨٦ ـ ١٦٢٠ ، ٤ آب ١٩١٤ .

بسمارك ما وضعه الروس بعضْ الافساد ، واخْرج البوسنة والهرسك من نفوذ الصقلبية الى دائرة الجرمنية ، فمؤتمر برلين قد انتهى في سنة ١٨٧٨ ، مع استفادة الجرمنية بعض الاستفادة برجحان الصقلبية كل الرجحان ، وذلك ان الروس قد اقاموا في وجه الجرمنية امارة الجبل الأسود ، ودولة الصرب ، وامارة البلغار ودولة الرومان ، فاقتطعوا من املاك الدولة العثمانية سدودا اعترفت الدول جميعا بكيانها ، لئلا تكون طعمة للجرمن الزاحفين .

هاتان مرحلتان في التغالب بين الجرمنية والصقلبية ، ومن ثم اضمر الفريقان الويل والثبور ، وانتظر الجمعان تداول الحوادث للظهور ، حتى اشتعلت الحرب منذ سنة ، فاشتعلت رؤوس وتساقطت جماجم ، وكانت النتيجة ان قضى الاتفاق الثلاثي قضاء مبرما على آمال الجرمنية في معاهدة (لوندره) ، كما قضى عليها في مؤتمر برلين . فعظمت دول البلقان ، ونفذت شوكة الصقالبة ايما نفوذ ، وقال ارباب السياسة ان فشل المحالفة في البلقان درس لقاعدة « ناء اوستن درنكين » ، وان معاهدة « بخارست » قطعت على النمسا آمالها في الشرق ، كما قطعت تلك المعاهدات آمالها في الغرب ، فخسرت سلانيك ، وذهبت املاك الدولة العثمانية لدول البلقان ، بعد ان كانت النمسا ترتقب اليها مخرجا .

فشلت الجرمنية ايما فشل ، وتطاولت عليها الصقلبية بكف الاسد ، فماذا يفعل زعماؤها بعد هذا الاندحار ؟

ان الحوادث في السياسة لخير مرتقب ، فاذا طال امدها سعى الساسة في ابتداعها ذريعة لتحقيق ما يضمرون . ففعلة « برنشيب » اول حادثة ظهرت بعد ذلك الفشل ، فاستعملتها النمسا للرجوع الى قاعدتها الاصلية « الى فتح الشرق » ، فشهرت الحرب ، وما هذه الحرب الا حرب بين الجرمنية والصقلبية ، وسلسلة للحروب الاولى . فهي حرب جنسية لا حرب انتقام ، حرب مصلحة لا حرب فخار ، حرب حياة او حرب موت .

وعليه يتضح للناس بسبب تأهب الروس وحشد الجيوش ، وسبب نصرة الالمان وتهديد كل عقيرة ترتفع في وجه الحليف ، لأن الأمر أمر حياة لا ثأر قتيل ، ولا انتقام ولي . فالجرمنية تريد اليوم العظمة على انقاض الصقلبية ، والصقلبية تلوب حول دفع الاخطار من ذلك التيار . فاذا رأى الروس انهم عمادها وان نجاح الامال قرين الاعمال خاضوها مستهلكين ، والا تراجعوا عنها منكمشين بضعضعة الصرب الى حين .

اما سبب هذه النشأة الجرمنية ، وجعلها قاعدة من قواعد الالمان الرئيسية ، حتى اصبحت العامل الاكبر بل والحركة العظمى في الاخطار الدولية ، فذلك ان فلسفة الالمان السياسية قد خالجت قلب كل فتى من فتيان الالمان ، بما كان ينشره المتشرعون الاعاظم من هذا الجيل بين رجال ذلك القبيل .

وما تلك الفلسفة الا مبنية على شيء واحد هو الثقة الكبرى بذات الشعب . ويمكننا ان نجتزىء عنها بقولهم « ان الالمان شعب لا اصلح منه فطرة ، فذكاؤه لا تطفأ له جذوة ، ومضاؤه لا تخبو له نار ، وادراكه لا يحد له حد ، ومقدرته لا يحصى لها عد ، لذلك وجب عليه

ان يرأس الامم ليقود منها الضعفاء الى خير المدنية وسعادة الحياة » .

تلك هي فلسفة الالمان السياسية ، وعليها قد جرى الأبناء الناهضون ، ليمكّن لهم في الأرض ويظهروا على الناس اجمعين ، وما الحرب الحاضرة الا وقود تلك الدعوة الجرمتية والنشأة الالمانية ، فان اخفقت في مرماها فلها ما بعدها ، وان فازت فذلك هو المبتغى .

اتينا على هذا ليعلم قومنا ان كل المتشرعين في العالم يغرسون في ابنائهم انهم أعلى الامم كعبا ، واشد الناس مراسا ، وخير البشر صلاحا ، لتبلغ بهم الثقة أشدها ، وتعمل فيهم الرجولة معملها ، واي شعب يفقد هذه الثقة من نفسه فانذره بغلبة غيره .

وهنا مجال للتدبر والتبصر فيما جاء على لسان صاحب الشرع الاعظم من القول الحكيم « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

فاستوثقنا بأنفسنا فابتنينا من المجد ما ابتنينا ، وما زلنا حتى تسحبت تلك الثقة من صدورنا ، فبدلنا الكيفية فابتلينا بنقصان المزية ، ولكل شعب ما استحقه .

* * *

المحالفة والاتفاق[1]

تتنقل اليوم كلمة المحالفة والاتفاق في كل الانحاء والآفاق . وقليل من الناس من يعلم كيف وضع هذان العهدان ، والى اية غاية يرميان . فتبيانا لما فيهما من الدقائق نسترعي الابصار فنقول :

ان الذين وضعوا اسس المحالفة والاتفاق ثلاثة رجال : بسمارك وريبو ودلكاسه . فهم الذين قسموا اوروبة الى شطرين ، فريق يناصب خصمه العداء ، وفريق يذكي البغضاء ، واذا تقصينا في حقيقة الأمر ايقنا ان الذي انزل اوروبة في هذه الصيغة الحاضرة بسمارك ليس الا . وما عمل ريبو ودلكاسه ومن سار سيرتهما الا كيدا لكيد . فبسمارك مقتحم في عمله واولئك هم المدافعون .

كوّن بسمارك امته ، ونال من فرنسة بغيته ، فرأى من الحكمة ان تستحكم في الغرب سيادته ، وتتمكن سلطته ، فتقرب من فرنسة زلفى ، يلطف لها في سياسة الاستعمار ، ليشغلها في الفتح البعيد دون ان تجد متسعا من الانتقام القريب . وبذلك يأمن منها جانبا ، ويمهد لنفسه في أوروبة مستناخا طيبا . وليوقع بينها وبين انكلترة في مجتمع من مجال الاستعمار ، حيث يتصادم الفريقان ، ومن ثم لا تتحد عليه الدولتان .

ذلك ما اليه رمى وما اليه وصل . ولكن بسمارك لم يستنم الى حسن العاقبة . فقد رأى ان فرنسة قد دفعت غرامتها في اقل من ثلاثة اشهر ، واستجمعت قواها على منتهاها في اقل

---

(١) فتى العرب العدد ١٨٧ ـ ١٦٢١ ، ٥ آب ١٩١٤ .

من خمس سنوات ، فسارع الى المحالفات الدولية ليقطع عليها اوصال غيرها . فأسّر ما يضمره الى النمسا ، فلبت طلبه في سنة ١٨٧٩ . وكانت هي المرحلة الاولى من عقد المحالفة الثلاثية ، على ما يأتي بيانه . وغاية هذه المحالفة قطع الصلة بين فرنسا والنمسا ، واتقاء هجمات الروس عند اختباط الازمات وطيشُ الحركات .

ولكن بسمارك قد أوجس خيفة من تحالف الطليان مع الفرنسيس ، لما بين اولئك والنمساويين من الشحناء ، واستفحال البغضاء . فارتقب الفرصة يغتنمها . واذ وقعت تونس تحت مطمح فرنسا ومطمح ايطاليا ، فاتخذ بسمارك سياسة التشجيع للاولى حتى تتنافر مع الثانية ، فيلجأ الطليان اليه دون ان يوسعوا مجالا للاتفاق عليه . وقد كان ما اراد بسمارك ، فتنافر الفريقان نفرة دفعت ايطاليا الى صداقة دولة من دول اوروبة ، فلم تجد امامها غير بسمارك ، فعمدت اليه وعقدت المحالفة في سنة ١٨٨٢ على يديه ، فتمت اركان المحالفة الثلاثية في سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٢ . فاكرم بدهاء رجل يدبر حركات الامم طوع ارادته لبلوغ غايته .

لم يكتف بسمارك بما فعل ، فانه بعد ان عقد المحالفة الثلاثية ، خشي ان يقترب الفرنسيس من الروس ، فقطع عليهم الطريق بأن أسرع في سنة ١٨٨٤ ، فعقد مع هؤلاء محالفة « التأكيد على التأكيد » .

هذا ما فعله بسمارك فابقى فرنسا وحيدة في اوروبة لا تستطيع حراكا ، ولا تبدي في مهام الامور ولا تعيد ، فظهر بالمحالفة ظهور المسيطر القدير ، فلا يبرم في اوروبة امر إلا حسب مبتغاه ، ولا تحل عقدة الا على مشتهاه .

مضت هذه السنوات وفوق فرنسا ظلمات فوقها ظلمات ، تعمل الفكرة فيما آلت اليه الحال ، فتستوحش من خطر الوحدة والاعتزال . ولكن انّى لها تلافي ما قد فات ، وانكلترة تغبر عليها ، وتتنكر في وجهها من سياسة الاستعمار .

بينا كانت فرنسا تضيق عليها الانفاس ، إذ أفسحت لها الحوادث ما افسحت ، فاعتزل بسمارك السياسة في سنة ١٨٩٠ ، وانتهت محالفة « التأكيد على التأكيد » ، فلم يشأ الروس التجديد ، فسارعت فرنسا تبتاع صداقتهم بأن قدمت لهم من المال ما تعجز عنه خزائن الأرض ، فاشترت عواطفهم وتمكنت من قلوبهم . ولما استوثق الفريقان دلف بالقربى اليهم رئيس الوزارة ريبو ، فعقد المحالفة في سنة ١٨٩١ ، وما لبث ان عقد الاتفاق الحربي اسس الاتفاق الثلاثي .

عقد الاتفاق الحربي بين فرنسا وروسيا ، فاختلجت المحالفة الثلاثية . اذ وجدت على جنباتها قوة لم تكن من قبل ، فتنزلت المانيا عن سيادتها وسيطرتها في اوروبة بعض التنزل . ولكن فرنسا لم تقتصر بذلك الاتفاق ، لانه اقل من المحالفة الثلاثية شانا ، واصغر عدة وعدداً ، فحاولت في سنة ١٨٩٨ ان تحل كل المشكلات الاستعمارية مع انكلترة ، ارادة ان تجرها الى الاتفاق ، فحلت معضلات مدلهمة دون ان تمد لها يد .

مضى ست سنوات على ذلك العهد ، فاعتلى دلكاسه كرسي السياسة الخارجية ، فتمكن بمقدرته العظمى ان يحل كل المعضلات الاستعمارية التي بعثها بسمارك بينهما ، وان يقتادها فيخرجها عن سياستها المعروفة « بالحياد الجميل » ، ويعقد معها في سنة ١٩٠٤ معاهدة عرفت « بمعاهدة التصفية الكبرى » فتم بها الركن الاعظم للاتفاق الثلاثي . وبها زالت سيادة الالمان التي كانوا يعتزون بها على الامم الاوروبية منذ سنة السبعين .

نعم اذا كان بسمارك اكبر رجل أدار حركات الامم ، حتى أصبحت من أثره كل المشكلات الاوروبية والمخاطر الدولية ، فدلكاسه من اعاظم الرجال واكابرهم ، لأن الكبير من يستطيع درء خطر الكبير .

اما احكام حلقات الاتفاق الثلاثي فلم يتم الاّ في سنة ١٩٠٧ ، اذ سعت فرنسا بين انكلترة وروسيا ، فزال الاختلاف وساد الوفاق ، حتى اصبحت فرنسا وانكلترة وروسيا كتلة واحدة ازاء كتلة المحالفة الثلاثية . وبذلك تم « توازن اوروبة » فحقنت الدماء ردحاً ليس باليسير .

فالمحالفة قامت على يد الالمان يريدون سيادة البشر . والاتفاق قد تكوّن من أجل الالمان ليرد هذه السيادة ، فتكون على حد التوازن . فالمحالفة هجومية في وضعها ، والاتفاق دفاعي في معناه ، وما حربنا الحاضرة الا اثر من ذلك التزاحم ، وهذا التدافع ، ولا يستطيع ان يرجم احد في الغيب فيعلم من هم الغالبون .

ذلك ما احببنا بسطه للقراء ليعلموا كيف تكونت هاتان الكتلتان ، ويقفوا على الاسباب الداعية لهذا التكوين . وانا كاتبون في عدد الغد بعض النصوص من هذه المعاهدات الكبرى وما الغد ببعيد .

* * *

العهود والقيود[1]

اسلفنا امس ان المحالفة اقـام بسمارك غمادها ، للاحتفاظ بما قد نال من الرفعة والمجد فكان دأبه ان يكثر من التحالف ، ليقطع على الدول طريق الانتقام والانتقاص . وان المحالفة الالمانية ـ النمساوية قد بنيت لرد هجمات الروس ، وتجاوز الفرنسيس . واليك تعريب ما يتعلق بموضوعنا من هذا العهد :

البند الأول « اذا هاجمت روسيا احدى المملكتين اي « الالمانية او النمسوية » خلافا للمأمول ، ورغبة المتعاقدين ، فيتعهد الفريقان بأن يتعاونا بكل قواهما الحربية ، وبأن لا يعقد الصلح الا بالاشتراك والاتفاق » .

---

(١) فتى العرب العدد ـ ١٨٨ ـ ١٦٢٢ ، ٦ آب ١٩١٤ .

من هذا النص يعلم القراء لماذا اعلنت المانيا الحرب على روسيا ، بعد ان شهرت روسيا الحرب على النمسا . فالنص صريح لا يحتاج الى توضيح . وبسمارك يريد من هذا النص ان لا تنتقص ارض الالمان ، ولا أرض النمسا ، فيبقى له ما كسب .

البند الثاني « اذا هاجمت دولة غير روسيا احد المتعاقدين العظيمين ، فيتعهد الفريق الآخر بهذا الصك بأن يلزم على الأقل الحياد نحو حليفه . اما اذا كانت الدولة المهاجمة تؤيدها الدولة الروسية ، سواء بالاشتراك الفعلي او بالوسائل الحربية التي تهدد الدولة المهاجمة ، فالتعهد المتبادل بكل القوى الحربية واجب تنفيذه حالا ، كما اشترط في البند الأول . وكل الحركات الحربية تُدار في هذه الأحوال بالاشتراك الى ان يتم الصلح » .

فبسمارك لا يقصد بهذا البند الا فرنسا . ولو كانت فرنسا هي التي اعلنت الحرب على النمسا فلا يضطر بسمارك الى خوض الغمار ، بل اذا شاء خاضه ، واذا شاء رفضه غير ملوم .

اما المحالفة الالمانية ـ الايطالية فلا تزال قيد الاسرار السياسية . ولكن تصريحات الوزراء قد دلت على ان غايتها كغاية المحالفة الالمانية ـ النمساوية ، وهي ان يتعهد الفريقان بالتعاون اذا هوجمت احداهما في أراضيها والفصل بين الاثنتين . ان المحالفة الالمانية النمساوية لم يوقت لها اجل بخلاف الثانية فان اجلها قد تحدد لخمس سنوات ثم تمدد في سنة ١٨٨٧ و ١٨٩٢ و ١٩١٣ الى ١٩١٥ .

ولهذا فان ايطاليا لم تشترك في الحرب الحاضرة ، لأن شرط الاشتراك ان تكون احدى الدولتين مدافعة . فأمّا المانيا فانها مهاجمة ، ولو ان روسيا قد اعلنت الحرب على المانيا ، ولم تعلنها على النمسا ، لكانت ايطاليا مسوقة اليها بضرورة العهد السياسي . ولا تضطر ايطاليا الى اعلان الحرب ، الا اذا اعلنت فرنسا العداء على المانيا ، فهنالك يجب تطبيق البند الثاني من المحالفة ، لأن فرنسا تعضدها الدولة الروسية بالاشتراك الفعلي وبالوسائل الحربية . فدخول فرنسا في الحرب مهاجمة قاض على ايطاليا بأن تسرع في التلبية وخوض الغمار ـ هذا هو نص المحالفة الثلاثية لسنة ١٨٨٢ ، اللهم الا اذا كانت المحالفة قد تنقحت ايام التجديد ، وهذا يتبين في الزمن القريب .

ذلك ما قد كان بعضه ، وما قد يكون كله . لأن المحالفة الثلاثية لا تدور الا على هذا المحور ليس الا . اما الاتفاق الثلاثي فان شأنه اضعف رابطة واقل احكاما ، لأن المحالفة اقوى من الاتفاق معنى . ولكن اشتباك المصلحة ، واشتراك المنفعة ، بتوقيف الالمان عن نموهم ، والأخذ بالحيطة من هذا الخطر الهائل ، قد دفع ارباب الاتفاق الثلاثي ، ان يكونوا اشد عونا واثبت قدما ، ولو كان امرهم اتفاقا وامر اولئك تحالفاً .

ان الاتفاق بين فرنسا وروسيا حربي ، يقضي ان يعين احد المتعاقدين الآخر بكل قواه ، فيما اذا كان في حرب دفاعية . وعليه قد اضطرت فرنسا الى اعلان الحرب على المانيا ، كما توافت الانباء البرقية ، لأن حليفتها روسيا في موقف الدفاع لا الهجوم ازاء الالمان .

ولكن ذلك سيجر الى اعلان حرب جديدة ، فتعلن النمسا الحرب على فرنسا ، لأنها قد اعلنتها على المانيا. فالمانيا قد اصبحت في نظر النمسا مدافعة من جانب الفرنسيس حلفاء الروس . وذلك ما يعنيه البند الثاني من المحالفة الثلاثية ، وكذلك الطليان ، فانهم عملا بهذا البند سيسارعون الى اصلاء الحرب على الفرنسيس ، اللهم الا اذا كانت قد تنقحت المعاهدة بينهم وبين الالمان ، وبقي هذا الأمر من اسرار السياسة ، لا يكشف له نقاب ، ولا يمزق له حجاب .

اما الاتفاق بين فرنسا وانكلترة فانه يتناول مصر ومراكش وغيرهما من المستعمرات ، ويقضي على انكلترة بتقديم ماية وخمسين الف جندي الى فرنسا ، اذا دخلت في حرب دفاعية ، عدا عما هنالك من الاتفاق البحري الذي عقد في مالطة في سنة ١٩١١ ، فان عليه المعول في كل الحركات الحربية البحرية ، وعليه سيكون الاتكال في فصل القتال .

وما اتفاق انكلترة وروسيا الا اتفاق مبني على تحديد النفوذ في العجم والافغان وجبال تيبت . وليس في الاتفاق عهود حربية مطلقا ، كما جاء في اتفاق فرنسا وروسيا ، واتفاق انكلترة وفرنسا . غير ان انكلترة مضطرة بسائق المنفعة واشتراك المصلحة الى تذليل الالمان بأي وجه كان . فهي لا تتأخر عن ان تحشد اساطيلها كلها ، فتتبطن البحار اذا لاحت لها بوادر الفوز ، ولو لم يكن هنالك عهد او ميثاق بينها وبين الروس .

والذي يترجح لدينا ان انكلترة مهما كانت مسوقة بضرورة المصلحة والمنفعة ، فهي لا تدخل الحرب بادىء بدء مباشرة ، بل اذا عزمت على المناوأة فلن تقدم الا بعد تلاشي القوى ، وان خطتها في هذه الحرب الكبيرة خطة ترقب وتجسس وحتى يتبين لها الصبح عن وضح النجح .

* * *

لكل جيل صولة ولكل قرن نزوة[1]

نريد بذلك ان اوروبة تتقاذف حمما وتتساقط رمما في رأس كل جيل ، فتلتحم اكثر الدول الكبرى حتى يكل زنادها ويتقوض عمادها ، فتسرع الى المهادنة والمصافحة الى حين تشعر ان ساعدهاقد استند، ومراسها قد اشتد ، فتعاود الكرة على نغمتها الاولى كأن الحرب العالمية في طليعة كل قرن أثر من التقاليد تستمسك به الدول استمساك اللاعب بالمصافقة ، فاما رغدا واسعا واما قضاء مبرما .

بدأت الحروب العامة تتوالى بأوروبة في رأس كل جيل منذ القرن السادس عشر . فأول

---

(١) فتى العرب ، العدد ١٨٩ ـ١٦٢٣ ،٧ آب سنة ١٩١٤ .

الحروب التي اشغلت الأمم على هذا الوجه حرب الاديان ، فقد اشعلها « لوثر » في سنة ١٥١٧ ، فاختبطت اوروبة اختباطا دخلت فيه النمسا والمانيا وفرنسا وانكلترة وسويسرا وأسوج ، فاشتعل رأسها شيبا من هول هذه الحرب الطاحنة ، حتى تقلصت ومذهب « لوثر » وطيد بين تلك الامم ..

دخل القرن السابع عشر فتطايرت حرب الثلاثين في سنة ١٦١٨ بالشرر ، وهي حرب سياسية دينية ، تمخضت على أيدي النمسا ، فخلصت الى الفرنسيس والدانمرك والاسوج ، حتى كتب النصر لفرنسا ، وسيوفها تقطر من دماء النمساويين ، اذ ظهرت عليهم ظهور المسيطرين .

انتهى هذا القرن ، وظهر القرن الثامن عشر ، وفيه تناثرت حرب « وراثة الاسبان » بين فرنسا وانكلترة والنمسا وهولاندة ، فقصفت من بينهم اعمارا ، وأجرت من دمائهم انهارا ، حتى خمدت في معاهدات (اترك) في سنة ١٧١٣ . وكانت في جانب الفرنسيس ، اذ اعتاضت بقية الدول بما قد تراضت به عن طيب خاطر .

مضى القرن الثامن عشر فأعقبه التاسع عشر ، وفي رأسه حرب دكت العروش من أركانها ، وقلبت البلاد على سكانها ، اذ اعتلى فيه الفرنسيس ظهر اوروبة بجرأة قائدهم الكبير ، فاكتسحوا كل الممالك يصبغونها على ما يشتهون ، حتى ارتدت عليهم اوروبة تئخن في فتكها ، وتجهز في قتلها ، وفي رأس الزعامة اولئك الروس والبروس والانكليز والنمساويون يهشمون منهم عظما ، ويأكلون من ابنائهم لحما ، حتى وضعت الحرب اوزارها ، فاجتمع مؤتمر فينا في سنة ١٨١٥ ، وهو اعظم مؤتمر في التاريخ لذلك العهد . فقد ضمّ اليه سبعة وخمسين دولة مستقلة ، ومائة وسبعة طلاب يداعون اصحاب السلطة بما قد سقط من ايديهم من حق الملك ، فكان المؤتمر غنما في غرم الفرنسيس .

مضت اربعة قرون على هذا الوجه ، وكأن تواريخ ١٥١٧ و١٦١٨ و١٧١٣ و١٨١٥ قد ايقظت في يومنا تاريخ ١٩١٤ من رأس القرن العشرين للقيام بالحرب العامة بين دول اوروبة ، مصداقا لما قلنا عن تقاليد رؤوس القرون ، ولكن هذا التاريخ تاريخ ولا كالتواريخ ، ففيه يبرم كل عسر لا تحل عقده ، الا على رؤوس الضعفاء المتخاذلين .

نعم اذا كان مؤتمر « فينا » لا يعاد لكثرة اركانه ، فالمؤتمر الجديد لهذه الحرب لا يماثل في سلطانه ، ففيه ستتغير الأرض غير الأرض ، وتبدل الامم غير الامم ، وكما ان التاريخ قد تقسم الى التاريخ القديم وتاريخ القرون الوسطى والتاريخ الحديث ، وتاريخ القرون الحاضرة ، فكذلك سيكون هذا المؤتمر ميقاتا لتسمية القرون الآتية تسمية حديثة وعهدا جديدا للتاريخ الجديد . وما نحن على ذلك من الحدس في شيء ، فلسوف ينجلي القول عن اليقين .

واذا كانت حرب رأس القرن الماضي هائلة عظيمة ، يتقاتل في ساحاتها ثلاثة ملايين من البشر ، فحرب رأس القرن الحاضر يسترخص فيها النفس عشرون مليون رجل ، عدا عمّا

هنالك من قوة المنشـآت الجواري في البحار .

اما اجتماع هذه القوى المتطاحنة فستة ملايين من الالمان ، ومليونان من النمساويين ، ومليون ونصف من الطليان « اذا خاضوها » ، وخمسة ملايين من الروس ، وثلاثة ملايين ونصف من الفرنسيس ، ومليون واحد من الانكليز ، ومليون من الصرب والجبل الاسود والبلجيك .

فالقوى الحربية بين المحالفة والاتفاق تكاد تكون متساوية في العدد ، الا ان جيش الالمان جيش منظم على خير طراز واحسن عدة ، ولكن ذلك ليس بشرط لضمان الفوز ، فكم من خطأ واحد في خطوة واحدة ، تموت به همم وتحيا أمم .

غير ان المحالفة اذا فاقت الاتفاق حربا ، فالاتفاق قد فاتها بحراً . وبيان ذلك ان المحالفة تمتلك من المدرعات ٤٩ ، ومن الطرادات ٧٠ ، ومن النسافات ٦٧ ومن المعاكسات ١٠٠ ، ومن الغواصات ٩ ، فمجموعها ٢٩٥ قطعة حربية ، ومحمولها ٨١٥ الف طن . اما الاتفاق فلديه من المدرعات ٩٣ ، ومن الطرادات ١٧٠ ، ومن النسافات ٣٦٦ ، ومن المعاكسات ٢٥٧ ، ومن الغواصات ١٣٥ ، فمجموعها ١٠٢١ قطعة حربية ، ومحمولها مليون و٧١٥ الف طن . واذا قلنا ان العبرة ليست في المجموع بل في المحمول ، وجدنا ان محمول قوى الاتفاق البحرية يفوق قوى المحالفة بمقدار مليون طن ، وهذا ليس باليسير .

اذا كان الأمر على هذا البيان ففي جانب ايّ الفريقين تكون حرب رأس القرن العشرين ، ويكون مؤتمرنا الجديد العظيم ؟

اذا اردنا ان نتكهن في النتيجة ، فرأينا ان المانيا ستفوز فوزا كبيرا ، الّا اذا طال عليها الامد .فالخسارة جسيمة لا محالة ، لأن-روسيا كلما امتد عليها الأجل ، استطاعت لم الشعث على الحدود . ومتى استجمعت قواها الهائلة امام قوى الالمان المنقسمة بين الشرق والغرب ، استطاعت ان تنال من الالمان ما تشاء .

هو الامر كذلك فعلام قد اعلنت المانيا الحرب ؟ أعلنتها لأن للتأخير آفات يتحقق معها الفشل بالتأكيد . فروسيا تزداد مواليدها في كل سنة مليونين من النفوس . وقد ظهر الاحصاء الأخير وفيه ان نفوس الروس قد بلغوا ماية وثمانين مليونا ، بدلا من ١٦٦ مليونا . ولهذا فان جيشها قد اصبح وقت السلم مليونا وثمانماية الف رجل . ومن مقتضى قانون الجندية الجديد ، سيكون لدى روسيا في سنة ١٩١٩ مليونانوثلاثماية الف مقاتل وقت السلم ، فكيف به وقت الحرب ؟ .

هذه الزيادة وهذا النمو الهائل قد دفعا الالمان الى التعجيل باعلان الحرب ، ارادة القضاء على هذا النمو ، لأن الانتصار اذا كان أقرب من الانكسار في هذه السنة ، فالهزيمة اقرب من الغنيمة بعد سنوات ، فتعجيل الحرب قضية حيوية للالمان ، لم يجدوا منها بدا ، ولا عنها مردا .

اما الحرب البحرية فلا شك ان المحالفة خاسرة فيها ، واذا ساعدتها العناية فاكتسبت

بعض المعارك ، فذلك لا يكون برهانا على النجاح فيما يلي من المواقع .

وبرهاننا على ذلك ان العدة في الاتفاق اوفى ، والعدد اوفر ، لأن نسبة الاسطول الانكليزي في بحر المانش الى الاسطول الالماني كنسبة ١٦ الى ٩ ، وقوة اسطول فرنسا في البحر المتوسط تعادل قوة الاسطولين الطلياني والنمساوي دفعة واحدة ، زد على ذلك اربعة مدرعات عظمى للانكليز تنضم للاسطول الفرنسي في هذا البحر ، وذلك اعظم آية على خسران المحالفة .

ذلك ما يتخيل لنا رجما بالغيب ، ويأتيك نبأه بعد حين .

* * *

ذيول الاتفاق الثلاثي[1]

تناصرت الانباء بأن اليابان قد اعلنت المحافظة على المصالح الانكليزية والروسية في شرق آسيا . فعجب الناس لهذا النبأ ، وحسبه فريق من خطرات الحوادث وبدوات السياسة .

على حين ان الحقيقة خلاف ما قد بدا للأبصار الحاسرة والبصائر القاصرة . فان الاتفاق الثلاثي بعد ان مهد في اوروبة لنفسه مثوىً يركن اليه ، فكر فيما تؤول اليه الحال في المستعمرات ، اذا اشتدت بينه وبين المحالفة الازمات ، فاتخذ لذلك العدة ، واستدرك الامر قبل الفوات .

استدركه بأن اتفق مع دولة الشرق الاقصى ، لئلا تتحين الفرصة فتسرع الى انتهاك املاكه ، او يسرع غيرها من دول المحالفة الى احتلاله . وذلك على قاعدة جديدة في السياسة الخارجية لم تعرف من قبل .

كانت المحالفات الدولية تعقد مع من تجمعهم علائق الصداقة واواصر الانعطاف . اما اليوم فقد اعتنق الساسة مذهباً يعد من اعظم المسالك السياسية سدادا ، ومن افضل المناهج اثرا ، وهو ان تحالف العدو خير من معاداته ، لأن الدولة تأمن بمحالفته مـــن شره ، وتزداد به قوة لتأمن من شر غيره .

على هذه القاعدة الصالحة بادرت انكلترة وروسيا الى الاتفاق مع اليابان تأمينا لما لهما من المرافق في الشرق من ان يغتالها اليابان ، او يتهجم عليها غيره عند اشتعال النار . وما تصريح اليابان في هذا الحين الا للقيام بواجب ذلك الاتفاق ذيل الاتفاق الثلاثي .

فمعاهدة هذا الاتفاق الانكليزية اليابانية قد عقدت في سنة ١٩٠٢ ، ثم تنقحت في سنة

---

(١) فتى العرب العدد ١٩٠ ـ ١٦٢٤ ، ٨ آب ١٩١٤ .

١٩٠٥ ، ثم اتى عليها حين فتبدلت في سنة ١٩١١ ، واليك تعريب بعض البنود ، ليعلم القراء ان ليس ثمة مجال للاستغراب ، ولا موضع للعجب ، فان العاقل من يستيقظ لشأنه قبل حين .

جاء في مقدمة هذه المعاهدة ما يأتي تعريبه :

« ان غاية هذا الاتفاق توطيد السلم العام في آسيا الشرقية والهند ، والمحافظة على حقوق أملاك الفريقين المتعاقدين ، والدفاع عن مصالحهما الخاصة في تلك الانحاء » .

وجاء في البند الثاني ما اليك تعريبه :

« اذا دخل احد المتعاقدين في حرب للدفاع عن حقوق اراضيه ومصالحه الخاصة المذكورة في مقدمة هذا الاتفاق ، سواء كانت هذه الحرب قد شهرت من قبل دولة او دول ، فالفريق الآخر ينضم سريعا لمعونة حليفه ، ويشهر الحرب ويعقد الصلح بالاشتراك والاتفاق » .

اما المعاهدة الروسية اليابانية فقد عقدت في سنة ١٩٠٧ ، ثم تجددت في بطرسبرج في سنة ١٩١٠ ، مع زيادة ايضاح . واليك تعريب ما يتعلق منها بموضوعنا :

جاء في البند الثالث « اذا حدث حادث يهدد الحالة الراهنة في الشرق الأقصى فالفريقان المتعاقدان يتفاوضان للاتفاق على الوسائل التي يجب اتخاذها لبقاء هذه الحالة الراهنة » .

فيرى القراء بعد الاستقراء ان ارباب الاتفاق الثلاثي بعد ان وضعوا اتفاقهم للموازنة الدولية في أوروبة بادىء الأمر ، اسرعوا فعقدوا ذيلا لهذا الاتفاق ، لتكون مستعمراتهم الشرقية في حرز حريز وحصن حصين . ولهذا فان الهند وكل الاملاك الانكليزية والروسية في الشرق قد أصبحت في مأمن من مهاجمة الالمان . وما أجمل البصيرة تستكشف الدواهي قبل سنين ، وتستطلع الكوارث قبل حين ، حتى اذا حمّ القضاء وجدت من التحالف خير لقاء .

اما المحالفة الثلاثية فانها لم تتخذ من ذلك سببا ، ولم تتوسل الى منعة ، فان املاك المانيا في الاوقيانوس وفي افريقية الشرقية والغربية ، وفيها اثنا عشر مليونا من النفوس ستذهب على التحقيق رهن الاحتلال ، دون ان تبدي في تلك المياه او تعيد .

لأن الاتفاق عدا عن عقده المعاهدات مع اليابان ، قد حشد في تلك المياه من البوارج ما لا يجارى ، ومن القوة ما لا يبارى . فان انكلترة قد اقامت في الصين والهند وفي اوستراليا ورأس الرجاء ، ما يقدر بخمسين قطعة حربية ، عدا عن اسطول حكومة اوستراليا الذي يكون تحت امرتها ، ولا يقل عن خمس عشرة قطعة . وما اسطول المانيا في مستعمراتها الا اثنتان وعشرون قطعة ، فأين تذهب الشاة امام تلك المفترسات .

* * *

الموازنة الاوروبية: ويل للضعيف[1]

الموازنة الاوروبية قاعدة في الأصول السياسية ، كأنها ركن من أركان الحقوق الدولية ، أنست بها الدول ، فاتخذتها مِجنّاً للمطامع وسنداً للمطامح ، ولو لم تكن من الحق في شيء ، ولا من العدل بمكان .

الموازنة الاوروبية يقصد منها ان لا تنمو دولة دون نمو أخرى ، فاذا نمت على انقاض دولة ، تحتم عليها ان تشرك جارتها بما اكتسبت ، او تعوضها من مال غيرها ، والا فدون ذلك حراب تلمع وقنابل تدفع ، حتى تنحط منها قوتها في جانب قوم آخرين .

وضعت هذه القاعدة ، وسجّل هذا الحق في السياسة ، منذ معاهدة « وستفالي » في سنة ١٧٤٨ ، اذ كادت النمسا تطغى في قوتها فتلتهم اوروبة دفعة واحدة ، فناوأتها حتى اقتطعت منها ما زادته في امارات الالمان وملك الفرنسيس ، لتبقى تلك الموازنة . وما تلك الموازنة الا مقاصة الاقوياء ، والنيل من الاشداء .

والغريب في هذه القاعدة انه ما من مرة تعارضت القوتان دون فصل ولا نيل ، الا وانقلبت على الضعاف من الدول ، فينال منها كل فريق شطره ، فالموازنة الاوروبية اما مجازاة الاقوياء ، واما ظلم الضعفاء .

ظهرت هذه القاعدة منذ تلك المعاهدة ، وتمشت عليها اوروبة منذ ذلك الحين . وها نحن ذاكرون بعض الوقائع التاريخية ، تبياناً لما بسطناه فنقول :

تهجمت الدول على اكتساح البولون ثلاث مرات . وفي كل مرة كان الروس والنمساويون والبروس يستشيطون غضبا ، فيتصدون للمعارضة والمنافسة ، لا تناهيا في المرحمة ، ولا اغراقا في الشفقة ، بل مخافة اختلال الموازنة . فيطارحون بعضهم الحديث حتى يؤدي الى التراضي . ومن ثم كانت النتيجة اقتسام البولون ثلاث مرات في سنة ١٧٧٢ و١٧٩٣ و١٧٩٥ ، اذ ذهبت دولتهم ضحية هذه الموازنة ، فويل للضعيف من ظلم الحقوق الدولية .

لا نذهب بعيدا ولا نستقصي التاريخ فملؤه مبني على هذه القاعدة . ولنا في شاهد امس مَثَلٌ بيّن من انتصار اليابان على الصين . وذلك ان الصين قد امضت معاهدة « شيمونوسكي » في سنة ١٨٩٥ ، وفيها تتنازل لليابان عن فورموز والايكادير وليوتاون وبورارثور و واي هاي واي .

رأت الدول الاوروبية تعالي الدولة اليابانية ، فخافت اختلال الموازنة ، فاتفق الالمان والروس والفرنسيس وهددوا اليابان بعدم رضاهم عن هذا النمو ، مع ان صاحب البيت مغضٍ راضٍ ، فخشيت اليابان مغبة العناد ، فتنازلت عن ليوتاون وبور اثور و واي هاي واي . واذ طلبوا من الصين ان ينالوا منها كما نال اليابان لتكون الموازنة في مأمن من المساس ، فاضطرت الصين الى التلبية ، فاحتل الالمان مرفأ كيوتشيو ، والروس بور اثور

---

(١) فتى العرب العدد ـ ١٩١ ـ ١٩٢٥ ، ٩ آب ١٩١٤ .

وفرنسا كوان تشيو ، والانكليز جرتهم القافية فاحتلوا واي هأي واي باسم الموازنة .

فتعسا لهذه الموازنة ، وقبحا لهذه الحقوق التي تُبنى على ظلم الضعيف ، فهل سمعت اذنٌ ، او هل رأت عينٌ شراً من هذه الحقوق الدولية ؟

ـ نعم ان شر هذا البشر ان تعلم الدولة الضعيفة هذه القاعدة وظلم هذا الحق ، فتتقاعس عن تقويم اودها ، وتتوانى عن صلاح شأنها ، فلا تلبث ان يأتيها القضاء ، فتنفصم عراها وتستحق الجزاء .

وبعد فان الحرب الحاضرة قائمة على هذه الموازنة الاوروبية . فقد وَقرَ في نفس النمسا ان تمتد في تطبيق قاعدتها الشهيرة في الشرق ، فتنمو دون أن تناصبها العداء ، فتطاير الشرر ، وعم في اوروبة البلاء ، تحقيقا للموازنة ومجازاة للاقوياء .

اما وقد وقع القضاء من اجل هذه القاعدة ، فلسوف تقع لوازمها عند سكون الامور من ظلم الضعيف ، وانتهاك حرمة الذليل .

فاذا انتصرت المحالفة فالبلجيك والكسمبورج والصرب والجبل الأسود وسويسرة في شك من البقاء ، ولو لم يكونوا في هذه الحرب هم الغاية التي تقصد والضالة التي تنشد ، لأن دول الاتفاق اذا خرجت من الحرب صاغرة ، هان عليها التعويض من حساب غيرها ، لئلا تبنى تلك الموازنة من مالها . وما تلك الموازنة الا خرق الموازنة في اكتساح مرتهك القوى مهيض الجناح .

اما اذا انتهت الحرب باندحار مساس هؤلاء الضعاف ، لأنه هو الذي قد اقام لهم وزنا في عالم السياسة ، فالموازنة الاوروبية قد لا تمسهم بأذى . وقد تمسهم اذا تعسر عليه التعويض من جانب آخر .

نريد بذلك ان نقول ان ضعاف الدول عرضة للاخطار كضعاف الافراد . وان فوادح المنهزمين من الدول الكبرى في هذه الحرب ، سترهق الضعاف من الدول لا محالة اكثر مما يستحقون ، ويلحقها التغيير بل والتقسيم ، ويحمل الضعفاء ما كان يجب ان يحمله الاقوياء ، ولكن ذلك حق تعارفته الدول في الحقوق الدولية واي شر اعظم ، بل اي امر اظلم من هذه الحقوق .

ـ نعم ان الظلم حق السياسة ، وعلى قدر القوى تكون المظالم ، وعلى قدر المظالم تكون الحقوق .

* * *

داعية الاغبرار[1]

بسطنا قبل اليوم ان الموازنة الاوروبية تفيد اما مجازاة الاقوياء واما ظلم الضعفاء ، وان الحرب الحاضرة قد اوقدتها المحالفة ليزداد بأسها قوة وعضلها وثاقة . فتنكر لها الاتفاق ارادة ان يفت في ساعدها ويفسد عليها أمرها . وما كان اغبراره حديث عهده ، بل كانت النمسا سببا في تعجيل ما يضمرالاتفاق من الوقيعة في خصمه .

واعربنا ان فرنسا تكيد للمحالفة على سبيل الانتقام مما قد نالها من الالمان ، وان روسيا تعمل على القضاء عليها لتذيب قوة الجرمنية في قوة الصقلبية . اما الانكليز فما سبب تنكرهم وداعية اغبرارهم ؟ ـ ذلك موضوع بحثنا في مقالنا هذا ، فاليه نسترعي الاسماع .

ان سبب هذا التنافر واشتداد التناكر بين الدولتين ، سبب اقتصادي يموت بدونه احد الفريقين . وما حياة الشعوب في هذا القرن الا في حياة الاقتصاد ، حياة المال ، حياة الاثراء ، واي يوم تغفل الامة عن موارد الرزق رغبة في الزهد والقناعة ونفرة من الطمع ، اجتثها غيرها ، فانتفى ذرها ، فاذا هي بلاء ، ان لم نقل هباء .

اتخذت الامم الحديثة هذه القاعدة معنى للحياة ، فجرت تسابق في سبيلها الرياح ، وتسترخص الارواح ، فكان الالمان ابعدها شوطا ، وانفذها سهما ، وذلك ما ارتجفت لأجله فرائص ، واضطربت من هوله قلوب .

كان الالمان يعنون بالزراعة منذ خمسين عاما دون غيرها . وبعد ان جعل « بسمارك » امته صفحة من الحديد ، أراد « قابريفي » و « بتمن » ان يجعلوها صفحة من الذهب ، فانقلبت المانيا منذ ذلك العهد من زراعة الى صناعة فتجارة فبحرية ، وبهذا لا بغيره قد مكن لها في الأرض ..

بدأت حركتها الاقتصادية بأن جعلت كل انهارها صالحة للملاحة ، وشبكت كل اراضيها بالسكك الحديدية ، حتى كاد يلتقي الطرف بالطرف ، في لمح من الطرف ، فمدت حتى سنة ١٨٨٢ سبعة وثلاثين الف كيلومتر ، وما زالت تسرع في خطاها حتى كان في ارضها من شبائك الحديد ٦٠ الف كيلو متر ، على حين ان ليس لانكلترة سوى ٥٣ الفا وفرنسا ٤١ الفا وروسيا ٥٨ الفا .

هذه اداة للغاية الكبرى التي ترمي اليها من سيادة الامم . اما وقد مهدت السبيل ، فقد بذلت عنايتها في انماء الصناعة ، واتخذت قاعدة وطنية لم تسبق لها ، وذلك ان كل اموال المصارف لا تعطى الا لارباب الصناعات الكبرى والتجارات العظمى من ابناء الامة ، وقلما يخرج مال الالمان الى غير الالمان ، ولو كان في ذلك من الفوائد ما ليس في الحسبان ، وقد قال استاذنا « بينون » ومن الخطأ الفادح ان نحسب ان الالمان تنقصهم رؤوس الاموال ، فاموالهم لا تعطى الا لابنائهم في صناعاتهم بخلاف ما يجري عندنا نحن الفرنسيس ، فان

---

(١) فتى العرب ـ العدد ١٩٣ ـ ١٦٢٧ ، ١٢ آب سنة ١٩١٤ .

اكثر اموالنا يستعمله غيرنا ، ومن الغريب ان امبراطورهم « غليوم » لا يأنف ان يتنزل لخدمة أية صناعة او تجارة ، فكم من مرة قام بمهمة السفير التجاري في عدة اسفار يبيع ويشتري في الاسواق التجارية ، تشجيعا للصناعة الوطنية وتعزيزا لمال الامة .

اذا كان مليكهم يدفع الشعب الى الكدح في الحياة فما يفعل الشعب من العظائم ؟

ـ يفعل ما قد بلغه الالمان في نصف قرن مما لم تبلغه دولة في العالم ، ولا امة في البشر حتى اضطرت اوتاد الكرة الى التكاتف ، تستبين الخطة لايقاف هذا الشعب المتدفق تياره .

ولع الالمان في اذابة المعادن ، فاذابوا في سنة ١٨٨٠ مليونين وسبعمائة الف طن ، وفي سنة ١٨٩٩ سبعة ملايين وسبعماية الف طن ، وفي سنة ١٩٠٩ اثني عشر مليونا . وبذلك قد اصبحت المانيا في اوروبة لا تجارى في هذه الصناعة بعد ان كانت لا تذكر ، واذا ذكرت فتنكر .

نظرت انكلترة الى هذه الخطوة نظرة المستهيب فطوت الحنق في كشحها ، حتى رأت ان المانيا تعمل في الصناعة الكيماوية ، فرابها ما قد رابها . واذ ظهرت في هذه السنة ونتاجها في هذه الصناعة يقدر بـ ٥٤٠٠ مليون مارك ، « المارك فرنك وربع » على حين ان انكلترة لم تبلغ غير ٤٣٠ مليونا ، وحليفتها فرنسا ١٥٠ مليونا .

عملت المانيا في صناعة الحديد فكان نتاجها في هذه السنة مليارا و١٨٥ مليون مارك وانكلترة لم تنتج غير ٦٨٠ مليونا ، وفرنسا ١٥٠ مليونا .

عنيت بصناعة السكر فانتجت في سنة ١٨٨٠ خمسمائة الف طن ، وفي سنة ١٩٠٠ مليوناً وستمائة الف طن ، وفي سنة ١٩١٣ بلغ نتاجها ما يقدر بـ ٢٣٢ مليون مارك ، على حين ان فرنسا لم تستوف غير ٦٤ مليونا وانكلترة تستورده ولا تصدر .

وما زالت المانيا على هذه الحال وانكلترة تزداد حنقا على حنق ، حتى رأت ان الالمان قد فاتوها بأعظم مواردها ثروة ، واغزر تجارتها مادة ، وذلك ان اوروبة اصدرت في سنة ١٨٩٨ اربعماية مليونا طن من الفحم الحجري منها ٢٢٠ مليونا لانكلترة ، و١٣٠ مليونا لالمانيا ، و٣٢ مليون لفرنسا . واصدرت في سنة ١٩٠٩ ستماية مليون طن منها ٢٧٢ لانكلترة و٢٢٠ لالمانيا و٣٧ لفرنسا . واما هذه السنة فقد بزّ الالمان والانكليز فاصدروا ما قيمته ٦١١ مليون مارك والانكليز مادون ذلك ، فتحققوا حينئذ ان هنالك ، عاصفة من المهالك ، فطووا ما في انفسهم ، وبيتوا العدة يتحينون الفرصة ليقتصوا من تلك القوة فيجعلوها عصفا ، واذ صدر احصاء التجارة الخارجية في هذه السنة فكان كما يلي :

٣٣ مليارا من الفرنكات للانكليز و٢٥ ملياراً للالمان و١٧ مليارا للفرنسيس ، زد على ذلك محمول البواخر التجارية ، فقد كان ٤٦٠ الف طن لفرنسا و١١ مليونا لانكلترة وثلاثة ملايين لالمانيا ، بعد ان لم يكن للالمان في سنة ١٨٧٠ ولا باخرة تجارية ، فانتقلت بخطوات الجبابرة من ١٤ الف طن في سنة ١٨٧٣ الى ٣٤٦ الف في سنة ١٨٨٣ الى الثلاثة ملايين في سنة ١٩١٣ .

دولة لم تكن قبل نصف قرن شيئا مذكورا ، لا تجارة ولا صناعة ولا بحرية ولا حربية ولا نفوسا ، فانتقلت من اربعين مليونا الى خمسة وستين مليونا ، ومن الدولة الخامسة في الحرب الى الدولة الاولى ، ومن الدولة العاشرة في البحر الى الدولة الثانية ، ومن التخلف في الصناعة الى التجلية والسبق ، ومن انحطاط التجارة الى مطاولة الانكليز .

فاذا كانت فرنسا تناوىء الالمان انتقاما ، وروسيا تناصبهم طمعا ، فالانكليز يتصدون لهم خوفا من تجارتهم وقضاء على صناعتهم .

ـ ذلك ما قد دعاهم الى ان يقبلوا على انفسهم يستشيرونها ، ويستجمعوا افكارهم يعملونها في استئصال هذا النمو الهائل توطيدا للموازنة الاوروبية ، وناهيك بما تفعل الموازنة من الظالم ، في جر المغانم واستباحة الدماء ، في سبيل الاثراء .

* * *

مذهبان جديدان في السياسة والاقتصاد[1]

افصحنا امس كيف نهض الالمان بنصف قرن من الدَرَك ، فتجاوزوا بعلوِّ همتهم وسداد رجولتهم امهات الدول ، حتى صاروا المورد يستمد منه ، والركن يستنجد به . واذا كانت هذه هي الحقيقة ، فتعالي الدول لدى الدول قذى ، لما يتبع ذلك من الاذى .

رغب الالمان عن الزراعة الى الصناعة ، فسقطوا في « عجز عن الاطعام » ، يقدر مساناة بمليارين ، غير ان هذه الرغبة في الصناعة قد أربت على كفافهم ، ففاض بها نتاجهم عن حاجتهم . واذا كان في الأولى غيض قليل ، ففي الثانية فيض جزيل .

يفيض الفيض فاين به يذهبون ،

ـ اعمل الالمان الفكرة ، فما وسعهم الا ان يحملوا ذلك الفيض ، يبتغون مرتزقا في مناكب الأرض ، فاوغلوا في البلاد على تفاوت اجناسها ، وضربوا فيها على تباين اناسها ، حتى امتلأت خزائن المستعمرات من بضاعتهم ، وراجت فيها اسواق تجارتهم ،فاختلفت الدول الاستعمارية الى بعضها ، تتهيب مزاحمتهم وتخشى منافستهم . اذ انقلبت تجارتها في بطن مستعمراتها من نفاذ الى كساد ـ لذلك اشتد العداء ، وتمكن الجفاء ، وما كان الانكليز يقصرون عن ابتداع الوسيلة ، وفتق الحيلة ، لرد فيض الالمان عن مستعمراتهم ، وحصر بلادهم لنتاجهم .

كانت الدول الاستعمارية لعهد معاهدة « فينا » سنة ١٨١٥ تستعمل لاستثمار المستعمرات ، طريقة تعرف « باستئثار الاستعمار » وتستلزم ثلاثة مطالب :

---

(١) فتى العرب العدد ١٩٥ ـ ١٦٢٩ ، ١٤ آب سنة ١٩١٤ .

الأول : ان كل ما تنتجه المستعمرة ، لا تتناوله الا الدولة المسيطرة .
الثاني : ان كل ما تحتاجه المستعمرة ، لا تستورده الا من الدولة المسيطرة .
الثالث : ان كل البضائع لا تشحن الا تحت علم الدول المسيطرة .

فتستأثر الدولة في استثمار المستعمرات ، فلا تدخلها بضاعة غير بضاعتها ، ولا تذهب خيراتها الا في مرافق امهاتها ، فتغدو البواخر وتروح ، حتى تستنزف الدولة قوة المستعمرات ، في انماء الذات ، فان هي اعطت او تناولت فلها لا عليها ، وعلى المستعمرات لا لها .

أما بعد تلك المعاهدة ، فقد تقاصرت طريقة « استئثار الاستعمار » ، فاصبحت الدول تطلق ابواب المستعمرات الى كل انواع التجارات ، حتى اقترب القرن العشرون ، وفيه قد ظهر الالمان يفدحون الدول بفيض صناعتهم ويثقلون الأرض بكاهل تجارتهم .

فكانوا حيثما يدخلون ينفذ سهمهم ويعلو كعبهم ، فاضطربت اعظم الدول استعمارا ، اضطراب الخائف الوجل ، يرى الموت دونه ، فلا يقدم عليه ، ولا ذاك يستأخر عنه .

امعن الانكليز فمحضوا الرأي ، فلم يجدوا مخرجا ، سوى ان يعودوا الى سيرتهم الأولى ، فيجددوا طريقة « استئثار الاستعمار » ليدرؤوا خطر ذلك التيار . ومن ثم نشأ في سياستهم مذهب جديد يعرف باسم الامبرياليسم او « احكام القيد » بينهم وبين مستعمراتهم ، فلا تدخلها غير بضاعتهم ، فيسدوا بذلك على الالمان ابواب الرزق ، ويأمنوا غائلة التزاحم والسحق .

هذا ما كان من الانكليز ، وقد كان من الالمان ، ان أقاموا على اعقاب ذلك المذهب مذهبا جديدا ، يمهدون به السبل فيجعلونها ذللا ، يعرف باسم « اطلاق المرافىء » فلا تقيد البلاد بقيد ، ولا ترصد لوجه ، بل تبقى حرة على الاطلاق ، تدخلها بضاعة من يشاء .

مذهبان جديدان في الاقتصاد والسياسية ، مذهب « احكام القيد » ومذهب « اطلاق المرافىء » ، قامت المعضلات من اجلهما وقعدت ، واستحكمت البغضاء واستمكنت . واذا جدَّ الجد في العداء ، فخير قضاء ، ما تجري فيه الدماء . وعليه لم يألُ الالمان جهدا ، في عمارة البوارج ، حتى يتأيد مذهبهم بالقوة والقسر . ولم يدخر الانكليز وسعا في انشاء الدوارع حتى لا تطرف لهم عين على ذل ، ولا تغمض على ضيم ، فكانوا كلما مدّ الالمان من الدوارع شبرا ، عمدوا فمدوا لهم عشرا ـ ذلك بأنّ الحديد لا يفلح فيه الا الحديد .

وما زال الفريقان يجهد كل منهما مستطاعه في تطبيق قاعدته ، حتى كان مؤتمر الجزيرة في سنة ١٩٠٦ اذ ارادت فرنسا ان تجعل مراكش تحت حمايتها ، وتتصرف بها تحت وصايتها . فارعد الالمان وأزبدوا ، ونادوا بحماية الاسلام وصلة للقاعدة الجديدة ، فائتمروا وكادت الحرب تشهر ، الى ان فتح الالمان كل مغلق دون تجارتهم ، وادخلوا في المعاهدة الحرية لصناعتهم ، فجاء في المادة ١٠٧ من مؤتمر الجزيرة ما يأتي تعريبه :

« لا تعطى امتيازات المادة ١٠٦ (امتيازات الطرق والسكك الحديدية والمرافىء

والتلغراف وما شابه ذلك) مما تحتاج اليه الدولة من الاموال الاجنبية ، ولا الامتيازات المتعلقة بحاجيات الحكومة ، الا اذا وضعت تحت المناقصة العلنية في كل المملكة دون تمييز بين رعايا الاجانب » .

وجاء في المادة ١٠٩ من هذه المعاهدة « لا يجب ان يضم دفتر الاشتراكات بين دفتيه لا شرطا ولا قيدا يمس بحرية المزاحمة سواء كان مباشرة او واسطة » .

ولكن الالمان لم يكتفوا بهذا الظفر الأول لقاعدة « اطلاق المرافىء » ، بل ما زالوا يكابرون الفرنسيس ، حتى كان بينهم اتفاق سنة ١٩١١ ، وفيه ان الالمان يتنازلون لفرنسا في مراكش عن الحرية السياسية لقاء الحرية الاقتصادية ، فلا تكون رسوم جمركية ، ولا اجور برية او بحرية ، الا بالتساوي بين كل الدول ، بل لا تكون ضرائب على المعادن التي يستثمرها الالمان ، ولا قيد لحرية الصيد في المياه المراكشية خلافا للمألوف بين كل الامم .

كل ذلك لتبقى مراكش طلقة امام الصناعة والتجارة الالمانية . اما وقد فاز الالمان في مراكش فوزا كبيرا بقاعدتهم الجديدة ، رغما عن مناواة الانكليز ، فقد اكبر هؤلاء الأمر واستطاروا شرا ، وقالوا ما دام الالمان يعززون القوة فان كفتهم هي الراجحة ، وان تجارتهم هي الرابحة .

فتربص الانكليز ومثلهم من يتربص ، يرتقبون سانحة او مرور جائحة ، حتى اشتعلت اوروبة باركانها، فنادوا انهم من حماتها اقتصاصا من القوة الالمانية ، وعملا بقاعدة الموازنة الاوروبية .

والغريب في هذه القاعدة من الحقوق الدولية ان القوة مجلبة للشر ، كما ان الضعف مدرجة للشر نفسه . واذ كانت الحياة سواء في القوة او الضعف شرورا ، فخير الامم من يتلقى الشر باستبسال الكريم ، لا باستكانة الذليل .

* * *

ضمانة الحياد[1]

نشرنا امس بيان « غراي » في مجلس الامة ، عن السبب الذي يحمل انكلترة على اعلان الحرب ، فأبان الوزير بأن جله خرق حياد البلجيك ، وذلك من السياسة ما يظهر ، واما ما يضمر فاكبر ، فان سبب الحرب فيض الالمان بتجارتهم ، وتطاولهم بملاحتهم ، وما خرق هذا الحياد الا حجة لاجىء اليها ، وذريعة متوسل بها . واذا كانت تصريحات الساسة يركن اليها ، فقد سلمنا بالقول الظاهر . وتسألنا عن هذا الحياد ، فتبيانا لمعنى هذه الكلمة

---

(١) فتى العرب العدد ١٩٧ ـ ١٦٣١ ، ١٦ آب ١٩١٤ .

نستوقف الافهام يسيرا ، فلكم تتداولها الألسن في هذه الأيام ، وتجري بها الأقلام ، دون ان تكشف لها نقابا ، او تخرق لها حجابا .

الحياد ضربان : حادث لا يدوم ، ومستمر لا يزول ، فالأول كثير الشيوع تعلنه بعض الدول صراحة ، عند نشوب الحرب بين دولتين ، ومعناه ان الدولة لا تدخل في الحرب الناشبة ، ولو كانت بعض مرافقها في مساس ، الا اذا حدث عند اشتداد الازمة ، ما يمس عماد كيانها ، ومصاص عظمها فتخرج عما به قد صرحت ، وكم في تاريخ المتأخرين ، على ما نقول من البراهين .

واما الثاني فمن هذا النوعوزيادة ، ومعناه ان الدولة تتعهد بأن لا تدخل في حرب تسعر نارها دولتان ، وان لا تشهر حربا على دولة ، كما ان بقية الدول لا تعلن حربا عليها ، غير انها تستطيع ان تعزز الجيش وتعقد المحالفات الحربية مع الدول للمدافعة اذا هوجمت ، لا للمهاجمة اذا ارادت .

وليس بين الدول من هذه الشاكلة الثانية الا دول ثلاث ، دولة البلجيك ودوقية اللوكسمبرج وجمهورية سويسرة ، ولا يكتفى بتصريح الدول بهذا القسم ، بل لا بد من عقد الصكوك ، وبدونها يسقط هذا الحياد المستمر .

فحياد البلجيك حياد مستمر ، قد ضمنته الدول في المواثيق والعهود ، واليه قد أشار الوزير في بيانه قياما بعهده ، وكم تقوم الدول بالعهود في هذا الوجود !!

اما هذا العقد فقد كان في لوندرة من سنة ١٨٣٩ حيث امضاء وزراء الروس والانكليز والبروس والفرنسيس والنمساويين ، فكفلوا حياد البلجيك على معنى الحياد الثاني ، كما جاء في المادة السابعة من معاهدة لوندرة ، واليك تعريبها :

« ان البلجيك ، كما تحددت تخومها في المادة الأولى والثانية والرابعة ، دولة مستقلة على الحياد المستمر ، وحق عليها ان تحفظ هذا الحياد نفسه ، ازاء كل الدول الاخرى » .

فارتبطت الدول الخمس في هذا العقد ، بضمانة حياد البلجيك ، كما ارتبطت البلجيك بذات الحياد منذ خمس وسبعين سنة .

اما اسباب هذا الحياد المستمر ، فترجع الى مَرامٍ سياسية ، اهمها قطع الطريق بين المتنافسين على هذا البلد . وما كان حياد البلجيك الا اداةً لاستئصال آمال الفرنسيس . فقد خضعت البلجيك منذ مؤتمر رستاد في سنة ١٧١٤ تحت سلطةالنمسا ، حتى استولت عليها فرنسا في سنة ١٧٩٥ ، وما زالت حتى سنة ١٨١٥ اذ انهالت اوروبة تتنقص من اطرافها فسلخت عنها البلجيك ، وضمتها الى البابيا[1] « هولنده » فانصاعت البلجيك حتى انست من نفسها القوة ، فاستنفرت ابناءها الى الاستقلال فكانوا الرعاة في سنة ١٨٣٠ ، اذ نالوا ما كانوا به يتغنون .

---

(١) Pays Bas البلاد الواطئة (هولندة) .

وما نالت البلجيك استقلالها الا وكانت مطمحا لفرنسا وامالها ، فشعرت الدول الاربع بما يضمر الفرنسيس ، فائتمروا وكان ما كان ، قضاء على تلك الامال ، ورسوخا لذلك الاستقلال .

ولكن كيف خرق الالمان ذلك الحياد ، و « بولو » احد رؤساء الوزارة الالمانية قد امضى ذلك العقد ، فأين العهود بل أين الحقوق الدولية ؟

ـ الجواب على ذلك ، ان كل العقود بل الحقوق الدولية رهن القوة ، فالضعيف يرتبط بعهده دون مناص ، اما القوي فقد يرتبط ، واذا اراد التخلف فلا رادَّ لامره ، لاسيما في الحقوق الدولية فانها تتقلب معنى ، وتفسر حسب قوة كل دولة ، وقد نص علماء الحقوق عن ذلك فقالوا :

ان الحقوق الدولية تنقسم الى مراتب ، بالنسبة الى مراتب الدول ، فالدول تقسم في نظر الحقوق الدولية ، الى ثلاثة اقسام : دول متوحشة ، وليس لها من الحقوق الدولية قيد ذرة ، ودول بربرية ، وليس لها من الحق غير ما تعطيه الدول المتمدنة ، ودول متمدنة وحقها يتراوح مع قوتها ، فان قل فقل ، وان كثر فكثر .

فالحقوق بل المعاهدات الدولية ، لا تنفذ الا مع القوة . وايّ يوم تتنزل القوة عن منزلتها ، فقد نزل الحق درجات ، وسقطت قيم المعاهدات ، فليتفهم من هذه النتيجة ارباب الزعامات . ان الحق بين الدول رهن القوة ، فكيف به بين الجماعات ؟ وكما انه ليس للدول المتوحشة حقوق فليس للجماعات الجاهلة حقوق ، وكما ان للقوة ميزان الحق بين الدول ، فهي كذلك قسطاس الحق بين الجماعات .

فضمانة حياد البلجيك ، ضمانة ميثاق وعهـد ، خرقتها القوة دون تململ . وما قام البلجيك بعهده الا لضعفه ، فالقوة لا تعبأ بالعهد والميثاق ، والضعف داعية للأخذ بمكارم الاخلاق ، وايّ يوم يكثر في الامة طيب السريرة ، فقد جرت على نفسها اية جريرة .

* * *

مصر في الجامعة الدولية[1]

يرجع تكوين مصر الحالي في الامور الداخلية والخارجية الى عهود ومعاهدات . فالعهود تبعث بها الدولة العلية من حين لآخر ، تزيد او تنقص من صلاحية مصر في الجامعة الدولية . والمعاهدات كانت تعقد بين الدول الاوروبية لتحديد منزلة مصر السياسية .

فأول معاهدة دولية وضعتها الدول لهذه الغاية معاهدة لوندره في سنة ١٨٤٠ . وقّعت

---

(١) فتى العرب العدد ١٩٩ ـ ١٦٣٣ ، ١٩ آب سنة ١٩١٤ .

عليها انكلترة وروسيا وبروسيا والنمسا ، ثم فرنسا في سنة ١٨٤١ . وبها قد صدر عهد الدولة العلية ، وفيه ان باشا مصر ينقل وراثة الولاية الى ابنائه وان جلالة السلطان ينتخب من بين ابنائه الذكور ، من يشاء توليته ، وان القوانين والمعاهدات العثمانية الماضية والآتية نافذة في مصر ، وان الحربية والبحرية لا تزداد ولا تنحط قوة ،الا بارادة جلالة السلطان . اما صلاحية مصر فهي استقلال الادارة المالية وصك المسكوكات ليس الا ، لقاء جزية تسقط بدونها كل هذه الحقوق ، واليك ما جاء في المادة الخامسة والسادسة من هذه المعاهدة :

المادة الخامسة « ان كل المعاهدات والقوانين العثمانية نافذة في مصر ... كما هي الحال في بقية اجزاء المملكة العثمانية ، ولكن جلالة السلطان يجيز محمد علي واخلافه ان يجبوا باسم جلالته وبمثابة مندوبين من قبله ، كل الضرائب والرسوم القانونية في الولايات التي يخولون ادارتها ، لقاء جزية يدفعونها كما هو مذكور آنفا ، وان يقوموا بمصاريف ادارة تلك الولايات الملكية والعسكرية » .

المادة السادسة « بما ان القوى البرية والبحرية التي يستطيع الباشا ان يقيمها في تلك الولاية قسم من قوى المملكة العثمانية فتعتبر انها تحت امرة الدولة مباشرة » .

وقد ازدادت هذه الحقوق سعة ايام اسماعيل باشا ، فان عهود الدولة العلية قد توالت عليها بكثرة ، واهمها عهود سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٦٧ و١٨٧٣ . فعهد سنة ١٨٦٦ قد تغيرت فيه كيفية التولية ، واجازت فيه الدولة العلية لمصر استقلال الادارة الداخلية لقاء ماية وخمسين الف كيس من المال ، بعد ان كانت ثمانين الفا من قبل .

وعهد ١٨٦٧ قد لقب فيه الباشا بلقب الخديوية . وأجيز لمصر عدا عن استقلال الادارة آلداخلية ، بعض الصلاحية في الادارة الخارجية ، فجاء في ذلك العهد من جلالة السلطان الى خديوي مصر ما يأتي تعريبه :

« بما ان ادارة مصر الداخلية ، اي كل ما يتعلق بمصالحها المالية ومرافقها المحلية من خصائص الحكومة المصرية ، فاننا نجيزكم ان تضعوا قوانين خاصة ، تتعلق بهذه الادارة الداخلية حفظا لتلك المصالح ، بشرط ان تثابروا على رعاية معاهدات مملكتنا في مصر . ونسمح لكم ان تعقدوا معاهدات سواء للجمارك ،ولانتظام الامن بين الرعايا والاجانب ، وللبريد ، بشرط ان لا يكون لهذه المعاهدات صبغة دولية ولا صبغة سياسية » .

اما عهد ١٨٧٣ فانه يختصر تلك العهود ، ويفسح لمصر الاستقلال الاداري ، فجاء فيه ان للخديوي حقا في ايجاد وزارة خاصة ، وان له صلاحية مطلقة في الادارة المالية ، وتجديد المعاهدات التجارية . وان له ان يعقد القروض المالية ، ويزيد كما يشاء في القوى البرية والبحرية ، غير انه ليس له بصفة غير صفة الوزير للدولة العلية ، او مندوب جلالته في تلك الولاية ، فالعلم العثماني علم مصر والمسكوكات تضرب باسم جلالة السلطان » .

غير ان اسماعيل لم يحسن ادارته المالية ، شأن كل الشرقيين بسبب ما غرس في طبائعهم ، من احتقار المادة والمال ، والاستمساك بالزهد والقناعة ، فعقد القروض الطائلة

كما خوله عهد ١٨٧٣ ، حتى بلغت في سنة ١٨٧٨ تسعين مليون ليرة انكليزية دون ان يفكر في استثمار تلك الأموال ودفع الفوائض ، فسقط في ازمة مالية اضطر معها لاقامة لجنة دولية ، ثم مراقبة مالية ، تتألف من مندوب افرنسي وآخر انكليزي .

ولما عيل صبره باع اسهم قناة السويس التي كان يملكها بماية مليون فرنك للانكليز ، وبذل بعض امواله الخاصة ، وباع اكثر آنيته الفضية والذهبية . تخلصاً من هذه الأزمة المالية ، واستئصالا لهذه المراقبة الدولية ادخل المندوبين في سنة ١٨٧٩ لوزارته . فقلّد الانكليزي نظارة المالية ، والفرنسي نظارة الاشغال العامة ، ثم أسقط الوزارة ، فسقط معها المندوبان ، وبذلك سقطت تلك المراقبة ، واعلن انه يحكم بلاده بوزارة وطنية مسؤولة امام مجلس من النواب ، يجمعه بعد حين .

فحدثت اذ ذاك معضلة اوروبية ، اضطرت معها الدولة العلية ان تخلع اسماعيل وتصدر عهد ١٨٧٩ ، وفيه تسترجع الدولة اكثر تلك الحقوق التي اجازت بها مصر ، فحددت قوة الجيش الى ثمانية عشر الفا ايام السلم ، ونزعت عنها صلاحية عقد القروض ، الا اذا كانت في مصلحة القروض المعقودة ، والغت عقد المعاهدات التجارية ، الا اذا بعثت بنسخة منها الى جلالة السلطان ، وزادت في الجزية اذ جعلتها ٧٥٠ الف ليرة مساناةً .

تولى توفيق بعد اسماعيل فانتظمت المالية كل الانتظام ، غير ان حزب الوطنية في مصر لم يرق لديه تداخل الاجانب ، فثار ثورته بقيادة عرابي حتى فاز . فتولى ادارة البلاد ، وكاد يجمع مجلس الأمة ، لو ان السياسة قد افسحت له مجالا . فان الدول قد تفاوضت ، فكان مؤتمر الاستانة في سنة ١٨٨٢ ، حيث اجمعت الدول ان يوسد اخماد الحركة للدولة العلية ، وان لا تتدخل اية دولة في الأمر مطلقا . غير ان انكلترا قد وافقت على هذا بشرط ان لا يحدث حادث فوق العادة ، ولكنها لم تلبث عشية او ضحاها حتى اتخذت حماية رعاياها حادثا من الحوادث الخارقة ، فخرجت عن ارتباطها ، وكانت وقعة التل الكبير ، فتراجعت الجيوش العرابية ، فاستلمت انكلترة ادارة مصر المالية والتجارية والسياسية ، واصبحت سلطة الخديوي اسمية يقود جيوشه قواد الانكليز .

ذلك ما فعلته انكلترة في سنة ١٨٨٢ دون صك ولا عهد ولا ارتباط بين الدول ، فاحتلالها حادث لم تعترف به الدول من الوجهة الحقوقية ، وعليه فان معاهدة لوندرة لسنة ١٨٤٠ لا تزال صحيحة ثابتة ، وما هذا الاحتلال في نظر الحقوق الا عارض ، قد يزول وقد يدوم بتقلب الحوادث الدولية .

غير ان هذه المعاهدة لم تتغير ، ولم تنسخها بقية الدول الموقعة عليها الا فرنسا ، فانها قد اعترفت بحماية الانكليز لمصر في اتفاق سنة ١٩٠٤ فجاء في المادة الأولى من هذا الاتفاق ما يأتي تعريبه :

« تعلن الحكومة الانكليزية انها لا تفكر بتغيير حالة مصر السياسية ، وتصرح حكومة الجمهورية الافرنسية انها لا تحبط عمل الانكليز في هذه البلاد بل تطلب تعيين مدة الاحتلال » .

ويستنتج من هذا الاتفاق ان فرنسا قد تنازلت عن حقها في معاهدة لوندرة ، غير ان روسيا والنمسا وبروسيا لم يوافقن بتاتا عليه لا في صك ولا في تصريح .

وقد دامت الحالة في مصر مشوشة من وجهة الحقوق لهذا التاريخ . اما بعد اليوم فان مصيرها سيحله مؤتمرنا الجديد ، فاما لها واما عليها حسب اندحار المحالفة او الاتفاق . والمستقبل رهين بكشف الظنون .

* * *

قناة السويس في التاريخ[1]

بما ان للقناة شأناً كبيرا ومكانا خطيرا في الحرب الحاضرة ، رأينا ان نبسط عنها كلمات في التاريخ وفي التجارة والاقتصاد ، وفي السياسة والحقوق الدولية فنقول :

كانت القناة برزخا يمتد من مدينة السويس على البحر الاحمر الى خليج بلوز على البحر الأبيض . ففكر في خرقه كثير من قادة الامم ، فلم يبلغ احد امنيته الا احد ملوك مصر في سنة ٦١ ق . م ، ففتح نيخاو من هذا البرزخ ٥٧ ميلا ، وما لبث ان سدته الرواسب الرملية .

تولى الفرس امر مصر في سنة ٥٢٥ ق . م ، فأمر « دارا » بجرف هذه الرواسب وتوسيع الترعة ، فعادت المياه الى مجاريها ، وما كادت مصر تنتقل الى سلطة الرومان في سنة ٣٠ ق . م ، حتى زالت الترعة الصغيرة ، وكانت نسيا منسيا .

ولما فتح العرب مصر في ٦٦٣ ب . م رجع الاتصال بهذه القناة على عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويد عامله عمرو بن العاص . ولكن الخليفة ابا جعفر المنصور ردمها عند ثورة أهل السويس ليقطع المواصلات عن المدينة . وقد أراد الخليفة هارون الرشيد ان يصل البحر الاحمر بالبحر الابيض ، فنهاه وزيره جعفر ، وقال كلمته الشهيرة « ان خرق السويس خرق في الاسلام » ، بناء على ما كان يعرف من قبيل الحقوق الدولية ، من ان الماء حد من الحدود الطبيعية .

وما زال العهد بالقناة على تلك الصورة ، حتى توسل فرديناند دولسبس احد ساسة الفرنسيس لخرق البرزخ ، وتولى لدى الخديوي سعيد باشا ، فأجازه في سنة ١٨٥٦ ، على شرط أن تقدم مصر لدولسبس عشرين الف عامل ، ويقدم دولسبس لمصر خمسة عشر في المائة من صافي ارباح القناة .

وخلاصة هذه الاجازة تنحصر في خمسة أمور :

(١) حفر ترعة للملاحة البحرية بين البحر الاحمر والبحر الابيض ، يكون طولها ١٣٠ كيلو

---

(١) المفيد العدد ١٧٠٤، ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ .

مترا ، تبتدىء من السويس الى خليج بلوز « اليوم بورت سعيد » .

(٢) حفر ترعة للملاحة النهرية ، تجمع النيل الى القناة البحرية ، وتمتد من القاهرة الى بحيرة التمساح .

(٣) حفر ترعتين تنفصلان عن الترعة الثانية ، وتصبان واحدة في جهة السويس والأخرى في جهة بلوز .

(٤) استثمار هذه القنوات وما يتعلق بها .

(٥) استثمار الأراضي التي يتركها الخديوي لدولسبس .

فألف دولسبس شركة لهذا العمل الكبير ، الذي أنفق عليه مقدار ٤٣٣ مليون فرنك ، رأس مالها مئتا مليون فرنك ، واصدر لها اربعماية الف سهم ، كل سهم بخمسماية فرنك ، فاخذت منها فرنسا ٢٠٧,١١١ سهما ، وأخذت مصر ٩٦,٥١٧ سهما ، ورصد دولسبس لانكلترا ولروسيا والنمسا ١٠,٨٦٦ سهما، رفضتها هذه الدول. فاضطر الخديوي ان يتناولها لحساب حكومته ، مع ما تناوله من قبل ، فاصبحت اسهم الحكومة المصرية في هذه الشركة مع الضمانة الجديدة ، وضمامة ثانية ١٧٦,٦٠٢ .

بدا دو لسبس بالعمل حتى كانت سنة ١٨٦٣ ، فتوفي الخديوي سعيد باشا ، واعتلى الاريكة اسماعيل باشا ، فرأى ان تقديم عشرين الف عامل من مصر يعطل عليها عملا كبيرا . فصرف العمال دون ان يقوم بهذا الشرط ، فاختلف الفريقان الى امبراطور الفرنسيس يحتكمان لديه ، فحكم الامبراطور للشركة بمقدار أربعة ملايين واربعماية وستين الف ليرة ، دفعتها الحكومة المصرية اضطراراً ، واخذ العمل مجراه ، حتى انتهت الترعة في سنة ١٨٦٩ . فدعا اسماعيل باشا كل ملوك اوروبا لمشاهدة افتتاح القناة ، فبعثوا برجالهم وكبرائهم وامرائهم ، حتى ان امبراطور النمسا فرنسوا جوزيف والامبراطورة اوجيني زوجة نابوليون الثالث قد حضرا بذاتهما ، وكان ذلك اليوم مشهودا .

بدأت البواخر تجري في القناة على مَهل زمناً ليس باليسير ، حتى ازداد عددها ، وتكاثرت العلائق بين الشرق والغرب ، فاضطرت الحكومة الى اصلاح القناة وتوسيعها ، والزيادة فيها ، فاصبح طولها ١٦٩ كيلو مترا ، وعرضها يتراوح على سطح الماء بين ١١٠ و٧٦ مترا ، وفي القعر ثمانية وثلاثين مترا ، وعمقها بين ٩ و٨ امتار . واصبحت البواخر الكبيرة تقطع القناة بمدة ١٦ ساعة ، بدلا من ٥٤ ساعة .

هذه هي قناة السويس من جهة تاريخها وانشائها . فاذا كان الاجانب ارادوا ان يفصلوا بها الشرق الادنى عن اجزائه ليصلوا بها الشرق الاقصى ، فنذكرهم بأن قاعدة الحقوق القائلة بأن الماء حد من الحدود الطبيعية قد نسختها القاعدة الراسخة في الحقوق الدولية (الماء صلة المتصلين) .

* * *

ترعة السويس في التجارة والاقتصاد[1]

اذا اغمضنا عما للترعة من المكانة السياسية ، وقلبنا الأمر من وجهته الاقتصادية ، تحققنا أنّ لها المنزلة العليا في رواج التجارة الاوروبية ، ونمو المصانع على اختلاف ضروبها ، في تلك البقعة من العالم الكبير . فلا يعجبن الناس اذا رأوا ان الترعة كانت الشغل الشاغل للدول الاوروبية ، كما سنبينه فيما بعد ، لما هنالك من التزاحم الاقتصادي .

احتفل اسماعيل باشا بافتتاح الترعة ، وبدأت البواخر تمخر بين ضفتيها في سنة ١٨٧٠ . فكان ايرادها في تلك السنة لا يتجاوز خمسة ملايين فرنك ، على حين ان مصروفها مع فوائض المال قد اربى على خمسة عشر مليونا . ولكن لم تمض على الترعة سنتان ، الا وقد ازداد الداخل على الخارج مليوني فرنك ، وتصاعد مجموع الاوزان التي مرت في الترعة من ٤٣٧ الف طن في سنة ١٨٧٠ الى مليونين في سنة ١٨٧٥ ، وثلاثة ملايين في سنة ١٨٨٠ ، وستة ملايين في سنة ١٨٨٥ ، وسبعة ملايين في سنة ١٨٩٠ ، وثمانية ملايين ونصف في سنة ١٨٩٥ ، وتسعة ملايين في سنة ١٩٠٠ ، وثلاثة عشر مليونا في سنة ١٩٠٥ ، وثلاثة وعشرين مليونا في سنة ١٩١١ ، واربعة وعشرين مليونا ونصفا في سنة ١٩١٠ ، وثمانية وعشرين مليون طن في سنة ١٩١٢ . وازداد عدد المسافرين من ٢٦ الف رجل في سنة ١٨٧٠ الى ٢٧٠ الف في سنة ١٩١٢ . وانتقل ايراد الشركة من خمسة ملايين فرنك في السنة الاولى من تأسيسها ، الى ١٣٦ مليونا في سنة ١٩١٢ .

اما ما يصيب الحكومة المصرية من صافي الارباح ومن الاسهم التي امتلكتها عند الاجازة ، فقد كان عظيما جدا ، لو بقي الامر رهن ايديها . لكن الحكومة قد اضطرت عند تراكم الديون على مصر ان تبيع الاسهم للانكليز بخمسة ملايين واربعة عشر الف ليرة ونصف في سنة ١٨٧٥ . ولو كانت هذه الاسهم باقية في يد الحكومة لكانت تبلغ قيمتها في ايامنا هذه خمسين مليون ليرة ، وايرادها مساناة مليون ليرة ونصف .

هذه هي قيمة الاسهم فقط . اما الخمسة عشر في المائة من صافي الارباح ، فقد باعتها الحكومة ايضا في سنة ١٨٨٠ الى البنك العقاري الفرنسي بقيمة مليون ومائة الف ليرة . وقد اصبحت قيمتها في يومنا خمسة عشر مليون ليرة وايرادها في السنة ٧٥٠ الف ليرة .

اوردنا هذا بيانا للناس وتحقيقا ، ليروا ان الترعة بعد ان كادت تفلس في ايامها الاولى ، أثرّت في نمو التجارة الاوروبية ، حتى انتقلت قيمة مال الترعة الى عشرة امثالها وزيادة ، بسبب توارد السفن التجارية ، لأن البضاعة الاوروبية اصبحت تجتاز مسافة الغرب الى الشرق بمدة شهر واحد ، بدلا من ان تنفذ اليه بمدة شهرين عن طريق رأس الرجاء .

---

(١) المفيد العدد ١٧٠٥ في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ .

وعليه فان التجارة الاوروبية قد ازدادت سعة لتقارب المساواة ، فدبت من أجلها روح التنافس بين الدول للسبق في نقل البضائع الى اقصى البلاد ، وذلك ما قلب اوروبة ظهرا لبطن في التجارة الغربية الشرقية .

كانت التجارة الانكليزية في سنة ١٨٧٠ لا تستطيع ان تحمل الى الشرق اكثر من مئتي باخرة في السنة ، فتمكنت بسبب القناة في سنة ١٩١٢ من ايفاد ثلاثة آلاف وثلاثمائة واربعين باخرة ، تقل الى تلك الاقاصي انواع المصنوعات الانكليزية ، حتى انقلب وجه انكلترة من طور الى طور في تجارتها الخارجية .

اما الالمان فلم يكن في وسعهم ان يوردوا الى الشرق اثرا من نتاجهم ، فتدرجوا من طريق القناة من بعثة ثلاثمائة باخرة في سنة ١٨٩٥ الى ستمائة في ١٩٠٥ ، والى سبعمائة في سنة ١٩١٢ ، حتى ان نسبة الزيادة بين الالمان والانكليز في كل سنة كانت في جانب الالمان . وهذا اثر غلت من اجله مراجل .

لم ينحصر التأثير في تجارة هاتين الدولتين ، بل تعداهما الى الرقباء من دول الغرب ، فبعد ان كانت النمسا منقطعة الأوصال عن تجارة الشرق الأقصى ، تبارت مع جارتها ، فنقلت في سنة ١٨٩٥ سبعين باخرة . وفي سنة ١٩١٢ مئتين وخمسين . وكذلك ايطاليا وهولاندة فلم يكن لها قبل القناة الا الغيض من الفيض ، حتى كان للأولى في سنة ١٩١٢ ماية وخمسون ، وللثانية ثلاثمائة واربعون باخرة تتبطن تلك القناة .

هذا عدا عما هنالك من البواخر الافرنسية والروسية . فالقناة كانت عاملا كبيرا في نمو التجارة الاوروبية ونشرها في عرض البلاد ، لأن هذه التجارة الغربية الشرقية لم تكن تستوعب استعمال اكثر من ثلاثمائة باخرة في السنة ، فأصبحت تستعمل خمسة آلاف واربعمائة باخرة بعد افتتاح هذه الترعة العظيمة .

هذه لوحة نعرضها للقراء ليقفوا على ما فعلته الترعة من الانقلاب في الامور الاقتصادية الاوروبية ، وما يترتب من جراء ذلك التزاحم والمباراة من تكاثر الثروة بتكاثر الاصدار والاستجلاب . اما التأثير في مشارق الارض من اليابان والهند والسواحل الافريقية الشرقية ، فقد كان نافذا في اصدار المواد الاولية للاقطار الاوروبية ، حتى تمكنت هذه المشارق من مباراة اوروبة في الصناعات الخاصة .

نعم ان الترعة كانت صلة التجارة والتعارف بين المشارق والغرب ، ولكنها كانت شعلة بين تنافس الدول ، حتى انقلب التراحم الى التزاحم ، والمنافسة الى المشاكسة . وما الحرب الحاضرة بين الالمان والانكليز ، الا اثرا احجبت بعضه عوامل التجارة الشرقية والغربية ، فزهقت من اجلها نفوس وتطايرت رؤوس .

* * *

القناة في السياسة[1]

كانت الفكرة السياسية في افتتاح القناة مبنية على تنافس الانكليز والفرنسيس في استعمار البحر الهندي والمشارق الاسيوية ، حيث كان الفريقان يعملان على استئصال ثاني الاثنين ، حتى اديلت الهند من الفرنسيس للانكليز في سنة ١٧٦٣ ، ومكّن لهم في اكثر مواقف التزاحم .

صبر الفرنسيس على هذا المضض طويلا ، حتى أوحي الى دولسبس ان يخرق القناة ، فتبقى ملكا بين ايدي الفرنسيس ، ينفذون بها الى الشرق واقاصيه ، فيتعقبون الانكليز حيث يرتفقون ، ويقضون على سلطتهم حيث يتبسطون : وذلك بأن يبعثوا باساطيلهم عن طريق القناة ، حتى اذا جاوزتها سدوا مفاتحها في وجه الانكليز ، ونالوا هنالك ما يرغبون .

شعر الانكليز بما يكيد لهم الفرنسيس ، فنهضوا بما بلغوا من قوة ، يناوئون الفكرة في الاستانة ، صاحبة الأمر في مصر ، والمرجع الأعلى في الاجازات الاقتصادية الخارجية . ولكن الفرنسيس لم ينثنِ عزمهم عن ان يزيلوا من الباب العالي وسوسة الانكليز ، ويزينوا له فوائد الترعة ، حتى صادق على الاجازة في سنة ١٨٦٦ . وفشل الانكليز بعد محاولة اثنتي عشرة سنة في اخفاق الفكرة واحباط العمل .

اما وقد وقع القضاء على انكلترا بافتتاح القناة . وحقّت الحاقة بالتياث وسائلها السياسية ، سارعت الى الذرائع الحربية ، فاحتلت جزيرة « البريم » في باب المندب بين غاية البحر الأحمر ونهاية البحر الهندي ، وأعدت فيها من حديث القلاع ما فيه منعة الدفاع .

لم يكتف الانكليز باستحكامهم من وراء الترعة ، بل فكروا في ان تكون لهم قاعدة امام القناة ، فاضمروا لجزيرة « قبرص » . حتى كانت الحرب العثمانية الروسية فاحتلوها في سنة ١٨٧٧ . وما كان احتلالها الا لهذه الغاية ، ليكونوا يوم الازمة امام القناة ووراءها في قوة جامعة ومنعة مانعة .

بين احتلال جزيرة البريم وجزيرة قبرص بلغت أزمة مصر المالية منتهاها ، فعمد اسماعيل باشا الى بيع ما لديه من اسهم القناة . فأدركت انكلترا ان إخفافها في احباط الترعة يوجب عليها بعد وجودها ، اما امتلاكها ، واما الاشتراك في السيطرة عليها . وان الفرصة قد اذنت باقدام الخديوي على بيع الاسهم .

عرضت حكومة مصر على انكلترا تلك الاسهم التي تكاد تبلغ نصف اسهم القناة ، فاظهر الانكليز بدهائهم فكرة التردد في الابتياع ، فاعرضت عنها حكومة مصر الى حكومة فرنسا ، فاحجمت هذه، اذ رأت ان الانكليز محجمون. ولكنها لم تلبث ضحية الا وقد سمعت نداء الانكليز بشراء اسهم الخديوي ، ولو اقدم الانكليز عند الوهلة الاولى لافسد عليهم

---

(١) المفيد العدد ١٧٠٧ في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ .

الفرنسيس ما يرتقبون ـ وذلك ضرب من دهاء السياسة يتناوله رجال الادارات العامة في اكثر الاحايين .

اطبقت انكلترا على القناة من الجنوب . ووقفت تحرسها من الشمال ، وابتاعت ما يقرب من نصف الاسهم تفاديا من تسرب الفرنسيس الى البحر الهندي وما جاوره ، ومع ذلك فان نفسها لم تقر على سكينة ، وعينها لم تغمض على طمأنينة ، فما تداخل البحران الا وجاش في قراراتها احتلال مصر منذ سنة السبعين ، لتكون قبضة الهند وما في بحرها من المرافق رهن تصاريفها ، ومقادير رجالها .

فتربصت حتى اتيحت لها المراقبة المالية على مصر عند اشتداد الازمة . ولكن ذلك لم يطلق لها كل العنان ، لأن ديون فرنسا كانت اشد وطأة على مصر من ديون انكلترا ، فرضيت بقسمة المراقبة وتأييد السلطة المشتركة الى ان تمخضت ثورة عرابي .

هنالك أنعمت انلكترا الرأي لتقلص سلطة الفرنسيس ، وتكون حرة مطلقة في السيادة على القناة ، فاجمع « الاجماع الاوروبي » على عقد مؤتمر في الاستانة يعهد فيه للدولة العلية باطفاء ثورة الثائر .

فاغمضت انكلترا على القذى . وما لبث ان حاصت في بطن المؤتمر سنة ١٨٨٢ ، فانسلت من بين الجمع ، واندست في مصر وطور سيناء بحجة المحافظة على رعاياها كما ادعت واذاعت . ومنذ ذلك العهد وهي تراوغ في الخروج لئلا تخلص القناة وغيرها فتخرج الهند عن سلطتها . وما الهند بالشيء اليسير ، فتجارتها تبلغ ثلاثمائة مليون ليرة انكليزية في السنة . ففي الهند حياتها والهند عماد تجارتها .

وقصارى القول ان الانكليز بعد فشلهم في إحباط الترعة احكموا موقعهم في الجنوب والشمال ، وفي الغرب وفي الشرق من القناة ، واجهدوا انفسهم بأن سجلوا في الحقوق الدولية ، كما سنفصله فيما بعد ما احتاطوا به في موقف الترعة كل الاحتياط .

ويمكننا القول بأن احتلال مصر والطور وقبرص لم يكن الا بسبب القناة ، وان القناة لم تكن الا بسبب بحر الهند ، ولولا هذا لما كان ذاك .

هذه هي الترعة في السياسة . وستسجل المعالي بعد اليوم صفحة جديدة في تاريخ القناة ، عما يفعله ابناؤنا من جميل الذكر وجليل الاثر .

* * *

الترعة « في الحقوق الدولية »[1]

استقرّت الدول بالاجماع ، على أن كلّ ترعة لا تجاوز أرض غير دولة واحدة ، تكون تبعا لتصاريف هذه الدولة ، الاّ ترعة واحدة هي ترعة السويس ، فان الدول قد انتهكت حرمتها ، وانتزعت ادارتها ، من يد دولتها ، خلافا للمألوف في الحقوق الدولية ـ ذلك بأن لها من المكانة السياسية والاقتصادية ، ما أسلفنا فيما سبق من المقال .

توالت على الترعة أربعة عهود من الحقوق ، كانت فيها رهن المشيئة السياسية تتقاذفها الدواعي ، وتتلاعب بها قدرة الرجال .

العهد الأول ، صكّ المصادقة على اجازة دولسبس في سنة ١٨٦٦ من لدن الباب العالي ، وفيه قد ضمنت انكلترا لنفسها بعض المرتجى ، اذ اخفقت كل الاخفاق في احباط عمل الترعة ، فجعلت الملاحة فيها حرّة لكل الدول دون استثناء ، لئلا تستأثر بها فرنسا دون انكترة ، فتفسد عليها تجارتها في الشرق ، وتستأصل سلطتها من الهند ، فجاء في المادة ١٣ من هذه الاجازة « ان المرور في القناة مطلق لكل البواخر دون تمييز ولا استثناء ودون تفضيل شخص او رعوية جنس » .

اذا ، ضمنت انكلترة لنفسها حرية مرور البواخر التجارية في القناة بهذا العهد الأول ، فان مرور المراكب الحربية للدفاع عن سلطتها في الشرق أشغل بالها واستوعب اهتمامها ، لئلا توخذ يوم اشتداد الخناق على حين غرّة ، فأعملت الفكرة معملها ، وهاجت من الدول ساكنها ، فحملت أوروبا على ما في نفسها ، حتى اتفق الاجماع الاوروبي على تأليف لجنة دولية ، فاجتمعت في الاستانة في سنة ١٨٧٣ ، وخلصت عنها من القرارات حرية المرور للمراكب التجارية والحربية في القناة ونقل الجيوش دون مناقشة او اعتراض .

وهذا هو العهد الثاني في الحقوق الدولية من عهود القناة ، الذي توصلت به انكلترة من نقض ما كانت تريده فرنسا من سدّ الترعة في وجه الانكليز ، يوم تود القضاء على استعمارهم في الشرق ، فأمنت انكلترة بهذا العهد الثاني الذي أجمعت عليه أكثر الدول ، مما كانت تحاذره من مكايد الفرنسيس ، لأن حرية المرور للبواخر التجارية والحربية أصبحت تحت ضمانة المراقبة الأوروبية جمعاء .

غير ان انكلترة كانت تطمح الى مقاصد ادق وأجلّ ، فما التحمت الحرب بين الدولة العلية والروس ، حتى نادت بملء فيها ان حصار القناة او تعطيل سير البواخر مدعاة لتهديد الهند ، فان فعل احد الفريقين ، خرجت عن الحياد الى خوض الغمار ، فاضطربت اوروبا لهذا النبأ وانتظر الساسة امرا فريا .

مضى على ذلك التصريح خمس سنوات ، فكانت انكلترا في مصر تشغلها وتستغلّها ،

---

(١) المفيد ، العدد ١٠٧٩ ، ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤ .

فماذا عسى ان يكون مصير القناة بعد هذا الحادث الحديث ؟ .

كانت الدول تشايع الانكليز في سياستها مخافة استئثار الفرنسيس بالقناة ، ولكنّها رأت نفسها أنها وقعت فيما هو أدهى وأمرّ في هذا الاحتلال الجديد ، فانقلبت مؤامرة الدول على الانكليز ، بعد أن كانت لهم على الفرنسيس ، فعقد مؤتمر باريس في سنة ١٨٨٥ ، وقرّر كثيرا من الامور احتياطا من اثرة الانكليز في القناة ، فاضطرت انكلترة الى الاذعان امام الاجماع الاوروبي ، وأمضت الاتفاق مع الدول على الترعة في سنة ١٨٨٨ . أمّا ما في هذا العهد الثالث من الحقوق الدولية فاهمه ما يأتي :

« المادة الأولى » ـ المرور مطلق لكل المراكب التجارية والحربية أيام السلم والحرب . فازدادت على ما في العهد الأول من الحرية للبواخر التجارية ، وعلى ما في العهد الثاني من الحرية للمراكب الحربية ، حرية المرور للاثنتين « ايام السلم والحرب » وهي خطوة في جانب نفوذ الدول تأيدت رغما عن رغبات الانكليز ، لأن الدول قد أمنت من بعث أساطيلها في القناة ولو كان الانكليز في دار الحرب .

« المادة الرابعة » ـ تمر مراكب المحاربين في الترعة دون توقف ، واذا وقفت فلحاجة قصوى لا تتجاوز مدّتها ٢٤ ساعة .

« المادة الثامنة » ـ يتكفّل معتمدو الدول في مصر بتنفيذ هذا الصكّ ، واذا فقدت حرية المرور ، فيجتمع ثلاثة منهم برئاسة الاكبر سنّا ويفاوضون الخديوي فيما يجب من الوسائل لتأمين هذه الحرية ، ويجتمعون في كل سنة مرة واحدة للمراقبة على تطبيق هذا العهد برئاسة مندوب عثماني .

وقد أرادت بهذه المادة ، أن تجعل القناة رغم احتلال الانكليز ، تحت السيطرة الاوروبية ، وذلك ما كانوا يحاذرونه من ارتباط سلطتهم بهذا القيد الوثيق والعبء الثقيل .

فانقلبت حرية المرور للتجارة والحرب التي كانت تسعى اليها انكلترة من اجل منافعها قبل الاختلال ، أي بمعرفة الرقباء من الدول حتى أيام الحرب بعد الاحتلال ، وما زاد في تأففها الا تلك المراقبة الدولية الجديدة في تنفيذ هذا العهد الثالث .

فطوت انكلترة على كشحها زمنا طويلا حتى تعارفت مع الفرنسيين ،فوقعتعلى معاهدة « التصفية الكبرى » في سنة ١٩٠٤ ، وفيها باب لمصر ، وفي الباب ذكر للقناة تمكن فيه الانكليز من موافقة الفرنسيس على الغاء هذه المراقبة الدولية . فقد جاء في المادة السادسة من هذا العهد الرابع ما يأتي : بما أن حرية المرور في القناة مضمونة ، فالمادة الثامنة من معاهدة ١٨٨٨ ملغاة .

هذه هي العهود الاربعة في الحقوق الدولية للقناة ، ففي العهد الأول حرية البواخر التجارية ، وفي العهد الثاني حرية المراكب الحربية مع التجارية ، وفي العهد الثالث حرية الاثنتين أيام السلم والحرب وتكوين لجنة المراقبة ، وفي العهد الرابع الغاء هذه اللجنة بموافقة بعض الدول . أي أن في العهد الأول والثاني تأييد لنفوذ الانكليز في القناة . وفي

العهد الثالث توطيد لنفوذ الدول على الانكليز ، وفي العهد الرابع زعزعة هذا النفوذ ، واطلاق الحرية للانكليز فيها تصاريف الأحوال يقودها حسب المصلحة دهاء الرجال .

وخلاصة البحث فيما سلف من مقالاتنا الاربع في هذا المجال ، ان ترعة السويس مبنية على تنافس الانكليز والفرنسيس بالسياسةوالاقتصاد في الشرق ، فما نجح الفرنسيس بفكرة افتتاح الترعة ، الا وقد احتاط الانكليز من جهة السياسة والحرب ، فوقفوا وراء القناة في البريم ، وامامها في قبرص ، وعلى جنباتها في مصر وفي الطور ، وأخذوا من الحقوق الدولية سلما لتأييد منافعهم وتوطيد نفوذهم ، فماذا عسى أن تكون القناة في هذه الحرب الداهمة ؟

ـ ان مصر وقناتها مشكلة دقيقة تهتم لها أركان الوزارات في السياسة الدولية . وقد احسنت الدولة العلية في فتح المسألة في الآونة الحاضرة ، عملا بما كان يقول بسمارك داهية أوروبا في القرن العشرين لرجاله :

« اذا التوى الانكليز عمّا تريدون ، فهزّوا له عصا مصر » .

* * *

« وصية الشهيد »[1]

« يا بني يعرب ، ويا سلالة قحطان . يا نسل الاكارم الاماجد ، ويا خلف الاشاوس الصيد ، الذين دوخوا العالم بعزمهم ، وملكوا الدنيا بعدلهم . يا ذوي الهمم الشماء والنفوس العصماء والمآثر الغراء يا اباة الضيم ويا حماة الذمار وحافظي العهود . يا أيها الأخوان المنتشرون في جميع انحاء العالم المعمور واقطاره،سلام .

« أوجه خطابي هذا اليكم وأنا على شفير هاوية الموت وبين براثن الوحش التركي الذي خرب بلادكم ودمّر بيوتكم ويتم اطفالكم ورمّل نساءكم وأذل اخوانكم وامتهن حرمتكم وحبس ملاك الحياة وقوامها عن اطفالكم المعولين وأولادكم الصارخين ليقدمها طعاما لاطماعه وليقيت بها ابناء عنصره الخبيث . أوجه اليكم خطابي هذا من بادية الشام من بين مضارب اخوانكم الاعراب الاسود الذين عليهم المعول الأكبر في انقاذ البلاد ودك عرش الظلم والبغي والجور وكل فاحشة ومنكر .

« وقد لا يصلكم كلامي هذا قبل وصول منعاي لأن الأتراك الظالمين الكفرة قد اصدروا احكامهم الجائرة عليّ وعلى عشرات غيري من خيرة أبناء سورية وبعد ما أفلت من ايديهم واصبحت حراحيث تتجلى الحيرة بأسمى مظاهرها بين خيام الاسود ومضارب الظباء أرى الواجب علي يدعوني الى نواحي الشام واني مبكر غدا بعد أن أعهد الى أخي في الجهاد ... النجدي في خطابي بالطريقة التي يراها فان تيسر لي الخلاص والافلات مرة ثانية أتممت

---

(١) وصية الشهيد عبد الغني العريسي ـ كتاب ثورة العرب ١٩١٦ .

الواجب والا فحسبي انني خدمت أمتي وبلادي حتى آخر نقطة من دمي ولست بالفدائي الأول الذي يموت اليوم في سبيل القومية العربية . فالرفاق كثروا والغاية النبيلة التي نقوم بها وندعو اليها تقتضي ضحايا كثيرة لأن اركان الحرية والاستقلال لا تثبت الا على الدماء الذكية ولا تصان بغير النفوس الابية فلا تيأسوا اذا بلغكم غدا ان مئات من نخبة رجال الأمة العربية قتلوا فالغد يتلوه غد ايضا وبعد غد فرج ان شاء الله .

« ستسمعون ـ وربما سمعتم ـ بما ترتعد له الفرائص وتقشعر له الابدان من الفظائع التي يمثلها ابناء جنكيز خان المغولي وسلالة تيمورلنك الوحش الضاري في الأمة العربية النجيبة لأنهم قد قرروا افناء الشعب السوري برمته حتى الاطفال وهم منذ أشهر عاملون على احتكار الأقوات تحت سلطتهم العسكرية وقد قرروا ايضا محق العراقيين الاباة ولكنهم في العراق اقصر يدا مما هم في سورية .

« ربما خلت سورية من ثلثي سكانها الحاليين،لأن من ينجو من المشنقة يميتونه تجويعا وهزالا ومن كتب له عمر في دفتر القدر ينفونه الى الاناضول والروملي فيندغم هناك في العنصر التركي ويصبح تركيا،بعد قليل من الزمن لا يذكر احفاده أصلهم الشريف . وقد باشر هؤلاء الكفرة الذين ارفع العرب مجدهم وصانوا عرشهم، اذلال العرب وابادتهم فاعملوا السيف والمشنقة ونفوا عائلات كثيرة من سورية ولبنان المحبوبين وأخذوا يعدون معدات الهلاك ويفرغون البيوت ويخلون القرى والمدن ـ في سورية المفداة ـ من سكانها لكي يسكنوا مهاجري الاكراد والاتراك ويعيدوا بواسطتهم تمثيل المأساة المفجعة التي مثلوها بالعنصر الارمني الشريف الباسل بالأمة العربية الكريمة .

« لقد حاولوا قتل لغتنا وجربوا أن يميتوا عاطفتنا القومية وبذلوا الجهد في تتريكنا فلم يفلحوا . كل هذا ونحن صابرون صبر الكرام ، أما وقد باشروا ابادتنا واجلاء من يبقى من المزارعين والعمال عن البلاد السورية الى حيث يفقد جوهر عنصره الشريف فلا صبر على هذا ولا طاقة .

« ان قائد الفيلق جمال باشا الجاسوس الأكبر قد عرقل بحيله مساعينا وأخر قيامنا فانه بعد خيبته بغزوة مصر واسترجاع القطر الشقيق الى العبودية تظاهر بالميل الى العرب وأسرّ الى عشرات من كبار الشعب السوري انه يريد الاستقلال بسورية وقد المح مرات في الولائم الخاصة التي كانت تقام له الى استقلال سورية وحث المتنفذين على النهوض والقيام وشق عصا الطاعة على الحكومة فوثق كثيرون منا به ولكن البعض الآخر منا لم يأمن غدره ولا تغافل عن تنبيه اخوانه الى الحذر من الوقوع في حبائل مكره وقد تمكن بهذه الاساليب الخداعة والاكاذيب السياسية من اكتشاف بعض دخائل السوريين فاعمل فيهم السيف وأمعن فيهم قتلا ولكن سيفه ومشنقة دواوينه العسكرية واحكامه الجائرة ومنكراته الفظيعة هذه كلها كانت اكبر مساعد لنا على دعوتنا واعظم منشط لنا في جهادنا وهي وان تكن أخرت أوان القيام به الا انها وطدته وثبتته ودعتنا الى التحفظ والتعقل والروية والتفكير .

« نحن الآن نطلب حياتنا من براثن الموت . ان خطتنا منظمة كما يجب وستجود سورية بالمبشرين بدين الاستقلال العربي ، والفرج معقود على اسنة الاسل ومكتوب على شفار بيض الضبي . الفرج يأتي من البادية والجذوة الميمونة المتقدة الآن في الحجاز هي فاتحة البركات للبلاد العربية جمعاء .

« لا تلبث نجد ان تثور والاسد العراقي ان يثب عندما تصل اليه الامداد والشبل السوري الضعيف المحبوس في قفصه الحديدي ستهبه النخوة القومية وتكسبه الغيرة الجنسية قوة وعزما فيكسر قضبان سجنه الفولاذي ويحطم بقوائمه رأس مقيده . وقد لا ينقضي الخريف وتهب عواصف الشتاء الا وتثور زوابعنا وتنقض صواعقنا على هامات الظلام الاوغاد الاجلاف العلوج .

« فيا اخواني الاعزاء المهاجرين في الاصقاع البعيدة عن مظالم الاتراك وجورهم اطلب اليكم باسم القومية الشريفة التي ننتمي اليها ان لا تتقاعسوا ولا تتقاعدوا ولا تتعاموا عن نداء الوطنية والحرية والاستقلال العذب الذي يدعوكم الى الاتفاق الى الاتحاد الى التعاضد ، الى الوئام ، الى الانضمام والالتفاف، لما فيه خيركم وخير بلادكم ،ونجاة ذويكم وحريمكم واعراضكم من الدمار والفناء والموت والانتهاك والدنس .

« اعلموا ان اخوانكم هنا يقدمون ارواحهم ويضحون نفوسهم في سبيل القومية فلا تضنوا انتم بالاتحاد والاتفاق . ألتمس منكم ان لا تفترقوا فرقا وطوائف . فاليوم لا مسيحي ولا مسلم ولا يهودي ولا درزي ولا وثني ، بل الجميع عرب وفي العرب وللعرب لا لبناني ولا بيروتي ولا شامي ولا حلبي ولا حمصي ولا حموي . فحظ بيروت هو حظ لبنان ، وحظ الشام وحلب وفلسطين والعراق والحجاز واليمن .

« اني لعلى ثقة مما اقول فلا تشكوا . وحّدوا جمعياتكم ، وحّدوا افكاركم ، وحدوا آراءكم ، وفقوا بين مشاربكم واذواقكم ومساعيكم.

« ادعوكم ايها الاخوان المحبوبون اينما كنتم ، وحيثما اجتمع منكم عشرة ، أن تبادروا الى تأليف جمعيات باسم سورية ، تتعارفون بها وتتفاهمون وتكرسون مما رزقكم الله ، من خيراته وبركاته ونعمه وأمواله لأجل سورية الجديدة ، لأجل سورية المستقلة .

الجزء الثاني

مقالات غير موقّعة

يُظن انها لعبد الغني العريسي

المقدمة[1]

اللهم إنا نحمدك ونستعين بك ، ونستهديك صراطاً سوياً ، ربنا إنا نجأر اليك ونتوكل عليك ، فاحللْ عقدة من لساننا ، وهيء لنا من أمرنا رشدا .

« أما بعد » فهذه جريدة وطنية ، تبحث فيما يؤول لتحسين الامة ، وتدعو الى ما فيه صلاح الرعية ، فتعرب عن سرائرها بغير محاباة ، وتفصح عن وجدانها بلا هوادة . تلتزم الحق فيما تقوله ، ولا تداجي ، وتترفع باستقلال الفكر ولا تداري ، تناقش أولياء الأمر ان رغبت نفوسهم عن الحق ، أو تراخت في مصلحة الخلق ، وتنظر الى عناصر الامة نظرة نبينا عليه الصلاة والسلام حيث يقول : « الخلق كلهم عيال الله فاحبهم اليه أنفعهم لعياله » .

وعلمية : تتوخى في أبحاثها ما يرشد الى معالي الاخلاق ، ويثبت ذكرى الماضي ، ويبسط مستحدث الاختراع ، ويقيد شوارد الأدب من نثر او شعر .

وسياسية : تنشر من الأخبار ما يفيد الناس ، لا سيما ما له مسيس بالأمة العثمانية .

ان هذه (بداية) الجريدة ، فاشهد اللهم ، وثبت قلوبنا (لئلا) تجعلنا ممن يلبسون الباطل بالحق ، او يقولون بغير علم ، أو يؤثرون الضلالة على الهدى . فانا قد رهنا همسات قلوبنا ، وبدوات خواطرنا لنهضة البلاد ، وخير الأمة وارشاد الناس ، فسدّد أعمالنا ، وأنزلنا منزل صدق بين العاملين .

كان الناس يشايعون الامير ، ويبايعون الكبير ، ولا يراعون حرمة الوجدان ، ولا كرامة الضمير ، فانقضى ذلك العهد وتنزلت آلهة الحكام عن (....) وأصبح القوم بنعمة الله اخوانا ، لا استئثار بالأمر ، ولا استبداد بالرأي . فحيىّ الله الأمة اذ غدت تدير شؤونها بيدها ، وتعمل على صلاحها من نفسها . وحيىّ الله الحكم اذ رجع الى نصابه ، بعدما اختلسه الظَلَمة الجَوَرة والخونة المكرة الذين أرادوا بنا كيداً فجعلناهم الاسفلين . اولئك الذين خسروا أنفسهم ، وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ، ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا

---

(١) المفيد ، العدد الاول ، ٩ شباط ١٩٠٩ .

فأضلونا السبيل ، ربنا آتهم ...

أما وقد وقع الحق ، وبطل ما كانوا يعملون ، فَحَمْداً لاولئك الابطال الاحرار الذين تاقت نفوسهم الى أن :

يشربوا الموت في الكريهة حلواً خوف أن يشربوا من الضيم مرّا

وشكرا لهم ، فانهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون .

* * *

عليكم بالثروة[1]

سكنت ضوضاء السياسة من جانب الدولة ، وانقشعت الغيوم عنها ، فنحن اليوم أحوج الى السلم من الحرب ، لأنا في حاجة كبرى للعمل والرقي والنهوض الى درجات الدول العظمى في اوروبا ، بحيث أن السلم ضروري ومهم للدولة أكثر من الأراضي التي أضاعتها من قبل يد الاستبداد الآثمة .

فنحن نرضى ونكتفي بما بين أيدينا من الأراضي الواسعة . والحاجة تدعو الى ايجاد رجال يعملون ، وأدمغة قوم يفكرون . فمن ضرب في أرض اوروبا اندهش من أمر أولئك الناس الذين يعملون ويجنون من وراء ذلك ثمرا ، ويفيدون مجتمع الامة بأجمعهم . ان أراضينا كنوز مطمورة لا ينقصها الا العمل ، فينبغي أن نغيّر من أخلاقنا ، ونبدل من عاداتنا حتى نعمل جدّ العمل ، وندير حركة الصناعة والتجارة .

نحن أمة أخلدت الى الخمول ، لأن المعيشة في بلادنا تحت سماء صافية يسيرة ، فلا يفكر المرء بمعاشه ، اذ لا مزاحم له في أموره .

نعم ان المزاحمة لتبعث الهمم للعمل ، ولكن اذا لم يكن مزاحمة ، فهل من الضرورة أن يسكن المرء الى الكسل . ينبغي لكل بلدة من بلادنا ، وكل قرية من قرانا ، أن يضعوا نصب أعينهم كلمة قالها « كيزو » أحد الساسة المؤرخين الافرنسيين . وهي « عليكم بالثروة » . فاذا انغرست هذه الكلمة في أخلاقنا ، فثمت حياة ونهضة وقوة للبلاد .

وحذار فان حب الكسب من الابواب السهلة التي لا تستوجب همة ونشاطا ، قد أفضى برجالنا أن ينخرطوا في دوائر الحكومة . فعلينا أن نترك الوظائف برمتها ، ونعمل أجمعنا في الاعمال الحرّة لا المقيدة كالتجارة والصناعة والزراعة ، فان غنى البلاد لا يكون الا من وراء محصولاتها . وما ينقص الامة العثمانية الا رجال يعملون فينتجون .

والرأي الذي سيعول عليه فيما ستقرضه الحكومة من المال ، هو أن تخصص قسما

---

(١) المفيد ، العدد ١٧ ، ٢٧ شباط ١٩٠٩ .

كبيرا منه للزراعة المبنية على العلم ، لا سيما علم الالمان أو الطليان ، وأن تسهل المواصلات بواسطة السكك الحديدية .

ومتى استطعنا أن ننقل المزروعات من أرضنا الى البحر أصبحت الامة العثمانية أمة اقتصاد حق ، فترقى الصناعة من تلقاء نفسها ، لأن هذه الامة كأمة الفرنسيس لا تحتاج الى غيرها من الامم ، اذا عملت يدها في أراضيها .

فعليكم بالثروة أيها القوم ، فان عمل كل منكم عائد نفعه على الجميع . وعلى الحكومة أن توجه أنظارها الى هذا الامر ، فتوطد الامن في البلاد ، وتسعى الى الرقي في الامور الاقتصادية ، وتعمل على المشاريع الوطنية كاستخراج المعادن واستثمارها ، فتبعث همم الأهل من تلقاء نفسها ، متى رأت سبيلا للعمل .

والحذر الحذر من أن نعتمد في الرقي على الحكومة ، فعلينا أن نعتمد على أنفسنا اذا رأينا من الحكومة عجزا أو تقصيرا ، لأن الحكومة وان اصبحت دستورية ، لا تجدي نفعا اذا لم تأخذ بناصرها الرعية .

فعلينا أن نقول للناس أجمع أن النهضة لا تكون الا بمساعيكم لاصلاح أنفسكم بالعمل : الجد والكد والجهد . واذا كان هذا العمل مجلبة لحب المال وحصوله ، فأنعم به أيها القارىء واسع وراءه .

* * *

منصب الافتاء في بيروت [1]

حيّ الله رجالات بيروت وبيوت العلم ، اذ غدت تديرها حركة الاحزاب وتعتملها منازع الفوز بالتسابق . فقد رأيناها منذ أيام تموج موجا ، وتتدافع للظفر تدافعا في أمر الافتاء ، حتى خيل للناس أنهم بالعاصمة مقر الاحزاب . بيد أننا ننكر عليها ما شهدناه في أنفسها من التخامل والتباغض ، وقطع أواصر الاخاء ، ووغر الصدور فيما بينها . على حين أن اختلاف الآراء غير داعية الى اختلاف القلوب ، فينبغي للآراء أن تكون عديدة ، وللقلوب أن تكون واحدة ، ويستوجب حب الوطن أن تتماسك القلوب كلما تباعدت الافكار .

ان في بيروت حزبين لامر الافتاء حزب الاستاذ الشيخ احمد أفندي عباس الازهري ، وحزب الاستاذ الشيخ مصطفى أفندي نجا ، وكلاهما غصنان لا يجوز للوطنية أن تتوغر عليهما ، فتفقد ساعداً شديداً وزندا حديدا .

يضعف هذين الحزبين وحشة القلوب ونفرة الصدور . فعلينا أن نستل التقاطع من

---

(١) المفيد ، العدد ٢٨ ، ١٢ آذار ١٩٠٩ .

النفس ، ونعمل على الظفر بطيب نفس ، وطمأنينة روع . فقد علمنا أن جميع الاحزاب في بلاد المدنية ، لا سيما أحزاب الاستانة اليوم ، تجرّ الماء في النهار الى غرسها ، وتتجاذب الفوز الى نفسها ، وتقضي في الليل سمرها قضاء الانيس مع أليفه والرفيق مع رفيقه .

وأول واجب على الاحزاب أن يجعلوا نهمة أنفسهم وقرّة عينهم بدأة ذي بدء في مصلحة الوطن ومنفعة الامة ، وأن يطرحوا حب الذات ، وان جابه حب المجموع ، فان الاحزاب مسؤولون عن مستقبل البلاد .

ونحن اليوم في حاجة الى التعاضد والتوادّ ، لا الى التقاطع والتدابر ، فتوادوا أيها الاحزاب ، فان اشتداد الازر بالاتحاد من الضرورة لتناهضوا الاخطار التي تربض لكم ، وتصادروا الاهاويل التي تتربص بكم . الا وان البلاد الحية خفّت الى النمو فنمت ، والخاملة بعثت من رقدتها فنهضت .

فلا تدعوا مدينة أنتم من رجالها تتداعى الى الاضمحلال ، وتقرضها التفرقات والانقسام ، ويفنيها البغض والشحناء ، فأنتم لا ترضون أن يتألب عليكم الاغيار بتهاونكم ، ويظهر عليكم بتنازعكم ، ولا ترغبون في أن تقوى قواكم فنجلى عن مناصبنا ، ويسحقنا البلى وتنقض علينا زعازع نرى في الأفق ركام سحابها .

فتحابوا وكونوا حراصا على الاخاء فيما بينكم ، واعلموا أنكم متضامنون متكافلون ، ان اوذي اليوم أحدكم ، فلسوف تؤذى الامة عاجلا أو آجلا ، ولسوف يؤذى قوم آخرون .

* * *

منصب الافتاء[1]

« لا تقلدوا الامور غير أهلها فتهينوها »

أعظم عامل كان يقرض الامة الاسلامية منذ سنين ، ويأخذ من بأسها ، ويذهب بمنعتها أمران : التغاضي عن الواجب ، والوساطة في تقليد المناصب .

اعلن امر الشورى فقلنا : مضى ما مضى ، وسيعمل أولياء الامر على المقتضى ، وتسعى الأمة وراء نضرة الحياة ، وتنزع الى مستظل الصبر . ولكن ما لبثنا أن رأينا في همة الوالي فتورا ، وتحققنا في تردد عزيمته أمراً مستوراً .

يتوسط اليوم حزبا الافتاء لدى الوالي في تعيين من يسكنون اليه ويأنسون به ، توسطا أوقعه في الاضطراب ، بحيث أصبح لا يستطيع أن يعلم واجب الحكمة ، وكنه الحقيقة . وعليه فقد مضى على مجلس الادارة جلستان ، ولم يبرم بهما أمر .

---

(١) المفيد ، العدد ٣٠ ، ١٥ آذار ١٩٠٩ .

فينبغي لوالي الولاية أن يعلم أن منصب الافتاء منصب جليل ذو مكانة عالية ومنزلة سامية ، لا يسوغ أن يعلوه الا ذوو الكفاءة والعلم الراسـخ والهمة البليغة والجأش الرابط والذكاء النبيه ، لانا قوم لا نرغب في تقبيل الايدي ، بل في واجبات تتحتم على صاحب هذا المنصب ، نذكرها متى وقع الوقع .

ومما يجب على ولي الامر أن يعلم أن هذا المنصب لا يجوز أن تمسه يد الوساطة ، فلا ينبغي له أن يعمل برأي هذا الفريق ارضاء لدعوته ، ولا بمشورة هذا الملأ حباً في تأييده ، بل عليه أن يسير السيرة الحسنة في اتباع الحق ، والأخذ بالعدل ، والعمل بالقانون .

القانون يقول اذا طمحت نفسا رجلين الى منصب الافتاء ، فعليهما تأدية الامتحان ، كما ورد الأمر من المشيخة الاسلامية في العاصمة .

وعلى هذا فان الأمة الدستورية لا ترضى الا بالامتحان بين الراغبين في هذا المنصب ، لأنها تود في أن لا يتولى الامور الا اهلها ، فعلى الوالي ان يتبع القانون ، والا ارتكب خطأ وعمل شططا .

نحن في حاجة ماسة الى رجل يعلم كيف يتولى زعامة هؤلاء الناس ، فيختط لهم خطة مثلى ، اذا ساروا يرشدهم الطريق السوّي واذا ضلّوا يسكن روعهم عند الفتنة ، ويستفزهم للحق اذا توانوا ، ويأخذ بأيديهم الى طيب الحياة اذا هانوا ، ويربأ بهم الى مستوى يطل على العناصر ، فتحمد أمرهم وتشكر سعيهم .

ذكرت رصيفتنا « الاتحاد العثماني » أول من أمس مقالا بهذا الصدد ، فنحن ننكر عليها ما جاء في آخر المقال « لا يظن مجلس الادارة انه لا يستطيع اليوم حل مسألة الافتاء الا بأحد وجهين صحيحين : اما بالامتحان لمن يتصدى لطلب الافتاء ، أو بأن يجمع الوالي عصابة أهل العلم في ناديه ويأخذ رأيهم في هذه المسألة » .

فالوجه الأول صحيح ، ولا ترضى الامة الا به . وأما الوجه الثاني فمخالف لمكانة هذا المنصب ومصلحته ، لأن رأى العلماء أو الناس لا يخلو من تحزّبوأهواء في النفس . أما الامتحان فيقطع قول كل طائفة ، ويزيل كل خلاف ويستأصل كل تشيّع .

فاعملوا أيها الناس به ، فان الامتحان مظهر لأهل الفضل العريق والعلم الصحيح ، وارجعوا النظرة الى بدء القول « لا تقلّدوا الأمور لغير اهلها فتهينوها » .

* * *

أدهم بك : الشرق ذئب يستنعج ان نهرته [1]

قضى الله على امة الشرق أن يضمّ بين ضلوعها امران لا يجتمعان : الغيلة والوداعة ،

(١) المفيد ، العدد ٣٥ ، ٢٠ آذار ١٩٠٩ .

وكلاهما يشتد ازرهما ، أو يضؤل على حسب الطوارىء التي تطرأ عليهما .

فان كان ولي الامر صغير الهمة ضعيف الارادة ، يعتمله التردد في الاعمال ، ويختلجه الخور في العزيمة ، كانت الامة تواقة لأن تغمط الحقوق ، وتناهض الدستور ، وتدوس نفسها بنفسها ، وتمزّق احشاءها ، وتأكل لحمها بيدها كما نشاهده بأم العين .

وان كان ماضي العزم نافذ الحزم لا تأخذه في اعمال القانون رجفة ، ولا في تأييد السلطة لومة ، عرفت الامة للحق حده فوقفت عنده ، وخشيت بأس الحكومة ، وحاذرت سيطرةعزيز مقتدر ، واصبحت رعية يتولى امرها راعيها ، ويوردها مواطن السعادة ورفاهة الحياة ، فينعم بالها ، ويحسن حالها ، ويصلح مآلها .

أنّى لها ذلك ، وفي نفس أدهم ضعف يمسك به عن أن يصرخ في رجال الدرك فيستنفرهم للقيام بالواجب . فقد سالت الدماء ، وتعددت السرقات ، وأصبح الامن مفقودا ، وتوطدت أركان الفوضى في الولاية . وان كان القارىء في ريبة من ذلك ، فعليه بمراجعة أعمدة المفيد منذ صدر الى اليوم ، فيرى ثمت دماء الرعية تهدر ، وأموال الشعب تنهب ، وعين الوالي غافلة أو متغافلة .

فيا أيها الوالي الكريم ، ان كل نقطة دم من هذه الامة المباركة مسؤول عنها لدى الوطنية ، فهي تعجّ على الأرض وتناديك بصوت هزّ قلب كل ذي وجدان صحيح وشعور حيّ . فارفق بها ، وادخرها لأيام الشدائد ، أيام المدافعة عن حوزة الامة ، وحمى الوطن ، بدلا من أن تهرق عبثا من جراء التهامل . واستيقظ واعلم ان رجال الامة نيام عن الواجبات لا تبعثهم الا الصيحة ايقاذ للشر لا توقفهم الا القوة ، فان كنت من الحكمة في شيء فاستشعر القلب حزما ، وداخل القلب عزما ، وتمثل اليوم بقول الحجاج اذ فاضت الفوضى في العراق حيث يقول :

« أيها الناس من أعياه داؤه . فعندي دواؤه . (يشير الى السيف) ومن استطال أجـله فعليه ان أعجله . ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله . ومن استطال ماضي عمره عجّلت عليه باقيه » .

« ان للشيطان طيفا . وان للسلطان سيفا . فمن سقمت سريرته ، صحّت عقوبته . ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه . ومن لم تسعه العافية ، لم تضق عليه الهلكة . ومن سبقته بادرة فمه ، سبق بدنه سفك دمه » .

« انّي أنذر . ثم لا أنظر . وأحذّر ثم لا أعذر . وأتوعّد ثم لا أعفو » .

« فان الحزم والعزم سبكا في وسطي وأبدلاني به سيفي . فقائمه في يدي. ونجاده في عنقي . وذبابه قلادة لمن عصاني » .

هذا هو الحزم أيها الوالي الكريم ، ونحن في حاجة اليه ، اذ لا صلاح للولاية الا به ، فحرّك العزيمة ، وانهض للمضاء واصرخ في القوم « فالشرق ذئب يستنعج ان نهرته » .

* * *

الوطن العثماني للعثمانيين [1]

انّنا ننكر على الذين يلجأون من الحكومة الى الاجانب في كل شيء ، سواء كان صغيرا أم كبيرا . ولا يخفى مبلغ الضرر في هذا الشأن ، اذ تسقط الهمم وتخور العزائم . وأن هذا ليعد من سوء التصرف وخَرَق السياسة بمكان ، لان الغرباءعن العثمانيين لا يحسنون فهم أميال الشعب واحتياجاته ، وسبيل اصلاحه ، كما يعلم العثماني الذي هو صاحب الدار ، وأدرى بما فيها . على أن الاسرائيلي والعربي والارمني واليوناني وغيرهم من عناصر الدولة ، أحق من سواهم باستجلاب المنافع والانتفاع بالامتيازات . وبهذه الوسيلة تتحرك الهمم ، وينبعث الوطني على الاعمال الخطيرة ، فيشتغل لوطنه ، أكثر مما تؤمل من عمل الغريب عنه . ولا ننكر أن بعضا من الاجانب يحنقون علينا من هذا القول الحق ، الا أننا لا نبالي ولا نحفل بالمصالح الذاتية ازاء ترقي الوطن ، والعمل على نجاح الأمة . فلو عمدت الحكومة الى إلقاء مقاليد الامور التجارية والصناعية والزراعية الى الوطنيين ، لأحسنت بذلك صنعا ، وجرت من وراء ذلك مغانم كثيرة منها :

١ ـ متى عقدت الحكومة أمرا مع أفراد تبعتها سهل عليها الاتفاق ، وكفت نفسها مؤُونة الأخذ والعطاء والجدال والمناقشة مع غير الوطنيين والأجانب .

٢ ـ ان بعملها كما أشرنا تجعل الوطنيين مسيطرين على أملاكهم ، لا يشاركهم فيها أجنبي ، أو يمدّ اليها عنقه .

٣ ـ اذا دامت الامتيازات في أيديهم تتحسن أحوالهم ويجمل مصير أمرهم .

٤ ـ وبهذه الوسيلة تبقى النقود في ذات المملكة ، ولا تذهب ضياعا الى باقي الاقطار ، فيما لو استثمرها الاجنبي .

٥ ـ وهذا الامر يبعث الوطني على الجدّ في الاعمال والنشاط فيها ، فتزداد رغبتهم في تحسين أحوال الوطن ، كلما حسنت بذلك حاله .

٦ ـ ولا يخفى أن منح الامتيازات الى الاجانب يسبب مشاكل عديدة ، فيلجأ السفراء الى المداخلة ، وتشتبك الامور ، وفي ذلك ضرر معلوم .

٧ ـ على أن الوطني متى اعتاد على المشروعات الكبيرة ، وأخذ الامتيازات بها ، يتسع نطاق أعماله ، وتكثر موارده .

٨ ـ ومن ثمّ يعلم الاجنبي أن يستثمر ماله في هذه البلاد ، كما يستعملها في غيرها ، ولا حقّ له بالسيادة فيها أو الاستبداد .

٩ ـ ومعلوم أن بذلك ترتبط العناصر ببعضها ارتباطا في سائر الشؤون والاعمال والمصالح ،

---

(١) المفيد ، العدد ٣٧ ، ٢٣ آذار ١٩٠٩ .

فيتأيد بذلك الاتحاد والوئام بين الافراد والعناصر .

ولرب معترض يقول أن الوطنيين لا يملكون مالاً كافياً للقيام بأعمال كهذه . وهذا حجّة لنا على أن الواجب على الحكومة أن تساعدهم في هذا الأمر ، وتخلق لهم موارد ، وليس ذلك عليها بعزيز . ونضرب لك مثلا : فقل لليوناني أو الأرمني أو العربي اني مانحك امتيازا ، لترى إذا كان قادرا على ايجاد المال اللازم ، أو لا . ولا نشكّ أنه يجده بسهولة . وهكذا ينبغي على الحكومة أن تتصرّف في شؤون الأمة لرقي الوطن ، حتى يصبح قومنا على بصيرة من أعمالهم ، ويعلموا حق العلم أن الحكومة وجدت لسعادة الأمة ، وخدمة أفرادها . وينبغي لها أن تحصل على علم العثمانيين هذه العبارة ، حتى يراها بعين البصيرة أبناء هذه الحكومة وهي : الوطن العثماني للعثمانيين » .

* * *

مثلما تكونوا يولّىَ عليكم[1]

حكمة بالغة قالها نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام لأمته ، وهي تنطبق على جميع الأمم ، لأنّ أولياء الامر لم يخرجوا عن كونهم أناسا ، قلدتهم الامة مهام عَظيمٌ أمرها ، جسيم شأنها .

فاذا كانت الامة صالحة تعلم ما يجب عليها وعلى راعيها ، عملت على واجبها ، وحدّدت لولي الامر حدّه ، وأوقفته عنده . واذا كانت طياشة لا تدرك للنظام معنى ، ولا لواجب فهما ، سعت مع الوالي وراء القهقرى ، فزلّت قَدَمُها ، وتدرجت الى أكنة الذلّ ، واستنامت الى الغمض على القذى ، كما حققناه في ولاية بيروت منذ أمد غير قريب .

كان الوالي يدخل الولاية وهو على صلاح ورشد ، فما يلبث أن تتنكّر أخلاقه ، وتتغير طباعه ، ويصبح من الذين لا خلاق لهم . السبب في ذلك أن كثيراً من الاهالي يدلفون اليه ، فيكشفون له عن خطتهم ، بما يدسونه بين أيديه من المال ابتغاء باطل يأتونه ، أو باطل يبتغونه ، ويبذلون جهد المستطاع في تأييده وتثبيته ، اذا بدرت منه بادرة تهاون وتهامل ، فيزداد ضلة على ضلة ، ويمعن في خيانة الواجب امعانا .

ومن هذه الشاكلة ملأ يسعون اليوم في تزيين أعمال الوالي ، فان قال خلفا صفقوا له ،

---

(١) المفيد : العدد ٤٠ ، ٢٦ آذار ١٩٠٩ .

وقالوا لطفا لطفا . وان ساءت أعماله قالوا أحسنت صنعا ، وأتيت ظرفا . فيا للداهية من هذه الطائفة فقد خانت واجبا ، وجرّت على وطنها ذلا وويلا ، بحيث أصبح الولي مصراً على ما يركبه من الشطط ، يقين أن ما يخلص على يديه يخلص عن حكمة ودراية .

فيا أيها الفئة ارجعي الى سبيل السداد ، ولا تلصقي بنفسك وصمة الخيانة ، فان الوطن بحاجة لرجال أشداء ، يختطون للوالي خطة الواجب ، فان ازوّر عنها صارحوه ، وان اتبع سنتها كافؤوه .

فان الوالي كالطفل علّمه الحكمة يشبّ عليها ، وأعدّه يحلّ اليها .

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

يتساءل القوم ما هذه العلّة ؟؟ ..

علّتنا في هذا المقام أصحاب الجرائد والامة ، فقد ينبغي لهم أن ينظروا لأنفسهم انهم هم المسيطرون على الولاة والحكومة ، فيتجرأون على القول الصدق ، ويعلمونهم كيف يسلكون في مهام الوطن ، فان صلحوا حمدوا لهم سعيا ، وان ضلّوا سلفوهم قولا . أنّى لجرائد ذلك ، وهي لا تزال تتخوف من أن تدفع نفسها للحث كأن بقايا الدور المرحوم مترحة في صدورها . فكان مثلها مع الولادة كمثل السمك اذا وضع في اناء وقام بين كبيره وصغيره سد من الزجاج ، فكان كلما أراد الكبير أن يتهجم على الصغير منعه السدّ حتى اعتاد عليه ، فلما رفع السد بقي الكبير لا يتقرب من الصغير ، ظنّا منه أن السد لا يزال قائما .

فيا أرباب الصحف ويا رجال الامة قد رفع السد ، وحق لكم أن تناقشوا الحكومة والولاة في جميع أعمالهم ، فاهووا بأنفسكم لمطالبة حقوقكم ، واعملوا منهم على مبدأ الصديق رضي الله عنه حيث يقول لأهل الردّة :

«والله لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه» .

وكونوا رجال صدق ليكون الوالي صدّيقا ، وقولوا الحق ولو كان مرّا ، فمثلما تكونوا يولّى عليكم» .

* * *

الى الكتّاب والخطباء[1]

ليس من شيء أضرّ على العالم في مجموعه ، والامم في كيانها وحياتها ، من تحكم فرد على أمة ، وسيطرة سلطان على شعب ، واستئثار هيئة خاصةً من الناس بالتفرّد في الحكم ، وانفاذ الكلمة على الناس بقوة من السلطة ، وعدة من الرهبة . هذه حقيقة يشهد بها العيان ، ويشعر بها الوجدان ، يظهر أثرها وتبدو مساوئها في الناس ، كلما اشتد بذلك الفرد حرصه على ما بين يديه من جمال السلطة الوهمية ، وجلال العظمة والملكوت العاري عن كل حق وحكمة ، وكلما اشتد به أيضا حرصه وتكالبه على اخراج امره وانفاذ رأيه ، مع الاستئثار بالمنفعة ، أيا كانت ، ومن أي طريق جاءت ، وان أضرّت بسواه وحاق الشقاء عباد الله .

في مثل هذا الحال السيء من تغطرس الحاكم واستهانته بمصالح الامة ، واستهانته بكلفة شؤونها الحيوية ، تجد الناس دون أعوانه وأهل بطانته والمتفيّين حوله ـ يرزحون تحت عبء الحياة الصعبة والعيشة المرّة ، يحركون تارة ألسنتهم بالشكوى ، ويتضرعون بأكفهم الى طلب العدل والانصاف تارة أخرى ، ولكن قلما يجابون الى ما يرجون ، أو يتنازل أولئك من سماء عظمتهم ، فيصغون لما يقولون . كما أن أفراد الامة المستعبدة ، كثيرا ما يحرصون على طلب الحياة الطيبة ،حياة الحرية والاخاء والمساواة ، فان أولئك أيضا ما يزالون يتكالبون ويتماسكون في الحرص على ما بأيديهم من تلك العظمة الموهومة والابهة الفارغة .

في مثل تلك الحال من تنازع القوتين وتصادم الضدين ، يقوم من بين أفراد الامة رجال أبطال لا ينفكّون عن السعي في تقويض عرش الحكم المطلق ، وتقليم أظافر الاستبداد الجائر ، يتبعون في سيرهم نور العقل ونبراس الحكمة ، متخذين من ضروب السياسة أدقّها وأحكمها ، يكتبون للناس ويخطبون بلسان بيّن ، فيلقون عليهم الحكمة تلو الحكمة ، والموعظة تبع أختها ، والحجة تصدع الحجة ، والبرهان يقرع البرهان . فلا يزالون بالناس كذلك ، حتى اذا ما تحركت النفوس ، وضاقت الصدور عما تكنّه الجوانح من تعب القلب من هول ما ألمّ به من الحيف ، وما نفذ اليه من سهام مغموسة بسم الظلم الغشوم ، أخذوا منها عدتهم ، واستمدوا منها قوتهم . هنالك لا يلبث أن يضعف ذلك العرش ويتضعضع ويصغر ويتلاشى ـ يتلاشى ولا عجب أمام سلطة الامة وقوة الامة وسلطان الامة ، ذلك السلطان الذي يقوم ويثبت وقتئذ على ثلاث دعائم من الحق هي كلّ عظمته وهي كل فخاره ـ هي دعائم الحرية والاخاء والمساواة ـ فتعود للناس حينئذ عيشة الطبيعة وحياة الفطرة .

كان العالم فيما سلف من الايام حتى القرون الوسطى ، لا تعرف فيه الا رجلين اثنين ، سيد ومسود وحاكم ومحكوم وأمير ومأمور ، حيث كان التفاضل بين البشر ، وحيث كان

---

(١) المفيد ، العدد ٤١ ، ٢٧ آذار ١٩٠٩ .

التعالي والتسافل ، حيث كانت الامتيازات في الحقوق والواجبات ، يتمتع بها فرد واحد أو أفراد قليلون ، مع حرمان السواد الاعظم منها . وبالجملة حيث كان الظلم الفاحش والانسانية الناقصة . ترقى الزمن وترقى معه الانسان ـ سنة في الكون وطبيعة في الخلقة ـ ولا يزال الدهر يصعد بالناس على مدارج الكمال وسلّم الترقي حتى يومنا هذا. الا أنه لا يزال يوجد في المخلوقات من ابناء آدم قوم لا يزال يحكمهم هذا النظام القديم نظام الحكومة المطلقة وان كان أبناء الامة آخذين في سبيل السعي وراء تلك الحياة الطيبة التي يتشوق اليها الانسان بطبيعته وخلقته، بهمة رجال الامة وأعوانها وخدّامها ، والحريصين على مرافق حياتها ومصالحها . الا أنه ينقصنا شيء في الاهمية بمكان عظيم ، يعوزنا جداً هذا الشيء ، حتى اذا حصلناه نلنا بعده أشياء.هذا الشيء أرى أنه قد آن أوانه ، اذا عرفنا كيف نستعين به ، ونستخدمه بيننا ، ذلك الشيء الناقص عندنا والمفقود من بين أيدينا ، هو ما يسمّونه الشجاعة الادبية ، التي هي حرية الكتابة ، وحرية الخطابة ، تلك الحرية الضعيفة في نفوسنا ، المفقودة من بين أيدي كتّابنا وخطبائنا .

الفتى العربي

* * *

كثر شاكوك وقلّ شاكروك فاما اعتدلت وامّا اعتزلت[1]

كلمة قالها عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، لأحد عمّاله ، فأولى لحلمي باشا وأولى أن ينفّذها اليوم لجميع الولاة ، حتى تستفزهم الرجولة ، فيظهرون أشد الناس بأسا ، وأمضاهم عزما ، وأنفذهم رأيا ، وأصلحهم حكما .

والا ما داموا على تهاونهم في تطبيق القانون ، ما دامت سيطرة الحكومة تتضافر ، وقوة العمال تتضاءل ، وثمة شر مستطير ، وأمر عسير .

شاع على ألسنة العوام أن الحكم الاستبدادي خير من هذا الحكم ، ومصدر هذه الاشاعة يرجع الى ما يشاهدون من ضعف الولاة ، بحيث اختلت الامور . وبَغَض بعض الناس الدستور ، وكاد يفور التنور .

فنحن بحاجة لولاة ينهضون بهذا الشرق ، ويحببون للناس هذا الحكم ، بما يبرزونه

---

(١) المفيد ، العدد ٤٧ ، ٣ نيسان ١٩٠٩ .

من جليل أعمالهم ، وجرأة أقدامهم ، ورسوخ حزمهم ، والا سخرت الناس بهؤلاء الولاة ، ولم يرعوا لهذا الدستور الكريم جانباً .

فيا أيها الوالي الكريم .

ان الحكومة جزء صغير من الامة ، والامة جزء كبير . فاذا لم تجمع في نفسك قوة عظمى من الشدّة والحزم ، ظهر عليك الجزء الكبير ، وبَطَل رأيك والتدبير .

فتدرّع بالمضاء ، واستمسك بالعزيمة ، وقم بواجبك ، واعلم أن المرء حديث بعده .

يتقرّب الناس اليك فيلقون في أذنيك ما يزيّنون به أعمالك ، فاقطع هؤلاء عنك ، وتجاف عنهم ، فان الحرّ لا ترضى عنه الا نفسه . نعم إنك لتخسر في ذلك تقبيل أيديك ، ولكن الشهم يغنيه في الحياة الدنيا رضاء وجدانه والعمل بموجب نظامه .

الوجدان يتقاضى منك أن تبذل الجهد ، والكد في نهضة هذه الامة ، وأولها راحة الأهلين .

يقول المتفيقهون أن الأمن مستتب ، والراحة مستحكمة ، والطمأنينة متمكنة . كيف ذلك وقد قتل في الاسبوع الماضي الحاج اسماعيل الزين ، وفي هذا الاسبوع أمين عبده ، ودويّ الرصاص لا يزال يتواصل ويتسلسل .

ضمّني ومن يخدمون الولاة ويعبدونهم مجلس ، فأنحوا كلّ الانحاء على استرسال المفيد بحرية القول ، حتى قال أحدهم : ما بالك أترضى بأن ينزل الوالي بنفسه ليمنع القاتل من القتل ؟ .. أن نفي القتل وتوطيد الراحة من خصائص الدرك ومن خصائص الوالي أيضا فهو الرأس منبعث الحركة .

وقد نصّ عليه القانون فقال ، من أهم واجبات الوالي المحافظة على الطمأنينة بين الناس .

هذا وانّا لا نرغب في أن ينزل الولاة عن مناصبهم ، كما كان يفعل عمر بن الخطاب ، توثيقا للراحة ، وتعهدا بمصالح الامة .

بل نكتفي منهم بأن يظهروا مظهر المسيطر ، حتى يعلم الناس أن على كرسي الولاية رجلا مقداما ، نشيطا هماما ، فيتهيبوا بأسه ، ويحاذروا بطشه ، ولا يخرقوا للنظام حرمة ، ولا يهتكوا للحكومة ذمة .

فاعمل على ما في وسعك من المضاءة الصارمة . وأبثث الجند في أحياء المدينة ، فقد خوّلك الدستور بأن تستعمله متى شئت ، وأنّى أردت . ومتى رأى الناس أن قوة الحكومة متعززة ، وحزامة الرأس راسخة ، تخوّفوا واحترسوا ، والا شطّوا ولم يحافظوا على

مكانتك ، ولم يعملوا على كرامتك .

فتدبر القول ، واقبل على نفسك ، وشاورها تجد صحة ما أقصد نحوه ، وكنه ما أرمي اليه .

* * *

مجلس الأمّة[1]

بين طبقات الامة من ينظرون الى مجلس الامة نظرة يأس ، يمازجه نوع من السخط ، على عهد لم يرفعهم من مكان سيىء الى آخر أخف منه سوءاً ، وأحسن مردا ، وأجمل مصيرا . والسواد الأعظم من القوم أصبح نصير الشؤم ، يرمق الامور بطرف حالك ، يستشف منها عقبى غير صالحة ، وثمرة لا يستطاب أكلها للسائغين . يتطلع كل منهم الى ما حوله ، فيرى الفوضى ، ولا يبصر لانتظام الامور أثراً أو مَعْلما ، ويستشعر أنه خرج من دار متردمة متهدمة أمست طللا ،الى فضاء شاسع يدعونه الحرية ، بيد أنه استبدل في سبيلها سماء بيته بمعهد الفضاء ، وعقر داره بأديم الغبراء ، يتقلب في أنحائها كالهواء . وأضحى كسجين كالابريا ، يوم أن أخرجت الارض هنالك أثقالها ، وزلزلت زلزالها ، فطار من غيابة السجن الى ضالة الحرية ينشدها ، غير أنه ما عتم أن أيقن أنه خلص من سجن ضيق مؤلم ، الى سجن آخر أوسع فناء وأرحب مجالا ، وأشد ألماً وأقسى ضيرا .

لا جرم أن كل انقلاب يستدعي في بدءه أموراً يحسبها بعض الناس خرقا للنظام ، وتوثبا على سير الامور في مجراها الطبيعي ، وهذا الفريق قصير مجال النظر ، ينكر كل أمر يقابل ما ألفه ، وجرى عليه أباؤه الاولون .

من الناس طائفة تحسن الظّن ، غير أنها فُطرت على تطلب الامور في غير أوقاتها ، تنتجع الثمر قبل أن ينجم الزهر ، وتستجني الزهر قبل أن تغرس الغرسة . تود أن يبني مجلس الامة في سنة ما خرّبه غيره في ثلاثين سنة . وهذا عين المحال . ومع ذلك كله فهي تسلق المجلس بألسنة حداد ، وتندد بهم وتستبطئهم في الاعمال ، على أنها من هذا الطرف محقة ، اذ أن مجلس الامة لم يأت شيئاً يذكر ، فيشكر عليه شكرا جزيلا . ولعلّ له بحداثته عذراً يوليه اياه أهل النظر وأولي الأرباب .

---

(١) المفيد ، العدد ٤٨ ، ٥ نيسان ١٩٠٩ .

وقد يذهب البعض الى أن نواب العرب لا يحسنون التكلم في التركية ، بدرجة تدفعهم الى تسنّم منبر الخطابة ، يبتدهون القول على مَسْمَعٍ من تلك الادمغة العظيمة ، التي ربما ساءها تلعثم بعض أبناء العرب في أثناء الكلام ، فيضجون ويصفقون (لغير استحسان) ، فيعلو صفحة الخطيب الخجل ، وينقلب الى مكانه بانتظام . وانا لندهش ممن يدعون من نواب العرب أنهم لا يتكلمون في المجلس لعدم وجود أمور مهمة تقتضي القول ان جلّ ما طرأ على المجلس من الموضوعات والمناقشات تافهة لا تستحق الالتفات ، فضلا عن الكلام ، وهذا القول لا غرابة عمن يحتجّون أن أخوانهم الاتراك في الندوة تعاقدوا على أن يضجّوا كل ما قام عربي بينهم خطيبا ، فلا يدعون بذلك له سبيلا الى القول . وهذا قول لا نقدر أن نصدقه ، الّا اذا قام من نوابنا العرب في المجلس من يؤيده .

وقد كثر على أبناء العرب الشاكون وقل الشاكرون ، وكأنهم آلوا على أنفسهم أن لا ينبسوا ببنت شفة في سبيل البلاد التي انتدبتهم عنها ، ووسدت اليهم وظيفة الدفاع عن مصالحها ، والقيام باصلاح شؤونها . وقد علمنا أمرا لم نصدقه ، ونود أن يكون كاذبا ، وهو أن بعضاً من النواب العرب يضحون بمصلحة البلاد لمنافعهم الشخصية ، وذلك ابان سقوط الوزارة الكاملية .

وخلاصة القول فانّا نؤمل من أبناء العرب في الندوة العثمانية أن يبرهنوا للأمة العربية عن وجودهم في المجلس بقول أو عمل ، ولا نطلب منهم سوى أن لا يسيئوا سمعة تلك الامّة العريقة في المجد،الذين هم من سلالتها ، والذين نابوا عنها . وأن يعملوا على ما ينمّ عن حس وطنية ، وكفاءة ذاتية ، حتى يغنموا من الامة الثناء والشكر والسلام .

* * *

مثل الأمة العثمانية كمثل ساعة تأخرت في سيرها[1] فمن الحكمة أن تنزل عقاربها منزلة الوقت الحاضر

مضى على الأمة العثمانية أزمنة تتسكع في سيرها ، وتتخبط في أمرها ، حتى وقفت على شفا جرف هار ، وأخذت أعضاؤها ترتهك وقواها تنهك ، على حين أن بقية الأمم تدفعها المزاحمة ، وتبعثها المنافسة ، ويمتد ظلها على الأرض ، ويمكن لها فيها ، وتوثق قوتها ، وتطيب سمعتها ، وتبيت على غضراء من العيش وخضراء من الحياة ، استفزتها نعرة الطمع الى امتلاك أرض الأمة العثمانية ، والتضييق عليها ، فلحقها من جراء ذلك حطة ، وضِعة أشأم من موت . لولا الموت الزؤام لن يلحق بهما فورا .

---

(١) المفيد ، العدد ٥٦ ، ١٤ نيسان ١٩٠٩ .

هو الموت لا قدر الله أيها الفتى ، وهي الأمة فاحببها على علاتها حبا لاعجا ، يمتلك القلب ويخلب العقل ، لأنها تمثل لك اعظم الامور شرفاً .

الأمة هي الأم . والأم تُحبّ مهما قبحت هيئتها ، وتنزلت مكانتها ، وتشوهت خلقتها ، لأنّ حب الامهات غريزي في النفس ، لا يتطرق اليها بدربة الاكتساب .

فاحبها حبا جما . واعمل على مصلحتها كدا كدا . نعم انه ليسرنا ان نرى الأم طيبة المخبر حسنة المنظر ولكن

اذا لم يكن الا الأسنة مركب فما حيلة المضطّر الا ركوبها

وعليه فقد ينبغي أن نسعى جهد المستطاع وراء غابر مجدها وغارب عزّها .

النون في نسعى تفيد أن كل فرد من أفراد الامة موكول به حسن سمعتها ، وحسن سمعة الامة يتوقف على حسن سمعة كل فرد ، فان صلحت الافراد صلح المجموع .

ولذلك يجب على كل امرىء من هذه الامة ان يعمل على صلاح نفسه ، وفي ذلك مصلحة للهيئة .

غير ان الامة قد ألقت عهدة صلاحها بين أيدي عليتها في مجلس النواب ، فهم مسؤولون عن مستقبلها ، والمكلفون بنهضتها .

وقد يسوءنا أن نرى المجلس قد تقسّم الى أشطر وأحزاب ، لا لغاية بل ليقال ما عدا حزب الاتحاديين وحزب الاحرار ، فانهما يعملان الجهد على خير الوطن ، ويديران حركة البلاد ، فهما العقربان للساعة يعرف بهما انتظام الحركة ، وقد سارا أشواطا حمدت مغبة وحسّنت حالا .

الا أن العقرب الصغير رأى أخاه يبرز عليه شوطا في كل ساعة فأخذته الغيرة ، ودبّت فيه النعرة ، فارتأى أن يحول دون سيره . فلما أطلّ عليه نهض ، فوقف الكبير عن السير ، ثم وقف الصغير ، ثم وقفت الساعة ، من حيث هي .

هذه حالة الامة أيها القوم ، فقد وقفت عن المسير الى الترقي وقوفا يضمّ تحته اضطرابا لا ينتهي الا بالدمار والبوار .

فعلى هذين الحزبين أن يرأفا بهذه الامة الوديعة ، ولا يسوّدا وجه تاريخها ، فتاريخها الماضي أبيض وضّاح .

بل عليهما أن يجعلا نهمة أنفسهم في تسديد قواها ، وقرّة أعينهم في تجديد بنائها ، ولا أن يسعيا في احباط عملهما واخفاق سعيهما .

فان الاحزاب السياسية في المجالس النيابية دليل على حياة الامة ، غير أن الوجهة اذا جعلت لنفوذ الحزب ، لا لمصلحة الوطن ، كانت الطامات الكبرى ، اذ تتنزل على الامة الجوائح والصاخات الشؤمى ، فتقرعها الفوادح .

فيا أيها الاتحاديون ، ويا أيها الأحرار ، أنتم عماد الدولة ، وركن الأمة ، فبكم تنهض ، وبكم ترقى ، فتعاونوا على البر ولا تعاونوا على العدوان .

فإنا مللنا من مذكراتكم الاخيرة التي تنمّ عن عوامل في النفوس لا ترضاها الوطنية ، وانّا رأيناكم ضربتم مصلحة الوطن عرض الحائط لسيطرة نفوذكم . فما أنتم الا نواب عن هذا المجموع ، يسألكم عن كل ذرّة من أعمالكم ، فأصلحوا ذات بينكم ، وامعنوا النظر في أمركم ، فأنتم نواب الأمة لا نواب الاحزاب .

واعلموا أن التاريخ واقف لكم بالمرصاد ، فلسوف يذكر ما للسلطان عبد الحميد من المآثر ، وسوف يذكر خلالكم ، فيقرع صفاتكم ، أو يمتدح هممكم ، فأنتم اليوم بحاجة للعمل لا للمنافسة الباردة بينكم . فقد مضى عليكم أشهر وأنتم بين مذاكرات تلوكونها ، ومجادلات تتناوبونها . واني أنقل في هذا المقام ما حمله اليّ البريد الاخير من خطاب أحدكم ، فقد قام فيكم بعد أن رفض اقتراح الصدر الأعظم بتأجيلتنظيم دوائر الحكومة وقال :

« صدّق المجلس على مادة الضرب للمتشردين منذ يومين ، فليعلم الاعضاء الكرام أن الأمة التي نحن نوابها ستعاملنا معاملة المتشردين ، فتضرب على أيدينا ، وتهين سمعتنا ، اذا نحن لم نكره الوزارة على تنظيم الدوائر » .

وفي هذا القول بلاغ لمن ألقى السمع وهو شهيد .

* * *

الأمّة الفاضلة[1]

العلم الصحيح والتربية الصحيحة اذا اجتمعا في انسان صيّراه انسانا كاملا . وهذا الكمال في الانسان له تأثير على نفسه وعلى اخلاقه وفي حياته فاذا عمل عملا كان كاملا واذا قال قولا كان كاملا ـ وفي الغالب ـ وهذا كما ينطبق على الفرد من حيث هو كذلك ينطبق على الأمة في مجموعها فالأمّة التي يأخذ أغلب أفرادها من العلم الصحيح والتربية الصحيحة بقسط عظيم تكون امة كاملة بذاتها فاضلة في مجموعها وان علماءها وكتابها وسواسها وفلاسفتها وكل من له صفة خاصة وهيئة ممتازة فيها يكون قد بلغ من الكمال مقاما ساميا ووقف بنفسه وحياته عند اجمل ما يكون من هيئات الحياة الصحيحة والكمال البشري والوجود الانساني . والفضل في الأمة الفاضلة كما انه يتناول اولئك الرجال وامثالهم الذين يعدون بمثابة رؤوس الأمة أو شرايينها في هيئة جسمها الحيوي الاجتماعي كذلك يأخذ في تياره الصنّاع والزرّاع والعمال وغيرهم من أهل المهن كالحوذيين وأمثالهم . وهؤلاء وان كانوا يحترفون بحرف بسيطة وعلى أسباب تكون واهية في الغالب ـ الا انه ما دامت الامة فاضلة في مجموعها فهؤلاء أيضا يكونون فضلاء في نفوسهم ومعاملاتهم . في أخذهم وعطائهم وفي

---

(١) المفيد ، العدد ٦٤ ، ٢٣ نيسان ١٩٠٩ .

بيوتهم مع أهلهم وأولادهم وذلك لتأثير الوسط عليهم لأن الوسط اذا كان صالحا استنامت النفوس وصلحت الافراد والعكس بالعكس فانه اذا كان الوسط فاسدا خسيسا خبثت النفوس وفسدت الطباع فتفشو الجرائم وتتعدد الجنايات ويعمّ الفساد في كل بقعة ويدخل في كل شقّ ويتسرب الى كل بيت وتتطاول عدواه الى النفوس الطاهرة فتدنسّها والاعراض المصونة فتهتكها . هذا وان الامة الفاضلة في مجموعها وفي وجودها الحيوي الاجتماعي ـ كالبستان النضر الجامع لأنواع الزهور الجميلة العطرة الرائحة الطيبة النسمة ـ كذلك الانسانية تكون محترمة الحدود والواجبات وان امثال الشرف والمروءة والصدق والعفة والامانة وكل صفة عالية وخلق جميل تكون لها في قلوب الناس المقام العالي والمرتبة السامية .. فلا تجد حينئذ النفاق بينهم ولا الغش ولا التدليس ولا الكذب ولا الرياء ولا الفحش ولا الفسوق ولا تعديا ولا تجاوز الحد بل تجد الكل يعرف ما له وما عليه فلا يهمل واجبه ولا يتعدى حدوده .

قلنا أن الانسانية في الأمة الفاضلة تكون مرعية الحدود والواجبات، كما ان الفضيلة لها في نفوسهم محل رفيع، وذلك لأن الاغنياء في الامة الفاضلة لطيفة قلوبهم رقيقة مشاعرهم وهذا هو الذي يدفعهم ويميل بهم الى الحنّو على الضعفاء والشفقة بالعاجزين، فيرأفون بالبائس ويحنّون على المعوز فيقومون لهم بانشاء المدارس والمستشفيات وغير ذلك من وسائل البر بالانسانية فالغني من الأمة الفاضلة أبو الايتام . عائل الأرامل ومنقذ الساقط والآخذ بيد الهابط وغائث الملهوف ونعم المرشد للحائر المتخبط في مسالك هذه الحياة الوعرة المحفوفة .

وان ذاك الغني في الأمة ذات المنّة والفضل كذلك هو نعم الرجل للحكومة يمدّها بالمال لتعبئة جيوشها وتهيئة لوازم جندها، اذا احرجتها الحرب للدخول في ميدانها . وفي السلم تجد الامة منه أيضا رجلا هو نعم العامل على مصالحها وترقية مرافق حياتها الاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

الفتى العربي

***

الأمّة الفاضلة(٢)

قلنا أن الامة الفاضلة في مجموعها يكون الفرد فيها فاضلا في ذاته . فكما ان الغني في الأمة الفاضلة يقوم لها بما يراه واجبا ومحتما أداؤه والقيام به ـ كذلك ـ العالم في الأمة الفاضلة ـ فانه يكون عالما بالمعنى العلمي الصحيح وأنه ليؤدي لها من نفسه وحياته واجبا

---

(١) المفيد ، العدد ٦٥ ، ٢٤ نيسان ١٩٠٩ .

من العلم عليه تـأديتـه ، فاذا كان العالم مثلا = عالما طبيعيا وجدته يخدم علم الطبيعة باسرار الكائنات والموجودات = حبا في العلم لذاته لا حبا في الشهرة وبعد الصيت وهو في مثابة واستقرار انه لا يسعى الا وراء تخريج الحقيقة من مشتبك المسائل والغامض منهـا ، وان أنت دخلت الى نفسه لا تجده يرغب في شيء غير انه يود أن يرى أبناء الأمة طبيعيين أو أن يراهم على مذاهبه وآرائه وهذا بالطبع لفرط محبته للعلم نفسه ولتناهي شفقته وميله لمحبة أبناء أمّته وعشيرته .

وقس على ذلك العلماء في كل فن أو علم من علوم الحياة سواء كانت اجتماعية أو عمرانية او اقتصادية ؟ او سياسية او اخلاقية او غيرها ، فان جلّهم يقضي حياته في خدمة العلم الذي وقف نفسه من اجله فيؤلف المؤلفات الضخمة والكتب النافعة المحشوة بالمباحثات والاستنتاجات والردود ، اما بنقض قول المتقدمين او بالموافقة لهم او غير ذلك مما يجعل للعلم حياة تتجدد دائما وان كان اصلها ثابتا وفرعها في السماء .

وكما ان الملك او الامير في الامة الفاضلة يعرف حقوق الرعية عليه وحقوقه عليها، كذلك فان اغلب افراد الامة من الموظف الكبير الى العامل الصغير الى الخادم الحقير يعلم حق العلم بالواجب أيضا ، بواجبه نحو نفسه ونحو امته ونحو بلده . فهو لا يتنازل عن حقوقه السياسية ولا يتعدى حدود الواجبات الاجتماعية او الاقتصادية او غيرها وان المرأة كذلك ، فانها تعرف مقامها ومركز وجودها وهي بنت وام أولاد .

وكما ان الدافع للانسان على نهج المنهج الكريم في سيره وخطته ومعاملاته مع الناس . هو أما وازع من نفسه يزعه عن ورود موارد الشرّ واسترعاء مرعى الاذى ، واما وجود رقيب عليه يرقب حركاته وسكناته ويعدّ عليه حسناته وسيئاته ، فأبناء الأمة الفاضلة في مجموعها تكون في الغالب بعيدة عن الشرور والجرائم لما أن لهم وازعا من نفوسهم هو (العلم الصحيح والتربية الصحيحة) .

فنحن معشر الناس يريد كل منا أن يكون اميرا فاضلا كلنا أن تكون أمتنا فاضلة ، ولكن ، هل يمكن ان يكون كل منا ذلك الرجل الفاضل ؟ . وهل يأتي يوم نرى فيه أننا كما نود أن نكون ؟ . وهل يمكن تحقيق ذلك ونحن الآن على ما نحن عليه من أخلاق وعادات ؟ يعلم الله مبلغ قبحها فينا ومغبّة فسادها علينا .

هل يمكن تحقيق ذلك ومدارسنا وجميع دور العلم في بلادنا ، ليس فيها من العلم الصحيح والتربية الصحيحة ، ما يبشرنا بالخير ويكون داعيا الى سعادةورغد العيش .

هل يمكن ذلك وأحزابنا وصحفنا وقادة الرأي العام منا ؟ ـ لم تقم بجزء من الواجب عليها لاصلاح حال التربية والتعليم في بلادنا ، ذلك التعليم الذي هو في نظر المصلحين ـ الكل في الكل وأن كل عمل ليس أساسه العلم الصحيح والتربية الصحيحة ـ فهو ضائع ومتهدم .

هل يمكن تحقيق ذلك ونصبح امة فاضلة ، مع ذلك التهاون المضر والتغاضي الشائق من فحول شعرائنا وكبار كتابنا ـ واحجامهم عن سبك القائد في الأخلاق أو تأليف الروايات في نقد العادات .

«نـرجـو النجـاة ولـم نسلـك مسـالكـهـا
ان السفينـة لا تجـري عـلى اليبس»
الفتى العربي

* * *

رجال السياسة[1]

« العقول كالمصابيح منها درجة ١ ومنها درجة ٢٤ »

مضى على الامة العثمانية هزيع من الليل الدامس ، خبطت فيه فحارت نفوسها ، وانتاصت عقولها ، بحيث تكاد لا ترى الا ما يكتنفها من الأهاويل .

ان لكل امة كبوة ، ولكل قبيل زلّة فعلى أولي الأمر ان يمدوها بسديد افكارهم ، وصحيح مرماهم ، وينظروا الى خبايا الأمور وخفايا السياسة التي يضمرها للأمة اعداؤها .

نحن اليوم خلو من رجال السياسة الراسخين ، الذين اذا نظروا أصابوا ، واذا بدرت من الأمم حركة عداء وقفوا على غايتها ، واستدركوا لها من المنعة سدّا .

بمثل هذه الطائفة تحيا الأمم حياة السعادة ، عزيزة الجانب محترمة الساحة . فعلى اولياء الأمور في الاستانة ان يسعوا جهدهم ، وان يبذلوا نكيثتهم في ان يعدّوا رجالا لهذا الأمر . وذلك بأن يقيموا معهدا عظيما لعلم الاجتماع والسياسة ، يضمون الى اساتيذه ، كبار السياسيين من الغرب ، كما هي الحال في جميع الدول .

لأن الحياة الطيبة اصبحت صعبة المراس ، لا تتناولها الأمة الا بالدهاء الفاضل والحكمة النيرة .

ان امتنا خير امة اخرجت للناس بصفاء عقلها وطيب قلبها وسلامة سجيتها ووداعة نفسها . الا ان ذلك من اوائل الدربة لطيب الحياة . فنحن في حاجة ماسّة الى دهاقين مليين يتربعون في الادارة ، وأساطين بصيرين يستلمون زمام الامة ، لا تزعزعهم أهاويل الثورات ، ولا يطيشون عند تضارب الحركات، كما طاشت سهم حلمي باشا وقبيله في فتنة ١٣ نيسان الماضي ، فانهم بدلا من أن يتربصوا ويواجهوا المكاره والمخاوف نكصوا راجعين ، وتركوا الباطل يظهر على الحق بدون اعمال فكرة ، ولا ابرام رأي ، الا رأي احد المستشارين . ولولا ان استلت شوكة شوكت باشا ، وجرّدت نيازك نيازي ، ونارت نائرة أنور لما دمغ الحق الباطل .

فالأمة يعوزها رجال أشداء ، يحملون في أدمغتهم ما يعلمهم كيف ينفضون أيدي السوء عن الرعية في أشدّ الأزمات .

---

(١) المفيد ، العدد ٩٣ ، ٢٧ أيار ١٩٠٩ .

أين هؤلاء من الأمة العثمانية ،وقوة سياستها تنحصر اليوم في أمور أربعة : في الجيش ، وفي الجمعية ، وفي الوزارة وفي النواب . وسوف يخرج الجيش عن السياسة ، وتعتزل الجمعية عن المداخلة ، فتلقي عهدة السياسة على الوزارة والنواب .

أما الوزارة فينبغي لها ان تسلك سبيل الحكمة والتؤدة مع الدول الاجنبية ، وتسعى أن تقف على حيل السياسة الخارجية ، ولا تسترسل معهم الى الصداقة ، وتستنيم اليهم اتكالا على المحبة ، فان السياسة لا صداقة فيها ، ولا هوادة معها . وان تسير سيرة الابرام والسرعة في المضاء بالامور الداخلية ، والبطش المبرح مع الذين يناوؤن الحكومة الدستورية ، فان كيد المستبدين قد تجمع شمله في الاناضول ، ولا ينفى زره ، ولا يحصد زرعه الا بالسيف حياة الامة .

وأما النواب فكان ينبغي لهم أن يتثبتوا لدى الثورة الاخيرة ، ويكونوا تمثال الرزانة والرصانة ، لا أن يذهبوا حزائق ويتفرقوا طرائق . فان الأمة لم تندبهم الا الى حياتها ، فما شعروا باحتضارها الا وطاروا خيفة على حياتهم ، نستثني منهم فريق الجمعية الذين ذهبوا وبيتوا امرهم ، وردّوا كيد أعدائهم في نحرهم .

قصّ علينا تاريخ الامة الفرنسية حادثة يتحتم علينا ان ننقشها على صفحات القلوب ، ليعمل بها نوابنا ، وذلك أنه بينما كان مجلس الأمة يتفاوض في مصالحها ، واذ انفجرت بارجائه قنبلة ، فهاج النواب وهمّوا أن ينسلّوا ، فضغط الرئيس على زر الجرس قائلا بكل سكينة وطمأنينة « أتمّوا المفاوضة » .

هذا هو رجل الجأش الرابط ، فينبغي لرجال السياسة أن يكونوا على شاكلته ، وينبغي لنوابنا أن يجروا على سيرته ، ويظهروا بمظهر شجاعته ، ويستنيروا برأي الاعاظم ، فان عهدة النيابة عظيمة ، اذا لم يحتملها صدر النائب سارعت الامة الى الخراب .

هذا واني أكرّر القول بوجوب اقامة معهد في العاصمة ، يبث فنّ الاجتماع والسياسة على لسان كبار الغربيين ، لأن هؤلاء النواب لا يكفون مؤنة الامة بعد أربع سنوات ، ولا عار على الأمة اذا استنجدت بغيرها لتتأصل في العلم ، وتستحكم من الاجتماع ، فان عقول الامم كالمصابيح منها درجة أولى ومنها ٢٤ ، والأمّة العثمانية تقرب درجتها من العلم أن تكون من درجة أولى ، فأولى بها أن تستضيء بذوي درجة ٢٤ ، حتى تهتدي الى الطريق السويّ ، فتعمل عليه ، وتستغني بنفسها عن غيرها . ولا حياة طيبة الا بما أتينا ، والسلام .

* * *

اتحاد العناصر[1]

ستة وستة تعادل اثني عشر فاذا اتحدت اصبحت ستة وستين

٦ و ٦ = ١٢ و ٦ ٦ = ٦٦

ضَرب أهل الرجعى في الأرض يدسّون الدسائس ، وينفثون في صدور الأمة الضغائن ، بحيث كادت أن تتخاذل من جرّى خبائثهم . وقد ألقيت في روعهم تلك العاطفة السيئة التي كان يتذرّع بها السلطان السابق (فرّق تسد) من قبل مولاهم المنخذل .

ان الامة العثمانية اليوم بين شطرين ، شطر يناوىء الحكومة الدستورية ، وشطر يأخذ بناصرها . فشطر الخير يهوي اليه شطر الشر بما في وسعه من المكر ، حتى يضعضعه ، ويأخذ منه . فعلى شطر الخير أن يتجمّع ويتكاتف ويتحد ، وينبذ كل ما فيه رائحة للتفرقة والانشقاق ، فان التقهقر ما زال يدب في الاناضول والالبان وديار بكر ، فاذا اتحدت عناصر الأمة من عربي وتركي وأرمني والباني ، كانت حصناً حصيناً وحرزا مكينا ، لا تتناولها يد سوء ، ولا يتطاول اليها قرح أذى .

وقد ينبغي للامة أن لا يكون الدين فيها عاملا للتضاد بل للتواد ، فان الدين امر الهي يتعلق بالقلب ، ويدعو للفضيلة ، والاتحاد من امهات الفضائل .

فعلينا أن لا ننظر من كان على غير ديننا نظرنا للعدو الألدّ ، فان الأسد المغوار السيد عبد القادر الجزائري كان يقول « ان الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والاسلامية أولاد علاّت ، أي أبوهم واحد والامهات متعددة » . يريد أن الأصل واحد ، وهو التعليم الالهي والاعتقاد بالالوهية والنبوة واليوم الآخر والخلود والوحي .

وينبغي للامة منذ اليوم ان تدفن نفائث الاحقاد التي بعثها اهل المفسدة باسم الدين ، والتي يوالي افشاءها اهل الرجعى بين الناس ، وتجعل كلمتها واحدة ، فانه لا دربة للقوة كالاتحاد ، ولا وسيلة للنهوض كالتكاتف .

ان من سنن الوجود أن لا تقوم الاشياء بطبيعتها دون الاتحاد ، فلولا اتحاد الذرّات مع بعضها لما تألف التراب ، ولولا ائتلاف التراب لما تشكلت الحجارة ، ولولا تضام الحجارة لما قامت للبنايات القائمة قائمة .

وهكذا الامم الحية الكبيرة النشيطة ، لولا ان تجمعت أفرادها ، وتقاربت أجزاؤها ، واتحدت عناصرها ، لما ظهرت بمظهر الاعجاب والارهاب بحيث غدت تحاذرها اخواتها .

ما من أمة الا وعناصرها مختلفة ومذاهبها متباينة . هذه امة الفرنسيس تتألف من الاسرائيليين والمسيحيين ، وأعظم دول اوروبا على شاكلتها . الا انهم يتحدون فيظفرون ، ونحن نختلف باسم الدين ، ونلقى من وراء ذلك صغاراً وعاراً .

---

(١) المفيد ، العدد ٩٤ ، ٢٨ ايار ١٩٠٩ .

رأينا من سنن الكهرباء أن يتحد المجريان كلما اختلفا نوعا ، وأن يتدابرا كلما اتفقا عنصرا ، فهل للامة العثمانية أن تجري مجرى السنة الاولى ، فيتحد المسلم مع المسيحي والمسيحي مع اليهودي واليهودي مع المسلم ، فيصبحوا أخواناً لا بغضاء بينهم ، ولا شحناء في قلوبهم .

ان الوطن تجتاحه موبقات ثلاث طمع الاجانب وسعي عصابة الرجعى وتخاذل العناصر .

أما الاجانب فانهم ما برحوا ، ولن يبرحوا يوقدون لهب الفتن ، ويذكون نارها . وقد حنكتنا التجارب في المدة الاخيرة ، وعلمتنا ان روسيا والمانيا والنمسا لا يعملون الا على مصلحتهم ، وضياع حقوق الامة العثمانية . وهذا شأن كل دولة تود لو تفترس الضعيف وتنكل به تنكيلا .

واما سعي الرجعيين على مخاذلة الامة فهو محقق لا ريب فيه ، فان فئة بمصر علقت بالخليع تدفع اهل القول وأرباب الصحف لنشر ما يخدش سمعة الاحرار ، ويشنع على الامة اعمالهم ، وان ملأنهم بارح العاصمة ، واندس بين السذج من ارضروم ووان ، وحملهم على المناهضة ، وان فريقا تاق الى المخالفة لخبث في طباعه وحب فطري للسيادة الموهومة في نفسه ، فعمل على تفريق الكلمة بين العرب والترك ، ونادى باستقلال سوريا .

وأما التخاذل فان كل عنصر يود لو يظهر على أخيه بأية صورة كانت ولو بغمط حقوقه .

فيا أيتها العناصر المجتمعة أفرادها المختلفة رغباتها ، ان الوطن تكاد تغتاله يد الفوضى والاضمحلال ، لا قدر الله ، وليس من سبيل لانقاذه سوى انضمام عناصركم . فانه مهما تكابر الخطر وتعاظم الشر عليه من الاجانب والرجعيين ، فكيدهم مردود عليهم ، اذا تآلفتم واتحدتم ونبذتم حقوق عناصركم اليوم ، الى أن تستل أصول التقهقر .

فالاتحاد بين العناصر مهما كانت صغيرة وضئيلة خير ضامن لايقاف الاجانب وقمع الرجعيين ، وان تكاثر جمعهم كما أسلفنا .

ستة وستة تعادل اثني عشر ، فاذا اتحدت أصبحت ستة وستين .

٦ و ٦ = ١٢ و ٦ ٦ = ٦٦

* * *

القيام بالواجب[1]

« خيركم من عرف حدّه وأدّى واجبه »

جرت سنّة الله ، أن جعل لكل أمرىء مصالح تستوجب مواجب ، وحدّ لكل حدوداً تستدعي أن لا يتخطّاها الناس ، والا فسدت الحياة وذهب رونقها .

---

(١) المفيد ، العدد ١٢٢ ، ٣٠ حزيران ١٩٠٩ .

تحفّ في البحث وأمعن النظر في هذه النجوم السائرة ، تجد أن كلاً منها قد احتفظ بمكانه ، فسارت على خير نظام . فلو تداخل كل منها بالآخر ، وترك ما حدد له ، لاختل نظامها ، وفقدت الأرض نورها .

وهكذا الحال في الأمة ، فان تعدّى كل امرىء مصالحه ، ولم يؤدِ واجبه ، فلن تجد للترقي وصلة ، ولا للاصلاح سبيلا .

معرفة الواجب والقيام به ألفاظ لا أوقع منها على النفس ، ولا أكرم منها على النفس ، ترنّ في الاذن وملؤها المكانة والرجولة ـ أخفق الأخلاقيون في أن يجدوا لها تعريفا ، أو يجعلوا لها شرحا، فان فعلوا فقد أتوا بما يزيل من مكانتها رونقاً، ولم يستوفوا لها قسطا .

على أنه لا فائدة من تحديد القيام بالواجب ، فانا نشعر به بالقلب . والتحديد لا يزيد وضوحا ، بل ربّما يزيد ابهاما . فان قلنا « الواجب ما أوجبه القانون والوجدان » ، أو « الواجب ما أوجبه العقل على مقتضى كرم الاخلاق » ، فقد جئنا بما لا ينيف افصاحا على معنى الواجب .

الواجب يتداخل في شؤون الحياة ، فيتشعب ويتفرّع الى شطرين ، واجب الذات ، وواجب الاجتماع . وانا لنغضي عن الأول ، ونفصل أمراً عن واجب الاجتماع .

واجب الاجتماع ينبغي أن يقوم به كل فرد من هذه الامة ، وأشدّ ما يكون مطالبة به أولياء الامر ، فان تقليدهم زمام الادارة يقضي عليهم بأن يتبعوه ، ولا يخالفوا له امرا .

ومن اولياء الامر والي بيروت ، فأهم واجباته معلومة لديه ، الا أنه غضّ الطرف عنها . وعليه اضطررنا أن نبينها للناس ، حتى يعلموا واجبه ، ويطالبوه بما حتّم عليه القانون .

قال القانون : واجبات الوالي :

أولاً : يجب على الوالي أن يفتش ادارة أمور الولاية وأحوال مأموريها . على حين انا نرى والي بيروت لا يخرج من غرفته تفقدا للدوائر . ولهذا يتعذر عليه معرفة مجريات المأمورين .

ثانياً : ان أمور الضبط منوطة رأسا بالوالي . وهذا ما كنا نقيم النكير لأجله ، قبل أن يفد الى الولاية قائد الدرك الهمام الباسل نجيب بك . فان الوالي قضى بضعة أشهر ، ولم تضبط راحة الأهلين ، وقد ضبطت ببضعة أيام على عهد القائد ، فشكرا له .

ثالثاً : ومما ينبغي على الوالي أن يجعل السجون ومحال التوقيف محطا للتفتيش ، وأن يلاحظ النظافة فيها والطهارة . ونظن أن الوالي منذ قدم بيروت لم ينظر في هذا الأمر ، ولم يتنزل ليراها .

رابعاً : ان الوالي مكلف بامر المعارف كالتعليم والتربية العامة داخل البلاد ، والنافعة كترقية التجارة والصناعة والزراعة ، وفتح الطرق العامة ، وانشاء المين والمرافىء ، وتطهير المستنقعات ، واحياء الأراضي ، وانشاء المستشفيات ، وتأسيس المعامل ، والمحافظة على الغابات ، وتكثير منافعها وواردتها .

بالله عليك أعرب لي عما أتاه الوالي من هذه الواجبات . وهل أعمل فكرة في أمر

التعليم أو التربية ، أم هل أصلح أمرا من أمور التجارة والصناعة أو الزراعة ، أم أفتتح الطرق ومهد السبل ، أم أحيي موات الأرض ، أم أكثر من منافع الغابات .

لم نر ضلعا له في هذه الأمور ، وعليه فانا لا نلام إذا قلنا أن الوالي لا يقوم بواجبه . وما أتاه من الأعمال ، اللهم إذا كان ثمت أعمال ، فهو خارج على وظيفته ، لا يستحق عليها ثناء جميلا .

القيام بالواجب فرض عين على ذي احساس حيّ ، ونفس أبيّة حرة . وقد كنا نرغب في أن نفصل ما يناوىء الواجب في النفس وما يحمل المرء على الالتفات عن القيام به . ولكن أضربنا عنه في هذا المقال لمقال آخر . وكل آتٍ قريب .

* * *

الصحافة في سوريا[1]

غير خافٍ أن الصحافة على شُعَب منها الاخلاقية ، ومنها السياسية ، ومنها الاجتماعية ، ومنها الخيرية ، وغير ذلك من الضروب .

ولكل قطر حاجة من هذه الاقسام ، الا أن النوع المهم لقطر سوريا ، في بداءة هذا العصر صحافة الاخلاق والاجتماع . ويسوؤنا أن نرى الصحافة بأجمعها تحبس نفسها للاخبار ليس الاّ .

وبين خطة الاخلاق والاجتماع وخطة الاخبار بون بعيد من جانب نفع الامة ورقيها . فالاخبار لا تلبث في أذن القارىء حتى تولي من حيث أتت . أما الاخلاق والاجتماعيات إن تأثرت منها النفس ، فلا تكاد تزول . وثمت نفع محض وأثر صالح يتسرب الى القلوب ، فيدفعها الى محاسن الأعمال وعظائم الامور .

الاخلاق والاجتماع فنّان يستوجبان دقة نظر وغوص فكر وفسحة رأي . أما الاخبار فيلتقطها أصحاب الجرائد حيث وجدوها ، ولا يتجشمون تعب البحث ، ولا يصلون بالسعي وراء الغاية الحميدة . ولذلك قلما نرى في احدى الصحف في سوريا قولاً من صاحب الجريدة ، فهي خلو من المباحث والارشاد الى الحقائق ، وسبل النهوض والتذمم من مداني الاخلاق .

غاية الصحافة أعلى مكانة مما تجري عليه اليوم ، وأعظم شأنا . فهي صاحبة الزعامة والسيادة للامة ، ومن كان هذا شأنه ، فأولى به ثم أولى أن يرصد نفسه ليوقف الناس على صالحات المهام ، ويستفزّهم اليها ، ويطلعهم على المداحض ، ويربأ بهم عنها . بيد أنا نراها هجرت طيبا ، واستمسكت بما لا خير فيه .

حصرت مهمتها في أن تبين للناس أنه احتفل في نابلس مثلا ، أو أنه ألقيت الخطب

---

(١) المفيد ، العدد ١٠٠ ، ٤ حزيران ١٩٠٩ .

أمس ، أو غير ذلك مما لا داعي لذكره ، حتى أصبح الشعب بالضرورة تواقا الى هذه الجزئيات . فينبغي للصحافة أن تزورّ عنه ، وتجعل وجهتها نحو تهذيب العقل وتهذيب القلب ، وايقاف الامة على مبلغها من القوة والمنعة ، وقوة غيرها من الأمم ، ومنزلتها من السياسة ، حتى اذا استعد العدو للمهاجمة كانت على بينة من أمره وأمرها .

نعم أن للاخبار تأثيرا حسنا للاطلاع على الحوادث ، ولكن ما يمنعنا من أن نجمع بين الأثنين ، ونؤلف بينهما ، وان كان لا وسيلة للجمع ، فيحق على الصحافة أن تنبذ طريقها اليوم ،وتمضي نحو تسديد القوى العقلية والنفسية ،وتفيض في المباحث الاجتماعية والوطنية .

ـ ضمني مجلس وأحد ورجال الصحافة ، فألمنا بهذا الحديث ، وكان على هذا الرأي ، الا أنه يحاذر أن لا تروق خطته للقراء . ومما قاله أن الناس تود الاخبار فانقبضت نفسي وقلت : ينبغي للجريدة ان تسعى وراء الحق وما فيه الفائدة ، ولا تراعي رغبات الناس وميولهم ، فان الجرائد لم تجعل لخدمة أفكار الناس ، بل لمطاليب الوطن ، ونهضة البلاد ، فاحتجّ بقوله ، اذا لم توافق الجريدة رغائب القوم ، فلا بيع لها .

يا قوم ويا رجال الصحافة : اذا كنتم تنتظرون رواج الجريدة بمخالفة مقتضيات الواجب ، وخيانة عهد الحق ، فبئس الصحافة صحافتنا ، وبئست النهضة نهضتنا .

ان نهضة البلاد لا تتوقف الا على أيدي رجال يعملون دون غاية أنفسهم ، ينظرون الى المصلحة فيتبعونها ، ولو لقوا في سبيلها مرّا ، ويصدفون عن جزئيات الامور ، ولو توسموا لأنفسهم فيها نفعا .

نحن رجال الصحافة ينبغي لنا أن يعيش الفرد منا لمصالح الامة ، ولا نجعل مصالحها ألعوبة بين أيدينا ، نتصرف بها لمرافقنا ومصالحنا الخاصة .

ينبغي لنا أن نحيا هذه الحياة ، ولا نسخر من الأمة بما نتلقفه من الاخبار والحوادث ، فنموه بأنّا نخدمها ، على حين أنّا نخدم أنفسنا .

منْ أراد أن يخدم هذه الأمة فعليه أن يقدم لها الخير ، ولو أنفته ، ويسعى جهده في اقناعها بضرورته ، ولو تجرّع الأمرّين .

نحن لسنا بحاجة أن نعلم ماجريات الصين أو اليابان ، قبل أن نعلم طوارىء أمتنا . نحن لسنا بحاجة أن نقف على مجيء الفريق وذهاب النائب قبل أن نشذب الأخلاق . نحن لسنا بحاجة أن نخوض في السياسة ، قبل أن يكون لنا نصيب من العلم .

فحاجتنا اليوم في الصحافة السورية أن تفيض في المباحث الاجتماعية ، ومنها الاخلاق والسياسة والتاريخ ، وفي الوطنية ومنها ما يؤول لخير البلاد ونهضتها كالتعليم ، وفي الخبرية وأجملها عائدة وأحسنها فائدة ما به رمز للاخلاق الحميدة والعبرة الحسنة . فقد مللنا من كثرتها على غير جدوى ، وسئمنا من مطالعتها بلا طائلة ، حتى تخوفنا أن يمرن الناس عليها ، ولكل أمرىء من دهره ما تعودا .

* * *

نزغة من نزغات الاستبداد

اخصاء الوالي يمتعضون (١)

بلغنا ان الوالي خصص في دائرته رجالا يعربون له كل ما يكتب المفيد بشأنه فشقت عليهم هذه الوظيفة لكثرة الكتابات . فنفيا لعناء التعريب نرغب في كتابة التركية حتى يطلع بنفسه ويتدبر مرامي ما نكتبه .

اللهم غفراناً انّا لا نفزع الى لغة غير لغتنا الكريمة ولو لم يفهمها الوالي والتراجمة الذين يعهد اليهم بترجمة المفيد فيحرفونها فانه ما دام فينا عرق ينبض وطرف يخفق فانّا مستمسكون بها ولا تحويل عنها .

سعى اخصاء الوالي اول الامر بتعطيل المفيد بحجة ان صاحبه لم يتجاوز السن القانوني فخاب ظنهم وضل سعيهم وحبط ما كانوا يعملون .

ثم لم يلبثوا ان اعادوا الكرة يوم اطلعوا على (عهد التمجد) فسارعوا اليه وقرأوا ما كتب خاضعين بين يديه فامتعضوا وخيلوا له ان الأمر مسيسا لمقامه وعلاقة بالقابه فحمل القول اهانة لجلالة السلطان ليثأر لنفسه .

ايها الوالي المحترم .

ليس في القول ما يشتم منه رائحة الاهانة بل الامر بالعكس فان قولنا « قد ادهشنا واذهلنا» دليل على الاحترام لأن دهشة الانسان من الانسان حسن ظن به واحترام تام له .

نحن لم ننتقد السلطان ولا الفرمان ولكن انكرنا الالفاظ التي اتت به وغير خاف ان السلطان لم يكتب بذاته الفرمان بل رجال المابين . فاحببنا الاعتراض على هذه العادة المستأصلة في الأمة العثمانية لأنا نعتبر الصحافة انها هي المكلفة بالانتقاد على اخلاق الامة وعاداتها وانها اذا لم تنتقد ما يغاير الحق والمساواة فهي خداعة منافقة تخون واجبها . وما اكبر خيانة من خيانة الواجب بل اي جريمة افظع من سكوت الجرائد عما يفت في ساعد الامة من الاخلاق والعادات .

علامَ يمتعض جناب الوالي ؟ أيريد ان يأخذ بنا الى العصر الحميدي ويوأول لفظة (ضخمة) بلفظة مستهجنة كما كان يوأول (الحوت) لفظة مراد ورشاد ووطن . وان كانت الحال على هذا الوجه فأي ميزة لعصر الحرية على عصر الاستبداد .

ظن الوالي من جري البيئة التي تحتاطه ان الاعتراض على أقوال السلطان واعماله محظور في نظر القانون ونسي ان الصحافة مسيطرة على كل امر تنتقد كل ما لا فائدة منه .

هذه جريدة يكي غزته فقد كتبت الفصول الطوال على الرتب والفاظ التبجيل والتعظيم منذ اسبوعين وما من احد عارضها من المحاكم او الولاة . والاستانة احق بالمعارضة . هذا توفيق بك والي بروسه فقد وقف في نادي الملكية بالاستانة وانتزع الاوسمة ورمى بالنياشين

---

(١) المفيد في ١٢ حزيران سنة ١٩٠٩ عدد ١٠٧ .

عن صدره كرها لهذه العادات وما من مدع ادعى عليه بأنه اهان السلطان على حين انه هو الذي قلده اياها . هذه جريدة طنين وشورای امت فقد اقامتا النكير على خطاب عبد الحميد الذي القاه في مجلس الامة ايام كان دستوريا محترما ولم ينبس احد ببنت شفة .

هذه جريدة سر بستى فقد كتبت ان احمد رضا بك لا يؤمن عليه من يتناول السم في مأكولات عبد الحميد ولم يقل احد بأنها اهانت السلطان الدستوري حينئذ .

ما بال اخصاء الوالي يفسرون مالا يفهمونه ويقولون المفيد يهين السلطان .

انت ايها المتربع في كرسيك المستمسك بمحيطيك . سماع سماع .

لو نعلم ان الانتقاد على العادات لاسيما ما يمجها العقل ممنوع في نظرك لما اظهرنا المفيد ولما خططنا كلمة على صفحاته على انه لو كان خطك ممنوعا في نظر القانون لما احجمنا عنه وتلكأنا فيه فنحن معشر الصحافيين نفخر ونتباهى بما يصيبنا من الاذى في سبيل القول الحق وتأييد الفضيلة وتوطيد المساواة وتسديد الاخلاق فشعارنا قد علمته منذ اول نشأتنا « ما الذ الشقاء في تعزيز الأمة » .

اعمل ما تبعثك اليه نفسك فانّا نتلقاه بجميل الصبر ولا نفتأ نقول ان الالفاظ التي وردت في الفرمان القاضي باعدام محمود بشير الفاظ لا يستحقها بشر فانك لم تستجمع (جميع المعالي والمفاخر) ولست افتخار الاعالي والاعاظم وان قاضي بيروت ليس (اقضى قضاة المسلمين) ولا (وارث علوم الانبياء والمرسلين) .

ان النفوس الحية اذا اضطهدت زادت قوة فوق قوة فقد شعرنا اليوم باحتراكها واندفاعها للحق الاندفاع الحق فشكرا لك ايها الوالي المحترم .

دفعتني ان اقول ان الصحافة امر مبارك جليل تنتقدك وتنتقد الحكومة والوزراء والنواب والاعيان وما فوق ذلك هذه هي الحرية فان قيدت باوهن القيود فهي استبداد محض لانفتأ عن محاربته بالاقلام وارباب الاقلام كذا يقول جلالة سلطاننا محمد الخامس اقوى الرجال ...

* * *

الشجاعة الأدبية[1]

نحن العرب أول ما نفخر به من الفضائل والكمالات فضيلة الشجاعة .

نحن العرب اذا تضاءلت الشجاعة في الامم ازدادت في نفوسنا ، واستحكمت من أخلاقنا ، وترسخت في قلوبنا .

---

(١) المفيد ، العدد ١٠٨ ، ١٤ حزيران ١٩٠٩ .

نحن العرب ان بادت فضائلنا ، وتنزلت معالينا ، فان الشجاعة لا تزال فينا .

الشجاعة ضروب : منها الجسدية والعقلية ، ومنها الادبيـة ، ولست آتيا عـلى تفصيلها ، ولكن أرغب في بيان الشجاعة الأدبية .

الشجاعة الادبية سجية ضرورية لكل فرد عاش بين ظهراني هذه الامة ، وحاكت في صدره الوطنية ، وأحب أن يسعى لخيرها ومصالحها العامة .

فعلى كل من ينتمي للوطن المحبوب أن يجاهر بأفكاره ، ويصارح بآرائه ، ولا يتهيب أحدا ، ويصرّ عليها عند غواية الناس ، ويناهض من ناواه فيها ، ويدرأ عنه من ينقذه بُطْلاً ، أو يلحق به سبابا ، أو تصيبه منه غيبة . وينهض رغما عن كل فرد ، وكل أمر يحول دونه ، اللهم ان كان على شاهد عدل من وجدانه ، ويُقدم اقدام الرجال ، ويتخذ العهدة على نفسه ، فيما يجاهر به من أفكاره وأعماله ، وأن يعرض للمخوفات والشدائد ان كان على سداد عقله ، وبيّنة من واجبه ، فان رجل الشجاعة الأدبية لا تأخذه حركة الضلة ، وان عمّت بليتها ، بل يقاومها ولو لقى في سبيل ذلك مرّا ، ويثبت على ما هو عليه مندفعا فيما خططه لنفسه من الطريق في هذه الحياة .

هذا ما علمنا اياه الواجب ، ورأينا رجال الغرب تنهج منهجه ، لا سيما في أمور الحكومة . فان كل جريدة تنقد ما يتراءى لها خطأه ، وتنذر بما لا خير فيه ، حتى أنهم بلغوا من الحرية مبلغا ينتقدون به شكل الحكومة . فان جريدة « الشمس » في فرنسا لا تفتأ تطالب بالملك دون الجمهورية ، وما من أحد من أرباب المحاكم يتهجم على مسّ كرامتها . وهؤلاء أرباب الزعامة في بطرسبرج لا يحاذرون أن يدخلوا مجلس الأمة ، ويندون بخلل الحكومة .

وقد جرى على هذه السنّة اخواننا الاتراك في العاصمة ، فانا نعتبر أن جريدة « يكي غزته » من أعرق الجرائد حرية ، فانها طالبت يوم حفلة يمين الاخلاص ، بأن يُلغى كل ما يشتم منه الفخفخة التي لا طائل تحتها ، وتنزع التقاليد القديمة الباردة . وقد كان . فان جميع الوزراء وجميع من واجهوا جلالة السلطان محمد الخامس كانوا على غير عاداتهم من الملابس الرسمية .

هذه هي حرية الصحافة ، والا ما معنى الحرية اذا قيدت الألسنة عن بيان العادات السيئة ، وحظر عليها انتقاد الحكومة .

على انه اذا لم يكن ذلك ، فانا عربي لا أغمض عن ضيم ، ولا أستكين الى قذى ، فلا بد من احقاق الحق وازهاق الباطل .

نحن العرب كان يقول رجالنا الكرام للمنصور يوم تولى امر المسلمين ، وانقضت وطأة الوباء ، ومنّ عليهم بقوله « أيها الناس ان الله تعالى أذهب بي عنكم الطاعون » ـ « ان الله لا يضرب بعصوين الطاعون وأنت » .

نحن العرب كان يقول رجالنا اذ نادى الخليفة عمر بن الخطاب (من رأى منكم فيّ اعوجاجا فليقومّه) ـ (والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقوّمناه بحدود سيوفنا) .

نحن العرب كان يقول أجدادنا لمعاوية بعد فساد ابنه يزيد :

معـاويَ اننـا بشر فـأسجـح فلسنـا بالجبـال ولا الحديـدِ
أكلتم أرضنـا فَجَـرَدْتُمـوهـا فهلْ من قائمٍ أو من حصيدِ
فهبنـا أمّـة هلكت ضيـاعـا يـزيدُ أميـرهـا وأبـو يـزيـد

نحن العرب كان يقول أجدادنا لمعاوية (والله لا نلومك على ما في خزائن الله ، ولكن على ما أنزل الله لنا من خزائنه ، فجعلته في خزائنك وحُلتَ بيننا وبينه) .

نحن العرب من طينة طيبة ، وأنا عربي فلا بد من ان أقول لوالينا المحترم :

لست بافتخار الاعالي والاعاظم ولا مستجمعا جميع المعالي والمفاخر .

نحن العرب أحرار بالطبع وأنا عربي فلا بد من أن أقول لقاضينا المكرم :

لست أقضى قضاة المسلمين ولا وارث علـوم الانبياء والمرسلين .

* * *

الشرف الموهوم[1]

فوالذي قلب الملك ، ووطّد الدستور ، وأعزّ الأمة ، لتبدل الأرض غير الأرض ، ان دام رجال الحكومات ينظرون للرعية نظر السادة لمواليهم ، والموسرون للمعدمين نظر الجبابرة لحواشيهم .

ان هذا النفر من الناس يحسب أن بتمجده قد ضم الشرف تحت برديه ، والسؤدد تحت جناحيه ، على حين أن الشرف لا يتناوله الاّ كل عظيم مجيد همّام مريد .

حَسَب هؤلاء أن الشرف بلحية تسرح ، فسرحوها ، وبعصاة تُذهّب فذهبوها ، وبعربة تجري ، فأجروها ، وبدسوت تنصب في الحكومة فتربعوا فيها ، وبخواتم تدخل في الأصابع ، فأدخلوها .

حسب هؤلاء أن في ذلك جماع الشرف وقوامه ، وما دروا أن هذه الامور لا يلتفت اليها الا بعد اتمام حاجيات النفس من الأخلاق الفاضلة ، وتهذيب القلب بالعواطف السامية ، وان هذه ظواهر لا تقوم بها للوطن قائمة ، وأراكين النهضة واهية .

ان نهضة الامة تتوقف على أمرين : ضروري وكمالي ، ونحن في أول البدء للعمل في سبيل الضروري ، غير انا تركنا اللباب وعلقنا بالقشور ، نبذنا العظائم وألفنا السفاسف ، صدفنا عن المجد الأثيل ، واستمسكنا بالشرف الموهوم .

توهم للحكام نفوسهم أنهم يطلون على البشرية من نوافذ الألوهية ، فيستصغرون الناس ، ويترفعون عن مجالستهم ، ويستنكفون من ممازحتهم ، يقين أن يثلم بذلك شرفهم ،

---

(١) المفيد ، العدد ١١٥ ، ٢٢ حزيران ١٩٠٩ .

وتمسّ مكانتهم . فاذا خطروا بينهم خطروا كبارا ، واذا حدثوا فريقا منهم نطقوا استكبارا . كل ذلك من جرّى الوهم الذي يداخلهم ، ويوحى اليهم بأنهم أشرف مكانة ، وأعلى منزلة من الناس .

وعلى هذه الشاكلة جرت الطبقة الموسرة من هذه الامة . تهزأ بالضعيف وتسخر من الطبقة الوسطى ، وتشمئز من الانتساب الى الطبقة المعدمة ، حفظا على منزلتها من أن يستهان بها ، كأنها هي الامة أو الامم أو الكون أو الفلك .

ما هذا الوهم وما هذا الشرف الموهوم ؟ ان الامة مليكها وأولياءها وأفرادها كتلة واحدة ، تجمعهم الوطنية على متسع ومنبسط من الأرض تحت رايةواحدة ، ولا ميزة لأحد على الآخر الا بالفضائل لا المناصب ، ولا فخر لفرد دون الآخر الا بالشرف المؤثل لا بالشرف الموهوم .

لا فخر باعتلاء العرش ، ولا كرامة بتقلد الامور ، ولا شرف باحتياز الاموال ، بل الفخر كل الفخر ان يمتّ الى هذه الامة بعطفة من احسانه ، وجرأة من اقدامه وقطرة من دمه .

يحق للفرد أن يفخر ان أنفق من ماله ما يسد ثلمات الامة من قوى البر والبحر ، فتهتز اعطافه وتغرورق عيناه فرحا باحسانه ، حين يرى الجيش يزحف بحرابه ، والاسطول يمخر بمدافعه .

يحق للفرد أن يفخر ان مدّ يده للبؤساء من هذه الامة ، فينشيء لهم الملاجىء والمعاهد ، ويتعهدهم بالخير ، كلما بدرت له بادرة شفقة ، ويواسيهم بالمال ، ويخفف عنهم مصاب الحياة ، ويمهد لهم سبل السعادة .

يفخر الحاكم ان اقدم وصادر اهواء نفسه ، وقام بواجبه لما انتدبته الامة اليه ، فلم يخن وظيفته ، ولم يراعِ ذوي القربى ، ولم تأخذه محاباة بين الطبقات .

يفخر الحاكم ان اعمل الحزم معمله ، وحكم العزم احكامه ، فلم يدع لذوي الأغراض سبيلا عليه ، ولم يثنه عن اتباع الحكمة والقيام بالواجب ما يسوله له اخصاؤه .

يفخر الحاكم ان لم يدع مجالا للقول ، فلا يبلغ منه أرباب الصحافة ، ولا تنال منه حملة الأقلام ، وذلك بالجري على خطط النشاط والهمّة والسداد .

وللكاتب أن يشرف ويفخر ان جعل وجهته لخدمة هذه الامة ، فينقب عن مساويها ، ويندد فيها ، ويرشدها الى الامور العظام ، ويستفزها اليها ، ولا يلفته عن ذلك إرهاب أو تهديد أو وعيد .

وللناس أن يفخروا ان أدوا ما هدوا أنفسهم عليه ، من القيام بالأمر ، سواء في التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو الامارة أو الاستخدام . لأن من قام بعمله حق القيام كان رجلا ، وأشرف ما يتباهى به الرجل في هذه الحياة خلّة الرجولة .

ان هذه الأمة ما زالت عطشة ، فلا ينقع غلّتها ، ولا يروي نفسها الا اباحة الدماء .

فعلى مجموع الامة أن يرصد نفسه للفداء بغير تأفف في سبيل مصلحتها ومنفعة أبنائها وخدمة أفرادها ، والذب عن حياضها ، ان داهمتها الفوادح أو أرهقتها القوارح .

وما أبدع الجندي يموت بين صليل السيوف في الدفاع عن بلاده ! وما أجمل المثري يلفظ روحه بين حسناته على أهل أوطانه ! وما ألطف الكاتب يودع الحياة على طمأنينة وجدانه بأنه عاش لخير أمته .

هذا هو الشرف الحقيقي ، فبارك اللهم على هذه الفئة الصالحة ، وامح من هذه الامة ما ينتابها من الشرف الموهوم ، فقد أنهك قواها ، وأحنى ظهرها ، وأنت أرأف وأرحم بها .

***

حرّية الصحافة [1]

« ان في حرية الصحافة ضررا ضروريا لازهاق الباطل واحقاق الحق »

حمل الينا البريد أن النواب سنّوا لهذه الأمة نظاما ، وجعلوا على أفواهها شباما وهو نظام المطبوعات . فادرجنا بالأمس بعض مواده ، وأنّا لنندب اليوم مصير الحياة ، وحفظنا من الممات . فقد قضت سنّة الوجود أن لا تقوم لنا قائمة ، ولولا خشية أن يقال أننا من المتطيرين « البسيمست » ، لقلنا أن هذه الامة لا تصلح حالها ، ولا يستقيم أمرها .

ألقينا آمالنا ، ووضعنا ثقتنا في النواب ، وقلنا على أيديهم تكون النهضة ، وبسموّ أفكارهم يكون الرقي ، فقنّنوا لأشرف أنواع الحرية ، ما هو أشدّ وطأة ، وأثقل عبئاً من النظام القديم .

كان بالأمس نصيب الذين ينتقدون الحكومة ، أو يكتبون عن الخلل فيها سكنى أعماق البحار ، أو النفي الى أقصى الديار ، أو القتل الفظيع . وسيصبح الاحرار من أجل سجاياهم يسكنون السجون ، أو يدفعون الدنانير ، أو يهانون .

رحماك يا ربّاه ! أقضيت علينا أن نحيى على ضنك ومتربة ؟ حنانيك يا الله ! أقدرت أن نحيى بين مضايق التقييد ، ونسام الخسف ونرسف بالحديد ؟

ما يريد النواب ؟ أيرغبون أن نرى الامة فنودعها بالدموع وداع البنين ، وأن نسكت عن زلّات الحكام ، وأن نضام ونستكين ؟ ويلاه ! ان نفوسنا لتأبى الهون ، وتؤثر الموت على الذل الهضيم . وقد أقسمنا اليمين أمام عصابة كريمة ، وقلنا « النار ولا العار » .

ما هذا النظام الذي يشمل بعقابه المدير المسؤول وكاتب المقالة والطابع والبائع ؟ فما وجه الحكمة بالقاء التبعة على الطابع والبائع ؟ فاذا كان لكثرة المسؤولين ، فلمَ لا تجعل

---

(١) المفيد ، العدد ١٢١ ، ٢٩ حزيران ١٩٠٩ .

التبعة على القرّاء أجمعين ؟

ان هذا النظام لضربة قاضية على ارتقاء الامة ، لانّا نعتقد أن وسائل النهضة الاولى هي المطبوعات ، فإذا حجزت حريتها ، وسنّت لها القوانين المشدّدة ، فمن يطالب الحكومة بمنكر فعلته ؟ ومن يصارح رجالها بتهامل أتته ؟

ان في حرية الصحافة ضرراً ولكنه ضروري . يتضرر منها رجال السوء ان استأثروا ، فلا يلبث الكتاب أن يندوا . بتضرر رجال التقاليد والاوهام ، فلا ينكص رجال الاقلام أن يعرّضوا . هذا هو الضرر . ولكن به الحق يتأيد ، والفضيلة تتوطد ، والنهضة تترسّخ .

رأينا في سنن الاجتماع أن كثرة القوانين واشتباك فروعها ، والتداخل بجزئياتها ، دليل واضح على انحطاط الامة . فاذا كانت الأمة العثمانية تريد أن تنهض من كبوة ، فقد ينبغي لها الا تقيد نفسها الا بالقيود الصغيرة المحكمة شأن الامم الراقية . لكن هذا الأمر غاب عن نوابنا ، فأرادوا تقييد الصحافة من جميع وجوهها . واذا قيّدت الصحافة ، وطبق عليها هذا القانون ، فما وجه الحكمة بأن نهتف على ملأ من الناس (فلتحيى الحرية) وعلى رؤوس من الأشهاد (عاش الاحرار) أين الحرية وأين رجالها .

بعثنا النواب ليحافظوا على حقوق الامة ، ويؤيدوا سلطتها . فما بالهم ينتزعون حقوقها بأيديهم ، ويسلخونها عنها ، أما كفاها ما دهاها في الأعصر الاولى .

ان الامة كتلة واحدة متضامنة مترابطة يسأل بعضُها بعضا . فالنواب يسألون الوزارة عما تقترفه أيديها ، والوزارة تسأل العمال عما يجترحون ، والعمال تسأل الافراد عما يكتسبون ، وأفراد الامة تسأل النواب عما يقدمون ، فأن كان خيرا فامتداحا ، وان كان شرا فملامة ، ولهذا نلوم الذين افتكروا بهذا القانون المجحف ، لأنه عثرة في سبيل الترقي . هذا وانّا نحن معشر الصحافيين في سوريا على فكرة واحدة من هذا الامر. وهو ان تمّ هذا القانون ولم يبدل بما هو أحسن منه ، فانا نكسر الأقلام ونكف عن الكتابة ، ونعطل جرائدنا أجمع ، لأننا نتبرأ أن تكون جرائدنا كما كانت بالأمس تمتدح الولاة على علاّتهم وتذكر فضائلهم دون مساويهم .

ويلاه ! ما العمل يا ربّاه ؟ أنكسر أقلامنا ونعطّل جرائدنا ؟؟؟

ان العين لتدمع ، وان القلب ليحزن ، وان الروح لتزهق ... ما يريد النواب أيرغبون أن نرى الأمة تغتالها الجوائح وترهقها الفوادح ونقول عنها أنها في أعلى عليين من الرقي والحضارة والنهضة ؟ أيرضون أن تتلاعب بها الحكام ، ونقول عنهم ساستها ومدبرو شأنها ومصلحو أمرها .

اذا كان النواب يرغبون في ذلك ، فنحن لا نرغب . فانّا كرام لا ننطبع على الكذب والنفاق .

ومن كانت هذه حالته فأجمل به أن يكسر أقلامه دون أن يخالف وجدانه .

وأجمل بالحرّ أن يموت دون أن يخون أمته ويبيع ذمته .

وأجمل بالأمة أن تستئصل دون أن تنافق وتداجي وتموّه على نفسها بنفسها .

***

حرّيّة الصحافة [1]

ما من أمة قيدت صحافتها ، وحجزت حريتها ، الا وفسدت أخلاقها ، وتزعزعت أركانها ، وأصبحت لا ترى الا مساكنها . وما مَثَل الامم الا كمثل المنطاد ، لا يرتقي الا اذا نزعت منه الأعباء الثقيلة والأثقال الباهظة .

وما هذا القانون الذي سنّه مجلس الأمة للمطبوعات ، الا سلاسل يتقيد بها العقل والقلب والارادة ، وما بعد قيد هذه الثلاثة الا اختلال الجسم ، واضطراب حركاته على غير محورها .

خلق الله هذه الأمة تامة بعقلها ، فسعى اولياء الامر أن يصلحوها بالقوانين ، فكان سعيهم سببا لانحطاطها وتسفلها واهانة شأنها . وعليه فقد كان تقييد الصحافة اهانة للبشرية .

نعم ان تقييد الصحافة اهانة للبشرية ، لأنّ الصحافة ليست أوراقا تتناولها أيدي القرّاء ، بل أرواحٌ يلفظها الكتّاب من أفئدتهم ، لتسري في قلوب الناس . وهي طيبة زكية على حسب خالقها . وانّا لنجزم بأن هذه الارواح التي تتصاعد من قلوب الكتّاب على صفحات الجرائد ، لا بد أن تخلق رجالا ، وتوجد أمة حيّة . فقتلها قتل حيّ من دأبه ايجاد حيّ وتكوين أمة .

بل أن فقد رجال من هذه الامة ، لأهونُ من فقد حرية الصحافة ، لان خسارة الرجال قد تعوّض ، وربما لا تكون ضررا ، وأما خسارة الحقائق وضياعها فقد لا تسترد ، ومن ثم تبلى الأمة بالمصائب وتقرع بالنوائب .

بل ان قتل الرجل قتل مخلوق عاقل ، على حين أن قتل المطبوعات قتل العقل بذاته . هب أن المطبوعات ليست بالعقل ، أما يسوغ للنواب أن لا يقتلوها . فكم من هذه الامة أفراد انتاصت عقولهم ، وأظلمت مداركهم ، بحيث لا يعلمون الا أن يأكلوا ، ويشربوا ، وهم أحياء

---

(١) المفيد ، العدد ١٢٨ ، ٧ تموز ١٩٠٩ .

يتصرفون كيف يشاؤون .

هذا شأن القانون من الوطنيين ، فكيف يجب أن يكون بجانب كنه العقل الراسخ ، وخلاصة الروح اللطيفة، وهو أمر المطبوعات ؟ يجب أن يتساهل ويتسامح كما تساهل مع حرية الفرد ، فكلاهما تجب الحرمة لهما ، لأنهما في نظر الحقيقة سواء ، فينتج مما تقدم أن حرية الصحافة ليست أقل رتبة من حرية الرجل الخاصة .

ان تقييد الصحافة حجز للنفس عن بلوغ الحقائق ، فنرى الحق ونقرّ به ونودّ أن نتلمسه « ولكن لا سبيل الى الورود » . بل قد يلفت العقل عن الحق الى ما لا خير فيه ، فيميته ويطفيء نوره ، ويخمد ذكاءه ، ويشغله بجزئيات الامور كنقل الأخبار مثلا . ان تقييد الصحافة يمنع من تمرين العقل على البحث . وغير خاف ما في ذلك من الضرر على ارتقاء عقول الأمة ، لأن ايقاف العقل دون التفكر والدرس ، مما يوجب تثبيط الهمة وضياع القوة الحاكمة .

ان العقل آلة حية لا بد أن تعملَ . فاذا لم توجه نحو الحقائق ، عملت في الأوهام والخزعبلات والخرافات ، وذلك جلّ المضار التي ساقها عبد الحميد الى الأمة ، بحجزه حرية الصحافة . قلنا أعلن الدستور وبزغ النور ، وتجلّت الكمالات بالظهور ، ولكن أمسك النواب القلوب ، وقبضوا على العقول ، وعلقوها على ابواب الحقائق ، دون الاجازة بدخولها .

فيا أيها النواب الكرام ، ان الحكومة اما أن تكون دستورية كالأمم الغربية ، واما ان تكون مطلقة كالحكومة الفارسية والروسية والصينية . فنحن لا يجدينا نفعاً أن نسمّي أنفسنا بالأحرار الدستوريين ، ونقيد الصحافة بأوثق القيود ، وأشدها رباطا ، وأحكمها تمكينا . فان تقييد الصحافة دليل على الاستعباد ، ومدعاة إلى الخوف والخضوع ، ومن ثم الرضوخ للاميال السافلة في أنفسنا . فالأمة الدستورية يجب أن تكون كالأمة الدستورية الغربية ، والا فليست بدستورية . واما جمودنا بين الحرية والاستبداد ، فلا نقبل به . فانا نأنف اليوم أن نرضخ للجمود ، لأن الامم خلقت لأنماء العقل واتساع الحرية وكمال الرقيّ . فاذا سننتم ما يناوىء الرقي ، فقد جاءت شرائعكم دون الغاية التي اصطفيناكم لها . فالشرائع الحسنة هي التي تأخذ بناصر الامة الى التمكين والبسطة من الحياة الطيبة ، ونحن في حاجة اليها .

عجبا أيها النواب الكرام ، فقد قتلتم الصحافة قبل أن تخلق ، فدعوها تنمو وتظهر بمظهر القوة ويشتد أزرها ، ثم فكروا بكيفية حجزها . دعوها اليوم تخط وتشطّ فلسوف تحنكها التجارب ، وتختط لنفسها خطة مثلى . أما ما سننتم لها ، فقد جاء على غير ميعاد . فكان مثل الامة بكم مثل المهندس الذي يتقن قصره ، فيسجن به ، فقد دعتكم الامة ، وانتقت خياركم ، لا لتقييدها وحجز صحافتها ، بل لامر أسمى وأعلى مقاما ، وهو ترقيها وانزالها منزلة صالحة بين الامم العظمى .

فاذا لم يتغير هذا القانون ، فقد جزمنا باعتقادنا ان الامة الضعيفة لا يمكنها ان تخلق الشرائع الطيبة ، بل ان الشرائع الطيبة هي التي تخلق الامم الصالحة . فابعث اللهم لنا من يسنّ هذه الشرائع ، واحكم بها قلوبنا ، انك احكم الحاكمين .

***

ناظر المالية الجديد [1]

ان هذا أول فتى من جميعة الاتحاد والترقي تولى الادارة عن غير سعي لها ، لأنه لما استدعاه الصدر الأعظم ، وطلب منه أن يستلم زمام المالية لدى استغناء رفعت بك ، رفضها جميلا ، وقصد الى هذا يقنعه بأن يخرج عن استعفائه بأشد ما يكون من الحجج والبراهين ، فعل الذي عظمت نفسه وأبت غيرته . ولكن محبة الوطن قد دفعته أخيرا أن يتعهد بالقيام بها ، فأقدم شجاعا يتحمل تبعة عظيمة وعبئا ثقيلا من أعظم تبعات الوزراء في هذه الأيام . لأن الدور الماضي كانت جناياته أشد وطأة على مالية الأمة ، بحيث فقدت الروح ، ولم يبق منها الا الهيكل الذي تنحلُّ أجزاؤه وتنفك تراكيبه ، ان لم يتداركه أمر فوق الطبيعة .

فحشد هذا الرجل لاصلاح هذا الجسم الذي لم يبعث من رفاته منذ أعلن الدستور الى اليوم . وقد مضى عليه أشهر ، وأولياء الامر يسعون في أن يبثوا فيه نفحة من الحياة . ولكن الأمل كان ضعيفاً ، حتى تولّى جاويد بك نائب سلانيك ، فتعلقت الآمال فيه ، لأنه يمثل الحزم والهمّة والعلم ، أمور تحتاجها مالية أمة لم يضبط لها قيد .

وغني عن البيان أن نذكر أن هذا الرجل كان أحد زعماء الحركة الدستورية ، الذين جابهوا المخاطر والمخاوف ، ولم ييأسوا من انتصار الحق على الباطل ، حينما جاش مرجل الغدر في الآستانة ، واستجاش أهل الرجعى نبائث الفساد لرد صولة الأحرار . وحتى اذا استتب الامر لروّاد الحقائق ، واستحكم سلطان الدستور من المملكة ، توجهت غايته في مجلس الامة لاصلاح الحكومة اصلاحا لا يتطرق اليها من بعد فساد ، أو يعتورها خلل ، فعمل على مقتضى الحال ، حتى بسط أمر المالية على البحث فنهض وكشف عن حقائق لا يحلم بها الّا الراسخون في العلم والاقتصاد والسياسة . فتبين أن الفتيان لا يقلون عن الشيوخ درجة باتساع مداركهم ، ونطاق معلوماتهم ، وأنهم سيكونون هم عماد الدولة وسياج الامة . وشاهدنا في خطابه الذي ألقاه مؤخرا في مجلس الأمة ، فانه أدهش النواب وأبهر أولياء الأمر ، حتى طلبوا طبع خطابه بملايين النسخ ، وتوزيعه على كلّ أفراد الامة ، ليطلعوا على حقائقه ومرامي أفكاره التي انطوت عليه بشأن اصلاح المالية . وسيطبع ويوزع عما قريب في

---

(١) المفيد ، العدد ١٣١ ، ١٠ تموز ١٩٠٩ .

كل الولايات العثمانية ، لأنه جمع الفصاحة والاختصار ، الى الاخلاص والاستقامة والعدل . وبين فيه جميع الخلل بدون مراعاة مصلحة أو عواطف اناس ، فاستحق الثناء والشكر من الأمة . ولذلك لم تبخل عليه بتقليده نظارة المالية فان الشجاع الحر لا تلبث أن تميل اليه كل عواطف الناس ، فتحبه ويحبّها . وثمت أعلى درجاة الحياة الطيبة .

ونحن لا يسعنا الا أن نجزم بأن هذا الناظر الكريم ، سيعلو كل عقبات المالية ، فانه عودنا أن يكون عظيما كبيرا في ادارة حركة الحرية التي كان يتهددها ويتهدده في كلّ آن حبائل الرجعيين وشبائك الخائنين .

ومن عرف كيف يتخلص من شرك الغدر ومضايق الاستبداد ، ويوطد أركان الدستور ، على خلع عبد الحميد ، ويؤيد سلطة الأمّة بأجمعها ، لا يلبث أن يجتاز عقبة من عقبات أمورها بكل حكمة ودراية وفطنة .

فأملنا بهذا الوزير الدستوري الاتحادي عظيم ، لأن الأمّة اذا اصطلحت ماليتها وعلمت دخلها وخرجها ، تمكّنت من النهضة الصحيحة والرقيّ الباهر والمستقبل المجيد . وما الله على الأمّة بضنين .

***

فتيات الحاضر عنوان المستقبل
«ان التي تهز السرير بيمينها تهزّ الأرض بشمالها» [1]

ان الامم العظام والملل الشداد ، لم تستوف قسطها من البأس والقوة الاّ من ترقى الاسرة في الأخلاق ، فالاسرة قاعدة ان وهت وهت الامة وهوى الملك ، لانها بدء لطيف تتكون منه الانسانية ، وملأ جمعته سنة الوجود ، فكان أصلا تتشعب منه الأمم المتمدنة .

فلو انحلت أخلاق الاسرة بادى بدء ، لاستحال على الامة الراقية كل ترق وصلاح في المدنية والاجتماع .

فالاسرة كون صغير ضمه الله فاشتد به ازر الانسان، وتدرج الى التعاون مع عشرائه والتعاضد مع ذويه ، حتى نشأت من ذلك روح التكافل والتضامن بين الناس .

وعلى هذا درجت السنون ، ودرج التكافل ، حتى تكونت كل مدينة من الاسرة ، ثم اخذت كل مدينة تنمو بارتباط العلائق ، حتى تجددت أسر أخرى بتجدد الروابط ، فاتسعت دائرة المدن من أسرة واحدة في متسع من الارض أو منحصر ، حتى تكوّن الوطن ، الا وان الوطن لهو الاسرة الكبرى ، الا وان الاسرة لهي الوطن الصغير .

---

(١) المفيد العدد ١٣٣ ، ١٣ تموز ١٩٠٩ .

فالوطن الصغير قد يمجد به الوطن الكبير ، ان تأصل على أساس متين وبنيان محكم مبين ، وذلك بايجاد ملكية له حكيمة شديدة لطيفة قويمة . والا تنعكس حال القضية كما هي الحال في أمتنا الكريمة .

وعلى هذا ينبغي أن تربَّى فتيات الحاضر تربية فاضلة ، بحيث لا يستوعب وقتها في المستقبل الا السهر على بنيها ، ولا يشغلها عن ذاتها الا أمر قطعات كبدها ، فتصرف قواها وتبذل وسعها في تربيتهم الجسدية ، وانماء قواهم العقلية أو تعمل الجهد في اكتساب محبتهم واحترامهم لها ، لان هاتين العاطفتين ان فقدتا من قلوبهم ، فقد جفت منهم العواطف النبيلة .

ينبغي لربة البيت ان تتهيأ للطفل فيكون أول منظر منها يداخل دماغه ، وأول نور يشع منها على عقله ما يراه فيها من الهمة والاخلاص والشجاعة والعقل الراسخ ، وأول شمة تذكو في أنفه فتوقظه شمة الترتيب في المنزل ، والانتظام في الاعمال ، والسكينة الخالصة في الامور .

وقد ينبغي لمليكة المنزل أن تجهد في أن لا تقع أنظار الطفل على سلطتها اللطيفة ، الاّ وهي مقرونة بالعدل والحق ، فتسعى أن تقوده لامرها بالاقناع العقلي دون الارهاب أو التهديد أو الوعيد ، وأن تبعثه وتستفزه كلما بدرت منه بادرة حسنة ، وتشجعه وتستنهضه ، كلا خلصت منه أكرومة طيبة ، بحيث يتدرج متى بلغ أشده الى اعمال همته ، واظهار اخلاصه ، واندفاع شجاعته ، واستعمال عقله وترتيب أموره ورزانة أعماله ورصانة أفعاله ، واستقلال فكره واقدامه للمعالي ، وعدم اطاعته الا للحق الذي يوافق العقل الصحيح .

لان المنزل وان يكن غريبا عن الحياة الاجتماعية السياسية ، فقد ينبغي أن يكون مستودع الدرس السياسي والاجتماعي ، لانه يعد من أعظم المدارس فائدة لتدريب قلوب الاطفال على الحياة النبيلة ، حياة الاجتماع الطيبة والسياسة الصحيحة ، فان أول ما يرتسم في مخيلة الطفل من الافكار السامية والعواطف النبيلة قلما يزول أثره أو يمحى أصله .

الا وان الطفل الذي لا يسمع من أمه الا مبادىء شريفة وحكماً نبيلة ، ولا يرى أمامه الا أعمالا عظيمة ، فهو لا شك يشب وقد تسلح لمقاومة الرذيلة التي تناوئه في شبوبته ، ومن ثم لا يجد وخز الضمير ، ولا فساد الحياة سبيلا للتطرق اليه . فاذا ظهر له السفه ظهر بمظهر الخيانة ، لانه يذكر اذ ذاك طهارة أمه وكرامة نفسها وشرف انفتها .

وقد ينبغي للآباء ، ولو كانوا يحبون أبناءهم حبا جما ، أن يوجهوا أعلاق قلوبهم الى أمهاتهم ، ويجعلوا كعبة ثقتهم فيهن ، لان للأم تأثيرا عليهم أعظم من تأثير من يحملون لحاهم ، لرقة في عواطفها ، وتساهل في سلطتها ، وتسامح في أخلاقها . بل ينبغي للآباء أن يجعلوا سلطانهم وارادتهم يحومان على البنين حوما ، ولا يظهروهما إلا في الامور .

فان سلطان الرجال قوي ، وعزمهم شديد ، يخشى معهما أن يهبط البنون بثقلهما ، فيقفون عن النمو واستقلال الفكر ، فمن الحكمة أن يتحاشى الاباء اظهار السلطة الباهظة عليهم والا تثبط عزمهم ، وخارت ارادتهم ، وزال استقلال فكرهم .

واعلم ان سلطة الام على الطفل لطيفة لا تشتد ابدا ، وان في البنين روح عظيمة تناصب النساء مناصبة تفيدهم ، وتروضهم على أعمال الادارة والاستقلال ، تحت ظل الام دون أن يتفيل حزمهم .

وبالاختصار فقد ينبغي للام أن تربي للوطن أجساما من حديد ، وعقولا لا يخالجها الشك ، وارادات راسخة لا يداخلها تردد .

وبعبارة أقصر وأسهل تناولا ، ينبغي لملكية البيت أن تربي للأمة أبناء في منزلها لا يؤثر معها البيئة عليهم ، لان بيئة الامة فاسدة لا يرجى صلاحها . فنحن في حاجة لايجاد شبيبة عظيمة أنوف ، بحيث اذا خرجت من المنزل لا يؤثر عليها المحيط ، وان الرجل كل الرجل ، من يتعالى عن الظرف ، ويستمسك بما غرسته فيه أمه من الاخلاق الفاضلة والعواطف النبيلة التي مرّ ذكرها .

فاعملوا أيها القارئون على تكوين هذه الفتاة لايجاد الشبيبة التي تحيى بها الامة حياة السعادة والرفاهية والمنعة ، فقد علمتهم حكمة الحكيم العظيم «ان التي تهز السرير بيمينها تهزّ الارض بشمالها » .

* * *

تفرنس العرب[1]

ان الامم لا تحيى حياة المنعة ، ولا يمكن لها بين أخواتها الا اذا رزقها الله من يحتفظ بعراها الوثيقة واواصرها المحكمة .

وأشدّها احكاما ، وأوثقها رباطا جامعة اللغة . فاللغة اداة لقوام العنصر ، ووسيلة لجماع النهضة . فاذا ما اندرست اللغة اندرس العنصر ، وعفى القوم ، ومنحت أكتافهم ، وطوقت أعناقهم بقيد المسكنة واسار المذلة . وما بعد ذلك من هوان .

فالعرب ان آنسوا من أنفسهم يقظة ، وصحوا من سكرة ، فقد ينبغي أن يكشف لهم الدجى ، ويعلموا أين المقرّ وأين المنتهى .

ان الامة اذا رغبت في استعباد امة ، فأول أحبولة تلقيها ، وأول شرك ترميه بين يديها لغتها ، حتى اذا علقت بها ، حببت اليها رجالها ، وأطلعتها على خيارها ، وأوقفتها على حسناتها ، واستجلبتها الى خضرائها . فاذا حان الحين ، وافترصت الفرصة ، ضمتها

---

(١) المفيد ، العدد ١٣٩ ، ٢٠ تموز ١٩٠٩ .

اليها عن تراض وتواد ، دون منازع ينازعها ، أو مناضل يناضلها .

وعلى هذه السنّة جرت أمة الفرنسيس مع الأمة العربية. فانها اتفقت مع الحكومة البائدة ، فأنشأت المدارس في أرض العرب ، تربّيهم لتستخلصهم اليها . وبثت لغتها في أنحائها ، حتى تمكّن حبّها من قلب الحكومة الاولى . وغير خاف أن الحكومة الاولى تود لو تقضي على العرب ، لئلا تقوم لهم قائمة ، فواطأتهم وقضت على اللغة العربية، الا الأثر منها ، واستبدلتها بالفرنسية .

ولذلك ترى لائحة الأنباء البرقية التي ترسلها اليك ادارة التلغراف ، وفي رأسها التعاليم في التركية يمنة ، وفي الفرنسية يسرة ، كأننا نحن العرب لا قيمة لنا في هذه الحياة ، وليس للغتنا الكريمة مقام لدى الحكومة السالفة ، فضربت صفحا عنها ، واستمسكت بالفرنسية بدلا منها .

بالله عليك فكّر وتصوّر ، اذا نهض الفاروق من جدثه ، ودخل غرف البريد العثماني في بيروت أمام البحر وقرأ على زجاج النوافذ :

(١) «مرسلولة داخلي تعهد لي» RECOMMANDÉES INTERNES

(٢) عادي مكتوب قبول أولنور RECEPTIONS DES LETTRES

(٣) مرسوله مهمة مأموري LETTRES OFFICIELLES

(٤) موروده داخلي تعهد لي RECOMMANDEES LETTRES ARRIéés

فما يقول عن هذه الامة العربية التي لا تحافظ على مكانتها ، ولا تشعر بوجودها . فهو لا مراء يصرخ بالقول : من استهان بنفسه هان ، ومن لم يطلب الحقّ غمط .

وبعد فان عهد الحكومة الاولى قد انقضى ، وانّا لنطلب من الحكومة الدستورية الحاضرة أن تمزّق وتحرق لوائح الأنباء البرقية ، وتحطم وتهشم زجاجات البريد ، وتستبدلها باللغة العربية والتركية ، والاّ فما معنى أرض عربية تلغى لغتها ، وتستعمل مكانها لغة أجنبية ؟ ان هذا لهو العجب العجاب .

وأعجب من ذلك رجال الصحافة ، فانهم نشروا الصحف ، وعلى الجانب الايسر منها تعاليم بالافرنسية ، فما معنى هذه المزخرفات الباردة التي تحطّ من شأن الجامعة اللغوية .

وأعجب من هذا انك ترى جلّ الذين يحملون بطاقات الزيارة ، قد كتبوا أسماءهم بالعربية والفرنسية ، دون أن يكون لهم علاقة مع الأجانب ، على أنه ولو كان لهم صلة مع الأغيار ، فان من حسن الوطنية أن يستمسك الآن بلغته ، ويظهر للملأ أنه غير مستهين بها ، فكم من الفرنسيين يتعاملون تجارة مع أبناء العرب ، ولا نرى من بينهم من خطّ اسمه بالعربية . لماذا ؟ حفظا لكرامة لغتهم ، واحتراما لمكانتهم ، لئلا يسخر بهم أرباب الغيرة على اللغة من أبناء جنسهم .

والاغرب أني رأيت من لا علم له باللغة الافرنسية ، يجري على هذه العادة المستهجنة . وقد سألت بعضهم عن السبب ، فكان الجواب «العادة محكمة» .

أف لهذه العادات ، وويل للامة اذا استحكمت منها الطباع ، ولم تجد بداً من تبديلها ولا سبيلاً . ان الأمة لا تكون أمة حيّة الا اذا علمت كيف تحكم طباعها وعاداتها ، لا أن تحكمها خصالها ومزاياها . والمدهش اني شاهدت بعض الشيوخ الذين ترسّخت أنفسهم في محبّة العربية ، يعطفون على هذا الأمر دون أن يدركوا ضرره .

والاعجب الانكى والاغرب الادهش ، أنني قرأت بطاقة شيخ لا يفهم من الفرنسية معنى اسمه بهذه اللغة دون اسمه باللغة العربية .

فيا رجال الأمة ! لا يسخرنَّ أحدكم بهذه اللغة الكريمة ، فان الاجانب يحتفظون بلغاتهم احتفاظهم بحياتهم . فقد تحققنا أن الرجل الانكليزي لا يخرج من بلاده الاّ ويألو على نفسه أن لا يتلكم الا بلغته ، ما دام غير مضطر قانونا ، حتى أن أحدهم ليدخل النزل (اللوكندة) كما شاهدت بأم العين ، ولا ينطق الا بالانكليزية . ولو كان على معرفة بلغة غيره . جاء احدهم وهو على معرفة من الافرنسية الى نزل يختص بأحد الفرنسيس في بيروت ، فاستدعى الغلام وكلمه بالانكليزية فلم يفهم مراده ، فاستعمل كل الوسائط فلم يدرك ، حتى أصبح أمر التفاهم بينهم مستحيلا . فدعا صاحب النزل أحد النازلة ممن له المام بالانكليزية ، فأبلغه مبتغاه ، فدهشت اذ ذاك من حكمة هذا الرجل ، فاقتربت منه واستوضحته قائلا : لماذا لم تكلمه بالافرنسية ؟ فقال : نحن الانكليز لا ينبغي لنا الا تأييد لغتنا ، واني لم أكلمه الا بالانكليزية حتى يعلم أن لهذه اللغة ضرورة في المعاملة ، وأنه في حجة ليستخدم من له خبرة فيها . فبهتُّ وتذكرت غيرة الشاب زكي الخطيب على الاحتفاظ باللغة العربية . فان هذا الوطني قد عينته الحكومة وكيلا للقائمقام ، فسافر الى وظيفته ، وصادف ركوبه مع متصرفه دون علم لدى هذا بالوكيل ، فجلس المتصرف اليه ، وكلمه باللغة التركية ، فتجاهلها ولم يجبه الا بالعربية . فلما دخل دار الحكومة وجد الغيور وكيلا عن القائمقام ، فاندهش لجوابه بالعربية دون التركية ، فاقترب منه وسأله عن السبب فقال :

«انا شببة نود أن نحتفظ بالعربية ، ففي دار الحكومة لا نتكلم الا بالتركية ، وفي خارج جدرانها لا نتكلم الا بالعربية» .

هذا مثال من الخطة الحسنة التي يتبعها شبان اليوم في التمسّك باللغة العربية فنستفز اليها اولئك الذين تراخت عزيمتهم عن الأخذ بها والنصرة لها .

* * *

عيد الشورى[1]

ان هذا العيد لهو أحق بالتسمية بعيد الأمة ، لأنه جمع عناصرها ، وربط أفرادها

---

(١) المفيد ، العدد ١٤٠ ، ٢١ تموز ١٩٠٩ .

وضمّ أعضاءها الى مسرّة واحدة وغاية واحدة ، ألا وهي وحدة القلوب . فتوحدت من ثمت الأمة . بعد أن كان يقرضها التقاسم ، ويؤدي بها التخاذل ، ويفت فيها التشاحن ، ويدفعها الى أن يتخذ كل قبيل منها عيداً يظهر فيه إمارات الفرح ، ويكشف فيه عن باسمات العواطف .

أما عيد الشورى فسيشترك فيه كل العناصر على اختلاف مذاهبهم وتباين معتقداتهم الا انه على اتحاد أفكارهم وتضام آرائهم وتماسك وطنيتهم .

ان عيد الشورى ليوم نادى فيه نيازي باستقلال الامة ، وظهور سيطرتها على كل قوة حاكمة ، فدمغت كل سفّاح عنيد جبار مريد .

ان عيد الشورى ليوم علم فيه الرجل العثماني انه انسان له مكانة في الحياة وقيمة في الوجود .

ان عيد الشورى لهو انشقاق فجر الاتحاد على زهرة الاخاء وابتسامة الحياة الطيبة ، ولا غرو بعدئذ ان اهتزت اعطاف الولايات العثمانية طربا ، واندفعت فيه لاظهار الشعائر ، فقد حمل الينا البرق ان العاصمة تتأهب للزينة تأهبا ليس بعده مزيد لمستزيد ، وان سلانيك تستعد استعداداً ليس بعده مطلع لناظر ، وان بيروت تتخذ عدة ليس بعدها من مطمح ولا مطمع .

غير ان هذه الحركة النفسية يجب ان تساق لتسديد الروابط بين العناصر ، وشدّ ازر الاخاء بين الطوائف ، وعليه فإنا لندعو رجال سوريا ، وبالاخص رجال بيروت الى التزاور في هذا العيد المجيد ، لأنّه أعظم مكانة وأعلى منزلة من كل الاعياد .

فينبغي للمسلمين أن يزوروا المسيحيين والاسرائليين وبالعكس ، حتى ترتبط القلوب وتستأصل الوحشة ويتأيد الاخاء ، ويظهر جليا أن الأديان تدعو الى الائتلاف والاتفاق بخلاف ما كان يتصوره ويتخيله بعض الذين لا خلاق لهم ، فيجعلون الدين سدّا منيعا بين اتحاد العناصر ، على حين أن الدين براء منهم .

ان في سورية حزبين حزبا قديما وحزبا حديثا . فالحزب القديم قد تشرّب قلبه آجن الفساد ، وامتص لبه جرثومة التنافر ، اما الحزب الحديث فلم يزل خاصا طاهرا ، وقوامه شبان العلم . فان لم يجد مساغا للتضام وللتضامن فقد ظهر عليه الحزب الخبيث ، وثمت اليأس من نهضة سورية .

وعليه أرى أنه من الضرورة تزاور هؤلاء الشبان ، سواء من المسلمين أو المسيحيين أو الاسرائيليين ، حتى تترسخ فيهم فكرة التسامح والتساهل ، ويجدوا قوة من أنفسهم لرد الحزب الخبيث ، حزب الاباطيل والاضاليل ، حزب التفرقة والانشقاق ، حزب العادات والتقاليد ، حزب الاوهام والاحلام وباختصار حزب الجمود .

فقد آن لنا نحن الشبيبة في سورية أن نتكاتف ونتكافل ، فنكون قوة مانعة نستدفع بها الباطل فنكيده . فان امرنا بيد من لا نثق بهم ، وجلّهم ممن غشيهم الجهل ، وأطبقت على

قلوبهم الغباوة ، وما دامت الحال على هذا المنوال فانّ مصيرنا الى التّباب والخراب اليباب .

وبعد فان من الحكمة ان يستلم زمام الامر في سورية شبانها ، كما بدأت الحال في العاصمة . فان الحزب القديم مطبوع على التهامل والتهاون والاستهانة بالادارة . وبلوغا لهذه الغاية ، فلقد وجب على الشبان مع اختلاف مناحيهم الدينية أن يتحابوا ويتوادوا ، ويسعوا لانفسهم كلما لاحت فرصة ، ويدعوا التعصب الديني جانبا ، ويهجروا الذميم ناحية .

وأجمل فرصة يفترصها الشبان للتعارف والتمازج عيد الشورى ، فقد ينبغي أن تتزاور تلاميذ المدارس الاسلامية والمسيحية والاسرائيلية ، كما يجري اليوم في دار الملك ، ويخطب من بينهم نجباؤهم في اتحاد العناصر وتساهل أرباب الدين .

ومن هنا تتأسس النهضة السورية ، لان باتحاد تلاميذ العلم ينقرض تلاميذ الجهل المفسودون الذين يودون أن يكونوا رؤساء الامة ، وينزعوا منها كل عاطفة وطنية .

فينتج مما تقدم أن التزاور في هذا العيد الحميد مدعاة لامرين مهمين : الاول توثيق الروابط بين العناصر المختلفة دينا ، والثاني نهضة الشباب واتحادهم على ابطال الباطل واحباط عمل المفسدين .

* * *

الأمّة الاسلامية
ازاء الدول والعناصر العثمانية[1]
(كلمة للمسلمين)

ان الامة الاسلامية يتخبطها مسّ من الاضطراب من الغرب الى الشرق ، ومن الشمال الى الجنوب ، وتتوالى عليها سلسلة من المحن ، لا يفكّ قيدها ، ولا يحل عقدتها الا العقل الراجح والبصيرة النّيرة .

يمسّها الاضطراب وتعتورها المهالك ممن ؟ من قبل دهاقين السياسة وأساطين الامر في الغرب فما من أمّة اسلامية ، الا وتتلاعبها أيدي السياسة الغربية ، لتخلّ أمرها ، وتفسد حالها . هذه الأمّة المراكشية فقد شبكتها الدول منذ سنين ، وهي تقتل أميرا وتولّي أميرا .

وهذه الأمة الفارسية فقد اعتملتها المفسدة منذ سنوات ، فأخذت تحرّك وليها على عناده ، وتدفعه الى شرّه ، فما زالت الامة تناوؤه، وما زال يناوؤها حتى ظهرت عليه .

وهذه الأمة العثمانية ، فانّا نرى الغرب قد تمالىء وتفانى وتحالف بأن لا تقوم

---

(١) المفيد ، العدد ١٤٨ ، ٣٠ تموز ١٩٠٩ .

للعثمانيين قائمة . فقد قام منادي بوسنة وهرسك ، ثم لحق به البلغار ، ثم تبعه منادي جزيرة اكريت ، فان انتهت الأزمة الأخيرة فلسوف يجدون عقبة غيرها .

هذه سياسة الغرب مع الأمّة الاسلامية ، سياسة تفريق يبثونها ليجدوا مساغا الى التداخل أو سبيلاً. سياسة عظيمة قوية ، لأنها تديرها عقول عظيمة كبيرة .فدرءاً لشرها ، وايقافا لحدّها ، ينبغي للامة الاسلامية عقل راجح وجرأة ماضية ، وذكاء مفرط . وان مستودع هذه القوى لهو المدارس .

وقد أدرك الغربيون أن المدارس لهي القوة ، فأرسلوا رسلهم ، وأوفدوا وفودهم الى الشرق ، فأسسّوا معاهد ليستميلوا اليها أبناؤها ، فيهذبوهم لهم لا لنا ، ويحوّلوا قوتهم اليهم لا الينا ، كما نشاهده بأمّ العين .

هذه مدرسة الأميركان ، فان أكثر تلاميذها ليحلفون باسمها ، ويجلون أمرها ، لانها علمت كيف تأخذ بقلوبهم وتشرّبهم مباديها ، ومن الغريب المدهش أنها بلغت درجة أن تستميل عقول التلاميذ وتستولي على معتقداتهم وتتلاعب بها .

ان هذه المدرسة يجب أن نسلخ ابناءنا عنها ، ونقطعهم من ملازمتها ، لئلا نخسر قوة من قوتنا ، ووطنية نحن بحاجة اليها .

ومن هذا القبيل مدرسة المبشّرين ، فان دول أوروبا قد طردتهم من أرضها التي خلقوا عليها ، ولم تقبل بقوانينهم ولا بدروسهم ، فلم نعنهم نحن بمالنا وأبنائنا . هؤلاء هم الشرداء الطرداء ، لا تقبلهم أمة الفرنسيس في أرضها ولماذا تحميهم في أرضنا ؟ السبب واضح معلوم .

ان الامة الاسلامية في خطر يتهددها ، ووعيد يتوعدها من قبل هؤلاء الغربيين . وأما الشرقيون من غير المسلمين ، فهم اخواننا في الوطنية ، وأصدقاؤنا في العثمانية ، يسعون لترقية نفوسهم وارتقاء عقولهم . وأما نحن المسلمين ، فانّا قاعدون لاهون ، لا نمعن في المستقبل امعانا ، ولا ندري للعواقب كنها .

ان الامة العثمانية أصبحت اليوم اخوانا لا تفاوت بين عناصرهم ، ولا تمييز بين جنسياتهم . كانت أكثر المناصب وأمور الأمة توسد للمسلمين ، فأصبح اليوم تقليد الامور للرجال الأكفاء المقتدرين العالمين ، ولا فرق بذلك بين المسيحيين والاسرائيليين والمسلمين ، أعني أن العناصر أصبحت متساوية ، ولا ظفر لكل منها على آخر الا بالعقل الكبير والعلم الراسخ .

كان نفوذ الامة الاسلامية يؤخذ عنوة في بيروت ، وكانت الأبهة والجاه تؤخذان بما لا طائل تحته ، فقد بطل الأمر ، وانعكست القضية ، وأصبح النفوذ والجاه للعالم الرزين ذي الدماغ المفكّر الرصين .

أين العلماء الراسخون من المسلمين في بيروت ؟ أين الأدمغة المفكّرة وأين المتنورون ؟ ان هؤلاء لهم في المدارس . بل أين المدارس الاسلامية في بيروت ؟ ان للامة المسيحية في هذه

المدينة عشرين مدرسة تتخرّج فيها أدمغة كبيرة . ولدينا مدرسة أو مدرستان يتخرّج فيها الطالب بمسكة من العلم أو ذرّة من المعرفة .

ان حاجتنا اليوم الى مدرسة وطنية كبرى يخرج منها الطلاّب ، وتحت ضلوعهم جرأة الأسد ، وفي أدمغتهم فكرة الألمان ، ودهاء الانكليز ، وذكاء العرب . وبين برديهم عمر بن الخطّاب وخالد بن الوليد .

ولكنكم قد فطرتم على الشحّ فلا تبذلون درهما ، ولا تنفقون دينارا . فاذا كنتم ترون الذّل واقعا والهوان ملازما لا محالة ، وترون كيف تسدّ الحاجة ، ويقوم الاعوجاج ، وتنكصون عن ملافاته فلا تدعوا أنفسكم بالمسلمين ، لأن الفرنجة يقولون ان الاسلام ليس فيه من حمية ولا من غيرة على حين أن ملؤه الحمية والغيرة والشهامة والفضيلة .

اذا كنتم ترون الموت لابنائكم ، ولا تعملون لحياتهم ، فلا تدعوا أنفسكم بالمسلمين ، لان الاسلام يهان بكم .

يا قوم ان إحياء بنيكم في بيروت حياة المنعة والعزّة والجاه والنفوذ ، لا يكون الا بمعاضدة هذه المدارس الصغرى . فلو دفع كل واحد من المسلمين في بيروت صغيرهم وكبيرهم ، وهم أربعون ألفاً ، بشلكا واحدا في السنة ، لاجتمع من ذلك ألف ليرة ، يمكن أن تقوم بحاجات مدرسة كبرى كل سنة . ولكن لا أزال أقول قد خلقتم على الشّح ، وتربّيْتم في البخل .

ينبغي أيها القوم أن تقتروا على أنفسكم أشدّ التقتير ، ابتغاء أن نعلم بنينا العلم الصحيح ، فان حياتهم العزيزة في المستقبل لبين خطر عظيم يتهدّدها من قبل بقية العناصر المزاحمة ، وقبل الدول الاجنبية . بل ينبغي لنا أن نموت في حياتهم ، ولا نحيا في مماتهم . فقد وجب لعزة الامة ورفعة مكانتها ، أن نعاضد هذه المدارس ، لا ليقال ، بل حبا في المعاضدة والمنفعة .

حتى ينشأ هذا النبت الصغير ، ويقف أمام الدول الكبرى كبيرا ، فتتهيبه الاجانب وتحاذره الاشدّاء العظماء ، حتى اذا وقع في نفس أحدهم أن يمسه بسوء ، علم كيف يخرج منه بحكمة عقله ونور بصيرته .

ولا أزال أكرّر القول أن الامة الاسلامية ينبغي لها أن تحيى حياتها الاولى حياة العزّة والشرف والعلم والتمكين في الارض .

فأنتم أيها الناشئون اذا كنتم غير مسددين لهذه الحياة الطيبة ، فأولى بكم أن لا تحيوا ، وأنتم أيها المعلّمون اذا كنتم لا ترغبون في احياء النابتة ، فأنزعوا من أنفسكم خلّة البشرية والانسانية . وأنتم أيها القوم اذا كنتم لا تساعدون على العلم وشرف الإمة ، فلا تسمّوا أنفسكم قوما ، فأنتم لا قومية عندكم ولا تضامن بينكم ومن ثمّ لا حياة لكم .

وقصارى القول أن الخطر على منعة الامة الاسلامية شديد ، فتعاونوا وتضاموا وتمالئوا على تسديد هذه النابتة .

حتى يكونوا رجالاً أقلهم رجلاً في ذاته أمم

* * *

حرّية الضمير[1]

ولو شاءربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
(قرآن كريم)

تقصّ بناظرك عن أمم تجد أن للحرية شُعبا أهمها ثلاث ، وهي الحرية الأدبية ، والحرية المدنية ، والحرية السياسية ، فالحرية الأدبية يراد بها حرية الضمير ، وحرية الابرام والعمل . ونحن اليوم نفصّل عن حرية الضمير ذكرا ، ونسدل على الاخرى سترا ، الى أن يقضي الله أمرا .

ان حرية الضمير لرأس ضروب الحرية ، وأشرف من جميع أنواعها . وأهمها مكانة وأجلّها منزلة حرية المعتقدات الدينية . فان العقيدة أمر خاص بالوجدان ، يجرح ولو بلطيف المسيس . وعليه فقد ينبغي لنا نحن رجال الامة العثمانية أن نحترم كل عقيدة ، ونكرّم كل دين ، لأن احراج الناس في معتقداتهم عمل حابط يزداد شؤما وهجنة ، فاحترموا عقائد الناس ، وطالبوهم باحترام عقائدكم ، فان ذلك واجب على المرء من الواجبات ، وحق له من الحقوق . وبعبارة ثانية : عليكم بالتساهل والتسامح .

فان التساهل والتسامح خلّتان يقضي بهما الاخاء ولين العريكة ، وصحة العقل وسلامة الحواس ، وواجب الوطنية .

فللمرء أن يجاهر بما يعتقده ، ويقوم بشعائر دينه ، وليس في مكنة أحد أن يمسك به عن اعتقاده ، لأن ما يدور في خلده لا تتناوله يد مراقبة أو عامل استبداد ، وانه لمن الظلم الذي تقشعّر منه الابدان ، والاعتساف الذي لا يحتمل أن يمنع الناس من اتباع دينهم ، أو يكرهوا على اتباع ما ليس به يؤمنون .

حدا بي البحث في هذا الامر ، ما سمعته من طائفة من اخواننا المسيحيين ، اذ يرمون الامة الاسلامية بالتعّصب الديني ، على حين أن المسلمين منذ ظهروا على الكرة ، وهم تمثال التسامح والتساهل ، وما زالوا منذ عهد الخلفاء إلى يومنا لا يمسّون حرمة دين ، أو يجرحون عقيدة ، بل يتبعون ما أنزل الله عليهم من آياته التي تحضّ على التسامح والتساهل . واليك بعضها يخاطب الله بها نبيه عليه الصلاة والسلام :

« قل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ » ـ « ليس عليك هداهم ولكنّ الله يهدي من يشاء » ـ « من يطع الرسول فقد

---

(١) المفيد ، العدد ١٥٩ ، ١١ آب ١٩٠٩ .

أطاع الله ، ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظا » ـ « وما على الرسول الا البلاغ » ـ « لا اكراه في الدين » ـ « فما على الرسول الا البلاغ المبين » ـ « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت تابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض » .

واليك آيات بينات تنزلت على المؤمنين للتسامح والتساهل غير الأولى « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ اذا اهتديتم » ـ « لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » ـ « ولو شاء لهداكم أجمعين » ـ « من اهتدى ، فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضلّ فانما يضلّ عليها » ـ « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على البلاغ المبين » ـ « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن أساء فعليها وما عليكم بحفيظ » ـ « لكم دينكم ولي دين » ـ « ولو شاء ربك لجعلكم امة واحدة » .

هذه آيات واضحات تدل دلالة صريحة على أن دين المسلمين من شأنه التسامح والتساهل ، وأهله ليس بأقل ما يأمر به القرآن الكريم ، فان عمر بن الخطاب لما افتتح سوريا ودخل بيت المقدس ، ترك لاهاليه الحرية الدينية التامة ، ولم يأمرهم بتغيير عادات من عاداتهم ، ولم يسنّ عليهم ما يحرجهم ، ولم يستبدل الكنائس الى جوامع بل ترك المعابد معابد لهم .

وكذا عمرو بن العاص ، فانه لما دخل مصر ، فأوّل ما كتب لهم أن يحافظوا على حريتهم الدينية ، فارتاحوا اليه لما أجرى من العدالة غير المتحيزة بينهم ، حتى أسلم جمعهم الا الجنود والعمال وأربـــاب الدين ، فانهم لاذوا بالاسكندرية ، فتبعهم عمرو وحاصرها سنة وشهرين ، وافتتحها وقتل من المسلمين ٣٢ ألفا ، غير أن التساهل الديني بعث القائد الى أن يعاملهم بالحسنى ، وأن لا يغيّر من دينهم شيئا ، ولا يبطل من عاداتهم الا عادة القاء الفتاة في النهر في كل سنة حتى يفيض عليهم .

وقد جرى على هذه الخطّة موسى بن نصير لما دخل الاندلس ، فأجرى عليهم ضريبة ١٥ فرنكا لوجهائهم و ٧,٥ فرنك لصعاليكهم ، ولم يكرههم على شيء من الدين الاسلامي ، بل سمح للخوارنة أن يقيموا مجامعهم . ومعابد اشبيلية التي اقيمت سنة ٧٨٢ ، ومعابد قرطبة التي انشئت سنة ٨٥٢ دليل واضح على ان المسلمين يحترمون معتقدات غيرهم ، ولا يستبدلونها بدينهم ، على حين كانت القوة بأيديهم .

وقد بلغ التساهل في الاندلس ان يعامل اليهودي والنصراني معاملة المسلم ، فان كثيرا منهم تقلّدوا مناصب الحكومة ، كما كانوا يتقلدونها في أيام الامويين . وقد سئل عمر بن عبد العزيز عن تقليد المناصب لبعض من غير المسلمين فقال « له دينه ولي عمله » .

هذا وان العرب لما افتتحوا صقلية سمحوا للمسيحيين بالمحافظة على شرائعهم الدينية والمدنية ، وأبقوا الحكّام الاغارقة في مناصبهم ، حتى يفصلوا بين الاختلافات التي تقع بين المسيحيين . وقد سنّوا ضريبة مقدارها ٢٤ دينارا على كل فرد ، استثنوا منها الخوارنة

والنساء والاطفال ، وأجازوهم برفع علم عليه صليب من الذهب .

هذا تسامح المسلمين مع غيرهم ، فما السبب لرميهم بالتعصّب الديني ؟

ان المسلمين يأمرهم دينهم بالتسامح والتساهل ، وهم ما يزالون يعملون على هذه الخطة ، ويعتبرون ان البشر اخوان لا تفرقهم النسبة الى دين من الاديان ، وان حرية الضمير في المعتقدات واجب تجب كرامته وحرمته ، فلا يوجس المسيحيين أو غيرهم خيفة من اخوانهم المسلمين ، فان التسامح من شأنهم ودأبهم ، سيّما وقد اصبح العثمانيون اخوانا لا تفاوت بينهم ولا بغضاء من جراء دينهم . وقد سرّنا المطران جرمانوس مطران طائفة الروم في زحلة اذ ينصح للشعب العثماني ، ويبين له ان الدين أمر والوطنية أمر آخر فقال :

« لا تجعل أيها الشعب ثوبي الديني حاجزا بيني وبينك فانمّا الثوب علامة لوظيفتي الدينية ، وتحت هذا الثوب رجل من الشعب ، لا يمتاز عن اخوانه في الوطنية مثقال ذرّة . واني لأفتخر اذ أقول اني خادم لشعب الله دينيا وفرد خاضع للشريعة الدستورية كالعثمانيين » .

هذا قول ينبغي على كل فرد من افراد الامة ان يكتنهه ، ويعلم ان الدين امر الهي يتعلّق بالقلوب ، ولا يدعو الى التفرقة بل الى الاتحاد والاتفاق .

فعلينا والحال هذه ان نجعل التسامح والتساهل دأب كلّ فرد ، لأن حرية الضمير واجبة والواجب واجب .

* * *

كريت[1]

تزاحم الدول على الجزيرة ـ مركز الدولة ـ الاسطول العثماني
ماديات الجزيرة ـ مركز الجزيرة السياسي

كان وزير الخارجية قد صرّح بأن لا ظلّ لما يدعونه بالمسألة الكريتية . وقد أصبحنا ، وأصبح الشغل الشاغل لساسة الغرب ودهاقين الشرق تلك المسألة .

يتزاحم الغربيون على الجزيرة ، ولا يرغبون في أن توطّد الدولة قدمها ، خوفا من اشتداد بأسها ورسوخة قدمها بعد حين . ولذلك عوّل اهل الغرب ان يراعوا حرمة الحكومة العثمانية ، دون أن يمكّنوها من الجزيرة حقّ التمكين . ولا يحسن بالحكومة الا اظهار القوّة وتفاني النفس والنفيس في سبيلها ، لئلا يعتاد القوم على تساهل الحكومة وتسامحها الأوّل في الأرض . والذي ظهر للعقلاء أن التساهل في بوسنه وهرسك ، والتسامح بسلطة البلغار ،

---

(١) المفيد ، العدد ١٦٦ ، ١٩ آب ١٩٠٩ .

دفعا بقية الدول الى الطمع والطمح . ولذلك قرّروا فيما بينهم أن يخوضوا غمارها ، ويركبوا صعابها ، لتعلم الامم ان الأمة العثمانية لا ترضى ببيع قيد شبر من تربتها .

ليست كريت أرض من أرض الدولة ، ولا تربة من تربتها ، ولا قطعة من قطعها ، بل رفات من أجدادها ، وقطع من أكبادها ، وذرّات من ذراريها . وأجدر بما كان على هذه الصورة ، أن نعضّ عليه بالنواجذ ، ونستمسك به دون أن يمسّه أحد بسوء .

ولذلك التفّت الامة بأجمعها ، وتحفّزت بحذافيرها ، فاهتز لها جانب والتقى بالآخر ، حتى ماجت موجتها ، وثارت ثائرتها ، فلبّت الحكومة دعوتها ، ونادت لا براحَ من الجزيرة ، ولو دعت الكريهة .

وعليه قد أرسلت أسطولها بالأمس الى جزيرة كربلتوس القريبة من ساحل كريت الشرقي . وسنرى ما تضمر لنا الليالي وتخفيه الأيّام . وفي هذا المقام تقف الأقلام دون أن تنبس بالكلام . غير أنّا نذكر شيئا عن هذه الجزيرة العثمانية ،ليطّلع الناس علام تتهافت الدول عليها .

ان هذه الجزيرة العثمانية لأكبر جزيرة في البحر المتوسط ، تمتد من الغرب الى الشرق ، ولها رأسان رأس بوزا ورأس سيده رو .

يبلغ طولها ٢٤ كيلومترا وعرضها بين ٦٠ و٢٠ كيلومترا ، ومجموع المساحة ٨ آلاف كيلومتر .

سكّانها سنة ١٣١٣ يأتي بيانهم على الوجه الآتي : مسلمون ١٢٨٤٩٠ ، روم ١٦٢٠٠٠ ،اسرائيليون ١٠٠٠ ، كاثوليك وبروتستانت ٨٠٠ .

هواؤها نقّي معتدل لا تعلو درجة الحرارة فيها عن ٣٢ ، ولا تمطر السماء الا في فصل الشتاء ولا تنزل الثلوج الا على رؤوس الجبال في أواخر تشرين ، ولا يدوم فيها الشتاء الا مدة شهرين وهما كانون الأول والثاني .

جبالها كثيرة تمتد من الشرق الى الغرب ، وأهمها ثلاثة جبال ايدا وعلوّها ٢٤٩٧ مترا ، اذا صعد المرء عليها رأى جزيرة رودس ، وسواحل آسيا وشواطىء أوروبا . فهي كشّافة للقارتين ، سواحلها لطيفة جدا ، تكثر فيها الخلجان الصالحة لرسو السفن ، وأهمها غرامبوز وكيسا موقاستيللي وخانيا وسودا ، والاخيران من اهم المرافىء من وجهة التجارة ، بحيث لا تخلو منهما السفن التجارية . وهما صالحان لرسّو السفن الحربية ومجموع مرافئها يبلغ الثلاثين . ولها جزر صغيرة تابعة لها في حكمها .

نتاجها : ان أكثر انتاجها الزيتون والزيت . وقد اشتهرت بصفاء زيتها وصابونها ، ثم الزبيب والخرّوب والنبيذ والحبوب والتفاح والكستنة والشعير والحنطة والذرة والفحم والجبن واللوز والبرتقال والحرير .

اما الصابون فان اكثر بلاد الشرق تتداوله ، وأحسنه ما صنع في قندية . ويقدّر عدد معامل الصابون في قندية وخانيا بـ ٢٩ معملا .

صناعتها : تصنع المنسوجات الشتوية ، والمناشف على اختلاف الوانها وأناسها ، والجلود على تفاوت طبقاتها ، بحيث يبلغ الصادر اليها والوارد اليها ٥٥ مليون فرنك .

ربما يعجب القارىء من تدافع الدول على الجزيرة ، وتمسُّك الدولة بها أشدّ التمسّك . وهي ما هي عليه من قلّة النتاج ، وحقارة المزروعات كما مرّ .

فنقول أن الجزيرة بالنسبة للصناعة والتجارة حقيرة ، وأما من الوجهة السياسية فعظيمة ، لأنها كما قيل فيها مفتاح لطرابلس الغرب ، وسياج لأرض الدولة ، ومحطّ للاسطول . فان ذهبت من يد الدولة ضياعا ، فقد تراكضت طرابلس الغرب الى الضياع ، وفقدت الدولة حصنا حصينا ، وحرزا منيعا ، وسدّا مكينا .

يخشى اليونان من سلطة الدولة في كريت لأمر مهم ، وهو أن الدولة تطبق على اليونان من جهة البر والبحر ، فان سلخت عن بلادها كان لليونان منفذ في البحر . وذلك جلّ ما تبتغيه لانماء ملكها ورقيها في مقتبل الأيّام .

وكذلك الدول تتهيّب من الدولة فيما اذا استملكت سلطتها في الجزيرة ، لأنها تتذرع بعد عشر سنوات بأشدّ القوى ان شاء الله ، وتجاريهم في قواهم . ولذلك يسعون كل السعي ، أن لا تبقى الجزيرة تحت سلطة الدولة المطلقة ، بل لا بد أن تكون لهم يد في معظم أحوالها .

فعلى الدولة أن تستنجد بالحكمة والروّية ، ولا تندفع كل الاندفاع طبقا لعواطفها نحو الجزيرة . فان في الامور السياسية لا يلتفت الا الى العقليات المقرونة بالعواطف الحسنة .

وقصارى القول ان الجزيرة بين رغائب يونانية ، وسياسة غرب خفّية ، وحنان قلوب عثمانية ، فينبغي للحكمة والروّية والحصافة أن تحوم حول ذلك التدافع ، فتنقذ الامة من هذا المأزق الحرج ، وتنفض يدها بيضاء خالصة تسرّ العثمانيين .

* * *

اللغة العربية في بيروت

حياة العرب بحياة لغتهم[1]

اذا أرادت أمة أن تقرض أمة ، فأول ما تبدأ به ازالة اللغة أداة التفاهم بين الأفراد . وعليه فقد أنفذت أمة الفرنسيس وفودا الى البلاد العربية ، كما فصّلنا في غير هذا الموضوع ، لتحبب الى الأمة محاسنها ، وتستميلها الى جانبها ، بتشييد معاهد العلم كما يدّعون ، على حين أنها معاهد لاستبدال أمة بأخرى .

عزم بعض الفرنسيس في العهد الأخير أن ينشئوا مدرسة في بيروت ، دون أن يتداخلوا

---

(١) المفيد ، العدد ١٧٠ ، ٢٤ آب ١٩٠٩ .

في المذاهب والمعتقدات الدينية ، وجعلوا فيها تدريس اللغة الافرنسية والتركية جبرا ، والانكليزية والعربية اختيارا .

ان هذا الذي كنّا نخشاه . فكلما توالت الأيام رأينا أن اللغة العربية يصيبها ما ينحت قوتها ، ويفتّ في بهجتها ، بحيث أصبحت لا يُرغب فيها ، كأنها فرع كمالي كالموسيقى أو الرسم او الشعر الخيالي .

يا للعجب ؟ ان لغة يقرأها ثلاثماية مليون من الناس ، يستهان بها ، وتوضع موضع الاندراس والاضمحلال .

نعم ان اللغة العربية ما دام القرآن على وجه الأرض لن تقرض . ولكن اذا جارينا من يريدون أن يسلخونا عنها أو يسلخوها عنا ، فلا يمضي زمن الاّ ويصبح ثلث المائة مليون يقرأون القرآن دون أن يتدبّروا له معنى ، كما تبين في كثير من الأرض .

فعلى الامة ان تستيقظ من رقدتها ، وتنتبه الى حيث يصير امرها ، فان الاغيار يعملون على تجزئة اقسامها ، ودسّ لغاتهم في أرضها ، كما عزم الفرنسيس .

ان هذه المدرسة التي يسعون اليوم في تأسيسها مضرّة من وجهة الوطنية ، فانها لتنزع عن العرب جنسيّتهم ، فتفرنسهم أو تتركهم على حسب خطتها التي وضعتها قبل نشأتها .

فمن الضرورة أن لا يدخل هذه المدرسة احد من الامة العربية ، لأنه يخرج فيها عن الوطنية الصحيحة .

ان بيروت أرض عثمانية عربية ، فما بالها جعلت اللغة العربية اختيارية والفرنسية والتركية اجبارية ؟ فان كان حبا بالفرنسية فنحن نبرأ من ان نتفرنس ، وان كان حبّا في التركية فمدارس الدولة اصلح وأولى نفزع اليها ، ولسنا بحاجة لمدارس اجنبية تدرّس اللغة التركية .

اللغة العربية كالجسم الحيّ ان لم تتعاهده بالعمل ، تداركه التضاؤل ، ومن ثم الفناء . واذا ماتت اللغة العربية ، فالسلام على هذه الامة ، لأن حياة الامم بحياة اللغات .

نحن نرغب في أن تؤسس مدارسنا في بيروت على ثلاث لغات : اللغة الأولى العربية ، لأن البلاد عربية ، والثانية اللغة التركية لانها اللغة الرسمية يحتاجها كل وطني ، والثالثة لغة اجنبية ، فاما الافرنسية ، واما الانكليزية ، لاننا نوقن جدّ اليقين انه لا نجاح ولا رقي للعقول العثمانية ، اذا لم تتشرّب لغة اجنبية .

وأما الاكتفاء بالأجنبية فهو الضربة القاضية على الوطنية العثمانية العربية ، لأن الأمة العثمانية تفقد بفقد العربية لغة عنصر من عناصرها . ومتى فقدتها خسرت قوة تزيد في قوتها ، وعضداً يدرأ عنها كيد الحدثان .

ان اعظم واجب يتحتم على العرب حبّا بالمحافظة على الوطنية العثمانية اتقان اللغة العربية . ومن العار علينا نحن العرب ، وعددنا ١٦ مليونا ، ان نتساهل بلغتنا ، ونعتصم

بلغة الاجانب ، على حين ان الارمن وعددهم مليونان ، يحتفظون بلغتهم أشدّ الاحتفاظ ، ولا يدعون لأحد أن يمد يده اليها بسوء .

من العار على العرب ان يهجروا لغتهم ، ويتمسّكوا باللغة الاجنبية ، على حين ان اللغات الاجنبية تستمد من العربية كثيراً من الفاظها . واليك بيان بعض ما يستعمله الفرنسيس من العربية : الكحول . قميص . الأثير . الجبر . الكيمياء . الاكسير . وثمت الفاظ عديدة لا نذكرها اليوم ، نفصلها بعد حين

فاذا كانت اللغات الاجنبية تستعين بالعربية ، وتلجأ اليها عند الحاجة ، فمن الاولى والحكمة ان نلجأ نحن العرب اليها قبل الاجانب .

وبعد فانه من الضرورة ان لا نلتفت الى هذه المدرسة التي ستؤسس عن قريب ، لأن بها ضياع العربية ، بل من حب العثمانية ان نشدّ ازر لغتنا في مدارس بيروت ، لأن لا رقي للعرب الا بها .

ومن المصلحة ان ينهض العرب فيجاروا بقية العناصر ، لأنهم دون اخوانهم في المعارف ، سواء من جانب العلم او جانب العواطف . فاذا رغبوا عن لغتهم ازدادوا ضعفا ووهنا . وهناك الطامة الكبرى على هذا العنصر الكريم .

ان العنصر العربي اذا لم يترقَّ كان عثرة دون رقي الامة العثمانية . واذا نهض كان الآخذ بيد بقية اخوانه من العناصر . ومن الشهامة ان يكون العنصر قائداً لا مقاداً ، وسيدا لا مسودا ، وفي هذا بلاغ لقوم يتفكّرون .

* * *

النابتة العربية[1]

اذا كان للأمة العثمانية نهضة فباتحادها . واذا كان لمجدها كَرّة فبنشاطها . واذا كان للامة العربية رقي فبفتيانها .

الفتيان محط الامل ، ومستودع الهمة ، ومطلع السعادة ، فان خُيِّر للامة العربية ان تنهض من كبوة ، وتستعلي من عثرة ، فتكون على يد هذه النابتة التي تتوقد ذكاء ، وتضطرم غيرة واباء .

ان الذكاء والغيرة والاباء عوامل للنهوض ، وأدوات للتقدم ، ولكنها تذهب جفاء اذا لم يلازمها ما يوفّق بين حركاتها . فينبغي ان تقرن هذه القوى بالعلم الراجح والمعرفة الراسخة ، حتى تندفع في سبل الخير لهذه الأمة .

ليس في البلاد العربية معهد علم يركن اليه ، وبيت رشاد يعول عليه ، في العلوم العالية

---

(١) المفيد ، العدد ١٧١، ٢٥ آب ١٩٠٩ .

التي تمكن الفتيان أن يكونوا رجالا ، بل جل ما لديهم مدارس تجهيزية او ابتدائية ، وذلك ما لا ينقع غلّة أو يشفي علّة .

الكعبة التي يجب ان يحوم الفتيان حواليها ، والقبلة التي ينبغي ان توجه الانظار اليها ، هي العاصمة . فقد جمعت من ضروب المدارس العليا ما فيه الكفاء ، نعم انها لا تجاري مدارس الغرب ، ولكنّها تحسّن بعضها بحيث يتخرّج فيها رجال رجال .

فعلى شبيبة العرب أن تقصدها بعد ان تستوفي قسطها من مدارسها ، وتنخرط في مدارس الحقوق والهندسة والزراعة والملكية ، لأنه يسرنا ان نرى ابناء الامة العربية تباري بقية العناصر في معلوماتها ، ويطربنا أن نرى فيهم نشاط العنصر الأرمني ، ذلك الشعب الحي الذي لا يفتأ عن مقارعة الخطوب ومناصبة الاهوال في سبيل العلم ، والمكانة بين عناصر الامة العثمانية . وبالاختصار ، يسرّنا أن نرى في النابتة العربية ما يدفعها لاكتساب مجدها السابق ، واسترجاع مركزها السامق .

يندد بعض غلاة العربية أن بعض العناصر يهضمون حقوق أبناء العرب في مناصب الحكومة ووظائفها . وانّي لأقول ان الضعيف يغمط أينما حلّ ، سواء كان ضعيفا ماديا ، أو ضعيفا أدبيا . والضعف الأدبي أشدّ تأثيرا في الخسف من الضعف المادي . فلو تعلّم العنصر العربي ، وكان بالدرجة القصوى من علوم الادارة ، لاستلم زمام اكثر الاعمال في الحكومة العثمانية .

يغيظنا أن نرى العنصر العربي أكثر العناصر عددا ، وأقلّها حكاما ، لا لمقصد سياسي ولا لنية سيئة من غير العناصر ، بل لتدنيه في المعرفة وانحطاطه من درجات العلم .

وبعد ، فقد وجب على الشبيبة العربية أن تُعمل العزيمة ، وتطرق أبواب الاستانة العلمية ، فنرى نسبة الولاة او الحكّام العرب بنسبة عدد عنصرهم .

ما بال العنصر التركي والعنصر الارمني والعنصر الالباني ، يحصرون وظائف الحكومة بأنفسهم ؟ وذلك بديهي لأن العلم في رجالهم .

عار على النابتة العربية الحساسة أن ترى النابتة الاخرى تسعى في توطيد عنصرها ، ونهضة أفرادها ، ولا تستميت في طلب المعالي .

ويسرّنا أن نرى هذه الشبيبة تتعلم في العاصمة، لا لتستترك كما استترك كثير منها ، بل لتنهض بعنصرها ، وتنتشر في البلاد العثمانية ، تحمل في أدمغتها الذكاء العربي ، والشهامة العربية ، والغيرة العربية ، والاخلاص العربي ، وحبّ الوطن العربي العثماني .

يسرنا أن تتزاحم العناصر في سبيل العلم ، لا في سبيل تأييد سلطة عنصر دون أخرى .

فان تأييد السلطة لعنصر خاص ، يدفع بقية العناصر الى الوحشة والتنافر ، بل لا بد من المساواة بين هؤلاء ، واعطاء كل ذي حق حقه ، بالنسبة الى درجة علمه ومعارفه .

العرب لا يحنقون اذا رأوا اخاهم الارمني راجحاً عليهم في العلم ، فتوسد اليه

المناصب ، بل يغتاظون اذا رأوا أن سابا باشا يوازي في المعرفة احد رجال البلجيك الأخصائيين في أمر البريد والتلغراف ، ولا يقبل في أن يكون ناظرا .

العرب يتهللون فرحا اذا رأوا ان مكانتهم تأيدت ، ومنزلتهم رسخت في القلوب بسبب العلم ، ودعتهم الحكومة العثمانية ان يستلموا زمام بعض الامور في الحكومة .

نحتاج اليوم الى أبناء من العرب طيبين ، يفدون أنفسهم واموالهم وبنيهم في حمى الوطن ، كما كانوا يفعلون .

نعم ان العرب يخدمون الامة العثمانية من جانب الجندية ، فان فيهم محمود شوكت باشا الذي قبض على عنق عبد الحميد وأنزله عن عرشه ، وأخذ بيد محمد الخامس الى سرير ملكه . وفيهم هادي باشا مشير الفيلق الثالث ، وسامي باشا ناظر الضابطة سابقا ، فان هؤلاء الثلاثة فخر الامة العربية الذين لا يجاريهم احد من افراد بقية العناصر في الفنون الحربية .

يسرّنا هذا ، ونسرّ أيضا اذا كانت العربية تسلكمسلك الادارة والسياسة ، فنرى منهم صدرا اعظم او ناظر معارف أو ناظر داخلية ، او ولاة على حسب عددهم العديد .

نرى الشبيبة في هذه المناصب المهمة الجليلة ، فيما اذا رصدت نفسها للعلم الصحيح ، وتوالت رحلاتها الى العاصمة يتعلمون فينتهضون .

ربما يستاء البعض من رقي العربي ، على حين أن العرب عضو من الامة العثمانية . فاذا اشتد العضو والعضد قويت الامة بأجمعها ، وأولى بالعنصر أن يكون قويا حديدا من أن يكون هملا بليدا .

* * *

المنسوجات الوطنية

« أفورا وغورا » [1]

يعزّ عليّ أن أرى أن الأمة العثمانية استحالت قلوبها الى صبغة عثمانية ، وظلّت منسوجاتها على اختلاف في الجنسية ، منها الانكليزية ، ومنها الالمانية ، ومنها الفرنسية .

ليست الملبوسات من عظيم المكانة في الوطنية ، ان نظرنا اليها نظرة سطحية ، على حين انها ترتبط بأشد الوثاق فيها ، ان امعنا النظر وتقصّينا الرأي .. لأن الظواهر ان توالت على النظر ، اعتاد عليها ، واعتدّها دليلا على البواطن .

ان الوطنية الصحيحة لا تحوك في القلوب ، الا متى حاك القوم ملبوساتهم من نسيج الوطن . نعم ان نسيج الوطن حقير لا يَدْرَأ صبّارة القر ، ولا حمّارة القيظ . ولكن متى أضرب القوم عن منسوجات الغرب ، وجدوا سبيلا لتحسين ما في الوطن من النسيج ، وألفوا لذلك

---

(١) المفيد ، العدد ١٧٣ ، ٢٨ آب ١٩٠٩ .

الوسيلة . والحاجة تفتق الحيلة .

يعزّ عليّ أن أرى الحرير يمضي الى الغرب بثمن بخس ، فيرتد الينا عزيزاً كريماً ، لا تناله الايدي الاّ بالذهب . نعم ان في سوريا بضعة عشرة منوال تحيك بعض الملابس الحريرية الزهيدة الاثمان ، ولكن التي تعود بالفائدة الكبرى تسترد من معامل الغرب .

الغرب لا يعلو الشرق الا برجاله . وسيادته برجاله . ومتى بلغ الرجال اشد الرجولة ، كان لبلادهم من وراء ذلك نهضة سامية وشرفة مجد عالية .

اعتور رجال الشرق أدواء منها التخاذل ، ومنها الجهل بهوّية النهضة . يرى كثير من القوم حكمة المنسوجات الوطنية ، ويقرّ بفائدتها ، ولكنهم طبعوا على التخاذل فلا يرغبون في أن يثقوا بأحد منهم ، بل هم عاملون على تنكيثه وتثبيطه ، فيما اذا اندفع الى مشروع عظيم .

رأينا الدمشقيين فاروا وأسسوا شركة لعمل الطربوش . فما لبثوا عشية أو ضحاها أن غاروا من جرّاء التخاذل . فقد اندس كثير من السفهاء بين من قاموا بهذا العمل ، ودسوا فيما بينهم روح اليأس من نجاح هذا المشروع . فما تطيّرت هذه الفكرة الى أدمغة المساهمين ، الا وارتدوا على اعقابهم قانطين .

وقد سرت شظية من همة الدمشقيين الى همة البيروتيين ، فاعتملهم عامل ضعيف لحب المنسوجات الوطنية ، ولكنه ما لبث أن استحال وزال كل ذلك من جراء التخاذل .

فلو تناصر الرأي العام على لبسها ولو كانت منحطة بدرجات عن منسوجات الغرب ، لما مرت سنين قلائل الا واشتدت الملبوسات تماسكا . ولكنّا طبعنا على خذلان ما يقوم به أعضاؤنا ، ونصرة من يشرع بهذه الأعمال ممن كان من غير طينتنا .

يأسف كثير من القوم ، ويأبى أكثرهم أن يدفع شطراً من المال للقيام بالمشاريع الوطنية ، حذراً من الضياع والخسران ، على حين أن كثيرين منهم يجارون حركة « البورصة » ، فيلقون اموالهم بأسرها بعض الاحايين ولا يخشون ان تذهب ادراج الرياح . فان شاؤوا ان يحسبوا ان القيام بهذه المشروعات من قبيل البورصة فليفعلوا ، ونحن الضامنون لهم بأنهم هم الفائزون .

نهض اخواننا الدمشقيون هذه المرة ، فعملوا على اصلاح المنسوجات ، وحسنوا فيها تحسينا باهرا ، بحيث رغب اكثر الفتيان المتنورين ان يتهافتوا عليها في دمشق وفي بيروت ، واصطنعوا منها الملابس ، فسرنا أمرهم ونشاطهم واقبالهم عليها .

هذا وانّا لندعو كل غيور وطني ان يتخذها ، ويسعى في انجاحها لدى ذويه ، حتى ينفسح لها مجال الانتشار ، فتعم بين الناس ويستغني القوم بها عن غيرها .

رأيت أحد الفتيان مرتديا باحدى تلك المنسوجات ، فأعجبت بها ، ظنا مني أنها من صنع الفرنجة . فقص علي قصصها ، فدهشت وزادت دهشتي ، اذ علمت ان قيمتها اقل بدرجات من منسوجات الغرب . الا انها من مصنوعات الصيف ، ولا اعلم فيما اذا كانت في مكنة دمشق ان تصنع ملبوسات الشتاء ، بحيث ترد عنا غائلة البرد . وأخال ان من جد

وجد ، ومن سعى سعد ، وأول الغيث قطر ثم ينهمل .

وهنا مجال للنصيحة فننصح لهؤلاء العمال ان لا تلج بهم انفسهم الى الطفرة ، فان سنة الارتقاء كانت على سبيل التدرج ، وان لا يبدأوا بالعمل الكبير دون ان يأخذوا بالصغير ، فقد رأينا هذه الامة تعمل اعمالا عظيمة ، ولكنها ما تلبث ان ترتد عن اتمامها . هذا مكتب الصنائع مثال واضح لكل ذي عينين . فلو بدأ صغيرا لنمى كبيرا . ولكنه خلق عظيما فمات سريع الاوان . لكل مخلوق كبير ثلاث خلال ، فاما ان يقتل نفسه ، واما ان يقتل امه ، واما يقتل نفسه وامه معا . وفي هذا بصائر لقوم يعقلون .

* * *

عبرة وذكرى [1]

« رقي الأمة بتقييد ملكها »

لامراء في أن الأمم الشرقية اجمالا ، هي منذ أجيال بعيدة في حالة من الخمول والانحطاط ، أشبه بحالة أوروبا في اعصر الظلمات أو تزيد عنها كثيرا . والباعث على ذلك في الأكثر ، هو بقاؤها تحت نير الحكم المطلق الاستبدادي ، حيث ليس من قيد يقيد السلطة ، ولا نظام يردعها . والشعب مقيد مستعبد ، لا رأي له في الاحكام ، ولا ما يكفل له حرية القول والعمل . بل لو هو شكا من سوء الحال ولو همسا ، كان أقل جزائه السجن أو القتل . ولذلك ساد عليه الجهل والخمول ، فتقاعد عن مجاراة الشعوب الدستورية في السير الى الأمام ، فذبلت زراعته ، وكسدت صناعته ، وبارت تجارته . وهي موارد الثروة وحياة الأمة .

بخلاف ذلك الامم الغربية ، حيث السلطة مقيدة ، والشعب مطلق الحرية ، فعلومها راقية ، وزراعتها نامية ، وصناعتها زاهية ، وتجارتها رائجة ، وثروتها واسعة ، والشعب هو الملك ، والحكام هم خدام الامة .

فأين الصين ، وهي أعرق الممالك الحاضرة في القدم والمدنية ، وكوريا والهند الصينية وتركستان وبلوخستان وكشمير والهند وأفغانستان وايران وروسيا وتركيا ، من اليابان وايتاليا والنمسا والمانيا وفرنسا وانكلترة وأميركا ، في الصناعة والتجارة والرقي ، بل أين هي من هولاندا وبلجيكا وسويسرا ، بالقياس النسبي ، مع ما هنالك من البون الشاسع بين هذه الاقاليم الصغيرة ، وتلك الممالك الكبيرة في عدد السكان واتساع المساحة .

أوليس أن الامة اليابانية هي امة شرقية كباقي هذه الامم الجامدة ، فلم تقدمها ورقيها وخمول وانحطاط غيرها من الشعوب الشرقية . اما ذلك لانها انفردت هي من بينهن بالحكومة النيابية ، وظل غيرها تحت نير الحكم الاستبدادي المطلق . وهذه ممالك الغرب كلها

---

(١) المفيد ، العدد ١٧٩ ، ٤ أيلول ١٩٠٩ .

من انكلترة الى اميركا الى فرنسا الى المانيا والنمسا وايطاليا وغيرهن من الممالك الاوروبية الدستورية ، فانما يرجع عهد صعودهن في سلم المدنية الحديثة ، الى بدء زمن تشكيل المجالس النيابية فيهن. بل لو دقق الباحث النقد في تاريخ تقدمهن ، لتبين له ان هنالك نسبة جلية بين بدء تقدم هذه أو تلك من هذه الأمم ، وعهد حلول الحكم المقيد فيها محل الحكم المطلق . ومثل ذلك الأمة الانكليزية ، فهي كما يستدل من التاريخ اسبق الأمم عهدا بالمجلس النيابي . ولذلك كانت في مقدمتهن في ولوج باب التقدم والرقي . وقل مثل ذلك في اميركا او فرنسا ، وباقي الشعوب الاوروبية الدستورية .

بل ما لنا ولهذه الممالك الكبيرة القديمة العهد في المدنية الحديثة ، فهاك رومانيا وبلغاريا وسربيا ، وهي فروع صغيرة منسلخة منذ عهد غير بعيد عن جذع كبير هو هذه السلطنة الضخمة ، فقل لي وان ساءنا القول ، أين تقدمنا من تقدم الفرع بالقياس النسبي ، ونحن الأوفر عددا ، وبلادنا الأوسع أرضا .

بل ما عسى ان تكون الاسباب الباعثة على سير هذه الفروع ذلك الشوط البعيد في هذا القصير من الزمن ، وجمودنا بل رجوعنا القهقرى ، ووراءنا قرون من المجد والسؤدد ، الا لأنها سلكت هي في خطوات الحكومات الشوروية ، واستسلمنا نحن للحكم الاستبدادي المطلق .

* * *

ولاية ادهم بك[1]

حمل الينا البرق ان ادهم بك سلخت عنه الولاية ، وانفصلت منه الزعامة ، فأصبح فردا مثل الأفراد ، بعد أن كان يمتاز عنهم بأن ينقد عمالته من جيوبهم .

اما وقد بات على هذا الوجه ، فانا نستلفت انظاره ونسترعي اسماعه ، لما نقص عليه من النبأ . لعله يعتبر من امسه ، ويعمل على مصلحة الناس ونفسه .

أخي ! كنت تخال انّا ننحي باللائمة انتقاما ، وندفع بالقوارص تشفيا ، فوالذي زلزل الملك بسكانه ، واقتلع المليك من أركانه ، ما حملنا الا تنسما للخير ، وما ثرنا الا توسما في المصلحة . اما وقد تنزلت عن كرسيك ، فانّا نمد اليك يد الاخاء ، ونصافحك مصافحة السمح ، ولو كان الامر على حد قول المتنبي : « كان تسليمه علي وداعا » .

أخي ! ان الولاية على الناس امر عظيم ، لا يتطاول اليه الا كل من استشعر قلبه جرأة اقدام ، ورسوخة حزم ، وصفاء عزة ، ونور حكمة . ونحن قد تحققنا عرق معرفتك وأصل نزاهتك واستقامتك ، ولكنّا كنا ننكر عليك جمود نفسك وتهامل امرك .

---

(١) المفيد ، العدد ١٨٦ ، ١٢ ايلول ١٩٠٩ .

فكم من دماء اهرقت ، وكم من نفوس ارهقت ، وأنت عنها تلهى ، لا تدرك أين المنتهى ، الى أن رمى الله الولاية بقائد طابت سيرته ضبطا ، وحسنت اعماله ربطا ، فرتق فتقها ، ورأب صدعها ، وأسكن طائرة اهوائها ، وأوقف حركة غوغائها .

نزلت قدمك أرضها ، فما لبث أن تغير اهلها ، فافترق الجمع ، واستحكمت الوحشة ، وتمكنت النفرة ، بأنك انضممت الى غصن رطيب دون اخيه ، وعملت على مشاكسة ذويه ، فأسأت السياسة ، ولم تكن اهلا للرياسة ، فأجدر بمن يفرق بين الرجل وبنيه ، أن لا يبقى بين ظهرانيه .

كانت الأسر الاسلامية في بيروت قبل عهدك محط الصفاء ومطلع الاخاء ، فتباغض ابنا بغيض من جرائك ، وتنابذ ابنا حبيب من تفيلك ، فاعذرنا أيها العزيز على كراهتك .

اخي ! كَرهنا منك عملاً ، وبغضنا فيك تهاملا . اما وقد كفت يدك ، فانت الحر الكريم ، والعزيزَ المرجب ، ما دمت فينا خارجا عن وظيفتك بعيدا عن مهمتك .

واني لعبد الضيف ما دام نازلاً وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا
ولا تحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

اني أنصح لك يا أخي ان لا تقلد الولاية من بعدها ، فلست عليهم بمسيطر . أنت رجل العلم ، لا رجل الادارة ، وأولى بك ، ثم أولى أن تنخرط في دوائر العاصمة ، وتحشد وراء المنضدات تفيد الامة بما اتاك الله من سعة العلم وبسطة الصدر ، وكأني برجال العلم تضعف هممهم وتضأل نفوسهم ، فيستصغرون الامور ، ويحتقرون الاعمال ، على حين أنه يهيجها صغارها .

فأعظم أمر نؤاخذك عليه استهانتك بأمرك ، واحتقارك لواجبك ، وقد وصفت لك أسباب ذلك ، فتدارك ما أنت متدارك ، تحمد حالا وتشكر مغبة ومآلا .

غير كاف ما أنت عليه من العلم للولاية على الناس ، فان من يتصدى للزعامة ينبغي له أن يكون من ذوي المضاءة الصارمة والحزم الذي لا يداخله لجلجة ، لأن الحزم والعزم اداتان ضروريتان لمن عهد اليه قيادة جيش ، أو ادارة ولاية ، أو تسيير امة .

ضمّني مجلس أيها العزيز ، فانبسط القوم يذكرون مكانتك ، وينقبون عن مقدرتك ومنزلتك ، فأجمع الرأي على أنك دستوري ليس فيك شمة من تقهقر ، أو ذرة من رجعة . بيد أنه قد قر قرارهم على انك لا تصلح للولاية لزخر معارفك وجمود نفسك . فقلت لو خير لي أن أكون صدرا أعظم ، لسلختك عن ولايتك ، وجعلتك عضوا في شورى الدولة . ولا أظن أن رجال العاصمة يتلكأون عن استعمالك ، فقد شهد باقتدارك ما خلّفته من آثارك .

فلو جمعت الى سعة اطلاعك سرعة ابرامك ، وتحرك نهضتك ، لنلت فينا مقاما محمودا ، ولنزلت منزلا كريما . وعلى كل الوجوه ، فاننا لا ننسى سعة صدرك ورجاحة عقلك ، فاسلك قصد سبيلك ، والله يأخذ بناصرك .

التمجيد آية من الذّلّ والمسكنة[1]

من تقصّى بناظريه ربوع سورية ، لقي من أهاليها عجبا ، ووجد فيهم من التزلّف ضربا .

ان هذه البقعة من الارض كانت خلوا من آيات التمجيد ، وصفرا من وصمات التعظيم ، فلما قدمها آل جنكيز ، حملوا اليها عبارات التكليف وجمل التشريف ، فانقلبت تتسكع في كلامها ، وتتلعثم في منقولها .

ادخل أيّ بيت من بيوتها ، واحشر نفسك في أي مجلس من مجالسها ، تسمع ما يدهش الالباب ، ويأخذ بالابصار ، من المنطوق الفارغ والكلام الذي لا طائل تحته ولا معنى فوقه ، كأن يقول ربّ البيت (شرفتم سيدي) (استنار البيت سيدي) (تأمر بلفافة سيدي) (استغفر الله سيدي) .

فاذا نهض رجل العائلة يأتيه بلفافة استدعاه الزائر بقوله (أبوس ايدك سيدي) - (اسمح لي لا ادخن سيدي) - (شرفتم سيدي) (تشرفنا يا سيدي) .

ولا يزالان يتبادلان السيادة حتى ينتفخ كلّ منهما تطاولا وكبرا ، وينقلبا فيما بعد عجزا وصغرا ، فلا يدريان ما يستعملان من ألفاظ التمجيد والتعظيم ، حتى يضجرا وينقطعا عن الكلام وبئس المنقطع .

كان الفرد يدخل على الجماعة من قبل ، ويجلس حيث ينتهي به المكان ، فيتلقاه صاحب المنزل بقوله (على الرحب والسعة . ممن الرجل ؟) (من ربيعة) = (طابت سريرتك وحسنت سيرتك) . فاذا دفعه سائق السفر سأله ربّ البيت (الى اين محطّ الرحال) ، فكان جوابه (الى نجد) ، (سر على الطائر الميمون) .

ما ضرّنا لو جرينا على هذه الخطّة الحميدة ، وتأثرنا مسلك أجدادنا الطيّبين ، ونزعنا ما في أنفسنا من حبّ التمجيد ، سواء في الكتب أو في منبسط الحديث .

ما أجمل تجريد الكلام عن زخارفه وتزاويقه السمجة التي من شأنها أن تبثّ روح المسكنة في النفس ، وتطبعها على الذلّة واعتبار الناس أسياداً لها .

ما أبدع الكلم الصحيح الخالص الذي لا تدخله شائبة الفخفخة . وما أحسن اللفظ اذا أدّى المعنى دون سيئة التزلّف .

صدفة غريبة واتفاق عجيب ، ما أممت الأوّل ، واذ بمدّعي العموم يرسل الى المفيد اعلانا تراسه هذه الجملة «المفيد جريدة سي مديريت والاسنة» .

ما هذه الكلمة (والاسنه) ما أغناه لو حذفها وعلّم الناس أن لا يقولوا أكثر من

---

(١) المفيد ، العدد ١٨٨ ، ١٤ أيلول ١٩٠٩ .

الضرورة ما هـذه التكاليف التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟

نعم انه ليتحفّظ بها ، ويحافظ عليها ، مخالفة الانتقاد . فكم له من أصدقاء يتكدّر صفوهم فيما إذا اقتصر على المفيد من الكلام ، وكفّ عن عادة التعظيم .

لي صديق فاضل كنت أحترم جانبه ، فدعت الحاجة الى تقريظ عمل له ، فذكرت أنه الفاضل ، فكبر عليه لانه يعتبر نفسه أكبر درجة من هذا الفضل والنبل . ولو علم الصديق أن الرتب العسكرية قد تنزّلت من درجاتها الاولى لقلت الأديب لا الفاضل.

يؤذينا أن نرى حتى اليوم عناوين الرسائل مشحونة بالألقاب الخشنة التي لا أصل لها . ومن المدهش الغريب أن البعض يتألم ويشتكي ، فيما اذا اقتصر الناس على اسمه دون لقب فخم وعنوان طويل . وقد شاهدت أن بعضهم يحتفظ في جيبه على الغلف التي تحمل الألقاب المبجّلة والنعوت التي لا يحتملها من به مسكة من عقل أو شمّة من إباء.

وقد عجبت بشاب من شبّان العرب في دمشق بسبب أن بعض الجرائد كتبت له رفعتلو ، أخذته حمية آبائه ، وكتب للجريدة انّني أرفض الاشتراك فيما اذا ذكرتم رفعتلو ذلك اللقب الذي لا ترضى به نفسي ، ولا أرغب في أن أتباهى به .

هذا هو الاباء الصحيح . فكم من أناس يحنقون اذا الغيت ألقابهم ، ويقاطعون وصلة اخوانهم ، اذا كفّوا عن تمجيدهم وتبجيلهم .

كان الاعرابي يدخل على مجلس نبيّنا محمد فيسأل (من منكم محمد ؟) دون ألقاب التعظيم والتشريف ، لان الاعرابي كان يعتبر أن كرامة الانسان بنفسه لا بالالفاظ التي توّجه اليه ، وأن محمدا عظيم دون عبارات التبجيل ، فكانوا يقتصرون على ذكر اسمه .

أما اليوم فقد أصبح أقّل فرد من أسفل طبقة من هذه الأمّة ، لا يرضى بأن يذكر القوم اسمه دون أن يردفوا اليه جيشا من الصفات والنعوت الغليظة .

كان الخلفاء يكتبون الى عمّالهم «من أمير المؤمنين فلان ، الى فلان ،» بلا تقييد بهذه العبارات التي أخذت بلبّ اخواننا الاتراك ، وسرت الى الامة العربية ، وغيّرت من طباعها وأخلاقها ، حتّى أصبحت كأن لم تغن بالامس . وأعظم دليل على ذلك ما ذكرناه من تبدّل سورية بجميع فروعها ، ودرجها على خطّة التعظيم والتمجيد ، سواء في معاملاتها وجرائدها ورسائلها ، حتى انطبعت نفسها على تلك الخصلة الذميمة التي يغتاظون ممن يمسّ حرمتها .. أو يهين كرامتها أو يروم استئصالها .

فما دام أهل سورية، ونعني بها ولايات دمشق وبيروت وحلب ، على عادتها من التمجيد البارد ، والتعظيم الصقع ، فإنه لا منعة لأهلها ، ولا عزّة لأرضها ، لأن التمجيد آية من الذلّ والمسكنة .

القطر اليماني[1]

أسلفنا أن الحكومة قرّ رأيها أن تبعث بالعلاّمة عبيد الله الى القطر اليماني ، يستطلع رأي اليمانيين ، وينظر في حالهم وسبب ثورتهم واتقاد ثائرتهم . وقد ارتاح كل عاقل لهذا الأمر ، لما يعهد في هذا العلاّمة من الحكمة والدراية والمعرفة التامة بأحوال العرب ، فانه حر من اعاظم الرجال ، قضى ايامه بالنفي المؤبد في القطر اليماني على عهد عبد الحميد .

على ان طلعت بك ارتأى ان يرسل وفودا اخرى الى بقية الولايات ، ويتوسط بجميع الامور السلمية ، توصلا لاقناع عرب البادية بحسن نوايا الدولة العثمانية . وقد علم من اوفد لليمن فان نائب آيدين العلاّمة عبيد الله اصبح مستعرباً يعلمه كل عربي في تلك الاقطار . ذو اخلاق رقيقة ، يعلم كيف يأتي العرب من أبوابهم الحميدة ، وقد تردد بادىء بدء في السفر الى اليمن ، غير أن طلعت بك أصر عليه فما وجد للعدول سبيلا . بيد أنه طلب أن يحفظ مكانه في مجلس الأمة . وسوف يصحبه صاحب جريدة افرنسية محب للدولة وصديق لعبيد الله .

يقيم اليوم هذا الرجل في سلانيك جلس اليه احد محرري (البروغره) فرأى العلامة ان يصرح اليه بما يأتي :

« ليس سبب الثورة والاضطراب في اليمن اختلاف العنصر بل الأمر امر حياة ومعاش . فان الجوع أدقع اليمانيين بحيث اصبحوا لا شيء لهم ولا امل فيهم بالحياة الطيبة ، فاستفزّهم عامل اجنبي للثورة . يريد امرا بيناً الا وهو فصل قطعة عثمانية من ممالك الدولة بوساطة ثورة تتمخضّ فيها . فالواسطة الوحيدة لاخماد ثورة اليمن ليست الجيش بل أداة الحضارة والمدنية ، فينبغي أن نورد لهذا القطر موارد السعادة وأنا الكفيل في سكينة الطائرة .

« ولا ريب في أن القطر اليماني قابل لكل إصلاح ، لأن موارده الطبيعية عظيمة جداً . فاذا استعملت أموال الأمة العثمانية مع اموال الأجانب فيه ، لم يلبث ان يكون زاهراً . على أن إدخال هذه الحضارة لهذا القطر مفيد فائدة ثانية كبرى وإليك بيانها :

نحن العثمانيين تمتد سلطتنا اليوم على مليون من العربان فقط . فإذا رأى بقية العربان هذه السعادة فلا تلبث الحكومة أن ترى ملايين من العربان مخلصين للدولة » .

هذا ما قاله عبيد الله . وهو قول يوافق العقل والشعور الصحيح . غير أن الحالة لا تزال حرجة في القطر . نعم ان اليمانيين كفّوا اليوم عن القتال بسبب الصيام ، إلا أن النار لا تزال خامدة تحت الرماد والجيش العثماني مازال واقفا موقف المدافع لا المهاجم ، ينتظر وصول النجدات من طريق السكة الحجازية والبحر الأحمر .

فعلى الحكومة ان تسهر كل السهر ، لأن اليمانيين سيقومون قيامتهم بعد رمضان على حسب المعقول . وان لم يتدارك الأمر بالحكمة والروية مع الحزم والنشاط ، فان بقية الولايات

---

(١) المفيد . العدد ٢١٨ ـ ٢١ تشرين أول ١٩٠٩ .

تضطرب اضطراباً شديداً من جراء ضعف الحكومة . وقد قال صالح افندي نوري :

« بينا الدول الاوروبية تتحرك وتكمن وتسعى وتنتظر وإذ بالعالم الاسلامي يستيقظ من غفلته الطولى على أنقاض الممالك المندرسة مثل ممفيس وبابل وتدمر وسمرقند . كانت هذه الغفلة في نظر البعض اضمحلالا وموتاً ، الا ان هذه الفكرة، قد اضمحلت من الرؤوس . فان غيوم الظلام قد انقشعت ، ونور الشمس قد دفع ظلام الليل ، وخرجت الامة الاسلامية العظيمة ممتلئه قوة ونشاطا من القفار التي ستكون كما كانت معهد القوة العقلية والمادية ، ومسقط الدماغ المفكر واليد الباطشة » .

***

مصر الفتاة وتركيا الفتاة

ذكرنا أمس أن السير ادوار غراي قال : « إن الحكومة الانكليزية تعتبر مصر جزءا متمما لسلامة المملكة العثمانية » . وقد جاء بريد الاستانة فرأينا أن أحد أعضاء البرلمان الانكليزي وهو هاردي يقول :

« أيها المصريون ! أثبتوا بمطالبة الدستور والحرية . إن احتلال الانكليز لمصر مخالف للقانون وان الانكليز ليسوا بسادة مصر » .

ثم سمعنا المصريين يقولون : نحن اتباع المملكة العثمانية ومصر جزء متمم للولايات العثمانية ، فنحن نرغب في الدستور وحرية المطبوعات ، لئلا يتمكن الانكليز من البقاء في البلاد .

اما رئيس مجلس الوكلاء العثماني فانه يقول : « ليس بين الحكومة العثمانية والمصريين أدنى علاقة ، ولا يتعلق بنا أمر حركتهم للدستور وإجلاء الانكليز » .

وأما الرأي العام في مصر فانه يقول : « نعتبر قول رئيس مجلس الوكلاء العثماني إعترافا باحتلال الانكليز ، واحتقاراً لمطاليب المصريين ، فنحن في دهشة واضطراب . أوضحوا لنا .

أما الرأي العام في الدولة العثمانية فانه يقول : ... ...

***

ماذا يريدون ؟
« الحكم على محمد كرد علي »

يريدون ان يتهموا محمد افندي كرد علي بالارتجاع . فوالله لو اجتمع رجال الدستور

بكفة ، وقوبل هؤلاء مع هذا الرجل لرجح عليهم بالدستور وزنا . وان الفخر كل الفخر ، لمن أبى أن يستظلّ بسماء الاستبداد ، وهاجر بلاده وأوطانه وأعزاءه وأصحابه بغية الدفاع عن الحرية ، ومحاربة السلطة المطلقة بالعلم الراجح والحنكة المدربة .

فوأسفي على أفاضل هذه الأمة . فقد قضي عليهم أن يذوقوا الأمرّين منذخلقهم الله . رحماك يا رباه أكتبت على النوابغ الأحرار أن يتجرعوا أمر المتاعب ، ويوسموا بالمتقهقرين ، ويسأموا الحياة ويؤثروا الموت .

اذا كان هذا الرجل متقهقراً ، فمن الحر في دمشق الشام ؟ فوالله قد جمع هذا العالم بين ثنايا قلبه لب الحرية من ألباب الدمشقيين ، فأصبح رجلهم الذي يعول عليه ويركن اليه .

جمع كنه الحرية من قلوب الدمشقيين ، فأصبح عمادهم الحر ، وأصبحوا هم المتقهقرين اذا لم يأخذوا بناصرته ، ويدافعوا عن حوزته .

فيا أيتها الفئة النيرة ويا أيتها الشبيبة الحرة لا نامت اعينك ، ولا اطمأن بالك ، اذا لم تصارحي بهوية هذا الرجل ، وتبذلي ما في وسعك من القوة إنقاذاً لفضله ودفاعاً عن نبله .

يريدون أن يقضوا عليه فاقضوا على العلم ، واقضوا على الشهامة ، واقضوا على التاريخ ، واقضوا على الدين الصحيح ، واقضوا على القلم الحر ، واقضوا على الكاتب المر .

يقال ان في دمشق فرعاً لجمعية الاتحاد والترقي ، فيا رجال الفرع أتفرحون ان يقال عنكم أنتم المقدسون ، ولا تنتصرون للفضيلة ، ولا تأخذون بنصرة الحق . أهذا رجلكم ، هذا عمادكم ، هذا فخاركم ، فان حكم عليه فأين رجالكم ؟ أروني واحداً منكم يقوم بعمله ويندفع لمهمته ؟ ونحن راضون .

كتبت ما كتبت ، واذ قرأت بالاتحاد العثماني برقية يقول فيها صاحبها ان الرجل طلب للديوان العرفي في الآستانة ، بتجسيم ناظم باشا المسألة ، فإذا صحّت الرواية فقد استجلب الوالي الجديد سخط اهالي بيروت باجمعهم ، وحرّك هائجة مقتهم له ، حتى ان كثيراً من الأهالي والصحافيين ابرقوا الى العاصمة للمراجع الايجابية ، يطلبون نقل ناظم باشا الى ولاية اخرى ، اذا كان للعاصمة حسن ظن به .

فإنّا نحن البيروتيين لا نرغب في ان يكون الولاة متشربين بحبّ الانتقام ، وضرر الناس ، بل جل رغبتهم رجال اذا قال لهم أصغرهم انهم مخطئون رضخوا لقوله ، وأذعنوا لكلمته ، دون ان تثور ثائرتهم ، أو يندفعوا في ضرره .

فعلى ناظم باشا ان لا يدخل ولاية بيروت ، اذا كانت فيه هذه العواطف ، لأن رجالها لا يحتملونها . وليعلم الباشا ان ولاية بيروت غير ولاية سوريا ، وان رجالها غير اولئك الرجال . فليضع هذا القول امام عينيه ، وليحفظه بين جنبيه .

لم انته من الأولى الا وقد اخذت البرقية الآتية من احد افاضل دمشق .

« بيروت جريدة المفيد ـ حجبت المقتبس ، أغلقت مطبعته ، اختفى صاحبه . حوّلت المحكمة الجنحة الى جناية العضو اسكندر أفندي الشملاوي لمشترك بالحكم . نستنهض

همم المحاميين والصحافيين عندكم . سامي » .

حكم غريب وسرعة مدهشة . بارك الله بهمة رجال المحكمة ، فانها لم تعوّدنا هذه السرعة المنتظمة ، فان الخطأ وقع منذ خمسة أيام ، وصدر الحكم به بعد يومين ، فلو كان هذا الخطأ بمثابة القتل ، لما أسرعت المحكمة بإنجازه . إلا أن هناك سرّاً مخفياً سيتضح لعدلية الآستانة بعد حين ، ويعلم الحرّ من المتقهقرين .

أين الجرم حتى يحكم على الحرّ محمد أفندي كرد علي بالجناية أو أين الحرية اذا كان سهو الكاتب يعد جريمة في نظر المحاكم . إنّا لنشكر من صميم قلوبنا العضو اسكندر أفندي لأنه لم يشترك بالرأي في هذه القضية . وانا لنثني الثناء الجميل على هذه النفس الزكية والوجدان الطيب ، وأن له في قلوبنا صفحة بيضاء خالصة ، ننقش عليها آيات الحمد لله بأن أنبت لنا من هذه الأمة من يعلم كيف يفرّق بين الحق والباطل .

وما شعر الصحافيون في بيروت باستنجاد أحرار دمشق ، إلا وقد اجتمعوا ، وأبرقوا للصدارة ولنظارة الداخلية ، ولجريدتي صباح وطنين بتبرئة رصيفهم الحرّ ، وبيان حقيقته واليد التي عملت على تنكيته . فليعلم الأحرار من دمشق إننا على قول جدنا الكريم .

إنّا لمن معشر أفنى حياتهم قول الرجال ألا أين المحامونا

* * *

السيرة العلمية في بيروت[1]

تمشى العلم في بيروت مشيته الغربية الاولى . ولا يلبث حتى ينتشر بين كل فرد من الاهلين ، ويذهب الجهل ادراج الرياح مع اهله ، فكل يوم قاعدة لمعهد علمي ، بالامس مدرسة علمانية ، ومن قبل اميركية ، ومن قبل فرنسية ، ومن بعد مدرسة صناعية وعثمانية .

فقد تناصرت الأخبار ان نائب بيروت رضا بك الصلح يسعى سعيه الحميد في نهضة مدرسة الصناعات . فانه قصد الى لبنان ، وصعد الى طرابلس الشام ، فأعد عدة المال ، ولم يفته الا ملأ الرجال . بيد ان المال اس كل امر ، فان زخر زخر الرجال الغربيون لا الشرقيون ، لأن هؤلاء قلائل لا يسوّغ العقل الصحيح ان تلقى اليهم مقاليد الاعمال الكبيرة في الوقت الحاضر . ولسوف تصبح هذه المدرسة معهدا وطنيا ، يختلف اليه الابناء على اختلاف مناحيهم . ذلك ما كنا ندعو اليه ونوجه الغاية نحوه ، لأن روح التسامح لا تنبث في رجال الوطن ، الا متى جلس المسلم الى المسيحي واليهودي في المدرسة والمسيحي واليهودي الى المسلم . هذه فائدة هذا المعهد ، فائدة معنوية . وأمّا الفائدة المادية ، فقصاراها تعزيز

---

(١) المفيد ، العدد ٢٢٠ ، ٢٤ تشرين اول ١٩٠٩ .

الصناعات ، وتدريب الصناع على اعمالهم من الطريقة العلمية ، وضم السواد الاعظم من الفقراء وضمان مستقبلهم .

ان في بيروت احد عشر الف تلميذ ، يسددون ادمغتهم ، ولكن على قوالب مختلفة ، ويسمون بقلوبهم ، ولكن نحو مقاصد متباينة . اما الادمغة فمن الحكمة ان تكون محتوياتها مختلفة متنوعة ، لأن الشرقي في حاجةللاختلاط والامتزاج مع رجال الغرب ، فان لم يكن من بينه من يعلم الفرنسية والانكليزية ، فلا سبيل الى ان نبلغ غاية الطب والهندسة والمحاماة او غير ذلك من العلوم العالية . واما القلوب فان لم توجه نحو غرض واحد ، فهناك الطامة الكبرى والضالة الشؤمى على الأمة .

لأن قلوب الامة ان انشطر فريق منها ، وعلق بحب الفرنسيس ، وآخر شغف بحب الانكليز ، وشطر ثالث استمسك بما لا يعلم ، فقد كانت الادمغة على الامة لا للامة . ولذلك اصبحنا والحاجة ماسة الى مدارس وطنية ، ترمي الى العثمانية ومقتضيات سورية .

ومدارسنا الوطنية التي تؤمل منها الفائدة اربع البطريركية والحكمة والعثمانية والاعدادية . الا ان لكل منها نقصا ينبغي ان تحصر عنايتها لاتمامه . فنقص البطريركية والحكمة نقص مِن جانب اللغة التركية ، فان هذه اللغة عدم فيهما ، والعثمانية على شاكلتهما ، الا انها اقوى اثرا منهما في هذه اللغة . وقد ادركت هذا الامر فسعت هذه السنة لتعزيز هذه اللغة ، واقامتها مقام الانكليزية . واما الاعدادية فنقصها من جانب العربية ، ولغة من اللغات الاجنبية .

كانت هذه المدرسة تدرس العربية على لسان تركي ، لا يفهم من العربية شيئا ، فبدلته باستاذ عربي بعد الالحاح ، وما زالت اللغة الفرنسية مهملة فيها اهمالا بيِّنا .

ان حاجتنا الوطنية تستدعي ان تكون لغة مدارسنا على ثلاث . العربية اولا والتركية ثانيا والافرنسية او الانكليزية ثالثا . فاما العربية فمعززة في المدارس الثلاث الاولى ، فنشكرهن ونلوم الاعدادية . واما التركية فمضمحلة في الثلاث ، فنستفزهن الى بثها . واما الافرنسية فبالغة حد الاتقان ، ما عدا الاعدادية التي ما زال الاستاذ الافرنسي غائبا عنها ، على حين انها فتحت أبوابها منذ شهر .

نحن حاجتنا في ابن سوريا أن يكون عربيا عثمانيا نير العقل ، مطلعا على سير الامم الغربية ، فان لم تغير هذه المدارس الوطنية خططها ، وكانت طبقا لهذا المبدأ ، كان ضررها أعظم من نفعها .

ما دامت البطريركية تسير على هذه السيرة ، فان المتخرجين فيها ينزعون الى الوجهة الفرنسية . وكذلك الحال في مدرسة الحكمة . وما دامت الاعدادية تتسكع في العربية ، فان السوري ليستترك . وهذا ما لا نرغبه .

على ان أقرب خطة وأحسن طريقة خطة العثمانية ، اذا تسددت التركية فيها على ما ينبغي . وهذا ما تسعى اليه ، لأن التلميذ حين يخرج بعد هذه الكيفية من المدرسة ، وأمامه

وجهتان ، فاما ان يتم دروسه في المكاتب العليا الاجنبية كطبية اليسوعيين ومدارس اوروبا ، واما ان يقصد الآستانة فيتخرج في مكاتبها كمكتب الحقوق أو الهندسة او الملكية .

هذه هي الخطة الصحيحة التي يجب على المدارس ان تلازمها . وهي خطة متوسطة من درجة العلم ، يخرج التلميذ عليها وطريقان من الحياة امامه . فاما الى الآستانة واما الى مدارس الاجانب في اوروبا او في بيروت .

وهنا مجال لملامة الاغنياء من قومنا ، فانه لا يلبث بنوهم ان يخرجوا من معهدهم ، الا ويرموا بهم الى حيث يعملون . فلو اندفع هؤلاء لبعث بنيهم الى الغرب تعزيزا لعلومهم ، فلا يمضي ردح الّا ونجاري بلادهم . اما اذا كان القوم ينتظرون من الفقراء الرحلة في سبيل العلم ، فدون النهضة خرط مر .

* * *

خان الواجب رئيسا البلدية[1]
ان في التناسق تناسف

ما لهذه الضوضاء ، وما لهذا الـدوّي يتسرب على السنة الناس اجمعين ؟

ما لهذا التأفف وما لهذا التأسف ينفخ بين أضلاع العاقلين ؟

ما لهذه التنسيقات وما لهذه التنسيفات تضرب البريء ، وتعفو عن المجرمين ؟

حال أذهلت ، وأمور أشكلت ، وظهرت ريبة القوم في الحكومة على اليقين .

ان في هذه التنسيقات لغبنا بيّنا على بعض الذين عرفوا بالصدق والامانة . وقد رَفَع القوم العهدة على لجنة التنسيقات . اما نحن فنلقي التبعة على رئيسي البلدية والقاضي ، لأن لجنة التنسيقات مؤلفة كلّها من المأمورين الترك كالوالي ومدير الرسومات ومدير البريد والبرق ومدير المعارف ومكتوبي الولاية ودفتر دارها وقميسيير السّكة الحديدية وغيرهم ، ممن لا يعرفون اهل البلاد ، فاذا وقع الغبن فليس عن سوء قصد ، ولا عن فساد سريرة ، ولكّنه عن جهل بمعرفة الناس .

فانّا نحتج الاحتجاج العنيف على رئيسي البلدية ووكيل القاضي ، لانسحابهم من لجنة التنسيقات ، بعد أن خوّلتهم المادة الرابعة من قانونها بحضور جميع الجلسات ، وتبادل الآراء كبقية الاعضاء . ولكن بعضهم يقول أن الوالي أوعز اليهم بالانسحاب فانسحبوا ، ولم يبق في اللجنة عربي واحد يعرف الناس وصفاتهم .

فيا أيها الرئيسان ، ويا أيها الوكيل ، هلاّ صادرتم ارادة الوالي ولم تنجحوا ؟ هلا

---

(١) المفيد ، العدد ٢٤٣ ، ٢٠ تشرين ثاني ١٩٠٩ .

تعتبرون حتى اليوم أن الوالي فوق القانون . ان القانون يقول لا بد من حضوركم لهذه الجلسات . فما بالكم تطمسون عليه ، وتدوسون حقوقكم بأيديكم ، فيظلم غيركم عن غير قصد ؟ تقولون ان الحكومة لا تنصف ، ونحن نقول أن الشعب لا ينصف ، فلو أن فيه ذرّة من حمية لدفع الرئيسين والقاضي الى تقاضي الحقوق ، واضطرهم الا ينسحبوا .

أيها الرئيسان وأيها الوكيل : ان الواجب يدعوكم أن لا تنكصوا عن مطالبة الحقوق ، لا حرصا على مكانتكم ، بل درءا للخطأ الذي يقع على أيدي الوالي وبقية أعضاء اللجنة . واذا لم تحتجوا على من أوعز اليكم بالانسحاب ، فان الشعب لا يسكت على ضيم ، ولا ينام على اذىً ، فكم اوذي من مأمور صادق في هذه التنسيقات ؟ هذا هو فلان وفلان وفلان .

ولا شك بأنه لو كان الرئيسان ووكيل القاضي في اللجنة ، لما تهجم باقي الاعضاء الى القائهم خارج الوظيفة . فما وقع على هؤلاء من الغبن فمرجعه عليكم لا على اللجنة .

وليعلم الرئيسان أن من يذهب اليوم جريرة الخطأ ، فلسوف يذهب الجميع في سبيل ذلك ، فان لم تطالبوا بحقوقكم ، فاعلموا ان الامة لا تقف لكم اذا وقعتم بل عليكم .

علمنا أن نظارة العدلية ارسلت الى الوالي تستعجله بانعقاد هذه اللجنة ، وتكليف وكيل القاضي عن القاضي بالاجتماع ، فما بال هذا الاخير يتقاعس لامر الوالي عن القيام بما يوجبه عليه ناظر العدلية .

وليعلم أولو الامر ان العدلية مسيطرة على الملكية ، وأن القانون فوق كل امر ، وأنه لا سلطة ولا سلطان الا للحق ، ومتى سخرنا من الحق سخر الحق منا .

هذه كلمتنا نلقيها في أذن الرئيسين ووكيل القاضي ، وننتظر القيام بواجبهم . وأول ما يجب ان يجاهروا به اذا كانوا من ذوي الاقدام وحفظة الحقوق الغاء هذه التنسيقات الحاضرة ، وتـأييـد الحقوق والمحافظة على الحدود والواجبات .

كنا ولا نزال نتفاءل بالتنسيقات خيراً ، ثقةً منا بأنها طليعة اصلاح لدوائرنا المختلة المعتلة . ولقد استشعرنا فرحا فائقا بوضع الاصلاح في الادارات موضع الاجراء ، اذ إننا حتى اليوم لم نجنِ من ثمرات الدستور غير اطلاق الحرية النسبية التي لم يحسن معظمنا صنعا بالاستفادة منها . ولعل النصيب الاكبر من الخطأ عائد على قاعدة السلطنة التي تصدر كل الاعمال والاوامر الى الفروع . فهي بمثابة القلب للجثمان ، يفيض على الاعضاء بواسطة الاوردة والعروق ماء الحياة ، فاذا كان الجنان ضعيف الحركة ، استتبع ذلك الشأن ضعف الاعضاء . ومهما يكن من الامر فانا نرغب في ان تكون الولايات احرص على توخي الصواب في تنظيماتها واصلاحاتها . وانا نوجه انظار هذا القوميسيون القائم في بيروت الى تعرف احوال الاشخاص الذين ينتقيهم ، تعرفا لا يبقى معه محل للريب والشك بهوية المأمور أو المرشح للوظيفة ، وذلك احترازا للخطأ الذي يستدرج الغمط من الحقوق والتوثب عليها .

* * *

كريت في السياسة[1]

كتبت جريدة التيمس فصلاً جاء فيه ، انه قد شاع أن الدولة العثمانية عازمة على رفع مذكرة الى الدول الاربع مطالبة بكريت . ولم يطلع احد على مضمونها بعد ، ولكن مراسلنا في باريس يشير الى فحواها ، اشارة يغلب الظن على انها عين الصواب . قال ان الحكومة العثمانية الحّت على الدول بالاسراع في حل المسألة الكريتية حلا نهائيا . وذكرت لذلك شروطا معلومة ، أخصها توسيع دائرة استقلالها ، ورفض ما تتطلبه من الالتحاق باليونان رفضا صريحا باتا . وعندنا ان الدولة العثمانية احسنت صنعا في تصريحها بتوسيع اختصاصات كريت الاستقلالية . ولكنها لم تحسن في السرعة التي قصدت بها حل هذه المشكلة الآن . ولعل الباعث لها على عرض هذه المذكرة الآن ، هو اضطرارها الى تسكين الخواطر .

وقد أبنا غير مرة انها معذورة في ذلك . وأهم الاسباب انها استولت على جزيرة كريت قوة واقتدارا . وكانت آخر فتوحاتها . وقد سادتها أزمانا طويلة والعثمانيون ينظرون الى التاريخ الفتوحي ، ويفاخرون كغيرهم من الامم ، ثم يرون حجة اليونان حجة واهية ، ودعواهم دعوى سقيمة خاسرة ، لأنهم لم يسودوها منذ سقوط الدولة البيزنطية . ولذلك يزدري العثمانيون بمزاعمهم ، وتتحرك فيهم الأنفة عند تذكرهم النصر الذي نالوه على اليونان في الحرب الاخيرة . وهم واثقون من انفسهم بالقدرة على اليونان والتغلب عليهم مرة اخرى . ثم ان في الآستانة قوماً من مسلمي كريت ، لجأوا اليها بعد الثورة الاخيرة ، وهم لا يفتأون يضرمون نار العداء في صدور اخوانهم العثمانيين ، ويحرضونهم على الاحتفاظ بذلك التراث الخصيب . فهذه الاعتبارات وما شاكلها تقدم عذرا للعثمانيين في طلبهم التعجيل بحل هذه المشكلة التي اصبحت لهم شغلا شاغلا .

ولا شبهة في أن الدول الأربع لا تستطيع القيام بما جاء في هذه المذكرة الآن بسبب الحركة القائمة في الشرق الأدنى . الا انها لا بد لها من ان تحل مطالب الدولة العادلة محل النظر والامعان . ولا يسعها الا ان تنظر بعين الرضا الى التسامح الذي تبديه الدولة في منح كريت استقلالا تاما من كل الوجوه . ولكن لا يسعها الا ان تنصحها بالتأني في حل المسألة الكريتية حلا نهائيا ، لأن الاقدام على مثل هذا العمل ، انما يكون سبيلا الى فتح المسألة الشرقية . وهذا ما لا يرضاه محبو الدولة العثمانية ، لا سيما وان الدولة الان مشتغلة بما هو اهم من ذلك كثيرا . فانه يجب عليها ان توطد أركان السلم ، وتثبت قدم الحكومة الجديدة التي قبضت على ادارة الامور قبضا غريبا في بابه ، لانها لم ترق دماً ، وفي توفير اسباب الارتقاء ، وانماء مصادر الثروة ، وجعل مالية الدولة متينة ، وتحسين الزراعة والنهوض بالبلاد من دركات الحضيض الى ذرى الرفعة . ويعلم الجميع اليوم ان فتح المسألة الكريتية على هذا يثير ثائر الشعوب البلقانية ، فيطلب كل جنس الانتماء الى الدولة التي هو منها . هذا

---

(١) المفيد ، العدد ٢٤٨ ، ٢٥ تشرين ثاني ١٩٠٩ .

ولا بد للعقلاء من العثمانيين أن يرمقوا موقف الدول ازاء الثورة اليونانية الاخيرة ، ويعذروها على انتهاج سياسة التأني والصبر ، فان ضباط اليونان هائجون يطالبون بضم كريت اليهم ، والدول ترفض ذلك ولا تصرح به . ولا بد من أن يكون جواب الدول عن المذكرة العثمانية مشتملا على الاحتفاظ بالحالة الحاضرة ، وابلاغ ذلك الى الدولة بصورة تشف عن الود المتناهي والرقة المعتادة في المجاملات السياسية .

* * *

ثلاثماية ألف ليرة انكليزية في سبيل العلم[1]

قدم بيروت احد رجال الاميركان في هذا الاسبوع ، فزار المدرسة الكلية ، فرأى رسوختها فتبرع من جيبه بثلاثماية الف ليرة انكليزية تعزيزا لمبدأها ، وتسديدا لغايتها .

بمثل هؤلاء الرجال الذين يؤثرون حياة الامة على انفسهم ومالهم وبنيهم ، يشتد أزر الامة ، ويشتد ساعد المجموع . فأين نحن منهم ؟

يتبرعون بملايين الليرات في سبيل العلم الصحيح منذ اجيال ، ونتبرع بالمتليك في سبيل مبادىء العلم منذ أسابيع . فيا حماة الامة ، ويا زعماء القوم ، ويا أغنياء الوطن لا سبيل لمضاهاة الامم ومباراة الدول ، ما دمنا على هذا التبرع السخيف ، بل يبقى البون بيننا وبينهم شاسعا ، حسب تفاوت الليرات على المتاليك .

وما ثمرة التبرع الا ظاهرة ، فقد أنزل الله مدرسة الكلية الاجنبية امام مدرسة وطنية تخص جمعية المقاصد الخيرية ، حتى يرينا بأعيننا ما نقدمه لانفسنا . ولكل امرىء ما اكتسب ، فتلك اسطول يمخر في رأس بيروت ، كبير في دوارعه ، عظيم في بوارجه ، يتلألأ نضارةً ، ويرهب اقتدارا . وهذه مجموع غرفتين تتفتت فيها الجدران ، ويحيك فيها اسلاك العنكبوت ، وتنفك منها روابط الطاولات ، فلا يجد الولي الى ملافاة الانفكاك سوى ان يحشد احجارا لجنباتها حتى تتماسك ، ويستقيم وقوفها .

هذه هي الحقيقة نقولها لذوي الاحساس الصحيح والضمير الحي ، علهم ينهضون الى ربأ المدارس ، ويسعون الى رتق الفتق ولأم الصدع .

ان الحياة أيّها الناس لم تجعل لذات المرء فقط ، بل هي نهب بين ثلاث : بين الذات وبين الذراري وبين الامة . فكل امرىء رهين بحياته لذاته ولبنيه ولقومه .

ان واجب الحياة يقضي بأن نمهد للبنين حياة منعة وقوة ، ولا سبيل الى ذلك الا بتعهد المدارس ، ولا مدارس الا بالمال . ولكن أين المال في سورية ؟

حبذا لو كان إخواننا المصريون أو الهنود الاغنياء يتبعون اثر الغربيين فيجوبون في

---

(١) المفيد ، العدد ٢٤٩ ، ٢٧ تشرين ثاني ١٩٠٩ .

البلاد ، ويتبرعون لاحكام قوى ذويهم ، ومن كان على جامعتهم . ان هذا لمن واجبهم . ولكنهم انصرفوا الى خويصيات أنفسهم ، وأعرضوا عن مستقبل اخوانهم الذين يحتاطهم البلاء من كل صوب من قبل الدول الغربية ، فهم لا يعلمون اذا عزت جامعتهم أو هانت ، نهضت بأعماقها ، أو جثمت بركباتها .

ما بال هذا المثري الاميركاني يتحمل المشاق من بلاده ؟ كل ذلك في سبيل الاطلاع على احوال عنصره ، واكرام قومه . وعليه فقد دفع لأرباب ذلك المعهد المبلغ الجسيم . ومن يعلم ما يبر في الاقطار الاخرى ؟ ومن يدري ما يوصي به للعلم بعد وفاته . كل ذلك كان عند ربك عملا مبرورا وسعيا مشكورا .

كان الصحابة رضي الله عنهم ينفقون ما عز لديهم من الاموال في سبيل المبدأ الذي اختطوه لأنفسهم . ومبدأ الامة اليوم ان تحيى حياة التمكين في الارض والكرامة بين الامم ، ولا سبيل الى ذلك الا في العلم .

كان الاسلاف اذا قارب احدهم اجله رصد من ماله عقارا يقوم بحاجات المساجد من عبادة ونشر علم . وجرى على هذه الخطة جميع الناس ، حتى اطل الدهر علينا ، فأضرب أغنياؤنا عن هذا السبيل ، ولم يعلموا امرا منه في حياتهم ، ولا بعد مماتهم .

ان لهذا الاعراض اسباباً ثلاثة ، اولها ضعف النزعة القومية ، وثانيها ضعف الثقة بالقيمين على الاوقاف وثالثها ضعف الثقة بالقائمين على المدارس . وليس لنا اليوم مجال للبحث عن النزعة ، ولا بالقائمين في المدارس ، بل انا نفصل شيئا عن الاوقاف .

يمتنع كثير من الاغنياء عن ارصاد بعض اموالهم للاوقاف ، لانه قد تبين لهم ان بعضا منها يخرج في غير ما وضع له . وان القوم يعودون اليه متى انتظمت نظارة الاوقاف حق الانتظام . ولكن ريثما تنتظم لا بد من أمر يعود بالنفع على العلم . اما تبرع القوم بالمتليك فلا يسد عوزا ، ولا يغني فتيلا . ولو ان فيه نفعا فأضمن أمر لترقية المدارس افراز قسم من موارد الاوقاف الى معاهد العلم . نحن نعلم انه لا يجوز التجاوز عن شرط الواقف ، ولكنا قد علمنا أن آباءنا وأجدادنا قد أرصدت هذه الاوقاف للقيام بحاجيات المساجد وتدريس العلم فيها . أما وقد انتقل العلم منها الى المدارس ، فهل لا يجوز تحويل قسم من الاوقاف اليها ، ما دام الواقف حبسها لأمرين ، ولم يشترط فيها تحديد المكان ؟

سوال نطرحه لأهل العلم في كل مصر وقطر . ونرغب الجواب عليه ، وأول ما نبدأ به الطلب من المشيخة الاسلامية في الآستانة ، عساها ان توضح لنا من أمرنا عسرا .

فاذا انحلت هذه المشكلة ، ووافق شيخ الاسلام عليها ، تسنى لنا كما تسنى لغيرنا القيام بدار الصناعة مكتب الصنائع في بيروت وغيرها . والا ما دامت الحال على هذه اللجنة التي تألفت للقيام بها ، وغايتها أن تجمع الأموال على سبيل البر ، فلا سبيل لرقي هذا المعهد الكبير الصغير ، لأن القوم ما اعتادوا على خصلة البر بالاموال في سبيل العلم . ولا شك ان سائر الطوائف من المسيحيين يوافقون على تخصيص قسم من أوقافهم الى دار الصناعة . هذا رأينا .

حياة الأمة بروحها العامة[1]

دب في الأمة حياة الشعور ، فأحست بضرورة التكوين ، وانساب الاحساس الى كثير من الافراد حتى مست مواسه النواب .

غير بالغ بالأمة الى التكوين احساس الافراد ، بل لا بد من اجتماع هذا الاحساس ، لأنه اذا تناصرت مشاعر الافراد تولدت أرواح جديدة واحساس حديث ، يفوق احساس الفرد بدرجات ، وتبقى المساوف بينهما متفاوتات .

علم نواب الامة العربية بضرورة تحاكّ هذا الاحساس ، فاجتمعوا يتداولون فيما بينهم ، فتولد من اجتماع الاحساس احساس لا يحاكي روح كل فرد على حدته . ولسوف يظهر جليا ، ويضع للأمة نظاما مرعيا ، ويجعل لها بين الامم مكانا عليا .

ولكن لا بد من بلوغ هذه الغاية من اجتماع الافراد الذين يشعرون بضرورة هذا التكوين في كل بلدة من البلاد ، فيؤلفون من أنفسهم ملأ يعضد النواب في طلباتهم ، ويؤيد حجة رغباتهم ، وبذلك يتم تكوين امتهم .

ترى في هذا العدد من الجريدة أن الروم قد اجتمعوا في بيوغلي،وكان بينهم قسطنطيدي أفندي نائب الآستانة ، ودنيغا أفندي نائب يانيا ، وخوتئوس أفندي نائب سلانيك ، وبوشو أفندي نائب سرفيجة ، ونالي أفندي نائب مناستر ، ووضعوا خطة لنهضة عنصرهم ،ومادة تقضي بعقد مؤتمر للروم عند مسيس الحاجة ، فتدعو هذه الجمعية اليه مندوبي مقدونية والاناضول ، ليفكروا في شؤون قومهم .

وعلى هذه الصورة جرى كل عنصر ففكر في كيفية النهوض ، وأول ما بدأ به هو ضم الاحساس لبعضه ، وجعله روحا واحدة .

وبعد فان من الحكمة لخير العثمانية ان يلتئم نحن العرب شعورنا ، وتجتمع أرواحنا ، لأنه لا حياة الا بروح الامة المجتمعة .

ان هذه الروح أو هذا الاحساس قوة يتوقف عليها الانقلاب الاجتماعي . فكلما قويت وتشعبت بين الامة وجدت سبيلا لنيل قصدها وبلوغ طيتها .

فلروح الامة المجتمعة السيادة على كل أمور الدولة ، وما يظهر من الحكومة ، فانما هو أثر من روح الامة العامة .

واعلم ان الانقلاب السياسي الذي طرأ على الامة العثمانية ، انما كان بتكاتف روح الامة العامة . وقد خلا الجو لعبد الحميد ، لأن هذه الروح كانت ضعيفة في المجموع ، فما زالت تتكاثر وتضام حتى أصبحت روح عبد الحميد دون روح الامة ، فدمغتها ونالت مبتغاها .

وهكذا الحال اليوم فما نراه من تبلبل الامور ، وما نجده من كل الاعمال ، انما يمثل

---

(١) المفيد ، العدد ٢٥٨ ، ٧ كانون اول ١٩٠٩ .

روح الامة العامة ولهذا يجب أن تقوى هذه الروح ، ولا تقوى الا بالاجتماع والتحاكك .

ان هذه الانظمة التي نراها ، والتي سنها نوابنا في السنة الماضية ، انما هي روح الشعب العامة ، حامت حول النواب فداخلتهم ، فجاءت على قدر روح الامة . فكلما قويت الروح العامة ، كلما انقلبت هذه الانظمة ، وتبدلت بخير منها .

لماذا تقرر منع تأليف الجمعيات القومية ؟ لأن الروح العامة في جانب هذا الامر كانت دون من سن هذا القانون . ولهذا نرى ان هذا القانون لايلبث أن يطير شعاعا ، لأن روح الامة تقوى وتتجدد من جانبه ، فلا يمضي ردح الا وتنسفه من اصله .

ولا غرو اذا قلنا ان الشعب هو الذي يضع القوانين ويلغيها ، لا النواب ، لأن ارادة الشعب وروحه العامة تتناثر في البيوت والاسواق والفضاء ، وتتمخض في صدور الدوائر الرسمية ، وتطل من نوافذ مجلس الامة ، فتتضمخ أرجاؤه ، وينطبع النواب عليها .

يقوم الايرلنديون اليوم يطلبون الاستقلال الاداري ، فلسوف ينالونه عما قريب، لأن روح الامة الايرلندية قد قويت شوكتها ، وتمددت بين أفرادها . وقد طلبوه منذ سنين ، فلم ينالوا رغبا ، لأن الروح العامة كانت ضعيفة .

فالروح العامة هي مصدر قوة الشعب وعليها انتظام الحركة . قل لي بالله عليك لماذا مبدأ الانجاز في اعمال الحكومة بطيء في بيروت ؟ ـ لأن روح الشعب لا ترضى بالسرعة والابرام . فلو طبعت الامة على حب المضاء ، لما خرج كل فرد يدخل دوائر الحكومة ، الا وبيده مرامه . لكن الروح العامة ضئيلة .

لماذا تجد التباين واضحا بين دولة انكلترا والدولة العلية ، على حين أن الأنظمة المسنونة واحدة بين الاثنتين ؟ ذلك أن حركة الترقي ترجع لروح الانظمة ، فالامة هي التي تسـدِّد الانظمة ، وليست الانظمة تسدد الامة .

وجماع القول أنه ينبغي اجتماع الارواح الحاسة بين أبناء العرب ، لأن الاحساس الفرد لا يغني فتيلا ، الا وان فـي اجتماع المشاعر اشرف نبلا واعلى كعبا .

فابعث اللهم من يجمع هذه الارواح ويجعلها واحدة عامة ، فنهنأ روعا ونطيب نفسا ، ونمجد مكانة .

* * *

لبنان يسيء الى نفسه[1]

لما نودي بالدستور ، وسارع كل قبيل بانتخاب نوابه ، قام فريق من العقلاء اللبنانيين يسعون في انتخاب من ينوب عنهم في مجلس الامة العثماني . ولكن هي الأغراض الذاتية

---

(١) المفيد ، العدد ٢٧٠ ، ٢١ كانون اول ١٩٠٩ .

تمنع من قيام كل عمل في هذه الحياة . فقد اندست طائفة من الاجانب الذين ينتفعون من لبنان بين اهله ، ودستّ بينهم فكرة التهامل والنكوص عن انتخاب النواب ، تحت حجة ان امتيازات الجبل تلغى ، فيما اذا كان له نواب في مجلس الامة ، باعتبار انه يصبح عثمانيا .

نعم ان لبنان عثماني لا يختلف فيه الا كل من خالط قلبه حب الذات والاثرة ، وان لم يوفد من ينوب عنه .

ان لبنان عثماني ولا تحفظ امتيازاته ، الا اذا ارسل من قبله نوابا في مجلس الامة ، والا ما دامت الحال على تلك السيرة ، فلسوف تمزق الدولة تلكالامتيازات ، وليس لها من مدافع يدافع عنها في مجلس الامة .

يخيل لبعضهم ان الدولة العثمانية لا تستطيع أن تسخر بهذه الامتيازات ، وأن الدول تحفظها . وقد غاب عنهم أن السياسة قد انقلب مجنها ، وأن الدول لا تسعى الا في ارضاء الدولة حبا في مصلحتهن .

ودليلنا على ذلك أن انكلترة التي يظنها اهل لبنان واقفة لمصلحتهم لا تعبأ بهم مطلقا . وقد مرت حوادث ومشكلات تتعلق بانكلترة كثيرا ، فتنازلت عنها حبا في ارضاء الرأي العام العثماني .

فقد صرح وزير خارجية هذه الدولة ان مصر جزء متمم للدولة العثمانية ، على حين كان يصرح ويعمل جهد المستطاع قبل الدستور لانتقاص أطراف أرض الدولة . فما باله يصرح اليوم للساسة الاوروبيين ، ويتنازل عن اعظم الاراضي ، ويقول : أنه جزء متمم للدولة العثمانية .

هذا أمر يتبين منه لأهل لبنان ان املهم بانتصار الانكليز لهم خائب ، دع عنك الامثلة التي تظهر بعيدة ، وتتمثل في امر مرفأ جونية . فقد قامت قيامة بعض الناس من لبنان أن لا بد من فتح ذلك المرفأ ، فأخذ بعضهم يهرول للقناصل ، ظنا منهم أن الانكليز يأخذون بأيديهم فقد خابوا ظنا ، ولم يستفيدوا أمرا .

وبعد فان الانكليز لا يعملون الا لمصلحة الدولة ، ولا يسيئونها حبا ببعض أفراد من لبنان .

وقد يظن بعضهم أن فرنسا تحمي حماهم وتذود عن جوارهم . وما علموا أن فرنسا أكثر تشيعا لمصلحة الدولة من انكلترة . فقد اتخذت جميع التدابير للزيادة الجمركية ، واقناع الدول على الزيادة . وتبين لدى جميع العقلاء انها هي التي تشدد في المحافظة على سيادة الدولة العثمانية في كريت .

هذا هم دولة الفرنسيس ، تُعين الدولة على الامور المهمة ، وتمد يدها لها ، فهل يظن هذا الفريق بعد ذلك أن فرنسا أو انكلترة تنتصران لهم لجزء من الامور بالنسبة لما تقدم .

لا ينتصر لهم الا نواب يرسلونهم ويفوضونهم بامورهم . نوالله لو كان للبنان نواب في مجلس الامة ، وعرض عليه أمر المرفأ في جونية ، لما تأخر المجلس في منحه . وقد علمنا من

ثقة أن أعظم عامل كان في رفضهْ الصدر الاعظم ، فقد قال : « ان هؤلاء لم يتنازلوا ويرسلوا من ينوب عنهم ، فنحن لا نتنازل في منحهم هذا المرفأ » .

يسوءنا أن نرى بعض أفراد من لبنان يلتمسون أمورهم على يد القناصل ، ولا يرغبون في مفاوضة الدولة العثمانية . فمما تقدم يعلمون مكانتهم لدى الدولة .

ويسوءنا أكثر من هذا رفضهم قانون المطبوعات الجديد . فوالله لو علم رجال الدولة ، لمزقوا امتيازات الجبل تمزيقا ، ولسوف يعلمون .

ويسوءنا من هذا وذاك موافقة المتصرف المحترم على كل هذه الامور . فوالله لو علم به رجال الآستانة ، لبات ليلته فيها .

فمن الحكمة للبنان اذا كان يرغب في التقدم ان يوجه وجهته للدولة العثمانية ، ويقطع كل امل من الدول . والا ما دام هؤلاء اللبنانيين يتسارعون عند كل حادثة الى القناصل ، فان الدولة تلغي امتيازاتهم بأسرع ما يمكن من الزمن ، دون منازع ينازعها ، أو مناوىء يناوئها لما مر من الاسباب . وخير لهم ان كانوا من العاقلين ان ينتخبوا نوابا لأنفسهم يدافعون عنهم لدى الحكومة ، ويحافظون على هذه الامتيازات . فقد انقطع رجاؤهم من الدول ، ولم يبق حريص على ما لديهم من بعض الميزات ، الا رجالهم . فان لم يفعل ذلك لبنان ، فلبنان يسيء الى نفسه .

* * *

اليمن بلاد اليمن والسعادة[1]

اشتق العرب كلمة اليمن من اليمين ، لأن وضعها الأول كان مرتبطا بمكة المكرمة ، وهي بلاد على يمينها . وبر الشام ، أي الشمال ، أي البلاد التي تجاور مكة من الجهة الشمالية . ودعوهما بهذين الاسمين لحفظ الرابطة السياسية من قبل ، أما اليوم فانا لندعو بلاد اليمن بلاد اليمن والسعادة ، وانا موردون ما قاله احد الفرنجة الذين وطئوا تلك البلاد ايام اعلان الدستور ، حتى يتبين ويدرس ما لهذه البلاد من المنفعة الاقتصادية ، قال الرجل تعريبا عن الجرائد الفرنسية :

لم يحدث اعلان الدستور في بلاد اليمن تأثيرا كبيرا على أنفس اليمانيين ، لانهم لم يكونوا يحلمون بمعنى الدستور . غير ان بعض الضباط جالوا في الانحاء ، وطافوا الارجاء ، ونادوا بمنافعه ، فهاجت هوائج الانفس ، واندفع كل القوم يهللون لعهده الجديد . ولكن لما خلع عبد الحميد استاء اليمانيون ، بسبب كبرائهم الذين كانوا يقدسون « السفاح » لامواله

---

(١) المفيد ، العدد ٢٧٦ ، اول كانون ثاني ١٩١٠ .

الطائلة المتواردة عليهم من نعمائه ...

غير ان ذلك لم يدم طويلا ، فقد علموا خصائص الدستور ، فافرج عن كثير منهم ، كان يزج بهم في السجون ظلما وعدوانا .

ولم يثـوروا على الحكومة الحاضرة الا بسبب أفراد ، اذا ابعدوا عن هذا القطر كان السبيل لسكينته . وأعظم الاسباب للثائرة امران وهما الجهل والعمال . فاليمانيون في أعظم ظلمات الجهل ، وليس من علم أو معرفة ، كانت نظارة المعارف تسعى وراءهما . فهنا الخطر العظيم ، لأن اليمانيين شعب يتقد ذكاء ، ويندفع للعمل اندفاعا ، ويضطرم عواطف ، فحيثما وجهت وجهته اندفع بكليته ، فان خيرا فخيرا ، وان شرا فشرا .

والجرح العظيم الذي حول محبة اليمانيين عن الدولة عمالها الفاسدون الأولون ، فأقلهم خشونة كان طاغية غشوما ، يستنزف دماءهم ، ويحتجن أموالهم ، ويسجن أبناءهم.

فالوسيلة الوحيدة لاخماد الثائرة في هذا القطر نشر العلم في كل ناحية منه ، وابعاد الحميديين من بين اهله . وما من فكرة هناك تجول في انفسهم ضد الدستور او بغض العثمانيين ، فان هم الا رجال لا يتأففون من الرقي بل جل رغائبهم العدل .

وان علمتهم الحكومة فلن تدفعهم الانفعالات السيئة ، وان عاملتهم بالحسنى والعدالة ، فقد انتشرت بينهم السكينة العامة والرغد الاخضر . وبالاختصار ينبغي ان ينفى من بين ظهرانيهم كل مأمور تعين في أيام الخليع ، حتى يتسرب اليهم ان في كلمة الدستور معاني للسعادة كبيرة ، وأن عهده غير عهد الاضطهاد والاستعباد .

أما سعيد باشا فانه خطير في مركزه ، يعلم أحوال البلاد بسبب ذكائه وهمته وعقله ، لا سيما أنه محبوب من اليمانيين ، فاذا انضم اليه وال على شاكلته تمت السعادة لتلك البلاد .

وليس انتخاب الوالي لهذا القطر بهين ، فانه ينبغي ان يتصف بالصفات الضرورية للادارة ، ولذات المرء ، قبل كل امر ، وان يكون سريع الخاطر ، سريع الابرام والمضاء ، بطيء التأثر ، لا يتبدل ولا يطيش عند الحركات .

ان في بلاد اليمن تسعة ملايين من الناس . غير ان الاحصاء الرسمي عند الحكومة لا يتجاوز الخمسة الملايين التي تعتبرهم الحكومة تحت يدها . فاذا خير لهم بوالٍ عاقل ، تقدمت صفاته وقائد كسعيد باشا فثمت اليمن والسعادة .

لأن بلاد اليمن تنقسم الى قسمين الساحل والداخل . فالساحل قفر ، والاقاليم فاسد ، والماء كدر ، والحرارة شديدة ، والسكان قليل ، والفقر مدقع ، والنتاج نادر ، والحمى هائلة ، وتقهقر الحياة ضارب .

أما الداخل فمنظر جميل ، وجبال ولا كالجبال ، ووديان ولا كالوديان ، وسهل خصيب ، وهواء رطيب ، وصدر رحيب وحياة سعيدة .

ان هذا القسم غني بمعادنه غناء لا مزيد عليه ، ولكنه ويا للأسف مهمل لا يعتنى به .

انظر الى صنعاء فانها وسط بلاد كتبت سنة الوجود عليها آية السعادة .

فهناك مناجم الذهب والفضة والحديد والرخام وانواع الحجارة البُراقة ومجاري البترول الفياضة . وقد تزدهر الازهار ، وتكثر المواشي والانعام بصورة تكاد تكون معجزة .

يحصد المزارعون فيها النبات ست مرات في السنة ، وتلد النعاج أربع مرّات في السنة ، والبلح يثمر بمدة اقل من المدة التي يستوعبها في غير البلاد بمرات .

تجري المياه فيها على الصفاء والتدفق الغزير . ولكن يأسف المرء عليها ، فان طبيعتها حية ، وأيدي رجالها خاملة .

فعلى الحكومة العثمانية أن تسرع كل الاسراع في بث العلم بين هذه الارجاء المباركة ، فان فيها ليمنا وسعادة .

* * *

الكلمة العليا[1]

غدا يقيم المسلمون معالم السرور والفرح لاستقبال هلال العيد الاضحى السعيد . ويهتف الحجيج من فوق عرفات « الله اكبر » ، فيترامى صداها الى العالم الاسلامي ، صادراً من جوار مكة الى جنوبي آسيا وشرقها وغربها ، الى شمال افريقيا ، فالى الشرق الجنوبي من اوروبا ، ثم الى ما وراء المحيط ، حيث يتراجع ذلك الصدى الذي يجمع قلوب اهل الحق على الفرح والحبور في ذلك العيد السعيد ، على كلمة عليا ، هي قوام الفضيلة ، وملاك السعادة ونهاية القوة ، وان كره الناكرون .

ان تلك الكلمة العليا هي التي ستؤيد الحضارة المستقبلة التي يحلم بها اهل القرائح السليمة من اهل الحكمة في بلاد الغرب .

وهي نفسها التي كما تجمع الآن أهلها على التضامن في السراء والضراء ، ستجمعهم غدا في سبيل العلم والقوة والحضارة

وبوارقها ما برحت ترتسم في أفق زاهر منير ، تطل السعادة من ثناياه ، مرت بأنفس المسلمين في العالم نسمة من نفس الرحمن ، فحركت ساكناً ، وايقظت خاملا ، ثم جمعت متفرقا ، وأصلحت مختلا ، واقامت عدلا .

وتلك النسمة هي نفحة من نفحات الاسلام الذي قام على الفطرة ونواميسها ، فجاء لاروحيا مجرداً ، ولا جسدانيا جامدا ، بل انسانيا معتدلا ، اخذ من فطرة الكون التي فطرها الله مصادره ومبادئه .

---

(١) المفيد ، ٥٦٥ ، ١١ كانون الثاني ١٩١٠ .

فكما انه قد تسنى له ان يكاتف عصر العلم والحضارة ، فقد توفر له ان يماشي السياسة والمصالح العمرانية جنبا الى جنب .

ولم يكن من شأنه ان يدع (مال قيصر لقيصر) ، بل ان يحاسب قيصر على ماله ، ويأخذ على يده في عمله .

وهو كما شرّع للملوك حقا يقفون عنده ، فقد سن للامم حقوقاً كبرى من الحرية الشخصية والسياسية والمساواة والعدل ، ونشر في تعاليمه الشورى وسيادة الجمهور على الفرد في شؤون الحياة كلها .

كذلك كان الاسلام باعثاً للمسلمين الى جلائل الاعمال ، ومصباحا لبصائرهم يسترشدون به في استعراف الاحوال وتقويم الافكار ، وعاطفا يعطف قلوبهم على الامم بالعفو والرحمة وحسن المعاملة ، حتى رضيتهم الارض سادة لسكانها .

اما ما نراه عن تزحزح تلك القوة عن مكانها ، واسباب ذلك عديدة ، ليس من شأننا الآن البحث فيها .

وغاية ما يقال في هذا الصدد ان المسلمين قد أحسوا بدواعي ضعفهم ، وبدأوا يرأبون صدعهم رغما عن الطوارىء السياسية التي تخلقها لهم الدول المعادية لاجتماع المسلمين ، ومن ثم الكارهة لاتحادهم وتضامنهم .

نعم ان القوة تفعل ، ولكنها تصادف رداً . ذلك شأن النواميس كلها . لذلك لا جرم ان الاسلام سيكون رده على القوى شديداً ، حتى يكاد يزعزع كل حجر تعترض سبيله .

والمستقبل لا يبعد ان يدعم هذه الامال .

الاسلام بنفسه قد اهاب بأهله الى التضامن ، فهو في كل مبادئه وأصوله داعٍ الى الجمع والضم ، فالصلاة جامعة ، والحج جامعة ، والاعياد جامعة ، والصيام جامعة ، والزكاة صلة بين اهل اليسار وذوي الاضطرار والعوز فهي جامعة .

أفبعد كل هذه الامور يستغرب اجتماع المسلمين ـ انا لا اذكر امراء المسلمين ـ لأن هؤلاء لا يسعون وراء الاجتماع ، لأنه ينافي مصالحهم الغريبة .

نعم ان تضامن الاسلام سيكون في الامة وسواد المؤمنين .

ان جامعة الحج التي تأخذ بأهل الاسلام من أقصى الأرض ، وتحملهم على السير في المساوف البعيدة ، للوصول الى مكة لاداء واجب ديني ، ستتحول الى غرض كبير ، الا هو جمع القوة الرهيبة التي ستزعزع نظام الاستعمار الغربي ، بل نظام الاستعباد الذي يحبه الغربيون في خارج بلادهم ، الا انهم يكرهونه في داخلها ، الا تعسا للاولى يقررون حقوق الانسان لطائفة معلومة من البشر .

انهم يريدون بحقوق الانسان فئة مخصوصة ذات صبغة ولون مخصوص .

هذه هي المبادىء المبتورة التي تمثل المطامع الاشعبية ، والتي تدل ان القوانين والمبادىء والتعاليم الحكمية ، ليست ذات أثر كما يتصوره المتصورون ، من ان ناموس القوة

فوق الحق .

نعم ما زال الحق يصدر من هذه الدنيا ، فهو ضئيل . أما الحق العلوي الذي يتنزل من سماء القدرة فهو ثابت وطيد (قل الحق من ربكم) .

ان خط الحركة التي يسير عليها العالم الاسلامي هي التضامن أولا ، ثم العلم ، ثم العمل آخراً .

ولا نخال انها ستكون هجومية قط ، بل دفاعية عن حقوق مسلوبة ومواهب مهضومة ، وحرية من الله على البشر بها ، فسلبها الظالمون .

***

الانقلاب العثماني بدعة انكلترة

وضع الانكليز أسّ سياستهم وحفظ سيادتهم ورجحان قوّتهم بين الأمم على ثلاثة أمور . الأول أن يقطعوا الطريق على الذين يخافون أن يجاروهم في القوة والغلب . الثاني أن يرموهم بحرب ضروس مع أمة أخرى ، إذا قلّت الحيلة ، ولم يكُ من سبيل لقطع الطريق . الثالث أن لا يخوضوا حرباً ، إذا تمكّنوا من دفع غيرهم إليها .

وما من مزاحم للانكليز اليوم إلّا الالمان ، فإنّ قوّتهم البحرية تكاد تعادل بعد سنين قلائل عمارات مالكة البحار . وأما قوتهم البرية ففاقت قوّة الانكليز وغيرهم من الأمم الحربية بمراحل ، ومن حيث التجارة فإنها أدهشت الانكليز فتخوّفت من ثروتها ، وكذلك رأت أن تسدّ عليها بعض الأبواب ، إيقافاً لقوتها المتزايدة من جميع أنواعها .

وأعظم الأمور التي هالت الانكليز تحالف الامبراطور غليوم مع عبد الحميد طاغية القرن الثالث عشر ، واندفاعه للإنتفاع من ثروة البلاد ، وأهمّها خط بغداد الحديدي الذي يمتدّ من عاصمة آل عثمان الى عاصمة العباسّيين من قبل .

فمن يرجع الى امتياز هذا الخط ، يجد أن عبد الحميد قد منح لهذه الشركة الالمانية حقاً باستثمار الأراضي المتاخمة للحديد من الجانبيين على مسافة كيلو متر ونصف من كل جانب ، وبعبارة واضحة أن عبد الحميد الخائن قد باع مستعمرة للالمان من البلاد العثمانية عرضها ثلاث كيلومترات ، وطولها من الآستانة الى بغداد ، بجميع المعادن والمناجم . ولم يكفه ذلك بل حمَّل بيت المال ضمان الخط . لكن ألمانيا لم تستنم الى الضمان ، إلا بعد أن قرّر عبد الحميد أن يزاد ٣٪ على الرسوم الجمركية ، فأصبحت ١١ بعد أن كانت ثمانية ، أعني أن الثلاثة تكون بمثابة رهينة لدفع الضمان ، فأسرع الألمان بمدّ الخط ابتغاء أن يستفيدوا

---

(١) المفيد ، العدد ٢٩٣ ، ٢٠ كانون ثاني ١٩١٠ .

من نقل البضائع بين أوروبا والهند على قطارهم ، وتعطيل قناة السويس التي يستفيد منها الانكليز . ومن غريب ما قررّته حكومة الألمان أن تحشر ٢٥ مليوناً من ابنائها في تلك المستعمرة ، بحيث لا يمضي الزمن اليسير إلاّ وينتشر الالمان الانتشار الهائل من بغداد إلى الآستانة ، فالى مكدونية[١] التي كان تقرّر في أذهان الالمان أن تضم اليهم بعد انضمام النمسا ، فتكون السلسلة محكمة مرتبطة ، تخيف كل قوة لدى الانكليز .

كل هذا قد تمّ للالمان في بلادنا العثمانية ، وعين الانكليز ترقب باصرة ولكنهم لا يستطيعون لصدهم سبيلا لماذا ؟ لأنهم كانوا يعنون بحرب البوير . فلما انتهوا منها حوّلوا أنظارهم الى النفوذ الالماني في البلاد العثمانية ، وأجالوا الفكرة في نزعه فلم يجدوا سبيلاً إلاّ في استئصال سببه . وهذا السبب إنما كان عبد الحميد .

فسعى الانكليز إلى أحرار الأمة العثمانية ، وأفسحوا لهم مجال الشجاعة من حيث لا يشعرون ، فنهضوا نهضة لا تجاريها نهضات الأمم ، وتحرّك الجيش البلقاني .

ولو كانت انكلترة راضية عن عبد الحميد لمدّت اليه يد المعونة ، وتهدّدت الجيش بالدخول الى البلاد البلقانية ، ولكنها راغبة في حركة الجيش حتى يخلع عبد الحميد . وعلى هذه الغاية سرى الجيش ، ولكن الأحرار لم يتمكنوا من خلعه المرة الأولى ، فسعوا المرة الثانية . ومن يتدبر خطة رؤساء الوزارة الذين تقلدوا الصدارة ، يجد أنهم كلهم كانوا ممالئين لانكلترة ، وموافقين لرغائبها ، وهي لم تدع فرصة للأخذ بيد الدولة في كل الأزمات التي مرت عليها ، وذلك لمصلحتها ، كما كل العقلاء ، ولولا نصرة الانكليز المعنوية لما علم مصير الأمة العثمانية غير الله .

فلما خلع عبد الحميد أسرع النواب الى البحث في خط بغداد ، فأوقفوه لما فيه من الغبن ، ولم تكتف انكلترة بهذا الأمر ، بل إنها حرّكت مسألة لنش ، وأيدّت امتيازها ، ودخلت في باطن النهر بحيث قطعت كل علاقة بين خط الالمان والهند ، وأصبح الاتصال بين هذين القطرين حلقة الشركة الانكليزية العثمانية . كل هذا ولم يكتف الانكليز فقد قطعوا الخط على المانيا في الكويت ، فاختلفت الدولتان على هذا الامر ، وقالت ألمانيا أن الكويت بلاد عثمانية ، فأجابتها انكلترة كلا ان الكويت تحت حماية الانكليز ، وهذه هي الصكوك بيد الامير والدولة البريطانية ، فاضطرت المانيا ان ترجع القهقرى ويصبح خطها مبتورا .

هذه هي سياسة انكلترا ، فقد قطعت اواصر النفوذ الألماني من البلاد العثمانية التي كانت تسعى إليه المانيا بواسطة خطها الحديدي ، ورجع الالمان بخفيّ حنين ، فسبحان من أمدّ هذه العقول الكبيرة لحكمته ، حتى تمكّنت من أن تسيِّر الأمم على حسب رغائبها ، وتقلبها من طور الى طور . فأرزقنا اللهم عقولاً على شاكلة هذه العقول الحكيمة ، حتى نسيِّر الأمم على مراميا ، ولا يكون الانقلاب العثماني بدعة إنكلترة .

* * *

مكتب الصنائع [1]

بعد أن هجعت مسألة مكتب الصنائع هجوعاً طويلاً ، أتى المجلس العمومي وأظهر استعدادا بطرق باب المسألة ، فتوسمنا خيراً ، لا سيما بعد أن تيقنا أن والي الولاية قد أظهر استعدادا حسنا لفتح هذا المكتب وانشائه ، تلبية لمطالب الأهالي والصحف التي ما برحت تصرخ من عهد ناظم باشا الى عهد ولايته .

غير أن كل ما أملناه من سير المسألة على رغبة العموم ، وجعل المكتب تحت رعاية القومسيون المنتخب سابقا من الأهالي ، والمصادق عليه رسميا في مجلس الادارة ، كل ذلك لم يلبث أن أخطأ كل آمالنا وقد نتج عن ذلك أن الصحف المحلية قامت تندد بالمجلس العمومي لرغبته في حل قومسيون المكتب القديم بدون صلاحية ولا اعتبار للقرارات الرسمية . وقد كان لانتقاد الصحف تأثير كبير في الأهلين اعتبارا منهم أن المجلس العمومي كان ينبغي أن يعبّر عن أفكار الاهالي ، ويمثل رغبائهم . وفي الخلاصة أن يقف عند حدود صلاحياته ، ولا يتوثب على حدود مجلس الادارة .

وقد بلغنا أن اعضاء المجلس العمومي ، إلّا أحمد مختار أفندي بيهم نائب بيروت ، سيسطرون اعتراضا على صفحات الجرائد ، ويطلعون العموم عن أفكارهم في أمر المكتب ، وعن أرجحية حل القومسيون ، وانتخاب قوسيون جديد . ولا نعلم اذا كانوا يذكرون في اعتراضهم تصرفهم في نقض قرار مجلس الادارة .

واجهنا بعض أعضاء القومسيون ، وفهمنا منهم أن المجلس العمومي قد رضخ لرأي الوالي بجعل المكتب مدرسة زراعية ، كما سبق للوالي ابداء فكره الذي أوجب قيام الصحف اذ ذاك .

هب أن المجلس يريد أن يجعل المكتب زراعيا ، فهل يتسنّى ذلك بدون أن يؤسس الطالب فيه لشهادة البكالوريا ، حتى يتسنىّ له أن يتقن الاصول الزراعية القائمة على معرفة العلوم الهندسية والطبيعية والكيماوية والنباتية وغيرها .

اذا كان الامر كذلك ، فلا بد اذن قبل كل شيء أن يؤسس قسم علمي لتحصيل العلوم الثانوية ، التي بواسطتها يرتقي التلاميذ الى العلوم العالية التي تعتبر الزراعة من صنوفها .

اما اذا كانت رغبة القومسيون أن يعلم التلاميذ مبادىء الزراعة البسيطة ، فهو بغنى عن هذا الأمر ، لأن نظارة الزراعة ستأخذ على عاتقها انشاء المدارس الزراعية في الاماكن اللازمة .

ان بناء هذا المكتب والنفقات التي صرفت لايجاده ، والشكل الذي وضع فيه ، لا يسمح أن يكون الا معهدا للعلم الراقي والمعارف الطبيعية والادبية والرياضية ، كي تجمع

---

(١) المفيد ، العدد ٥٥٧ ، ١ كانون أول ١٩١٠ .

البلاد افراداً متنورين ، يعلمون حاجيات البلاد ومطالبها .

أليس من العار على بيروت أن تكون عالة في تعليم أبنائها على المدارس التبشيرية أو المدارس السياسية ؟

أليس عارا أن نضحي بهذا البناء الفخيم ، الذي كلف مبلغا طائلا من المال والمساعي وأن نجعله لتلقين بعض المبادىء الزراعية ؟

كلا ! ان الاهالي ومصلحة الوطن تقضي بأن يكون هذا المكتب كلية كبرى عثمانية يؤمها الناس من أقاصي البلاد العثمانية ، كي يتعلموا فيها العلوم العالية من طبيعية وهندسية وحقوقية وزراعية وصناعية .

قال أحدالاجانب عند مروره بهذا المكتب ، وسؤاله عن تعطيله ، هذه الكلمة المؤثرة : « ان هذا البناء يصلح لكلية كبرى تعلم فيها العلوم الراقية ، وتهذب أفكار البلاد العثمانية ، بل ربما تفيض أنواره على الشرق بأسره » .

اننا نتألم أن يعلمنا الاجانب دروساً ، ويلقوا علينا عظات بلا ثمن ولا نتبعها ، أو نعتبر بعواقبها . وخلاصة القول أن الامة متعطشة الى المعارف بقدر حاجتها الى الحياة والسعادة ، فلا تعرقلوا عليها غاياتها من الترقي الفكري والعلمي ، واتقوا الله في صوت الامة ، ورغبة الوطن ، وبادروا الى العمل قبل أن يضيع الوقت سدىً اذ هو كالسيف القاطع .

وفي الختام نقول أن هذا المكتب خلق ليكون كلية كبرى ، وسيكون ان شاء الله كذلك ، لأن ألسنة الحق أقلام الحق ، وأن أقلام الافراد تضمحل عند ارادة العموم .

على هذه النظرية قد قامت الشورى في العالم الاسلامي ، ولا تزال متبعة في اوروبا وسائر العالم المتمدن .

* * *

في الانتخاب (١)

اذا كانت قيمة المرء بماضيه وحاضره اللذين بهما يدخل الى مستقبله ، فدرس هذين الحالين هو بمثابة الوقوف على حال الرجل من اخلاقه وادراكه واعماله .

لذلك قيل بان حياة المرء هي سلسلة الاعمال التي اتاها في ماضيه .

ما اندر رجال الادراك والخلق والعمل في زمانٍ ضرب الفساد سرادقه على بلادنا ، حتى غير النفوس عن غرائزها الفاضلة ، وقمعها عن فطرتها الاولى الى الشر والصغار .

نحن نلتفت يمنة أو يسرة ، فلا يقع بصرنا الا على قحط من النفوس العالية ، او

---

(١) المفيد ، العدد ٥٠٥٨٣ كانون الثاني سنة ١٩١١ .

القلوب الكبيرة والمدارك السامية .

نرى كثيراً من الرجال يتساوون في الحياة الحيوانية من الطعام والمنام ، وايّ بلاء اشد من هذا البلاء الذي هو اية الانحطاط في الامم ، وطليعة دخولها في العدم .

ان الحالة السياسية والاجتماعية الاولى قد أثرت على نفوس الامة كلها ، الا نفر قليل من كبار القلوب ، فانفوا الضيم وما استساغوا الاذى ، بل تركوا من دونه الديار ، وتحملوا في هجرتهم المشقة التي تعذب لدى النفوس الابية ، وتصفو للخواطر الملتهبة .

هؤلاء هم الذين كانوا يرعدون فرائص الظلم وهم في بؤس العيش وشدة الوهن ، فكانوا اشداء مع ذلك ازاء السلطة الجائرة .

هؤلاء لا نخشى في القول عنهم انهم كانوا أبعد الناس عن مؤثرات المحيط الحميدي البائد ...

وهم من ابناء الضاد ومن صميم هذه الامة العظيمة في الماضي ، فنحوهم ينبغي أن تصرف الوجوه ، وتتجه الامال ، وتميل القلوب ادلاء بالثقة واعطاء لما يستحقونه من المكارم .

ان الامة يلزمها التيقظ لابنائها الصادقين والرعاية والبر بهم ، فلا تخدعن للظواهر الغرارة من الذهب والجاه والنفوذ . نحن في زمان لا ينفع المرء فيه امته الا بعقله وخلقه وعمله .

يجري في هذه الاونة انتخاب في دمشق الفيحاء لنائب يمثل الامة في مجلسها ، ويخلف المرحوم محمد العجلاني الذي انتقل الى رحمة ربه .

ازاء هذا الانتخاب سنعلم درجة الافكار في دمشق من حيث كسرها للقيود القديمة التي تربط النفوس ضمن دائرة التسخير في الاجسام والاقوال .

لا ننكر ان في دمشق نفوسا عالية يمكنها ان تمثل هذه الولاية الشهيرة في العالم احسن تمثيل ، فعلى الامة ان تختار ما تراه حسنا ، وموافقا لمصلحتها ، وضمانا لحقوقها .

يوجد في دمشق شبان نيرو الفكر وطاهرو الذيل ، وفي طليعتهم حقي بك العظم الذي ذكرنا مرارة مزاياه واعماله وتاريخ حياته التي كلها نشاط وعلم واقدام وغيرة .

ان ولاية دمشق يكون لها الفخر العظيم بانتخابها هذا الابي المقدام ، علما منا بانه سيكون صوتا عاليا رنانا في ذلك المجلس ، وناطقا بالحق صادعا بالصدق لا يهاب من مخلوق دون خالقه ولا يأبه لقوة غير الوجدان والعدل .

اذا احبت دمشق ان تعطي مثالا حسنا لرقيها وتقدمها في الحياة الدستورية ، لتعمد الى ذلك ، لان به ستعلم درجة حياتها الحديثة ونهضتها الحالية .

* * *

الاسطول الجوي[1]

كانت الامم الحية في كل الاجيال ، ولا تزال في يومنا هذا ، تمتنع بالقوة وتذخر المعدات الحربية قديمها وحديثها ، اجودها واصلبها ، دفاعا عن الحوزة . وآخر ما أثمرته قوة الابداع في الانسان استخدام الطيارات الحربية في الحروب ولكن ذلك الى درجة معينة ، بحيث لا يتخذها المحارب آلة جهنمية ، يمحو بها الديار ، ويقتل بها أخاه الانسان .

خشي مؤتمر السلام العام على الانسانية من هذا الاختراع ، فأقّر على جواز استخدام الطيارات لاجل الاستكشاف والاستطلاع فقط ، وقد استخدمته الجيوش في حروبها . ويذكر التاريخ ان الفرنسويين في محاصرة باريس سنة ١٨٧٠ طيروا من العاصمة ٥٢ طيارة . ومن ذلك العهد كانت الطيارات موضوع بحث ضباط اركان الحرب عند الدول ، وما برحوا منذ حرب سنة ١٨٧٠ يجتهدون بترقية هذا الاختراع ، حتى بلغ اليوم هذه الدرجة من الاتقان .

يساعد استخدام الطيارات اليوم على اكتشاف مواقع العدو . وقد رأى القراء كيف يستخدم الايطاليون طياراتهم في حربنا الحاضرة . فهو وان لم يخدم الايطاليين في تشتيت شمل معسكراتنا ، الا انه أفادهم في اكتشافهم مواقع ومكامن المجاهدين . وتستخدم الطيارات في الحروب ايضا لاخذ رسوم المعارك والمعسكرات . ولأخذ رسوم المعسكرات وكيفية ترتيبها فائدة كبيرة ، يتوقف عليها الظفر في كثير من المصادمات التي تقع بين طلائع الفريقين . ثم ان الطيارات تساعد على نقل البرق ، ورمي القذائف ، وفي بعض الطيارات آلة تلفونية للمخابرة بين المكتشف ممتطي الطيارة ، وبين الجيش الذي ينتمي اليه هذا المكتشف ، ولكن الايطاليين استعملوا الاعلام المختلفة الاشكال والالوان للمخابرة بينها وبين الاسطول الايطالي .

هذا ما يمكن أن نقوله عن الفائدة التي تنجم في الحرب عن استخدام الطيارات . ولكن تسابق الدول اليوم الى اقتناء هذا النوع من معدات الحرب . واهتمامها بابلاغه الدرجة القصوى من الاتقان ، لا سيما بعد الحرب الحاضرة . يذهب بنا الى الاعتقاد بان هذا الاختراع سيمثل دورا مهما في الحروب ، ولا يبعد ان نرى بعد قليل من الزمن اساطيل الدول الجوية تتحارب فوق الرؤوس ، فتصبح الحروب في طور جديد ، وتكون الفكرة التي ابدعت هذا النظام الاجتماعي ، واوجدت هذا العمران ، هي التي جرت على العالم أسباب البلاء ودواعي الخراب .

ومهما يكن من الامر فان الشرائع السماوية والقوانين الاجتماعية الدنيوية تقضي علينا بان نعد العدة ، وندّخر القوة حفظا على كيان العثمانية ، ودفاعا عن استقلال امتنا الشرقية .

---

(١) المفيد ، ١٠ نيسان ١٩١٢ .

احس العثمانيون منذ اعلن الدستور بضرورة الاسطول البحري ، فأنشاوا جمعية لاعانة الاسطول . ولم تمض سنتان على انشاء هذه الجمعية ، حتى فاجأتنا الحرب الحاضرة . وقد ظهر لنا باجلى بيان ان سبب تجرؤ ايطاليا على اشهار الحرب عجزنا عن الدفاع في البحر . ومهما يكن من عاقبة هذه الحرب التي نؤمل ان نخرج منها ظافرين ، نقول انه لو كان لنا اسطول في البحر ، لما تجرأت ايطاليا على اعلان الحرب بهذا الطور من العدوان والقرصنة وعدم المبالاة .

نرى الدول اليوم ، ولا سيما دول البلقان ، تسارع الى اصطناع الطيارات واستخدامها في الجيوش . وقد يتحتم على العثمانيين ان يكونوا اكثر حذراً من غيرهم ، لان العثمانية اليوم هي عقدة المسألة الشرقية ، لذلك ينبغي ان نعمل للقوة والمنعة ، حتى لا يتسنى للدول الاستعمارية حل هذه العقدة .

لا تزال الاساطيل الجوية في العهد الاول من تاريخ انشائها . فاذا سرنا مع الدول في انشاء اسطول حربي تمكنا بعد قليل من السنين ان نجهز أسطولاً جويا ، يتجاوز عدده المئات ، على ان الدول التي نخشاها ، والتي ينبغي ان نعد لها العدة لما بيننا وبينها من العداوة التاريخية ، لا تزال لاهية مثلنا عن استخدام هذه الالة الحديثة . فاذا عملنا منذ الان بهمة ونشاط ، وبذلنا المال في هذا السبيل ، كنا من الدول التي سيرهب جانبها في العصور القادمة .

قالت المؤيد عن صباح : هل نحن منتبهون يا ترى للامور التي تجري من حولنا .

كان ساكنو الجنان السلطان محمود والسلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز قد امعنوا النظر في الارتقاآت العسكرية والبحرية التي كانت في زمانهم ، وجعلوا للدولة نصيبا من الاختراعات الجديدة لم يلبث ان جاء بالنفع السريع . والسلطان عبد العزيز هو الذي حصن ثغور الدولة بانشاء اسطول مؤلف من السفن المدرعة ، حتى كانت دولتنا العثمانية يومئذ ثالث دولة في قوتها البحرية .

ان الفنون الحربية قد طرأ عليها تحول جديد واخترعت بها الات جديدة . وموضع بحثنا الان « الاساطيل الهوائية » تلك الاساطيل التي يهتم الان لانشائها اعظم قواد الجيوش . وكل امة تضحي اليوم اشياء كثيرة لتعلن سطوتها وعظمتها في الهواء ، بهذه الوسائل الحربية الجديدة . وبعد شهرين فقط سيكون لدى فرنسا اسطول هوائي مؤلف من ثلاثمائة وخمسين طيارة . وكذلك الدول الاخرى ، فانها تبذل كل مرتخص وغال لتقوية أساطيلها الهوائية. حتى ان جيراننا اليونان والبلغار واهالي رومانيا قد سلكت حكوماتهم هذا الطريق .

ولكن ماذا نحن نفعل الان ؟ وماذا حاولنا أن نفعل ؟

قرأنا قبل الان في الصحف الافرنجية ان حكومتنا تحاول ارسال طيارات الى المعسكرات العثمانية في طرابلس الغرب . وان نظارة حربيتنا قررت تأسيس محطة

للطيارات ، وجلبت من اوروبا طيارتين . ولكن هل من الجائز ان ننتظر اسطولنا الهوائي من ميزانيتنا العادية ، وهل سنبقى متأنين الى ان تسبقنا الدول الاخرى ، او بالاحرى ، الى ان تسبقنا الدول الصغرى ؟

ذلك ما لا اريد ان اصدقه . اذ من الذي يعرف قدر الطيارات اذا نحن لم نعرفه ، ونحن الذين استُعْمِل هذا السلاح الجديد لاول مرة في مقاومتنا ومقاتلتنا ؟

بهذه الطيارات قد اكتشف اعداؤنا الايطاليون مواقعنا الحربية مرات متعددة . ومن هذه الطيارات كانوا يرمون ابطالنا بالقذائف والقنابل . وبهذه الطيارات حاولوا الوصول الى المجاهدين العرب ، لينثروا عليهم ما طبعوه من السخافة والهذيان ، ظانين انها تجديهم نفعا في تحويل العرب اليهم ، وبالجملة فان الحرب الطرابلسية قد برهنت لنا على أهمية الطيارات ، وانما كانت الاضرار التي لحقتنا من طيارات الايطاليين قليلة ، لان المحيط والاقليم لم يساعدا العدو على ما اراد . ومما لا ريب فيه انه لو كان لدى المعسكرات العثمانية في طرابلس طيارات لألحقنا بالعدو اضرارا كبيرة . لان ابطالنا كانوا دائما مهاجمين والعدو يكتفي بالدفاع عن مواقعه . فـإذا كانت اهمية الطيارات في الحرب المستقبلة عظيمة ، فلماذا نحن نتهاون بهذا المقدار في امر العناية بها والاستفادة منها . اليس تأخرنا في انشائها خطأ كبيرا .

اشتركت في فرنسا أخيرا بضع جرائد لتحويل انظار الامة الى هذا الامر المهم . ومع ان فرنسا هي أقوى الامم سفناً هوائية ، فقد افتتحوا دفاتر الاكتتاب ليزيدوا هذه القوة . وتبعت الجرائد الفرنسوية الصغرى حتى في القرى الجرائد الكبيرة التي فتحت هذا الباب ، واختصوا اعانات الامة للطيارات بأعمدة مستقلة عن تلك الجرائد . وقد اطلعنا على صحف باريس التي جاءتنا امس فرأينا الاعانات في هذا السبيل بلغت ١١٠٢٤٢٦ فرنكا . وكل الاهالي يشتركون في هذا العمل الوطني بشوق واقبال . والمجالس البلدية اخرجت من ميزانيتها مبالغ لانشاء الطيارات . وانتشرت روح غريبة في المصانع والمزارع والمتاجر والجيش والاسطول والمدارس وكل طبقات الامة الفرنسوية . وفي كل يوم تعقد الحفلات ، وتلقى المحاضرات من اجل الاسطول الهوائي . وما من مدينة او بلدة أو قرية الا ويحاول أهلها أن يحيوا اسمها بتشييد طيارة او جزء من طيارة . وقد قالت أحدى الصحف الفرنسية « نحن الان امام سيل هائل من الغيرة والحمية » .

ولقد كان لهذه النهضة الوطنية الفرنسوية تأثير عظيم في البلاد الاخرى ، خصوصا في المانيا ، وفي صحف البريد الاخيرة ان الالمان ألفوا لجنة للشروع في تقوية الطيارات الالمانية بجد واهتمام .

انا اكتب هذه المقالة اجابة لطلب خاص من صبي وطني غيور لا يتجاوز سنه الخامسة عشرة . فقد اطلع هذا العثماني في صحف باريس على نهضة الفرنسيويين ، وقال بعاطفة خاصة بالذين في سنه :

ـ هل نحن لا نعمل شيئا ؟

وانا ايضا اوجه هذا السؤال الى حضرات القراء :

هل نحن لا نعمل شيئا . وهل نبقى في موقف المتفرجين على الدول المنهمكة بانشاء الاساطيل الهوائية ؟

وفي ظني ان توجيه هذا السؤال على اصحاب الغيرة والوطنية كاف لتحريك هممهم ، واضرام نار حميتهم . فان السلطنة العثمانية في حاجة الى نهضة ابنائها لانشاء أسطول هوائي . ولا ريب ان الغيرة التي تجلت في اعانة الاسطول العثماني البحري . سوف تتجلى ايضا في انشاء اسطول عثماني هوائي ، تلك الغيرة التي أهدت الى السلطنة اربع سفن مقاومة للطربيد ، وغواصتين مدرعتين ، وسفينة نقالة كبرى . مع ان المدرعات والسفن المقاومة للطربيد والنقالات يتوقف الحصول عليها على الوف الجنيهات . اما الطيارات فثمن الواحدة منها ثمانمائة جنيه او تسعمائة . والحصول على اسطول منها اسهل من الحصول على اسطول بحري . في ظني ان الامة العثمانية اذا نهضت للعناية بهذا الأمر لا تمضي ستة اشهر حتى يكون لديها اسطول فيه ستون طيارة . وفي امكان اهل كل لواء او كل قضاء او ارباب كل مهنة ، ان ينشئوا طيارة باسمهم وعلى نفقتهم . ويكون لنا بذلك سلوة عن همومنا . وحسن ان تسمى الطيارات الاولى بأسماء نشأت وفتحي وانور والسيد السنوسي ، وابطال العرب المحترمين . واذا لم يكن في امكاننا ان نشاركهم في غزوتهم ، فلنشترك على الاقل في تخليد اسمهم .

لست أدري اذا كانت جمعية اعانة الاسطول العثماني تقوم مؤقتاً بوظيفة جمع الاعانة للاسطول الهوائي في مدة ستة أو سبعة شهور . فاذا كانت ترضى بتعهد هذا الامر الاهم ، كان ذلك تسهيلا للتدرج فيه . اما اذا ارادت هذه الجمعية ان تنصرف الى خدمة البحري فقط فان في الامكان تأليف جمعية جديدة ، بشرط أن ينخرط في سلكها بعض اعضاء جمعية اعانة الاسطول . ومهما كانت الحال فان الواجب يحتم علينا ان ننشىء بالاعانة الوطنية اسطولا هوائيا ، اذ الحروب المستقبلة سيكون للطيارات فيها الدور المهم والمكان العالي .

الحاجة متحققة . والامكان موجود . ولم يبق علينا الا بذل الهمم . ونحن على يقين من ان كل عثماني سوف يبذل همته لتحقيق هذا المشروع في مثل هذا الزمان الذي صارت فيه السياسة العامة في مأزق ضيق . ورجاؤنا الى صحف العاصمة وصحف الولايات ان تنهج منهج الصحف الفرنسوية في التآزر على اخراج هذه الفكرة الى حيّز الحقائق . الهمة الهمة . السرعة السرعة . فالوقت ضيق ، وكل يوم يمضي لا يمكن ارجاعه .

* * *

نقضي الواجب ولو لقينا المصاعب[1]

اذا كان من اماني المرء ان يعيش وادعا لا يلاقي صدمة ، ولا يعاني مشقة ، فسبيله ان يخزن بنات فكره ، وان يخفي هواجس صدره ، لئلا يصادف رأيه او عمله بعض الناقمين ، سواء كان ذلك خطأ او صوابا .

لكن الانسان الذي يفهم معنى وجوده ، ويقدر قيمة كيانه ، يجد في نفسه حاديا باطنيا يحفزه الى التفكير والعمل ، فيما يرجو من ورائه جميل العقبى لنفسه او لوطنه او للمجتمع الانساني بأسره .

على انه من المعلوم ان كل رأي عرضة للمخالفة ، وكل صنيع دريئة للمعارضة ، وقلما يقع الاجماع على استحسان شيء الا بعد معالجة الاختلاف عليه بالبحث والتمحيص وحمل العقول على قبوله بالجدل والاقناع .

ولذلك فلا تعجب من ان يكون بعض العثمانيين ، بل بعض ابناء العرب انفسهم ناعين علينا خطتنا في المطالبة بحقوق العرب على الوجه الذي يشاهدونه ، ظنا منهم ان الخطة المذكورة قد تؤدي الى إلحـاق بعض الضرر بالمصلحة العمومية .

على اننا نحن نرى عكس ذلك . وقد زادتنا الحوادث العثمانية الجارية ثباتا على خطتنا هذه ، واي برهان على صوابية رأينا اعظم من كون الوزارة الجديدة قد جنحت جنوحا تاما الى تصريف السياسة على ما هو مطابق لخطتنا ، وهي الوزارة المؤلفة من اعظم اساطين السياسة ، واوسع رجال المملكة خبرة فيها ، وفوق ذلك ان اغلب ابناء المملكة لا العرب وحدهم قد اصبحوا يعتدون هذه الخطة من اخص وسائل النجاح .

فإذا كان لم يزل بعض ابناء المملكة ، ومنهم الاتحاديون، يخالفون في رأيهم هذه الطريقة ، فاننا نؤمل ان مخلصي النية من هذا الجمهور ، لا يلبثون امدا طويلا حتى يتركوا خلافهم هذا ، ويرجعوا الى مثل رأينا . اما اصحاب الاغراض الشخصية والاحقاد النفسية فاولئك لا سبيل الى اقناعهم ولا حاجة اليه .

وبناء على ما تقدم نحن مثابرون على خطتنا ، ومستعدون لأن نقاسي كل مشقة في سبيلها ، وسيعلم جميع كرام الامة بعد قليل او كثير من الزمن ، ان خطتنا هذه رشيدة ، وغايتنا حميدة والله عليم بما تجن الضمائر .

* * *

---

(١) الفتى العربي العدد ١ ـ١٠٨٦ ، ٢٨ ايلول ١٩١٢ .

حسن التفاهم[1]

كثر التحدث في هذه الآونة عن حسن التفاهم ووجوبه بين العرب الترك . ولما كان هذا الموضوع من اهم الموضوعات الحيوية للبلاد ، خصوصا بعدما حل بها من المصائب والكوارث ، التي جلها ان لم نقل كلها ، ناجم من سوء التفاهم الذي استحكمت حلقاته بين من تخصصوا للحكم والشعوب المنصوبة تحت راية الهلال ، رأينا ان نقول كلمة فيه ، علها تفيد ولا تذهب صرخة في واد ...

من المعلوم أن حسن التفاهم بين الشعوب له شروط اساسية ، لا يتم ، لا يكون ثابتا ، الا اذا ارتكز عليها . ومن اهم هذه الشروط ان يعلم كل شعب حقوقه وواجباته نحو الشعوب الاخرى التي يعايشها . واهم من ذلك في عرفنا ان يعرف درجة ترقي تلك الشعوب ، ومبلغ فهم وادراك النبغاء منها ، ليتسنى له مخاطبتهم على قدر عقولهم . وبالتالي التفاهم واياهم على طريقة السير سوية في معارج الحياة .

جئنا بهذه المقدمة توطئة للموضوع الذي افتتحنا به مقالنا ، وهو حسن التفاهم بين العرب والترك . او بالاحرى بين العرب ورجال الاستانة .

ليس من ينكر ان سوء التفاهم بين العرب ورجال الاستانة موجود من أمد بعيد . ولذلك اسباب متى علمناها ، سهل علينا اجتنابها ، اذا حسنت نياتنا ، وصفت قلوبنا .

لا نبحث هنا في امر الحقوق والواجبات ، فذلك معلوم بالبداهة وان كان مكتوما . وانما هناك امر آخر لا بد من ذكره ، وهو ان رجال الاستانة ما زالوا يخاطبون العرب كما كانوا يخاطبونهم من مئتي سنة ، اي حينما كان الجهل مخيما فوق ربوعهم . وبعبارة اوضح ان سياستهم مع العرب لم تتغير منذ قرنين بتغير الزمان والحال ، مع ان العرب ونعني بهم المتحضرين منهم ، بلغوا درجة وافية من العلم والتمدن بالنسبة الى باقي العناصر المتكونة منها السلطنة العثمانية ، فصار من المتحتم والحالة هذه على رجال الاستانة ان يحلوهم المحل اللائق بهم ، ويخاطبوهم بما يوافق درجة فهمهم وترقيهم ، وان يتخذوا في مخاطبتهم طرق الاقناع بالدليل والبرهان لا بالقوة والمماحكة ، وان لا يحاولوا معهم استعمال السياسة الغامضة والمعميات والاساليب ذات التأويلين والالفاظ ذات المعنيين ، فان ذلك كله قد مضى زمنه ، ولم يعد يمكن حسن التفاهم عن تلك الطريق .

اما الذي نستغربه ، وايم الحق ، هو مثابرة رجال الاستانة حتى الآن على هذه السياسة التي فصلناها آنفا ، بالرغم مما يشاهدونه في كل يوم من آثار ترقي العرب في بلادهم ومهاجرهم ، مما يجعلنا بين امرين : اما ان نظن بهم الجهل وعدم وقوفهم على حقيقة حال الاقوام التي يعايشونها ، واما ان نعتقد بهم سمو المدارك والمعرفة التامة لشؤون تلك الاقوام . فان كان الامر الاول ، وجب عليهم ان يتخذوا لهم ممن سبقهم في العلم ادلاء

---

(١) المفيد ، العدد (١٣٤٥) ٥ آب ١٩١٣ .

يدلونهم على الطرق التي سلكها غيرهم من الامم الراقية المتشعبة العناصر ، ليسكلوها ، وليس في ذلك شيء من العار او الغضاضة .

وان كان الامر الثاني ، زادنا ذلك استغرابا منهم . ولا نكتمهم انه اذا وجد من يعذرهم على الامر الأول ، لن يوجد من يعذرهم على الأمر الثاني ، اذ كيف يعذر عالم او عاقل اذا لم يعمل بعلمه وعقله في الشؤون التي انتدب نفسه للقيام بها .

نحن لا نطلب منكم يا رجال الاستانة ما هو فوق وسعكم ، لأننا عالمون بما تستطيعون عمله ، وبما لا تستطيعون . وعلى ذلك بنيت اللائحة الاصلاحية البيروتية التي استصوبها العقلاء والنبهاء من العناصر العثمانية والامم الاوروبية ، وكتبوا عنها الفصول الطوال ، واثنوا على واضعيها لتعقلهم واعتدالهم وتمسكهم بالحقائق دون الخيال .

فان احببتم ان تتفاهموا وايانا ـ ولا نشك بأنكم تحبون كما نحب ذلك ـ انبذوا التقاليد القديمة ، ودعوا جانبا الغموض والوعود العرقوبية في سياستكم الداخلية ، ومدوا لنا يدكم على طولها بلا تردد ولا تخوف ، لنصافحكم مصافحة الاخاء والولاء ، ونسير سوية والقلوب متعانقة للنهوض بهذا الوطن البائس الذي اقل تباعد بيننا يعرضه للاخطار لا سمح الله . واعلموا ان العرب اخلص من كثيرين بينكم للعرش العثماني ، وهم لا يطلبون الا حاجة يتعزز بها هذا العرش المحبوب ، والله بالنيات عليم .

* * *

المكسيك كيف تفعل الشعوب[1]

علم القراء بما فصلناه قبل اليوم كيف ان الحزب الدستوري الذي يرأسه فيللا قد انضم الى حزب هويرته رئيس الجمهورية ، لما اعلنت الولايات المتحدة الحرب على المكسيك . وكيف سكنت ثائرة الثورة بين العدوين الالدين ، لما هوجمت الوطنية وطعنت الجنسية .

وقد علمنا اليوم ان الولايات المتحدة لما احتلت فراقروز احد المرافيء الشهيرة قد تسلح خمسة الاف امرأة من مريدات الحزب الدستوري ، وانضممن الى الجيش الوطني ، فأكرمْ بهذه الوطنية ، واكرم بالنساء وبالرجال الذين يعرفون معنى الوطنية ، ويتناسون الأحقاد الداخلية عند تهجم العدو القريب .

احتلت الولايات المتحدة فراقروز وتمبيكو دون ان تبدي اوروبة او تعيد ، عملا بقاعدة مونرو . ولكن بقية الجمهوريات الاميركية ارادت شفقة على استقلال جيرانها ، او بالحرى خوفا من تزايد ونمو الولايات المتحدة ان تتدخل بين المتخاصمين ، فاجتمعت جمهوريات

---

(١) فتى العرب ١٢٤ ـ ١٥٥٨ ٩ ايار ١٩١٤ .

البرازيل والارجنتين وشيلي ، وقدمت وساطتها لدى الفريقين . فقبل الطلب .

لماذا قدمت الجمهوريات الثلاث تلك الوساطة ؟ ولماذا قبلها ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة بكل ارتياح ؟ بعد ان اعلن ما اعلن .

ان تلك الجمهوريات قدمت الوساطة لامر معنوي ومادي ، معنوي لأن هذه هي اول مرة دخلت في مسرح السياسة الدولية بصفتها عاملا للسلم العام ، الذي لاينشده الا ذوو العواطف الكبيرة من الدول العظمى كما يقولون .... فعملها هذا مما يجعل لها مكانة اوروبية لدى الدول ، ان كان في الامور السياسية يتوخى الساسة تلك المكانات ....

اما الامر المادي الذي دفع تلك الجمهوريات الى هذه الوساطة ، فهو ان هذه الجمهوريات راضخة بقاعدة مؤنرو تحت رعاية الولايات المتحدة . فظهورها بمظهر الوسيط مما يجعل منزلتها متساوية مع الولايات المتحدة من وجهة المسائل الدولية ، وانها ليست من ثم تحت رعايتها ، بل هي مستقلة كل الاستقلال ، ومكانتها تخولها ان تكون بمنزلة القرين المماثل . وهذا الامر لا يخرج عن كونه ادبيا . ولكن يجر وراءه امرا ماديا كبيرا ، وهو ان تلك الجمهوريات قد ارادت التوسط ابقاء للمكسيك ، لانها اذا زالت على يد الولايات المتحدة ، كبرت هذه وتعاظمت . ومتى كان الامر كذلك ، تهجمت بعد حين على ازالة غيرها من الجمهوريات الامريكية ، فالوساطة كانت لامر معنوي ومادي .

ولكن الرئيس ويلسون ليس بالغبي البعيد عن فهم هذه الدقائق ، فكيف قد تقبل هذه الوساطة بكل ارتياح .

نعم ان ويلسون خبير قدير ، ولكنه قد تقبلها مكرها . والسبب في ذلك هو اتحاد كلمة المكسيك من اول قطر الى آخر قطر ازاء العدو الجديد . وعليه فقد انقلب الوجه الذي كان يراه الرئيس ويلسون .

كان يرى انه يؤيد الحزب الدستوري ، وان الحزب الدستوري يقضي على حزب هويرته ، فقليل من المظاهرة البحرية تشجع الحزب الدستوري ، فيقدم على استئصال ذلك الحزب المعاكس لآمال الولايات المتحدة المالية ، ويتم الفوز للحزب الذي ينتظر منه الرئيس ويلسون تلك العوائد الاقتصادية الجمة .

ولكن الوطنية فوق كل حساب . فقد قطعت كل اسباب العداء ، واجتمعت كلمة المختلفين ، فرأى الرئيس ويلسون انه قد اصبح امام قوة تجر الى ويل كبير ، لا سيما ان المانيا قد تنتظر فرصة لاخفاق الولايات المتحدة ، حتى تنال ما تشتهي من عقد المعاهدات التجارية ، وان اليابان تتحين الوقت لمهاجمة الولايات المتحدة من اجل احتلال جزر الفلبين .

امام هذه الصعوبات الخارجية والحربية رأى ويلسون انه من السهل والحكمة والمصلحة قبول وساطة الجمهوريات التي يصيبها ما يصيب المكسيك ، فيما اذا ساعدت الاحوال ، لأن منزلتها ومنزلة المكسيك سواء في نظر الرئيس .

هذا ما كان من امر الامة المكسيكية . فاكرم بالذين يعرفون معنى الجنسية ، ومعنى

الوطنية ، وذلك ما كان من جمهوريات اميركا الجنوبية . فاكرم بالرجال الذين يعرفون كيف يستفيدون من حوادث الدهر ، فيعززون مكانتهم ، ويدفعون خطر المستقبل ، وذلك ما كان من رئيس الولايات المتحدة . فانعم بالعقل الذي يستدرك صعوبات المستقبل ، فيتقبل جرح نفسه دون ان يتهور ، ويجرح الملايين من امته اكراما لعواطفه الحساسة من ان تمس .

اما ما كان من اوروبة فانها قد استبشرت وتلقت تلك الوساطة بمزيد الارتياح ، لأن فيها جرحا لقاعدة مونرو ، ونشوءا جديداً في اميركا ينهض لمنزلة الولأيات المتحدة ، ويكون في المستقبل اداة مناهضة تعرقل عجرفة الولايات المتحدة ازاء المصالح الاوروبية .

هذه لوحة صغيرة يقرأ فيها القارىء كيف تنقلب المصالح ، وكيف تتغير الخطوط ، وكيف يستحكم العقل في كل الحوادث الدولية الحاضرة ، بعد ان كانت كل الحروب تطير مع شرارة العواطف .

* * *

جمعية يقظة الفتاة العربية[1]

كما نقرأ من حين الى حين اقوال فتياتنا المنتشرة في الصحف فنتوسم خيرا من جنوحهن الى المطالبة بحق الحياة وخـص بعضهن بعضا على النهوض وتمزيق الغشاوة التي اسدلتها على بصائرهن الاحقاب الغابرة .

تلك الاقوال وان لم يكن جلها يتعدى حد التشويق واستثارة العواطف دون اماطة اللثام عن الخطة الموصلة الى الغاية ، غير ان مجرد بلوغهن حرية الجهر بآرائهن هو في نظر العقلاء خطوة شاسعة خطونها في سبيل التقدم .

لا يجهل احد ان المرأة العربية المسلمة كانت قبل سنوات لا تستطيع التكلم الا همسا وكان التصريح باسمها يعد فضيحة وعارا . كنا اذا دعا داع منا الى الرفق بالنساء والتخفيف من قيودهن انهالت عليه عبارات التأنيب من كل صوب وثارت بوجهه ثائرة الغلاة المتعصبين وبسطاء العامة المنقادين لهم فيضطر الى النكوص والاضراب عن دعوته وقد باء بالفشل وتهمة النشوز عن الدين .

فلم يسعنا ان نمر عن هذا البيان المجمل دون امعان وتدبر ، فأول ما استلفت نظرنا ان المؤسسات الفاضلات لايقفن عند حد السعي في اعلاء شأن النساء لمجرد انهن نساء بل يرمين الى غاية قومية نبيلة ولا ريب بأن نصف مجموع الامة الذي كان بالامس قعدا اذا نال قسطه من الحياة فانبرى لمؤازرة النصف الآخر كان من تضافرهما قوة عظيمة تسرع الخطو

---

(١) فتى العرب ١٤٢ ـ ١٥٧٦ ٣٠ ايار سنة ١٩١٤ .

وتقرب البعيد في انتشال الامة ورفع منارها .

واما حصر الجمعية غايتها بترقية الفتيات العربيات المسلمات فالذي نراه ان ذلك لم يكن ناشئا عن تعصب ديني لا يسوغ لنا أن نرتقبه من جمعية سمت بآمالها الى احياء الامة العربية المختلفة وان العصر الحاضر عصر قيام الجماعات على اسس القومية دون تفريق في الدين والمذهب . فالذي نكاد نجزم به هو ان الجمعية شاهدت انحطاط المرأة المسلمة عن اخواتها من نساء الاديان الاخرى فحصرت غايتها في ترقية الاولى حتى تبلغ درجتهن ويتوفر بذلك التماثل والتوازن ، المطلوب بين اقسام كل امة وجامعة . فيصبح اذ ذاك نساء العرب جميعهن في مستوى واحد من حيث العلم والتمدن ويرتفع التفاوت الذي ينتج عنه التضاد والتحاسد ومن ثم تفرق الكلمة والاضمحلال .

فالسعي في اعلاء شأن الفتاة العربية المسلمة امر واجب على المسيحيات بقدر ما هو واجب على المسلمات ما دامت الغاية واحدة والمساعي كلها متجهة نحو النهوض العام .

لنرجع الى الخطة التي تسير الجمعية عليها وهي تعليم الفتيات في المدارس الراقية على نفقتها بشرط ان يعلمن بعد خروجهن في المدارس العربية . نعم الخطة هذه ولكننا نرى الحصول على نتائجها امرا يستلزم الانتظار زمنا طويلا في حين ان احتياجنا الى تنوير مدارك المرأة احتياج عاجل مبرم . لذلك نرى ان تضيف الجمعية الى عملها هذا اعمالا اخرى منها القاء المحاضرات العامة على بنات جنسهن في التربية البدنية والعقلية وتدبير المنزل وبث روح الوطنية العربية في نفوسهن وتزييف العادات المستهجنة امام انظارهن وهنالك مشروع اقتصادي لا نرى بدا للجمعية الكريمة من ان تتوسل في تحقيقه وهو السعي في ترويج المصنوعات الوطنية كما تفعل الجمعيات النسائية التركية في الاستانة والعربية في القاهرة .

هذا بحث طويل يضيق عنه المقام فنكتفي الآن بالالماع اليه وسنعود اليه في عدد آخر .

* * *

سياسة رومانيا
ـ قبل وفاة الملك وبعده ـ[1]

نقلت الينا البرقيات خبر وفاة « كارول » ملك رومانيا ، الذي قضى ايامه الاخيرة وهو مريض لا يغادر فراشه . وقد قلقت سرائر الذين يتبعون مجرى سياسة هذه الدولة ، ويعلمون ما كان للمتوفى من التأثير في استبقائها على الحياد ، وردع المندفعين من زعماء بعض الاحزاب عن ميلهم الى الحرب . فهل تبقى رومانيا على حيادها في عهد الملك الجديد ، ويحتفظ

(١) المفيد ١٤ آب سنة ١٩١٤ العدد ١٦٧٩ .

الخلف بخطة سلفه ؟ ام يقذف به تيار الهائجين الى خوض غمار الوغى ؟

نرى قبل الاجابة على هذا السؤال ان نثبت هنا ما حدث قبيل وفاة الملك كارول . فقد ذكر مخابر « تصفير افكار » في بخارست ، ان السبب في عدول رومانيا عن خطتها الاولى ، خطة التذبذب والتقلب وافساح المجال لاعمال المتمايلين الى الحرب ، وفي ترخيصها قسما من جنودها بزعم انهم تركوا ليقوموا بالاعمال الزراعية ، هو ما يأتي :

من المعلوم ان المانيا كانت قد استدعت سفيرها في بخارست ، وعينت وكيلاً له الموسيو بوشنو . وعند ما وصل هذا الوكيل الى بخارست ، سار مستعجلا الى دار رئيس الوزارة ، فقابله وأبلغه بلاغات شديدة ، وذلك قبل ان يقدم ورقة اعتماده الى الملك ، وقبل ان يتبادل الزيارة مع الوزراء ، حسب القواعد المرعية .

وقد طلب السفير في هذا الاجتماع من رئيس الوزارة ان يصارحه بالخطة السياسية التي تسير عليها رومانيا ، وان يكشف النقاب عن الابهام في موقفها تجاه المانيا . فاذا كانت تضمر لها العداء ، فلا لزوم لتقديم ورقة الاعتماد ، بل شأنه ان يعود ، اذ ذاك من حيث أتى . وزاد السفير على ما تقدم انه ينتظر الجواب القطعي خلال اربع وعشرين ساعة ، يقضيها في نزل بولوف . فاذا انقضت هذه المدة ، ولم يتناول الجواب ، او لم يكن الجواب مقنعا ، عندئذ يشد رحاله ويسافر . وفوق ذلك فقد هدد السفير حكومة رومانيا بقوله : ان المانيا ستخط خطتها حالا بالنظر لهذا الجواب .

وعليه رأت الوزارة أنه لم يعد في الامكان تأجيل تعيين الخطة ، الى ان ينعقد المجلس العام برئاسة الملك ، فقررت اجابة السفير بجواب موافق ومقنع ، وأطلقت قسما من جندها تأكيدا لصدق عزمها على الحياد .

تبين مما أتى به مخابر تصفير افكار ان رومانيا انما أقلعت عن ترددها السابق في تعيين خطتها ، بعد ما رأت نفسها مكرهة على أن التعيين العاجل بالحياد اسلم عاقبة ، فاجابت السفير بما يلائم مصلحة حكومته المتبوعة . وقد وافق الوزارة على رأيها هذا رئيس المحافظين الموسيو « مار كيلومان » باسم حزبه ، ورئيس الديموقراطيين الموسيو « تاكيونسقو » باسم حزبه ايضا ، واتفقوا جميعهم على انه لا لزوم لنكول رومانيا عن خطتها الاولى ، خطة الحياد والمسالمة . وصرح احد اركان حزب الاحرار ورئيس الوزارة سابقا بقوله : « ينبغي للرومانيين ان يكونوا رومانيين فقط . فاذا انصرفوا الى السعي لحساب غيرهم كانوا انما يعرضون رومانيا لمحو اسمها من خريطة العالم » .

هذا ما كان في اواخر ايام الملك كارول . اما ولي العهد ـ الذي اصبح اليوم ملكا ـ فقد كان طرد الذين يعملون على تنفيذ رغائب روسيا في اقناع الملك كارول بالتنازل عن العرش الى ولي عهده ، عسى ان تكون سياسته ملائمة لاهوائهم ، ومتمايلة نحو دول الاتفاق الثلاثي . وصرح بأنه لا يقبل التاج اذا اضطر هؤلاء السماسرة الملك الى التخلي عن العرش بما يأتون به من الدسائس .

يتضح من ذلك ان كارول وولي عهده كانا متفقين على الخطة ، فلا يخشى من ان ينتقض الملك الجديد عن مبدأ الأول بعد تسلمه العرش . فالمظهر الذي ظهرت به الوزارة تجاه السفير الالماني ، والتصريح الذي فاه به ولي العهد امس والملك اليوم ، يدعونا الى التأميل بأن رومانيا ستحتفظ بقرارها الأخير زمنا طويلا ، اذا لم نقل بأنها ستظل على الحياد حتى نهاية هذه الحرب التي يحاذر العاقل ان تزل فيها قدمه ، فلا يعود يلقى سبيلا للنجاة من مهالكها واهوالها .

* * *

فرنسا وسياستها في الحرب[1]

ظلت فرنسا ، بعد مرور خمسة وعشرين عاما على تأسيس الجمهورية الثالثة ، سائرة على سياسة « حفظ التوازن » في امورها الخارجية . ويمكننا تعريف هذه السياسة بالجملة الآتية : تجري المصلحة في كل مسألة بشرط ادامة السلم . فهذه السياسة التي رسمها « جول فاري » واخلافه ، ونالوا بها لفرنسا خيرا عميما ، لم تكن تحول دون التداخل حتى مع المانيا الد اعدائها . واذا استثنينا قضية فاس يمكننا عندئذ ان نعترف بأن فرنسا نجحت ، بجنوحها الى هذه السياسة ، في جميع ما قامت به من المشاريع الخارجية .

ولكن بعدما تطرق الخلل الى اتفاق الامبراطرة الثلاثة رأى الساسة ان بقاء فرنسا منفردة قد يجلب عليها الويل من جانب المانيا . لذلك انعقد الاتفاق بينها وبين روسيا في قرونشتاد بتاريخ ٢٧ آب عام ١٨٩٧ . وكان ذلك على اثر سياحة رئيس الجمهورية « فليكس فور » الى تلك الانحاء . والذي بذل جهد المستطاع في عقد هذا الاتفاق هو الموسيو « هانوتو » الذي كان يعتبره اتفاقا تدافعيا ، ويوصي رجال فرنسا بأن لا يعدلوا عن سياسة « الموازنة » الآنف بيانها .

واما المسيو دلكاسه ، الذي تولى نظارة الخارجية سنة ١٨٩٨ ، فقد قلب هذه السياسة ظهرا على عقب ، وعمد الى نيل الفوز الذي ناله هانوتو ، بتقوية عرى الاتفاق بين فرنسا والدول العظمى . ولم يبال بما تتحمله فرنسا من كبير المسؤولية في هذه الاتفاقات . فعقد على هذا الاساس الاتفاق الفرنساوي ـ الانكليزي سنة ١٩٠٤ وبذل مسعاه حتى وفق بين انكلترا وروسيا ايضا سنة ١٩٠٧ وفقا لخطته الجديدة في السياسة .

واما الامبراطور ويلهلم ، الذي كان مطلعا على روح سياسة دلكاسه ، فقد ارسل كتابا سريا الى رئيس الجمهورية يطلب فيه اسقاط دلكاسه من وزارة الخارجية . فتم للامبراطور ما تمنى ، وظل هذا الوزير بضع سنوات بعيدا عن العمل . ولكن القائلين بقوله والمتمايلين الى

---

(١) فتى العرب ، العدد ٢١٦ ـ ١٦٥٠ ١٠ ايلول سنة ١٩١٤ .

سياسته كان عددهم يزداد يوما فيوما . لذلك عاد دلكاسه فشغل مناصب عديدة ، غير وزارة الخارجية ، وظل الى عهد قريب سفيرا لفرنسا في بترسبورغ .

كان الالمانيون يعتقدون بأن سياسة دلكاسه انما ترمي الى اعداد المعدات لمحاربتهم . ويغلب الظن بأن سفارته في بترسبورغ كانت من أقوى دواعي الحرب الحاضرة على ما رواه « د . ك » رئيس تحرير صباح الذي نعرب عنه هذا المقال . وعلى كل فالعلائق اخذت تتوتر بين فرنسا والمانيا منذ عدلت الاولى عن سياسة « التوازن » الى سياسة « الجرأة والقوة » .

حدثت واقعة « اغادير » ، وعقبتها مسألة فاس ، وكادت الحرب تنشب بين الكتلتين السياسيتين ـ الاتفاق والائتلاف ـ لولا ان كبحت من جماحها الحادثات . وتلا ذلك حرب البلقان ، فازداد بها الحنق بين الفريقين ، واخيرا كان من نتائج الحرب البلقانية وازدياد عبث الصربيين في البوسنة ، ان نشبت الحرب العامة . ولو لم يكن الاتفاق المثلث موجودا ، وكانت فرنسا لا تزال سائرة على سياسة التوازن ، وانكلترا تعمل منفردة ، لكان من المحتمل ان لا يتسرب كثير من الاعمال في هذه المسالك الحرجة ، وان تنحل جميع المشاكل بالطريقة السياسية ، دون ان تمس الحاجة الى نشوب الحرب العامة .

اذا امعنا النظر في هذه المقدمات ، يسهل علينا ان ندرك الغاية من التبدل الذي حصل اخيرا في الوزارة الفرنساوية . فعودة دلكاسه الى الوزارة ، أحيا سياسته السابقة فيها ، تلك السياسة التي توصي فرنسا بأن لا تتطلب سلامة لنفسها خارج الاتفاق الثلاثي . وتشكل الوزارة الجديدة يدل على ان الحرب ستستمر زمنا مديدا . ومع ان الاندحارات الاخيرة القت فرنسا في خطر الهلكة ، فان الفرنساويين لم يفتأوا يصرحون بأنهم سيوالون الحرب حتى تنفذ آخر قنبلة من قنابلهم ، وتراق آخر قطرة من دمائهم .

واما الغاية التي يرمي اليها الفريقان في مدة الحرب فهي .

الاتفاق الثلاثي يحاول تمديد الحرب ليتسنى له استجماع قواه .

المانيا والنمسا تتوخيان انجاز الحرب بما يمكنهما من السرعة .

ولكن كلتا الخطتين لا تتجاوزان حد الامل والتمني . فالنتيجة انما تقررها الوقائع التي دلت حتى اليوم على ان خطة الائتلاف يغلب الظن برجحانها على خطة الاتفاق .

***

يوم المهرجان الكبير بالغاء الامتيازات الاجنبية[1]

حق لكل عثماني ان يبتسم بعد طول عبوس ، وترتاح سريرته من اضطراب مئات من

---

(١) فتى العرب العدد ٢١٧ ـ ١٦٥١ ١١ ايلول سنة ١٩١٤

السنين . كان العثماني بالامس مستعبداً فأصبح اليوم حرا . كان بالامس رهن السلاسل والقيود ، فاصبح اليوم طليقاً ، كان بالامس يئن تحت عبء الامتيازات الاجنبية الثقيل ، فألقاه اليوم عن عاتقه ، فجدير به ان يظهر بمظهر البشر والسرور .

في منتصف ليلة اول امس وافتنا هذه البشرى على لسان البرق ، فايقظت الهاجع ونبهت الغافل ، وتجمهر الناس زرافات زرافات ، يرددون الحمد لله ، ويرفعون عقيرتهم بالاناشيد الوطنية ، حتى استوى عندهم الليل والنهار . ولم يكد ينبلج الصبح حتى رفعت احياء بيروت اعلامها الوطنية ، وسار كل حي بموكبه ، تحف به المهابة والاجلال ، الى امام دار الحكومة ، حيث اعربوا لحضرة الوالي عن ارتياحهم الى هذا القرار ، وافصحوا بمظاهرتهم هذه عن انهم يوطنون الانفس على اراقة اخر قطرة من دمائهم في سبيل انفاذه .

والذي يملأ القلب غبطة وارتياحا ان جميع افراد الشعب ، غنيهم وفقيرهم ، صغيرهم وكبيرهم ، على اختلاف الاديان والمذاهب والمعتقدات والمنازع ، كلهم اشتركوا بهذا المهرجان العام ، فكنت ترى السيدات المسلمات والمسيحيات يرششن ماء الزهر من النوافذ على المواكب المارة في الشوارع . ولا غرو فجميع افراد الامة شركاء في السراء والضراء ، ولا سيما في هذا الامر العظيم ، اذ كانوا بالامس جميعا اسرى ، فاصبحوا اليوم طلقاء .

كان الناس بالامس يتساءلون عن السبب الذي تتكبد الحكومة من أجله مصاعب التجنيد العام ، ولطالما ذهبوا في الظنون كل مذهب ، واوغلوا في ظلمات التشاؤم الحالكة ، حتى بدت اليوم طلائع النتائج المنتظرة بالغاء الامتيازات الاجنبية ، فابتسمت الثغور ، وانشرحت الصدور ، وكأني بقومي جميعا قد عقدوا الخناصر فيما بينهم على تذليل كل صعب في هذا السبيل ، اذ أصبحت المسألة مسألة موت دائم أو بعث خالد ، ولن تمن الايام بأجمل من هذه الفرصة التي خاب من لا يختلسها وضاع ، وضيّع من لا يستفيد منها في اعتلاء مدارج الحياة ، حياة السعادة والنعيم والحرية والاستقلال الذاتي .

ان الانسان ليعجب عندما يفكر بمنشأ تلك الامتيازات التي منحها العثمانيون للاجانب لطفا ومنة ، فأصبحت اليوم وبالا عليهم ، وقيدا يحدد استقلالهم وسلطانهم في ارضهم وبلادهم. في عهد السلطان سليمان القانوني كان فرانسوا الاول ملك الفرنسيس أرسل عريضة الى السلطان يستنجده على خصمه شارل الخامس ، فاجابه السلطان الى طلبه بكتاب فيه شيء من الرقة والعناية وتوطيد للمناسبات الودية بين الدولتين . وكان جل الفرنساويين المقيمين في البلاد العثمانية اذ ذاك يتعاطون اسباب الرزق ، لا يعرفون لغة البلاد ، وكان يحدث بينهم وبين الاهلين اختلافات تتولى المحاكم الشرعية حلها ـ اذ لم يكن في تلك الازمان محاكم نظامية ـ فسحت الحكومة للتبعة الفرنسويين بان يقف معهم التراجمة اثناء المرافعات ليكونوا واسطة للتفاهم بينهم وبين المحكمة التي تجهل لغتهم ويجهلون لغتها . وعقدت اذ ذاك معاهدة بهذا الشأن بين الدولة العلية وفرنسا ، ولم يدر في خلد احد من رجال الدولة العثمانية في ذلك العهد ، بالنظر لما كانت عليه من العظمة والبأس ، ان يأتي

عليها يوم تضعف فيه شوكتها ، ويتصاغر سلطانها امام صولة الاجانب ، فيتوسعون في تأويل هذه المعاهدة ، وما والاها ، توسعا اصبح بعد حين مدعاة لتقلص سلطان الحكومة ، وليس على الاجانب فقط ، بل على تبعتها ايضا ، ولقصر يدها عن استيفاء حقوقها المشروعة .

يضيق نطاق البحث الان عن الاسهاب في ذكر الامتيازات الاجنبية التي نالتها فيما بعد ، الدول العظمى باسرها ولم تنحصر بفرنسا فقط . وسنفرد لهذا البحث مقالات خاصة نأتي فيها على تشريح هذا العهود ونشأتها وتطورها والحد الذي بلغته في هذه الاونة ، ليعلم القراء شدة قساوة هذه القيد الذي أعلنت الحكومة اليوم اطلاقها من رقه .

فنحن في هذا المقام نؤمل من حكمة الدول العظمى ان لا يبدر منها ادنى مقاومة لهذه الفكرة التي لا تتجاوز حد المطالبة بحق صريح ، حق مساواة العثمانيين بالاجانب في الحقوق والواجبات . فكما ان العثماني النازح الى الديار الاجنبية يعامل معاملة اهلها ، ولا يمتاز عليهم بشيء امام القانون ، كذلك ينبغي ان يكون شأن الاجنبي الذي يطأ أرضنا ، الا فيما توجبه عوائدنا الشريفة من اكرام وفادته باعتباره ضيفا كريما ، الامر الذي لن يتناوله القانون بل ينحصر في الشؤون الخاصة .

ولطالما صرحت الدول العظمى ، في مواقف عديدة ، بان حين الغاء هذه الامتيازات من المملكة العثمانية قد حان ، ووعدت بالتساهل في هذا المطلب عند سنوح الفرصة ، فجدير بنا ان نذكرها بوعودها السالفة ، وان نستلفت انظارها الى ان الفرصة قد سنحت اليوم ، فلندع العثمانية وشأنها ، تتمتع بحق وهبها الله اياه ، قبل ان تهبه الحقوق الموضوعة لاحد من البشر .

* * *

تاريخ وجيز للامتيازات الاجنبية[1]

يرجع تاريخ الامتيازات الاجنبية في الشرق الادنى الى عصر الخليفة هارون الرشيد العباسي . فانه منح الافرنج من رعايا الامبراطور شرلمان الذين يؤمون الشرق الضمانات والتسهيلات التجارية ، فلما تداعت اركان امبراطورية الفرنجة ، منحت تلك الامتيازات للمدن الايطالية المستقلة التي قامت على انقاضها . ففي سنة ١٠٩٨ مسيحية منح امير انطاكية امتيازات لمدينة جنوى الايطالية ، ووسع ملك القدس هذه الامتيازات ، فشملت مدينة البندقية في سنة ١١٢٣ ، ومدينة مرسيليا سنة ١١٣٦ .

وفي سنة ١١٧٣ منح السلطان صلاح الدين الايوبي نظام امتيازات لمدينة بيزا

---

(١) فتى العرب ، العدد ٢٢٩ ـ ١٦٦٣ ٢٥ ايلول سنة ١٩١٤ .

الايطالية، ونحا امبراطورة بنزنطية « القسطنطينية » هذا النحو ، فمنحوا الامتيازات لجنوى وبيزا والبندقية . ولما عظم شأن الاجانب واتسعت ثروتهم ، وعرض جاههم ، استُصوبَ ان يكون لهم قانون يخضعون له . وقر القرار على ان يخضعوا لقانون بلادهم ، فلما حرّ السلاطين العثمانيون محل امبراطورة بيزنطية ، سمحوا بابقاء الحالة على ما كانت عليه ، وترك للعناصر غير المسلمة ما كان لها من شبه الاستقلال في احوالها الشخصية ، وايدت امتيازات الجنوبين القاطنين في غلطه .

على ان اول معاهدة ابرمت بالامتيازات بين الدولة العلية ودولة من الدول الاجنبية هي معاهدة سنة ١٥٣٥ مع الحكومة الفرنساوية . ولا يخفى ان الدولة العلية كانت في ذلك العصر في اوج مجدها ، وقمة عزها وبطشها ، وكان فرنسيس الاول ملك فرنسا قد قهر في معركة بافيا وضيق عليه شرلكان الخناق .

فهذه الامتيازات التي نالها الفرنسويون من السلطان سليمان الكبير كانت عبارة عن معاهدة تجارية اجيز فيها للفرنسويين الاتجار في انحاء السلطنة ، وعيّن القانون الذي يسري عليهم . وقد جاء فيها ان سلطان العثمانيين يكفل لهم الحرية الشخصية والدينية ، وانه يحق لملك فرنسا ان يعين قناصل في العثمانية ، ولهؤلاء القناصل ان يحكموا في القضايا المدنية والجنائية بين الفرنسويين في العثمانية بحسب القوانين الفرنسوية ، ولهم ان يكلفوا مأموري السلطنة مساعدتهم على تنفيذ احكامهم . وكان ذلك اول الامتيازات الحديثة المعروفة وأساساً لما تلاه .وبعد ذلك بخمس سنوات منحت امتيازات كهذه للبندقية ، وكان المتعارف اولا ان الامتيازات تدوم مدة حكم السلطان الذي منحها ، ولذلك جدد السلطان سليم الثاني في سنة ١٥٦٩ الامتيازات الفرنسوية التي منحها سلفه .

وفي سنة ١٥٨٣ نالت انكلترا امتيازاتها الاولى. وكانت فرنسا الى ذلك الحين الحامية الرسمية لجميع الاوروبيين المقيمين في العثمانية . ثم ان انكلترا ادعت حق حماية رعايا سائر الدول . ولكن هذه الدعوى رفعت في معاهدات الامتيازات الممنوحة لفرنسا سنة ١٥٩٧ او ١٦٠٤ او ١٦٠٧ . وقد جاء في الاخيرة منها ان فرنسا تتولى حماية رعايا الدول التي ليس لها سفراء في الاستانة .

وفي سنة ١٦١٣ نالت هولندا امتيازاتها الاولى بمساعدة سفير فرنسا ، رغبة منها في مساعدة هولندا مناظرة انكلترا في التجارة . وفي سنة ١٦٧٣ فازت فرنسا بتأييد امتيازاتها . وكانت قد بقيت بلا تأييد منذ سنة ١٦٠٧ . وكان لويس الرابع عشر ملك فرنسا يحاول ان يتولى حماية جميع الكاثوليك في السلطنة العثمانية . ولكنه لم يفز بمشتهاه ، واعترفت له الحكومة العثمانية بحق حماية جميع اللاتين الذين ليسوا من الرعايا العثمانيين .

وفي جملة الامتيازات التي نالها الفرنسويون في ذلك الحين انزال الرسوم الجمركية على وارداتهم من ٥ في المئة الى ٣ في المئة ، وان تسمع جميع الدعاوى التي ترفع عليهم ، او يرفعونها على الرعايا العثمانيين ، وتتجاوز قيمتها اربعة الاف غرش ، في الباب العالي نفسه لا في المحاكم .

وفي سنة ١٧٣٩ ساعدت فرنسا الدولة العليا في مفاوضات صلح بلغراد وايدتها ، فمنحتها الدولة امتيازات ١٧٤٠ . وهي تقضي بان تكون الامتيازات دائمة لا تنقضي بوفاة السلطان الذي منحها .

ونالت النمسا امتيازاتها سنة ١٧١٨ ، وعدلت سنة ١٧٨٤ . ونالت روسيا امتيازات مثلها في تلك السنة . ولم ينقض القرن الثامن عشر حتى نالت جميع دول اوروبا تقريبا هذه الامتيازات . ونالت الحكومات الجديدة كالولايات المتحدة والبلجيك واليونان امتيازاتها في القرن التاسع عشر .

واهم الامتيازات التي يتمتع بها الاجانب في السلطنة العثمانية بهذا النظام هي حرية السكنى والاقامة ، وعدم جواز خرق حرمة منازلهم ومحلاتهم ، وحرية السفر برا وبحرا ، وحرية التجارة ، وحرية ممارسة الشعائر الدينية ، والاعفاء من الاختصاص المحلي ، الا بقيود وضمانات ، واختصاص النظر والحكم في ما ينشأ بين شخصين من رعية دولة واحدة .

* * *

اللاتينية والجرمنية[١]

عرفت اوروبة بعرقين منذ القديم : بعرق اللاتينية وهم الطليان والفرنسيس والاسبانيول في يومنا ، وبعرق الجرمنية وهم الالمان والنمساويون . وكلا الفريقين مختلفان اختلافا كليا في الطباع والاخلاق ، بحيث ان هذا الاختلاف قد جعل بونا عظيما بين الفريقين ، من حيث المدنية ، وقوة الغلب في معترك الحياة . وقد اطلعنا على مقال في هذا الباب للكاتب الاسبانيولي الشهر سلافاريا جدير بالتعريب ، لخصنا عنه بعض فقرات اليك تعريبها .

ان الشعوب اللاتينية شعوب سريعة التأثر والانفعال ، يحنقون على الالمان لانهم يتمثلون امام اعينهم بعظم الاجسام وكبر العقول ، ومثابرة الاعمال وانتظام الاشغال ، والعناد الشديد في كل عمل يبدأون به ، حتى يفوزوا او يفشلوا .

فالشعوب اللاتينية تكره الالمان ، لان فيهم هذه القوة المكينة التي تجبر كل الشعوب ان تضاعف هممها لتقارب همتهم ، وتعمل بكل ما أوتيت من قوة لمجاراة اولئك الذين لا يكلون ولا يملون .

الشعوب اللاتينية حانقة على الالمان ، لان هؤلاء قد غيّروا وجه الحياة في نظر أولئك . فقد كانت الحياة عند الشعوب اللاتينية حياة زهد وعدم مبالاة ، ملؤها الكسل فلا اهتمام ولا

---

(١) المفيد ، العدد ١٦٦٩ ، ٢ تشرين الاول سنة ١٩١٤ .

جد . واذا اهتموا او عملوا فذلك لا يدوم اكثر من نصف الطريق ، بحيث اذا اعترضهم أقلّ عارض التفتوا عن اعمالهم الى ما فيه الراحة والسكينة مع العجلة والنزق . اما الجرمنية التي يمثلها الالمان ، فانها تقاوم كل تراخ ، بل تبقى ساهرة بفطرتها على كل عمل تتناوله مهما كان شاقا . وليس باستطاعتها ان تسترسل في الكفاف مما يأتيه القضاء والقدر ، لان الحياة في نظرها حياة رجولة وجد ونشاط . وتنظر الى الوطنية نظر الرجال الى اعظم الامور منزلة ، واقدس الاشياء مكانة . فالعلم والحرب والبحث والتدقيق صفات لا تتخلى عن الالمان ، فمتى قلت المانيا اقترن قولك بهذه الصفات التي لا تنفك عنه بتاتا .

دع عنك الانتظام الاجتماعي بين طبقات الالمان ، اذ تجد ان الالمان شعب خلق للثورة ، وقلب كل ما يرى امامه من حاضر . فابحث منذ بدأت عندهم عهود الاصلاح الى ازمنة الفلسفة ، تجد انهم هم الذين افادوا العالم بأسره ، بما أجادوا ، سواء بانقلاباتهم الفكرية او باوضاعهم الاجتماعية .

انهم لم يتلقوا من البيان الافرنسي شيئا . ومع ذلك تجد ان البيان الالماني قد فاق البيان الافرنسي بدرجات . هذا من الوجهة الادبية . واما من الوجهة المادية ، فان حراقاتهم تمخر البحر ، وتهاجم بل تغرق اعظم اساطيل العالم . كان قبل اليوم غنت الفيلسوف ثم بالامس نيشه داعي الثورة ثم اليوم وينر الكبير .

اللاتينية حانقة على الجرمنية ، لانها تحب قبل كل شيء عادة الاهمال وكثرة الحركة ، دون النتيجة والتسويف والكسل ومباشرة الاعمال طفرة . والكذب ومسامحة المذنبين الذين يرتكبون ذنوبهم عن كسل وقلة ارادة . فالشعوب اللاتينية هي التي تدافع اليوم امام هذه الهمة المتدفقة التي تبرز فتخجل تلك امامها ، لانه ليس لها من هذه الفضيلة ذرة . فهي تريد من صميم قلوبهم ان تقضي على هذه النار القوية ، نار الهمة والعمل والنشاط ، فتخبو بل تعدم باية صورة كانت ، لانها لم تستطع ان تحمل خجلها امام نار الرجولة .

وقليل من بيننا يأسف لفقدان هذه الارادة الالمانية التي تهتز بقواها الجميلة فتثقل على الامم جمعاء . فاذا قلنا لهؤلاء الذين يعارضونها بأية ارادة تريدون الاستعاضة عن الارادة الالمانية اذا فقدت ؟ وهل يكون بارادة اليابان ؟ لا هذا ولا ذاك . فكلاهما دون تلك بدرجات . اما ما يتعلق بالانكليز فانهم وان كانوا من عرق الجرمنية فانهم لا يزالون منفردين باريستوقراطيتهم الجامدة عن كل البشر . فالالمان اكثر الامم انسانية وانسا ومدنية واقرب الشعوب امتزاجا لا سيما معنا نحن الاسبان .

* * *

رومانيا تخاطر بحياتها[1]

منذ نشبت الحرب العامة حتى اليوم ، والمساعي متواصلة دون انقطاع في اغراء الرومانيين بالاستيلاء على بوقوفينا وترانسيلوانيا ، حتى وجدت هذه الاماني سبيلا الى نفوسهم ، فأخذوا يقومون بمظاهرات تشف عن هياج وميل شديد الى استعمال القوة ، للحصول على هاتين الولايتين اللتين يقطنهما ابناء جنسهم . ومهما يكن في انباء هذه المظاهرات من الاغراق والمبالغة ، فلا نكران في ان رومانيا واقفة اليوم وقفة المتحفز للوثوب على النمسا والمجر . ولكن هل هذا الوثوب قريب الاجل ؟

لا نخال رومانيا تقدم على اية حركة حربية ، ما لم تتعين خطتها بصورة اكيدة . ولو تحقق ان روسيا نالت الانتصارات المدوية في غاليسيا الشرقية ، فذلك لا ينتج عنه ان النمسا اصبحت في درك الدول المغلوبة ، لاسيما وان روسيا لا تريد بتعرضها على غاليسيا ان تظل سائرة نحو فينا ، بل جل ما تتوخاه ان تفتح لنفسها منفذا الى اراضي الالمان . وعليه فمن المؤكد ان المانيا ستصطدم مع روسيا بعد حيز في غاليسيا الشرقية ، كما هي الحالة في بروسيا الشرقية . واظهار رومانيا العداء للنمسا يصادف هذا الحين الرهيب الذي تشتبك فيه القوتان . فدخول رومانيا في هذا المأزق الشديد الخطر ليس على شيء من الحكمة والاذعان .

غير ان الرأي العام الروماني مندفع اندفاعا أصبح يتخيل معه انه اذا لم يكن من فائدة للحرب سوى تعجيل اندحار النمسا لكان داعيا لخوض غمارها . ولكن هذه الفكرة المخيفة المستندة الى العواطف ، ستؤدي الى تقهقر رومانيا عن حدود ترانسيلوانيا ، والى اكتساح جيوش النمسا الاراضي الرومانية . ولا يقف الخطر عند هذا الحد بل ينتهي بالقيام العام في جميع جوانب البلقان ، وعندئذ تكون رومانيا هي المتسببة في اقلاق سكينة البلقانيين ، واندفاعهم الى الحرب ، على حين انهم ما زالوا حتى اليوم محتفظين بحيادهم ، باذلين في هذا السبيل كل ما لديهم من القوة .

من ذا الذي يجيز لرومانيا ، التي تدعي لنفسها السيادة على البلقان ، ان يبلغ منها الحرص الى درجة انها أصبحت تحلم بالاستيلاء على كل ما تصل اليه يدها دون معارض ولا منازع ؟ قد تؤمل الاستيلاء على ترانسيلوانيا ، ولكن لا ينبغي ان يذهل عن فكرها انه قد يكون وراء الاكمة قوى كامنة ترتقب سنوح الفرصة بانشغال رومانيا لتثب على مقاطعة دوبريجه ، وتمتلكها غنيمة باردة، ولا تتردد في الزحف على بخارست ايضا اذا تمكنت من ذلك . فلتكن رومانيا على ثقة من ان اول حركة حربية تبدو منها تكون مدعاة لفقدانها كل علاقة بالبحر الاسود ، وتجر عليها خمسماية الف حربة تمتد نحو قلبها . وهذا الاضطراب البلقاني الذي تولده رومانيا عمدا ، سيمحو صربيا ايضا فهل يتصدى الرومانيون الى هذه الفعلة المحفوفة بالمخاطر والمجهولة العواقب ؟ ان جريدة تصفير افكار التي نقتبس عنها هذا

---

(١) المفيد ، العدد ١٦٧١ ٤ تشرين الاول ١٩١٤ .

المقال تؤكد ان هذا لن يكون الآن ابدا لأن القيام في البلقان يجلب للشعب الروماني رزايا فادحة هو في غنى عنها .

واما ما يمس بالعثمانية من هذه الوجهة ، فيكفي فيه القول بأن العثمانية واقفة ترتقب مجرى الحوادث بهدوء وسكينة ، وهي على استعداد تام لكل ما قد يكون .

* * *

متى تنتهي الحرب ؟[1]

سؤال تلهج به الالسن وتحوم حوله الافئدة ، وتهيم في التوصل الى الاجابة عليه عقول اساطين السياسة ودهاة الكون . ولكننا لا نسمع الا اقوالامتضاربة ، واراء متباعدة ، فقد كان احد اركان الوزارة الانكليزية يصرح قبل زهاء شهر بأن الحرب لا تنطفىء جذوتها ، قبل انقضاء خمسة عشر عاما على الأقل . واليوم جاءنا اللورد كتشنر احد رجال الوزارة نفسها ، يتكهن بأن الحرب تستمر سنتين فصاعدا . وبين القولين درجات ، ومن الناس من يتشاءم فيكثر المدة ، او يتفاءل فينقصها ، ولكل امرىء ما يرى .

اما ما لا ريب فيه فهو ان مدة الحرب تطول وتقصر بنسبة سير الحركات الحربية من السرعة والبطاءة . وقد علم القراء ان خطة دول المحالفة هي انجاز الوقائع وبلوغ الغاية باسرع ما يمكن . واما خطة دول الاتفاق ، فهي على العكس ، اي ان هذا الفريق يحاول ارهاق خصمه عسرا بالمحاولة والمطاولة ، حتى يضطر الى النكوص بدافع الضيق المالي ، او الاستعجال في الهجوم ، على غير تثبت واستيثاق من النتيجة . فلرجحان احدى الخطتين تأثير كبير على مدة الحرب .

والوقائع الحربية تدل جميعها على ان سياسة التحالف هي التي كانت راجحة حتى اليوم ، اذ تمكنت المانيا في خلال شهرين ونصف من ان تستولي على المملكة البلجيكية ، بجميع ما فيها من الحصون ، وتجتاز الحدود الفرنساوية ، وتحتل اهم المراكز العسكرية في الساحة الغربية ، حيث وقفت قوى فرنسا العظيمة بوجهها ، واصبحنا ننتظر المعركة الفاصلة من يوم الى آخر . ومن الجهة الشرقية نرى ان القائد العظيم هيند نبورغ نال انتصاراته الباهرة على الروس في حوالي بروسيه الشرقية وغاليسيا ، وتمكن بأسرع من البرق من توحيد الجيشين الالماني والنمساوي ، وأمسينا نتوقع في الساحة الشرقية ايضا حدوث معركة فاصلة .

يتبين مما تقدم ان التحالف فاز حتى الآن في تقريب أمد الحرب ، اذ تمكن من اعداد

---

(١) المفيد ، العدد ١٦٨٠ ١٥ تشرين الاول ١٩١٤ .

جنده في الجهتين الشرقية والغربية للقيام بالمعارك النهائية .

هذا من وجهة الخطط العسكرية . واما من الوجهة الاقتصادية ، فنرى ان العالم بأسره في ضيق شديد ، سيان في ذلك المتحاربون والمتحايدون ، لأن الاعمال الاقتصادية في جميع انحاء المعمور كالشبكة مرتبطة خيوطها ، فاقل حركة في الشرق تؤثر على الغرب والعكس بالعكس ، ناهيك بهذه الحرب الطاحنة التي اشترك فيها زهاء ثمانمائة مليون من اهالي البلاد المتحاربة ومستعمراتها ، عدا عن تأثيرها الشديد على حياة المتحايدين الاقتصادية .

وقد رأينا ان خطة رجال المحالفة في اعتمادهم على ثروتهم بتمديد اجل الحرب لم تفلح . اذ ان المانيا عقدت قرضا داخليا جمعت فيه اربعة مليارات ومايتين وخمسين مليونا ، على حين ان فرنسا المغترة بوفرة اموالها لم تتمكن من عقد قرض في اميركا . ولا ندري ما ستتوصل الى جمعه ، فيما اذا عولت على الاستقراض الداخلي . ثم ان تجارة المانيا لم يصبها اكثر من سواها من التوقف وسوء الحال ، اذا لم نقل انها كانت اخف ضررا بدليل انها لم تعلن تأجيل الديون حتى الآن .

فلعل ما تقدم يسمح لنا بأن نكون اقل تشاؤما من الذين يجعلون امد الحرب سنين متطاولة . هذا اذا لم يحدث امر لم يكن فيالحسبان .

ولربما انسحقت دولة من الدول المتكاتفة ، وظلت الاخرى تجالد وتناضل . ففي هذا المقام لا يمكننا ان نعول كثيرا على المقاولة المنعقدة اخيرا بين دول الاتفاق ، التي تقضي على كل منها بأن لا تدخل في الصلح ، وتقرر شروطه ، الا برضى جميع المتفقين . فقد علمتنا هذه الحرب ان العهود الخطية لم يعد لها كبير اثر في الافعال . ومتى رأت احدى الدول مصلحتها في الميل الى الصلح ، فلا يثنيها عن عزمها كلمة لفظتها ، او عبارة وقعت عليها .

* * *

تغلب المنطق على العواطف ـ في رومانيا ـ[1]

لا يعجبن القارىء الكريم ، اذ يرانا نحاول الاسهاب كثيرا في البحث عن خطة رومانيا في هذه الآونة ، لأن لحركتها وسكونها دخلاً كبيراً في سيادة الامن والسلام ، او حدوث الاضطراب ، ونشوب المعارك في ربوع البلقان .

ففي أواخر ايام الملك كارول ، كانت ثورة العواطف بالغة من نفوس الشعب مبلغاً عظيما ، حتى اصبح كل فرد يعتقد انه لا بد من اعلان الحرب عاجلا على النمسا ، وان خيول

---

(١) المفيد ، العدد ١٦٨٣ ١٨ تشرين الاول سنة ١٩١٤ .

الجند الروماني ستجوس خلال مقاطعتي بوقوفينا وترانسيلوانيا قبل ان تطأهما اقدام الروس . وكنت تسمع في كل يوم مظاهرات تقام وخطبا تلقى ، ومواعظ تتلى ، وجميعها تدور حول الدعوة الى الحرب .

في مثل هذا الموقف الحرج من ثورة العواطف وضلال المدارك ، وقف الملك بثبات جأش ، وصلابة عزيمة ، يهيب بالشعب للرجوع الى الصواب ، وتحكيم العقل ونبذ الاهواء . ولم يبال الملك بتعريض تاج عرشه للمخاطر من الوجهتين الداخلية والخارجية. فقد علمنا ما كان صرح به ناظر خارجية روسيا لسفير السرب بقوله « اننا سنحاسب الملك كارول على ما بدر منه من الاعمال في القريب العاجل اذا اصر على خطته » .

وما من احد ينكر ان الملك كارول كان يعلم علم اليقين ان مملكته في حاجة قصوى لانضمام بوقوفينا وترانسيلوانيا اليها ، لأن هاتين الولايتين من متممات الوطن الروماني ، وسكانهما من الشعب الروماني . ولكنه من الجهة الثانية كان يرى انه لا بد للاستيلاء عليهما من الاتفاق مع روسيا . وقد علمته التجارب ، وما مر عليه من السنين ، ان التقرب من روسيا يعرض المملكة للخطر السلافي الذي لا قبل له به . هذا عدا ان اقدامه على خوض غمار حرب اشتبكت فيها قوى ليست قوته بجانبها شيئا مذكورا ، وتعريضه بالجنود للتسلق الى اعالي جبال الكاربات في فصل الشتاء ، ليس من الامور التي تتصاغر في اعين المتبصرين .

ثم لننظر من الجهة الثانية ، فهل نرى ان الدول البلقانية الاخرى تقف وقفة المتفرج ، ازاء دخول رومانيا في الحرب ؟ . ان الصحف التي تسعى في سوق رومانيا الى الاندفاع في سياسة ضالة ، تحاول اغراء الناس بقولها « اذا حاربت رومانيا ، فهي انما تحارب في سبيل جمع الامم البلقانية ، وتتولى الوكالة عنها . لذلك فلا محل للخشية من حصول اضطراب في البلقان من جراء ذلك » . غير ان هذا المقال لا نظنه يؤثر كثيرا على الدول الاخرى المتحفزة للوثوب والانتقام عما الحقته بها رومانيا من الاضرار قبل سنتين .

تلك هي الاسباب التي دعت الملك كارول الى التثبت في خطته السلمية ، التي وافقه عليها اركان الحكومة ، فعملوا واياه يدا واحدة على تهدئة ثائرة الشعب . وزاد الخطة احكاما قدوم سفير المانيا اخيرا الى بخارست ، ومفاتحته المسيو براتيانو ناظر خارجيتها ، بأن يصرح بسياسة الحكومة القطعية ، والا اضطر للعودة من حيث اتى . وبذلك تنقطع الصلات بين الدولتين . فكان ما كان من تقرير خطة الحياد الاكيد . وهكذا تغلب العقل والمنطق على ثورة الشعب والعواطف .

فاذا اردنا ان نجمل الاسباب التي دعت رومانيا الى الاحتفاظ بحيادها نراها تنحصر في ما يأتي :

١ ـ ان بلوغها غايتها ، وهي الاستيلاء على مقاطعتي بوقوفينا وترانسيلوانيا، امر لا بد له من خوضها غمار الحرب . وفي ذلك مخاطرة مخيفة ، اذ لم يظهر لها بعد رجحان احدى الكفتين المتحاربتين .

٢ ـ ان اشتراكها في الحرب يعرضها للخطر السلافي في مقتبل الايام .
٣ ـ ان بقية الدول البلقانية تنبري لاخذ ثأرها منها .
٤ ـ ان المانيا أحرجتها للتصريح بخطتها عاجلا ، فلم تر اقرب للحيطة من الحياد .

وبانجلاء الموقف في رومانيا زال جانب كبير من الخطر الذي كان يتهدد الدول البلقانية في كل حين . وما ندري ما يأتي به الغد والأيام حُوّل قُلّب .

* * *

اتقاء مصائب الحرب[1]

مهما كانت الحرب محصورة بين دولتين او ثلاث ، فلا بد لاضرارها الاقتصادية من ان تتناول جميع الممالك الاخرى المتحايدة . لأن جميع قارات الأرض مشتبكة متماسكة في الامور التجارية والصناعية . اما الحرب الحاضرة فبالنظر لاتساع نطاقها ، وامتداد شررها الى الشرق والغرب ، فمصابها كان انكأ صدعا ، واشد وقعا على الكيان البشري .

ولطالما كان العقلاء يستبعدون نشوب الحرب العامة قائلين : ان قادة الامم لا يبلغ بهم الامر الى الاقدام على هذه الفعلة الرهيبة التي اقل ما فيها ايهان قوى اعظم دول العالم ، وتوليد ازمة مالية شاملة لا يمكن تلافيها الا بعد عشرات من السنين . ولكن هذه الادلة المنطقية لم تكن جميعها كافية لايقاف التيار ، وتسكين عطش المشتاقين الى الحرب . فكان ما كان ، واصبح على كل امة من الامم ، المتحاربة والمتحايدة ، ان تفكر طويلا في اتقاء الاحن التي يولدها القتال .

فأول ما عمدت اليه جميع الدول تقريبا قضية اعلان تأجيل الديون « الموراتوريوم » ، خشية ان تبوء معاهدها التجارية بالافلاس عند حلول الوعدات المعينة ، فتغلق ابوابها . وفي ذلك تأخير لعمران المملكة وتقدمها .

ومن هذه التدابير منع اخراج الحبوب وغيرها من المواد المعاشية الى البلاد الاجنبية ، وذلك لأن كل مملكة في آونة الحرب والنفير العام ، لا بد وان تقف حركة الزراعة فيها ، لقلة الايدي العاملة . فاذا غادرت الحكومة محتكري تجارة الحبوب وشأنهم في اصدارها الى البلاد الاجنبية ، لمجرد الربح ، نفذ الموجود المدخر ، وأصبحت البلاد عرضة للقحط والمجاعة والعياذ بالله .

ولما كانت الازمة الاقتصادية شديدة الخطر على الحكومة كما هي على الامة ، لأن الحكومة انما تستمد المال من خزائن الامة ، وفضلات اربا حها ، لذلك نرى اليوم ان الحكومات والبلديات وغرف التجارة في جميع اقطار الارض توالي اجتماعاتها ، وتشحذ

---

(١) المفيد ، العدد ١٦٨٦ ٢٢ تشرين الأول سنة ١٩١٤ .

قرائحها في ايجاد الوسائل اللازمة لتخفيف وطأة الضيق المالي .

فالبلاد العثمانية انما تستورد جل ما تقوم به تجارتها من الديار الاجنبية . ولما كان هذا الاستيراد من الدول المتحاربة متعسراً في هذه الآونة ، لانقطاع السبل ، وعطلة المصانع ، وغير ذلك من الاسباب ، فقد اقترح رئيس تحرير صباح ، ان تعقد حكومتنا عاجلاً ائتلافات اقتصادية ، بينها وبين الدول المتحايدة لتأمين هذه الغاية . وهو يلفت انظار اولياء الامر الى عقد مثل هذا الائتلاف مع حكومتي بلغاريا ورومانيا البلقانيتين . ولا بأس بادخال ايطاليا ايضا فيه ، فتتضافر هذه الدول الاربع على سد حاجات بعضها . وبهذه الوسيلة يمكن تخفيف ويلات الحرب الاقتصادية ولو امتدت ، على زعم اللورد كتشنر ، سنتين متواليتين .

ونحن نرى ان هذا الفكر مصيب جدا ، اذ لا يتسنى لاية مملكة من ممالك العالم ان تكتفي بحاصلات بلادها في امر معيشتها ، بل لا بد لها من ان تمد يد الاستعانة بالممالك الاخرى ، اذ لم تعد الحاجيات في هذا العصر كما كانت عليه في القرون الوسطى والاولى ، بحيث كان الانسان يكتفي بالقوت الضروري للحياة . وهو يتمثل بقول ذلك الشاعر البدوي :

« الابيضان انهكا عظامي الماء والفت بلا أدام »

فاذا عقدت هذه الدول الاربع ائتلافا اقتصاديا فيما بينها ، بحيث ترسل كل منها ما يزيد من حاصلاتها عن حاجيات اهلها ، كان في امكانها ان تقاوم طويلا مصائب الحرب ، وان تمدد اجل حيادها الى امد بعيد بقدر ما تسمح لها مصلحتها . والا فلا يبعد أن لا يقيها مجرد الحياد طوارق المخاطر ، ما دامت منفردة معتزلة عمن سواها .

* * *

موقف رومانيا[1]

أصبح موقف رومانيا من أحرج المواقف في الحرب الحاضرة ، فريق كان يقدم لها العطايا ،وفريق يجزل في الوعود ، حتى كادت ان تكون ريشة في مهب الارياح ، يتقاذفها زخرف الاقوال دون ان تستقر على رأي . وقد ظهرت في بعض الايام بمظهر المرتاح لسياسة الاتفاق الثلاثي ، بل للانضمام اليه ، حتى صبت عليها المحالفة مواعيد ترتجف من هولها الراسيات ، فاقلعت عما قد مالت اليه .

هذا ما كان قبل اليوم . فالامر كان يجري بالوعود الجميلة . اما وقد ترددت في الاقدام وحق لها ان تتردد ، لان الامر امر حياة او ممات ، فقد انقلبت الوعود الى مواعيد ،

---

(١) المفيد ، العدد ١٦٩٧ ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ .

وأصبحت روسيا تهدد رومانيا بالقوة ، ومن اثر ذلك تلك المناورة الاخيرة التي قام بها الاسطول امام سواحلها .

اضطربت احوال رومانيا قبل وفاة الملك حتى استطاع بنفوذه تهدئة الشعب تحت تهديد الالمان . وما لبث ان قام مقامه ولي عهده ، يتحرى طريق سلفه من اعلان الحياد ، لان الامر يستدعي المخاطر العظيمة . ولكن امر رومانيا قد خرج عن طوق الحكومة ، بل طوق الشعب الى الدول المحاربة ، فحياتها او مماتها بيد الفريق الذي يستطيع ان يسوقها اليه .

اما وقد أقدمت روسيا على التهديد ، فقد اضطرت دولتنا العثمانية ان تجري مثل تلك المناورة بغاية انذار روسيا صراحة ، وانذار رومانيا من وراء الستار . فأدت المظاهرة العثمانية الى اشتباك الاسطولين ، وبهذا الموقف الجديد قد تغير موقف رومانيا ايضا ، ولكن على اي وجه يستقر ؟

ان موقف رومانيا لا يظهر جليا في عالم السياسة ، الا بعد ان يبيد اسطولنا العثماني اسطول الروس في البحر الاسود ، فتأمن رومانيا جانبهم . وبهذا يتحدد موقف الرومان ، وتنضم جهرا الى المحالفة . وما دام اسطول الروس يمخر في البحر الاسود ، فيرجع التردد الى دولة الرومان تنتظر نتيجة المعارك الفاصلة، حتى تدخل الحرب راضية لا صاغرة .

نعم ان موقف رومانيا كان قبل اشتباك المعارك في البحر الاسود على الحياد . وهذه خدمة كبرى للمحالفة . ولكن بعد دخول الدولة العلية ، مع روسيا في الحرب ، فان موقفها قد ظهر بعض الظهور ، وذلك بناء على اجازة الالمان للرومان ، بأن يأخذوا جميع الذخائر من المانيا . ففي هذا النبأ آية صريحة عن موقف رومانيا الحاضر .

نعم ان هذا شعاع يستكشفه المتفائلون . ولكن موقف رومانيا لا يتجلى كما قلنا مع المحالفة الا يوم تبيد الدولة العلية اسطول الروس في ذلك البحر ، أخذ الله بيد الدولة الى تحقيق الاماني .

فهرس الاعلام

يتضمن هذا الفهرس بعض الاعلام والمعاهدات والاماكن التي أشار اليها المؤلف . وقد رأينا من الضروري تقديم نبذة عن كل منها ، حتى يعرف القارىء سبب ورودها في النص . ويأخذ فكرة عن اتجاهات العريسي وثقافته .

الاسكندر الاكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٣)

الاسكندر الثالث ، ملك مقدونيا ، وابن فيليب الثاني . تتلمذ على أرسطو . حارب الفرس . ويعتبر مؤسس مدينة الاسكندرية مات وعمره ثلاث وثلاثون سنة . اقتسم قواده امبراطوريته ، ويعزى اليه نشر الحضارة الاغريقية .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٢

ابراهيم باشا (١٧٨٩ ـ ١٨٤٨) .

الابن الاكبر لمحمد علي باشا ، والي مصر ، قاد عدداً من الحملات في الجزيرة العربية وسورية . انتصر على العثمانيين اكثر من مرة ، سنة ٣٢ ـ ١٨٣٣ وسنة ١٨٣٩ . ولكن الدول الاوروبية فرضت عليه التراجع . عين نائباً عن ابيه سنة ١٨٣٨ ، وتوفي في العام عينه . عرف عنه انه طمح بانشاء دولة عربية .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٤

ابن ادريس

ابن ادريس القراتي ، احمد : (توفي بمصر ١٢٨٥) عالم في الفقه المالكي . تخصص في عمل التماثيل المتحركة التي تتغير حركاتها وألوانها حسب ساعات النهار .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٩ .

ابن تيمية :

ابن تيمية ، تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية الحراني (١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م) فقيه ومحدث ومتكلم وناقد محقق . جمعت فتاواه ورسائله وطبعت ، وله كتب ورسائل في نقد الصوفية كمذهب ، منها « الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان » .

الموسوعة العربية الميسرة

ابو بكر :

ابو بكر الصديق ، عبد الله بن ابي قحافة . يجتمع مع النبي (صلعم) في مرة بن كعب . دعا الى الاسلام فريقاً من خاصته ، في مقدمتهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله . لقي

بسبب اسلامه وتعلقه بدينه اذى كثيراً . تولى الخلافة بعد الرسول ، فكان اول الخلفاء الراشدين . حارب المرتدين ، ومانعي الزكاة ، وانتصر في ذلك ، ثم وجه الجيوش لفتح العراق والشام . توفي اثناء معركة اليرموك سنة ١٣ هـ ـ ٦٣٤ م

الموسوعة العربية الميسرة ص ٣١

ابو حنيفة :

ابو حنيفة ، النعمان بن ثابت (٦٩٩ ـ ٧٦٧ م) فارسي الاصل ، ولد بالكوفة ونشأ بها ، ورث التجارة عن اسرته ولكن لم تمنعه عن التعليم والدرس ، بدأ بالكلام ثم انتقل الى الفقه . روى عن التابعين وتابعيهم في العراق والحجاز ، واخصهم ابراهيم النخعي وشيخه حماد ، ومنهجه الأخذ بالكتاب والسنة وفتاوى الصحابة ، ثم بالقياس والاستحسان والعرف . توفي على اثر تعذيب المنصور له . لامتناعه عن تولي القضاء . وصار مذهبه المذهب الرسمي للدولة العباسية والدولة العثمانية .

الموسوعة العربية الميسرة . ص ٣٢

احمد رضا :

احد قادة « تركية الفتاة » ، هاجر سنة ١٨٨٩ الى باريس ، لانكشاف نشاطه ضد الطغيان في عهد عبد الحميد . أصدر سنة ١٨٩٥ صحيفة « مشورت » التي كانت تصدر مرتين في الشهر باللغة التركية ، مع ملحق فرنسي . وصارت الصحيفة فيما بعد الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي .

ادوار جراي (١٨٦٢ ـ ١٩٣٣) .

سياسي بريطاني . عين وزيراً للخارجية (١٩٠٥ ـ ١٩١٦) . شجع تقارب بريطانيا من فرنسا وروسيا ، ولعب دوراً هاماً في مؤتمري طنجة ١٩٠٦ ، واغادير ١٩١١ . سعى لتجنيب اوروبة حرباً عالمية . عيّن سفيراً لبريطانيا في واشنطن (١٩٢٠ ـ ١٩٢١) . شجع على جعل عصبة الأمم هيئة دولية فعالة .

الموسوعة العربية الميسَّرة . ص ١٠٤

اديب اسحق

اديب اسحق (١٨٥٦ ـ ١٨٨٥ م) صحفي واديب وشاعر وخطيب ومترجم وكاتب مسرحي وممثل وسياسي حرر صحيفة « التقدم » في بيروت . اشترك في تحرير مجلة « ثمرات الفنون » ، اصدر سنة ١٨٧٧ جريدة مصر اشترك في اصدار جريدة التجارة سنة ١٨٧٨ . اصدر في باريس جريدة « مصر القاهرة » سنة ١٨٨٠ م . ترجم عن الفرنسية روايات « اندروماك » و« شارلمان » و« ابنة رولاند » واقتبس رواية « الباريسية الحسناء » وألف «الدور » و« تراجم مصر في هذا العصر »«وغرائب الاتفاق » و« نزهة الاحداق في مصارع العشاق » . واشترك مع غيره في تصنيف كتاب « أثار الادهار » . (كتاب : اديب اسحق ـ الكتابات السياسية والاجتماعية ـ دار الطليعة) .

الموسوعة العربية الميسرة

ارسطوطاليس (٣٨٤ ـ ٣٢٢)

فيلسوف يوناني تتلمذ على افلاطون وعلم الاسكندر الكبير . أسس اللوميون حيث كان يحاضر ماشيا فسمي هو وأتباعه بالمشائيين . ألف الاورغانون في المنطق . لارسطو في العلم الطبيعي مؤلفات

منها (السماع الطبيعي) . وكتاب (السماء) وكتاب (الكون والفساد) وكتاب (النفس) ولارسطو فصول في موضوعات مختلفة يطلق عليها اسم ما وراء الطبيعة . وله كتب في الاخلاق والسياسة والخطابة والشعر .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٧

بارناف جوزيف

بارناف جوزيف (١٧٦١ ـ ١٧٩٣) من زعماء الثورة الفرنسية المتطرفين ارسل سنة ١٧٩١ لارجاع الأسرة المالكة من فارن بعد هروبها . انقلب ملكياً وايد ميرابو ، وتزعم جماعة الفيان واعدم بالمقصلة .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٠٦

بثمن (ربما) بثمان ـ هولفيج

سياسي الماني . هو تيوبولت فون بثمان هولفيج ولد ١٨٥٦ . تولى وزارة الخارجية الألمانية ١٩٠٧ . ثم خلف بيلوت في رياسة الوزارة ١٩٠٩ ، ابان حكم الامبراطور ولهلم (غليوم) الثاني واتصل اسمه بأزمة المغرب عام ١٩١١ . وافاد من تدخل المانيا بالحصول على امتيازات استعمارية في الكمرون . عاصر الحرب الاولى . دافع عن غزو بلاده لبلجيكا ولكسمبرغ . وعندما اقتربت بوادر النهاية . حاول الدخول في مفاوضات للصلح ، ولكن الجناح العسكري عمل على اقالته عام ١٩١٧ توفي ١٩٢١ .

القاموس السياسي . دار النهضة العربية . ط ٣ .

برختولد ليوبولد جراف ثون (١٨٦٣ ـ ١٩٤٢)

وزير خارجية النمسا والمجر (١٩١٢ ـ ١٩١٥) تزعم سياسة التشدد مع الصرب بعد مقتل الأرشيدوق فرنسيس فردناند في سراييڤو ،مما عجل بالحرب العالمية الأولى .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٤٦

بسمارك :

بسمارك . اول مستشار للامبراطورية الالمانية بعد اعلانها سنة ١٨٧١ . وقد عرف الثلث الاخير من القرن ١٩ في اوروبا بعصر بسمارك ، للدور القيادي الذي قام به . مثل مملكة بروسيا في البرلمان الاتحادي (١٨٥١ ـ ١٨٥٩) وعمل منذ هذا التاريخ على بسط سلطان بروسيا على الامارات الالمانية . ترأس مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ الذي اعاد تنظيم حدود دول البلقان ، وقام في عام ١٨٨٢ الحلف الثلاثي الذي ضم المانيا والنمسا وايطاليا . اشترك في سباق الاستعمار الافريقي . فكان نصيب المانيا الكمرون . غير ان نشاط الحركة الاشتراكية ونزعة الامبراطور (وليم غليوم) الثاني الدكتاتورية ادت الى اقالته سنة ١٨٩٠ . توفي ١٨٩٨ . ولد سنة ١٨١٥ .

القاموس السياسي . وضع احمد عطية . دار النهضة. ط ٣ ص ٢٠٤

بطرس الاكبر (١٦٧٢ ـ ١٧٢٥)

ويدعى أيضاً بطرس الاول . كان قيصر روسيا من ١٦٨٢ حتى ١٧٢٥ ، ولقب امبراطوراً سنة ١٧٢١ . يعتبر مؤسس الدولة الروسية الحديثة . أدخل اصلاحات عديدة ، وبنى الاسطول وأدخل النظم العصرية في الجيش . سعى لان تكون لروسية منافذها على بحر البلطيق الذي كان تحت سيطرة

السويد ، والبحر الاسود الذي كانت سواحله تحت سيطرة تركية .
الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٧٨

بنتام جرمي (١٧٤٨ ـ ١٨٣٢)

فيلسوف انكليزي اقام مذهب المنفعة في الأخلاق . كتب في الاقتصاد والقانون والسياسة . آمن بالمساواة فناصر الديمقراطية ، وعارض التسلط . اما في الاقتصاد فكان اميل الى اصحاب العمل ، ترجم كتابه « اصول الشرائع » الى العربية .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٠٧

برنسيب

طالب صربي ـ قتل ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرديناند وزوجته في ١٩١٤/٦/٢٨ ، وقاد ذلك الى اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى .

بينون ، رينيه : Pinon (١٨٧٠ ـ ١٩٥٨)

استاذ في الكلية الحرة للعلوم السياسية ، خلف بوانكاريه باعتباره مؤرخاً سياسياً في مجلة « العالمين » (١٩٢٢ ـ ١٩٤٠) . مؤلفه الأساسي : التاريخ الديبلوماسي الذي صدر عام ١٩٢٩ . كان احد أساتذة العريسي .

بوسويه

بوسويه، جاك (١٦٢٧ ـ ١٧٠٤ م) واعظ وكاتب فرنسي ، عمل قسيساً ثم معلماً لابن لويس الرابع عشر (١٦٧٠ ـ ١٦٨١) ثم اسقفاً . يعتبر واحداً من اشهر الوعاظ الفرنسيين ، وتعد عظاته وخطبه الجنائزية في رثاء العظماء من ايات الادب الفرنسي بيانا واسلوباً . كتب مجادلات دينية هاجم فيها البروتستانتية .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٣٥

توكفيل الكسيس دي (١٨٠٥ ـ ١٨٥٩)

سياسي نظري وعملي فرنسي برز في ميدان السياسة الفرنسية قبيل ثورة ١٨٤٨ . وبعدها عين وقتاً قصيراً وزيراً للخارجية ١٨٤٩ . كتب كتابه القيم « الديمقراطية في امريكا » مجلدان ١٨٣٥ . كما انه وصل بين تاريخ فرنسا في عهد الثورة الكبرى وتاريخها السابق في مؤلف قيم « النظام القديم والثورة » ١٨٥٦ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٦٠

جاويد (١٨٧٥ ـ ١٩٢٦) .

اقتصادي ورجل دولة من حزب تركيا الفتاة ولد بسالونيك ، وكان ابوه تاجراً ، تخرج في «المسلكية» سنة ١٨٩٦ ، عمل مع البنك الزراعي ، مدة قصيرة ، ثم التحق بخدمة وزارة المعارف ، واستقال سنة ١٩٠٢ ، وهو يشغل سكرتير التعليم الابتدائي . عاد الى سالونيك وصار مدير مدرسة اعدادية . وانضم الى جمعية « عثمانلي اتحاد وترقي جمعيتي » . أصبح سنة ١٩٠٨ محاضراً في الاقتصاد والاحصاء في «المسلكية» . أصدر عدة دراسات في الاقتصاد ، وشارك في اصدار مجلة « علوم اقتصادية واجتماعية مجموعة سي » سنة ١٩٠٩ ـ ١٩١١ . انتخب عقب الثورة نائباً عن سالونيك ١٩٠٨ ـ ١٩١٢ وبيغا (١٩١٢ ـ ١٩١٨) . أصبح وزيراً للمالية ١٩١٠ ، ١٩١٣ ـ ١٩١٤ ،

١٩١٧ ـ ١٩١٨) . استقال بعد دخول تركيا الحرب لمناهضة سياسة انور باشا الموالية لالمانية . ثم عاد ودخل الوزارة نتيجة تدخل طلعت باشا . اختفى بسبب موجة الاضطهادات التي لحقت بحزبَ الاتحاد والترقي ، وفي تموز سنة ١٩١٩ حكم عليه حكمة غيابياً بالسجن خمسة عشر عاماً مع الاشغال الشاقة .عاد جاويد الى استانبول سنة ١٩٢٢ . وعمل في وظائف مختلفة . اعتقل ، بعد محاولة اغتيال اتاتورك واعدم في العام ذاته .

٣٧ ـ ٣٨ الجزء ـ ١١ دائرة المعارف الاسلامية الطبعة العربية

جري : (١٨٦٢ ـ ١٩٣٣) Grey: Edward

سياسي بريطاني . كان من الجناح اليميني في الحزب الليبرالي . قاد السياسة الخارجية البريطانية (١٩٠٥ ـ ١٩١٦) . ابرم المعاهدة مع روسيا عام ١٩٠٧ ، حسّن العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية . اعلن الحرب ضد المانيا التي هددت بلجيكا في الرابع من آب سنة ١٩١٤ .

لاروس

جلادستون وليام ايورات (١٨٠٩ ـ ١٨٩٨)

سياسي بريطاني ، تخرج من جامعة اوكسفورد .انغليكاني مؤمن . عارض دزرائيلي طويلاً . آمن بافكار ليبرالية ، ورَأس الحزب الليبرالي . وقف ضد المساعدة التي قدمتها بريطانيا للسلطنة العثمانية .

لاروس

جورج الخامس (١٨٦٥ ـ ١٩٣٦)

من ملوك بريطانيا ولي السلطة (١٩١٠ ـ ١٩٣٦) : وهو ثاني ابناء الملك ادوراد . زار الهند سنة ١٩١١ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٦١

جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) Goethe: Johann Wolfg ang Von

كاتب الماني ، درس الحقوق في ليبزغ ، كتب الشعر كما كتب المسرحيات . استدعي عام ١٧٧٥ الى ويمر ، واوكل له الدوق شارل اوغست مهمة مستشار فدخل معترك السياسة والاقتصاد ، وبدأ بحوثه العلمية . شغل مناصب سياسية ، منها وزير المالية . ومنح لقب شرف . وكتب خلال هذه الفترة اول تراجيدي كلاسيكية في الادب الالماني . شارك في الحرب ضد فرنسا عام ١٧٩٢ ـ ١٧٩٣ ، وقد كتب بعد خمس وعشرين سنة كتابه الذي سماه « الحملة الفرنسية » .

لاروس

خالد بن الوليد :

خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي توفي ٦٤١ او ٤٢ من اشهر قادة العرب ، واحسنهم بلاءً في حروب الاسلام الاولى . حارب المسلمين في احد قبل اسلامه . وبعد اسلامه قاد عدة معارك اولها مؤتة ٦٢٩ م لقبه الرسول بسيف الله . حارب مسيلمة الكذاب وهزمه في عقرباء سنة ٦٣٣ م . حارب في العراق والشام وانتصر في عدة معارك على الفرس والروم اهمها معركة اليرموك سنة ٦٣٦ . توفي في حمص .

الموسوعة العربية الميسرة

دومير، بول : Daumer, Paul (١٨٥٧ ـ ١٩٣٢) .

سياسي واداري فرنسي . كان استاذا وناشراً في البداية . دخل الحياة السياسية باكراً . صار نائباً ١٨٨٨ ، ثم وزيراً للمالية (١٨٩٥ ـ ١٨٩٦) . قدّم اول مشروع لضريبة الدخل . شغل منصب الحاكم العام للهند الصينية (١٨٩٦ ـ ١٩٠٢) وصار رئيس وزراء سنة ١٩٠٥ ، وسيناتور كورسيكا ١٩١٢ ، ووزير مالية ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٥ ، ورئيس مجلس الشعب ، ورئيس جمهورية ١٩٣١ ، وقتل في ايار ١٩٣٢ ، من كتبه : الهند الصينية ـ الفرنسية ، ذكريات (١٩٠٣) ، ثم كتاب ابنائي ١٩٠٦ ، الذي ترجمه العريسي باسم كتاب البنين .

ديكارت :

ديكارت ، رينيه (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ م) فيلسوف فرنسي وعالم ورياضي . استطاع بعبقريته الرياضية ان يعالج الجذور السالبة . وان ينسق مجموعة رموز الجبر . وانشأ الاحداثيات المعروفة باسمه . وابتكر الهندسة التحليلية ، ثم حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة . اقام فلسفته على الشك المنهجي . يفصل بين الفكر والمادة . لديكارت تأثير فيمن جاؤوابعده حتى ليسمى عادة بابي الفلسفة الحديثة .

الموسوعة العربية الميسرة . ص ٨٣٤

ديلكاسه ، تيوفيل (١٨٥٢ ـ ١٩٢٣). Delcassé, Theophile:

سياسي فرنسي ، كان بالأساس صحافياً ، ودخل عالم السياسة بفضل الزعيم غابتا . انتخب نائباً سنة ١٨٨٩ ، وصار وزيراً للمستعمرات ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ ، واحتل منصب وزارة الخارجية ست مرات (١٨٩٨ ـ ١٩٠٥) . انتهج سياسة التقارب مع ايطاليا ، وتطوير التعاون مع روسيا . استطاع ان يصل الى الاتفاق الودي مع بريطانيا ، وان يدخل اسبانيا فيه . نجح في تعديل التوازن الاوروبي لمصلحة فرنسا وضد المانيا .

تيودور روزفلت :

الرئيس السادس والعشرون ، ولد بنيويورك سنة ١٨٥٨ عمل مساعداً لوزير البحرية ١٨٩٦ م . وحاكما لنيويورك ١٨٩٨ ، تم انتخب نائبا للرئيس ماكنيلي ١٩٠٠ ، ثم خلفه بالرئاسة بعد اغتياله انتخب رئيساً سنة ١٩٠٤ عن الحزب الجمهوري ، هاجم المصريين اكثر من مرة . أيد الاحتلال البريطاني مما اثار عليه ثائرة الوطنيين كان من مؤيدي التدخل الاميركي في الحرب الكبرى الاولى توفي سنة ١٩١٩

القاموس السياسي . دار النهضة . ط ٣

روسو

روسو ، جان جاك (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) فيلسوف فرنسي . كان لروسو اثر في مختلف مجالات الفكر . ومجمل مذهبه السياسي : ان الانسان الطبيعي لا هو بالخير ولا هو بالشرير . وان مساواة الناس قد زالت بظهور الزراعة والصناعة والملكية . والمستطاع هو الاكتفاء عن الحالة الطبيعية بتعاقد اجتماعي . ولم يدع الى الملكية الجماعية ، ولكن آراءه اثرت في المذاهب الاشتراكية والشيوعية الحديثة . ويرى ان هدف التربية الاسمى هو ان يتعلم الانسان كيف يعيش . وقد وجهت آراؤه هذه فلسفة التربية وجهتها الحديثة ، وهو أيضاً رائد الحركة الرومانسية الحديثة .

الموسوعة العربية الميسرة .

ريبو

ريبو ، تيودول : (١٨٣٩ ـ ١٩١٦) سيكولوجي فرنسي ، قام بتنشيط حركة علم النفس التجريبي ، بمحاضراته ومؤلفاته . نجح في استخدام علم النفس المرضي لتحليل الوظائف النفسية السوية وتفسيرها . من مؤلفاته : « امراض الذاكرة » . و« امراض الارادة » و« امراض الشخصية » وسيكولوجية الانتباه » و« سيكولوجية العواطف » . وتطور المعاني الكلية و« الخيال المبدع » . انشأ سنة ١٨٧٦ « المجلة الفلسفية لفرنسا والخارج » .

الموسوعة العربية الميسرة

زينون الرواقي

زينون الرواقي (٣٣٦ ـ ٢٦٤ ق . م) فيلسوف يوناني مؤسس المذهب الرواقي . اختار لتعليمه رواقاً منه اخذت اسم مدرسته اصيب بمرض تعذر علاجه فانتحر . نسق كثيراً من افكار هرقليطس وافلاطون وارسطو في بناء فلسفي .

الموسوعة العربية الميسرة . ص ٩٤٠

سبنسر :

سبنسر : ادموند : (١٥٥٢ ـ ١٥٩٩) شاعر انجليزي من اهم رجال الادب في تاريخ بلاده ، عين في وظائف ادارية كثيرة في ايرلندا ، حيث قضى بقية حياته . اهم اعماله : قصيدة « استروفيل ، التي رثا فيها سير فيليب سيدني وسلسلة من الغزليات عن زوجته ثم المجموعة التي اسماها « الملكة الاسطورية » ١٥٩٠ ـ ١٥٩٦ وعبر فيها عن معتقداته الدينية والفلسفية والسياسية .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٥٩

سقراط :

(٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق . م) فيلسوف يوناني من اثينا . لم يترك اثرا مكتوباً ، سجل حياته وتعاليمه تلميذه افلاطون في « محاوراته » واكسانوفون في « مذكراته » . تحدث الى الناس في الفضيلة والعدل والتقوى الخ .. اتبع في حواره منهج « التوليد » بأن يعاون من يحاوره على استخراج المعرفة من دخيلة نفسه . فاذا كان سوفسطائياً تهكم عليه. اتهم بافساد عقائد الشبان . فحوكم وحكم عليه بالموت .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٨٦

سليمان السلطان

سلطان تركيا ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ ـ خلف اباه سليم ١٥٢٠ بلغت في عهده الامبراطورية العثمانية اوج سطوتها ، واصل فتوح ابيه في البلقان احتل بلغراد سنة ١٥٢١ ، وطرد فرسان الاستبارية من رودس (٥٢٢) ، واوقع هزيمة ساحقة بالهنغاريين في معركة موهاك ، وحاصر فينا . ولكنه ارتد عنها بسبب البرد الشديد . احتل معظم هنغاريا ، وتحالف مع فرنسيس الأول ملك فرنسا ١٥٣٦ ،ضد بيت هابسبرج النمساوي ، وبقي هذا التحالف اساس السياسة التركية الخارجية مدة قرون . جعل الأسطول التركي مصدر فزع ورهبة في البحر المتوسط فشل في الاستيلاء على مالطة ١٥٦٥ . شن سليمان عدة حروب ضد فارس . فكان له فيها النصر .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٠١

سليم الثاني (١٥٢٤ ـ ١٥٧٤)

سلطان تركيا (١٥٦٦ ـ ١٥٧٤) ابن سليمان القانوني وخلفه . كان لوزيره (صقلي) الكلمة العليا في ادارة شؤون الدولة . استولى الترك في عهده على قبرص من البنادقة ، واستعادوا تونس من الاسبان ، ولكنهم اصيبوا بأول هزيمة لحقت بهم في معركة ليبانتو ١٥٧١ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٠١

شارلمان

شارل الكبير أو شارل الاول ، امبراطور الغرب ٨٠٠ ـ ٨١٤ . ملك الفرنجة ٧٦٨ ـ ٨١٤ . تدخل الى جانب البابا سنة ٧٧٣ ضد ملك اللومبارد . تلقى من البابا في روما لقب بطريق الرومان . استولى على بافيا وعلى تاجي لملوك اللومبارد . غزا اسبانيا سنة ٧٧٨ فهزمه العرب في سر جوسة . حارب السكسون الوثنيين وفرض عليهم التنصّر بالقوة . ساعد البابا ليو الثالث ضد الرومان فتوجه البابا عام ٨٠٠ امبراطورا . أهم انجازاته خلقه لنظام مركزي يشرف على رجال الادارة من خلاله حتى في اقاصي البلاد . كان يرعى الجمعيات الاستشارية . حاول تطهير الكنيسة . ووضع ضرائب على البضائع المنقولة وعلى دخل الكنائس شجع التجارة الخارجية وأقام علاقات ودية مع هارون الرشيد . أسس المدارس وتذوق العلم والفن . طوّب بعد وفاته ورفع في بعض الكنائس الى مصاف القديسين . فقد شارلمان بعض وهجه بعد عصر النهضة . الا ان هوغو وغيره من رجال المدرسة الرومانسية احيوها مرة اخرى في القرن ١٩ .

الموسوعة العربية الميسرة ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧

صلاح الدين

صلاح الدين الايوبي : يوسف (١١٣٧ ؟ ـ ١١٩٣) مؤسس الاسرة الايوبية بمصر . والخصم الاكبر للفرنجة . اصله كردي . هزم الفرنجة في عدة معارك ، اهمها معركة حطين سنة ١١٨٧ م . ذاع صيته بين المسيحيين كمحارب شهم كريم الخلق ابي النفس . وكان الى جانب ذلك رجلاً مثقفاً يحب العلم ويشجع العلماء . عمّر المساجد واصلح الري وبنى القلعة وبعض اسوار القاهرة . مات بدمشق ودفن فيها .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٢٨

صن يات صن : (١٨٦٦ ـ ١٩٢٥)

قائد الثورة الديمقراطية في الصين ، وزعيم الكومنت نج ، ورئيس جمهورية الصين الموحدة . تحالف مع الشيوعيين في الداخل ، ومع الاتحاد السوفياتي ، بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية .

عبد الحميد الاول (١٧٢٥ ـ ١٧٨٩)

سلطان عثماني ، من ١٧٧٤ الى ١٧٨٩ . زاد ضعف السلطنة في ايامه . بدأ حكمه بعقد معاهدة « كوجوك قيزجي » التي فقدت السلطنة بموجبها أزوف والقرم ، وبات لروسية حق حماية النصارى في السلطنة .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٨٠

عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ ـ ١٩١٨)

سلطان عثماني من ١٨٧٦ الى ١٩٠٩ ، تواطأ مع دعاة الدستور ، فصار سلطاناً ، وأعلن

الدستور سنة ١٨٧٦ . ولكنه ما لبث ان انقلب على جماعة الدستور وبطش بهم . كان حكمه ظالماً قاسياً . انتفضت عليه القوات العسكرية سنة ١٩٠٨ ، وارغم على اعادة الدستور . ولكن القوات عادت وعزلته ، عندما حاول التآمر على الحياة الدستورية . وظل سجيناً حتى مات .

الموسوعة العربية الميسرة ١١٨٠

عبد العزيز (١٨٣٠ ـ ١٨٧٦)

احد سلاطين بني عثمان ، خلف اخاه عبد المجيد (١٨٦١ ـ ١٨٧٦) . كان اول سلطان عثماني زار مصر ، بعد ان فتحها سليم الاول ، وكان ذلك سنة ١٨٦٤ . ازدادت السلطنة ضعفاً في عهده . فعجزت عن تسديد ديونها ، مما أدى الى فرض رقابة اجنبية على مالية الدولة . حصل منه الخديوي اسماعيل والي مصر على فرمانات لزيادة سلطته وسلطة خلفائه من بعده . كما نالت رومانيا وصربيا في عهده استقلالا فعلياً .اندلعت في عهده ثورات في البوسنة والهرسك وبلغاريا . سعى دعاة الدستور ، بقيادة مدحت باشا ، في عهده للحصول عى دستور للبلاد ، فلم ينجحوا . وهنا تآمروا عليه ، وخلعوه ، سنة ١٨٧٦ . ومات بعد ايام من خلعه ، ويعتقد انه قتل .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٨٣

عبد المجيد (١٨٢٣ ـ ١٨٦١)

من سلاطين بني عثمان ، خلف اباه السلطان محمود (١٨٢٩ ـ ١٨٦١) . أرغم في عهده محمد علي باشا والي مصر على قبول معاهدة لندن سنة ١٨٤١ ، التي فرضت على مصر تراجعات هامة ، (انظر معاهدة لندن) . نشبت في عهده حرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦) بسبب مطامع روسية . بالسلطنة . (انظر حرب القرم) . حاول ادخال اصلاحات كثيرة ، منذ بداية عهده ، واولها قرارات ١٨٣٩ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٨٤

عمر

عمر بن الخطاب : (ح ٥٨١ ـ ٦٤٤) ثاني الخلفاء الراشدين (١٣ ـ ٢٣ هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٤ م) من اعظم الشخصيات العربية ، كان من كبار الصحابة . لقبه الرسول بالفاروق . اشترك في معركتي بدر وأحد . واصلت الجيوش العربية في عهده الفتوحات التي كانت قد ابتدأت في عهد أبي بكر . بشر بامير المؤمنين . وهو اول من اتخذ ديوانا لضبط المال الخ . جعل الخلافة بعده شورى في ستة . يتخذ المسلمون من عمر مثلا اعلى للحاكم العادل الذي يتحلى باسمى الفضائل . طعنه ابو لؤلؤة فيروز ـ مولى المغيرة بن شعبة ـ في المسجد فتوفي .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣٦

فاري ، جول (Ferry) ١٨٣٢ ـ ١٨٩٣

محام ورجل دولة فرنسي . محرر جريدة الطان وكاتب . انتخب نائباً جمهورياً عن باريس . شغل مناصب سياسية عديدة . شارك في تنظيم الحريات العامة بطرح القوانين الثلاثة التي تكرس حرية الاجتماع (حزيران ١٨٨١) والصحافة (تموز ١٨٨١) والنقابات (٢٧ آذار ١٨٨٤) . شارك في علمنة التعليم واجباريته وانشاء مدارس عليا للبنات . كان مع تعزيز نفوذ فرنسا الاستعماري . فرض الحماية على تونس (١٨٨١) . ويعود اليه توسع فرنسا في افريقيا .

لاروس

فور فليكس : Felix Faure(١٨٤١ ـ ١٨٩٩)

شغل مناصب وزارية خاصة في عهد فاري ... شارك في تعزيز التحالف الروسي الفرنسي ، لدى استقباله القيصر نقولا الثاني في باريس سنة ١٨٩٦ وزيارته سانت بطرس برج سنة ١٨٩٧ . انفجرت في ايامه قضية الضابط اليهودي دريفوس .

لاروس

فرنسيس الأول (فرانسوا)

فرنسيس الأول (١٤٩٤ ـ ١٥٤٧) صهر لويس الثاني عشر حكم فرنسا بين (١٥١٢ ـ ١٥٤٧) استأنف الحروب الايطالية وكسب معركة مارينيانو ١٥١٥ . ولكنه خسر في الانتخابات الأمبراطورية ١٥١٩ لصالح شارل . منافسه مدى عمره على الرغم من فشله في الحصول على محالفة انجلترا ، هاجم شارل الخامس عام ١٥٢١ ، واندحر واسر في بيافيا ١٥٢٥ ، حصل عَلى حريته بتوقيعه معاهدة مدريد ١٥٢٦ التي تنازل فيها عن مطالبه الاقليمية ، كون حلف كونياك (مع ألبابا مكيمنت السابع وهنري الثامن ملك انكلترا والبندقية وفلورنسا) وشن حرباً ثانية على الأمبراطور ١٥٢٧ ـ ١٥٢٩ أنتهت في غير صالحه بمعاهدة كمبريه ولم تكن الحرب الثالثة ١٥٣٦ ـ ١٥٣٨ حاسمة . وفي سنة ١٥٤٢ تحالف مع سليمان الأول سلطان تركيا ، وهاجم شارل الخامس الذي تحالف مع هنري الثامن ولكنه فشل فعقد الصلح مع شارل سنة ١٥٤٤ ومع هنري الثامن سنة ١٥٤٦ . كان فرانسوا مثالا لحكام عهد النهضة ، تجرد في تصرفاته من الوازع الخلقي، ومسرفا منحلاً ولكنه كان ايضاً راعياً للفنون والأداب ، وكان دافينشي وتشليني ورابيليه من بينهم .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٩٤

فيتشف

فيتس ، جيورك ١٨١٣ ـ ١٨٨٣ مؤرخ الماني ، عين استاذا بجامعة كيل ١٨٤٢ ، وممثلا للمدينة في مؤتمر فرانكفورت ١٨٤٨ ، حيث دافع عن فكرة توحيد المانيا . اشرف على نشر « اصول التاريخ الالماني بعد ١٨٧٥ ، واشترك مع دالمان في اعداد « مصادر التاريخ الالماني » . ارخ للتاريخ الدستوري الالماني في ثمانية مجلدات .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٤١

كانت :

كانت ، عمانويل ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ م فيلسوف الماني يعد من اعظم الفلاسفة جميعاً . منذ مذهب الشك الذي انتهت اليه الفلسفة عند هيوم (الحس) اهم مؤلفاته « نقد العقل الخالص » و« نقد العقل العملي » وغيرهما وتسمى فلسفته بالفلسفة النقدية . فتح ثغرة في النظرة الميتافيزيقية الى الطبيعة ، عندما بين أن الأرض والمنظومة الشمسية ليسا سرمديين ، بل هما نتيجة تطور طويل .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٣٥

لوثر : Luther

لوثر ، مارتن : (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) زعيم الاصلاح البروتستاني ،رسم قسيساً سنة ١٥٠٧ لدى زيارته لروما في مهمة سنة ١٥١٠ ساءه الانحلال الروحي المتفشي في الأوساط الكنيسية العليا . وضع خططا لاصلاح عقيدة الكنيسة وطرق العبادة فيها . اثار غضب الكنيسة لذلك ولتأييده النزعة

القومية الجديدة التي ظهرت بالمانيا . حرمه البابا ، وحرم رسميا من غفران الكنيسة سنة ١٥٢١ . اوجد الكنيسة اللوثرية والكنيسة المصلحة ويعرف المذهب الديني المرتكز على تعاليمه باللوثرية .
الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٧١

محمد كرد علي

كرد علي ، محمد ، (١٨٧٦ ـ ١٩٥٣ م) عالم لغوي واديب سوري ،كردي الاصل ، شارك في تحرير المقتطف ، والمؤيد ، اصدر صحيفة المقتبس اليومية التي ناوأت دعاة التتريك . حتى كاد صاحبها ان يعدم . ثم اجبر على تولي رياسة تحرير « الشرق » التي اصدرها الجيش التركي في اثناء الحرب . ثم عين رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ١٩١٩ . من كتبه . « خطط الشام » و« الاسلام والحضارة العربية » . و« امراء البيان » . وحقق عدة كتب ثم دون خواطره وتجارب حياته في « مذكرات » .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٥٠

محمود الثاني (١٧٨٤ ـ ١٨٩٣)

سلطان عثماني من ١٨٠٨ الى ١٨٣٩ . أجلس على العرش بعد خلع اخيه مصطفى ، تابع ما بدأه السلطان سليم الثالث من اصلاحات . استمرت في عهده الحرب البروسية ـ العثمانية (١٨٠٦ ـ ١٨١٢) التي فقدت فيها السلطنة بساربيا ، وعوضتها باسترجاع صربيا سنة ١٨١٣ . قضى على ثورة اليونان بمساعدة محمد علي باشا . وقد غزا في عهده محمد علي فلسطين وسورية والاناضول ١٨٣٣ ـ ١٨٣٩ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٦٣

محمود شوكت : (١٨٥٨ ـ ١٩١٣) .

عربي من العراق . درس بالمدرسة الحربية في الاستانة ، حاز رتبة فريق ، وصار قائد الفيلق الثالث في سالونيك . كان من اعضاء جمعية « تركيا الفتاة » ، ناصر الحركة الدستورية ، وحين تآمر السلطان عبد الحميد على الدستور توجه الى الاستانة ، وخلع السلطان عبد الحميد . اسندت اليه وزارة الدفاع ، ثم رئاسة الوزارة . وقتل امام نظارة الحربية سنة ١٩١٣ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٦٤

مراد الاول (١٣٦٢ ـ ١٣٨٩) .

احد سلاطين بني عثمان ، ابن اورخان وخليفته . وسّع ممتلكات السلطنة في اوروبة . قتل في معركة قوصوه التي كانت اعظم انتصاراته . كان حاكماً قاسياً عنيداً ، سمل عيني احد ابنائه لانه ثار عليه . خلفه ابنه يزيد .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٧٧

مراد الثاني (١٤٠٣ ـ ١٤٥١) .

أحد سلاطين بني عثمان . ابن محمد الاول وخليفته . ولي السلطة ١٤٢١ ـ ١٤٥١ . انتصر في عدة حروب . وهزم جيشاً اوروبياً سنة ١٤٤٤ . كان بلاطه مركزاً للثقافة ، وقد عرف بأنه كان نصيراً للشعر والعلم . خلفه ابنه محمد الثاني .

الموسوعة العربية الميسرة ١٦٧٧

مراد الثالث (١٥٤٦ ـ ١٥٩٥).

احد سلاطين بني عثمان ، ابن سليم الثاني وخليفته ، ولي السلطة (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) . خلفه ابنه محمود . سيطر في عهده الحريم على السلطة . انتصر في حربه على فارس ، الاّ ان حكمه يعد بداية انحلال السلطنة العثمانية .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٧٧

مراد الرابع (١٦١٢ ـ ١٦٤٠) .

احد سلاطين بني عثمان . ولي السلطة (١٦٢٣ ـ ١٦٤٠) . استرجع بغداد سنة ١٦٣٨ من عباس الاول . خلال الصراع الصفوي العثماني . قتل أخاه بايزيد بعد انتصاره .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٧٧

مراد الخامس (١٨٤٠ ـ ١٩٠٤) .

احد سلاطين بني عثمان ، اعتلى العرش سنة ١٨٧٦ ، بعد خلع عمه عبد العزيز ، ولكن أخاه عبد الحميد الثاني عزله ، لانه مجنون . كان رئيس وزرائه مدحت باشا .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٧٧

مونتسيكو (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) **Montesquieu, Charles de Secondat:**

فيلسوف سياسي ، ولد في شاتودي لابرد قرب بوردو . ورث ثروة سنة ١٧١٦ ، وقبل في ذلك العام في اكاديمية بوردو ، حيث قدّم دراسات حول مواضع سياسية وعلمية . وكان اول كتبه « الرسائل الفارسية » Letters Persanes الذي نشر سنة ١٧٢١، وكان في نقد المجتمع الاوروبي اصدر في السنوات اللاحقة بعض الابحاث السياسية ، والقليل من القصص السياسية . تجول في اوروبة ، وقضى السنوات ١٧٢٩ ـ ١٧٣١ في انجلترا ، ثم استقر في مسقط رأسه . اصدر سنة ١٧٥٠ روح الشرائع أو روح القوانين : Defense de L'esprit des Lois ضعف نظره في اوخر ايامه ، فحد ذلك من انتاجه ، تعكس اعماله معرفته الواسعة واسلوبه الرصين . وكان له أثره في الثورتين الفرنسية والاميركية . كان من دعاة الديمقراطية النيابية وفصل السلطات .

نابليون بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) .

الامبراطور نابليون الاول . ولد في أجاكيو في كورسيكا (Ajaccio) . وكان مواطناً فرنسياً ، درس في فرنسا ، وتخرج ضابطاً سنة ١٧٨٥ ، وعمل في فوج مدفعية . برز بسرعة في العهد الثوري. انتصر على النمساويين سنة ١٧٩٦ في شمال ايطاليا ، وكان ابن سبع وعشرين . غزا مصر سنة ١٧٩٨ . ولكنه عاد في تشرين الاول سنة ١٧٩٩ . وكانت في فرنسا ازمة سياسية ، فقام بانقلاب في التاسع من تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ ، وصار القنصل الاول . انتخب سنة ١٨٠٢ قنصلا مدى الحياة . وانتزع لقب امبراطور سنة ١٨٠٤ في استفتاء عام . قاد عدداً من الحملات منذ سنة ١٨٠٥ ، وما إن حلت سنة ١٨١٠ حتى اصبح سيد معظم اوروبة . ولكنه لم يستطع السيطرة على البحر ، بعد هزيمته في معركة الطرف الأغر . التي جرت بين الاسطولين الانجليزي والفرنسي . قاد حملة الى روسية سنة ١٨١٢ . وقد قامت القوات الاوروبية المتحالفة في كانون الثاني سنة ١٨١٤ بغزو فرنسا . وقد سلمت باريس في ٣٠ آذار ، وتنازل هو عن العرش بلا شروط في السادس من نيسان . وقد احتفظ بلقب امبراطور وبالسيادة على جزيرة ألبا . هرب بعد عشرة اشهر ، ومعه سبعماية جندي ، واستعاد السلطة في العشرين من آذار

سنة ١٨١٥ . نهضت اوروبة ضده مرة أخرى ، وهزم في ١٨/٦/١٨١٥ في وترلو (انظر المادة الخاصة بها). وقد عرف بالاصلاحات التي حققها في الاقتصاد والتعليم والقضاء

JOYCE M.H. REID: THE CONCISE OXFORD DICTIONARY OF FRENCH LITERATURE: OXFORD UNIVERSITY PRESS 1976

نيتشه :

نيتشه ، فردريك فلهلم (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠) فيلسوف الماني . تأثر بفلسفة شوبنهور ، وصادق فاجنر .انتهى به الامر الى مرض عقلي خطير . في فلسفته شاعرية وغزارة احساس . اهم مؤلفاته « مولد التراجيديا » و« هكذا تكلم زرادشت » . يهاجم الاخلاق التقليدية خاصة المسيحية . الهدف هو الحياة القوية ، وسيحقق الانسان بارادته انساناً اعلى يكون فوق الخير والشر . ويمحو الديمقراطية المنهارة . له اثار عميقة في جوانب كثيرة من الفكر الالماني .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٤

ولنجتون .

ولنجتون : آرثر ويلسلي : ١٧٦٩ ـ ١٨٥٣ قائد وسياسي بريطاني . التحق بالجيش ١٧٨٧ م ، ثم تولى القيادة ١٨٠٩ ـ ١٨١٣ في حرب شبه الجزيرة . نجح في طرد الجيش الفرنسي من إسبانيا ، بعد عدة معارك . ثم عين سفيراً لبريطانيا في باريس سنة ١٨١٤ . هزم نابليون الاول في معركة واترلو ، عين رئيساً للوزراء ١٨٢٨ ـ ١٨٣٠ . عين قائداً للجيش البريطاني مدى الحياة ١٨٤٢ ـ ١٨٥٢ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٦٥

هاناتو ، جبرييل : Hanataux Gabriel

(١٨٥٣ ـ ١٩٤٤) : مؤرخ وسياسي فرنسي . استاذ في كلية الدراسات العليا ، وملحق بالشؤون الخارجية . شغل مناصب وزارية عدة ، منها وزارة الخارجية (١٨٩٤ ـ ١٨٩٨) . له مؤلفات تاريخية عديدة .

فهرس المعاهدات

ـ اتفاق برلين :

تم في برلين في حزيران ـ تموز ١٨٧٨ . وقد اشتركت فيه : المانيا وروسيا وانجلترا والنمسا ـ المجر والامبراطورية العثمانية وفرنسا وايطاليا . ألغى هذا المؤتمر معاهدة سان استفانو ، المعقودة بين روسيا والامبراطورية العثمانية . وبموجب اتفاق برلين نالت روسيا باطوم وقارس وآردهان . ونالت انجلترا جزيرة قبرص ، وسمح للنمسا ـ المجر ، بأن تحتل البوسنة والهرسك مؤقتاً . ولقد ثبت اتفاق برلين استقلال بلاد العرب والجبل الأسود ورومانيا ، وقسم بلغاريا الى قسمين : شمالي تشكلت فيه امارة بلغارية ، تابعة لتركيا ، وجنوبي تشكل فيه اقليم تركي يتمتع بالحكم الذاتي ، وهو الروملي الشرقي .

انتصار اليابان على الصين :

نشبت الحرب الصينية اليابانية الاولى (١٨٩٤ ـ ١٨٩٥) بسبب تنافس الدولتين في السيطرة على كورية . وكانت اليابان قد وافقت على سيادة الصين على كورية سنة ١٨٨٥ . ولكن اليابان حملت ملك كورية سنة ١٨٩٤ على الغاء الاتفاقية . انتصرت اليابان بسرعة ، فأبرمت اتفاقية شيمونو سيكي سنة ١٨٩٥ ، وقد افرد لها بند خاص في هذا الفهرس .

ثورة الكريتيين :

نشبت هذه الثورة (١٨٩٦ ـ ١٨٩٧) ، وأدت الى حرب بين السلطنة العثمانية واليونان . وقد هزمت اليونان هزيمة تامة ، ولكن الدول العظمى أجبرت السلطنة على الجلاء عن كريت سنة ١٨٩٨ . وكانت السلطنة قد احتلتها سنة ١٦٦٩ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٥٨

ثورة اليونان :

نشبت الثورة سنة ١٨٢١ ، وقد ساندها الاوروبيون ، وتحقق لها النجاح . وقد أكدت نتائج معركة نفارين البحرية سنة ١٨٢٧ استقلال اليونان ، وكرست ذلك المعاهدة العثمانية ـ الروسية سنة ١٨٢٩ ، واعتراف الدول على نطاق واسع .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٩٦

حرب الثلاثين عاماً : (١٦١٨ ـ ١٦٤٨) . شاركت فيها اوروبة عامة ، وكانت المانيا مسرحها الرئيسي . تعددت أسبابها ، فمنها ما يتعلق بالوراثة ، ومنها ما يتعلق بالصراعات المذهبية . خرجت منها فرنسا دولة أوروبة العظمى .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٩٨

مسألة كريت

اكبر جزيرة باليونان ٨٣٨٠ كلم٢ ٤٦٢١٢٤ نسمة على بحر الأبيض المتوسط من صلب بلاد اليونان ، عاصمتها كانيا ، جزيرة جبلية الى درجة كبيرة ، في البداية استوطنها الدوريون ، استولى عليها الرومان عام ٦٨ ـ ٦٧ ق. م. والعرب ٨٢٦ الذين انتزعوها من الأباطرة البيزنطيين حتى استعادها فيسفورس الثاني ٩٦١ ، استولت عليها البندقية ١٢٠٤ وتركيا ١٦٦٩ . ادت ثورة الكريتيين١٨٩٦ ـ ١٨٩٧ الى نشوب حرب بين اليونان وتركيا وهزمت اليونان هزيمة تامة . ولكن الدول العظمى اجبرت تركيا على الجلاء عن كريت ١٨٩٨ واحتلت الجزيرة حتى ١٩٠٩ في ١٩١٣ اتحدت مع اليونان رسمياً في ١٩٣٥ قمعت الثورة التي قام بها اتباع فنزيلوس ضد الملكية ، في ١٩٣٨ قمعت ثورة أخرى ضد دكتاتورية جون متكساس ، في الحرب العالمية الثانية أجليت القوات البريطانية واليونانية الى كريت ولكن في مايو ١٩٤١ نزلت القوات الالمانية على الجزيرة من الجو في اواخر ١٩٤٤ عزلت السفن البريطانية القوات الالمانية على الجزيرة حتى استسلموا .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٥٨

معاهدة بورتسموث .

ابرمت عام ١٩٠٥ . انهت الحرب الروسية اليابانية ، وقعت في قاعدة بورتسموث البحرية بالولايات المتحدة بوساطة الرئيس ثيودور روزفلت ، تعهدت فيها روسيا بالجلاء عن جنوب منشوريه ، والتنازل عن القطاع الجنوبي لسكة حديد منشوريا . وحصلت اليابان على مركز ممتاز في كوريا ، وعلى النصف الجنوبي من جزيرة سخالين ، وملكية الامتياز الروسي الخاص باستئجار شبه جزيرة لياوتونغ .

الموسوعة العربية الميسرة .
ص ٤٢٨

معاهدة سان ستيفانو

سان ستيفانو : معاهدة : ١٨٧٨ بين روسيا وتركيا وقعت في قرية سان ستيفانو (تسمى الآن يزيلكوى) على مقربة من استانبول . وانهت آخر الحروب الروسية ـ التركية . منها اكرهت تركيا على التنازل عن اجزاء من ارمينية ، واقليم دبروجة لروسيا ، والاعتراف باستقلال رومانياوصربيا والجبل الاسود . وجعلت بلغاريا امارة تحكم حكماً ذاتيا ، على ان تشمل جزءا من مقدونيا كبيراً . وقد ادت المغانم الكبيرة التي كسبتها روسيا من وراء هذه المعاهدة الى انزعاج انجلترا فاكرهت روسيا بمساعدة بسمارك على عقد مؤتمر برلين ١٨٧٨ الذي وافقت فيه روسيا على تعديل شروط المعاهدة .

الموسوعة العربية الميسرة .
ص ٩٥٠

معاهدة شيمونورسكي :

عقدت بين اليابان والصين سنة ١٨٩٥ . فرضت اليابان المنتصرة بموجبها على الصين المنهزمة شروطاً قاسية . وقد نصت المعاهدة على انهاء سيادة الصين على كورية التي منحت استقلالاً اسمياً ، وتنازل الصين عن فرموزه وجزر بكادوروس وشبه جزيرة لياو تونغ لليابان .

الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١١١٠ .

معاهدة قبرص :

استولى على قبرص الاتراك عام ١٥٧١ ، وبمقتضى اتفاقية منفصلة اقرها مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ، وضعت قبرص تحت الادارة البريطانية ، ثم اصبحت مستعمرة بريطانية عام ١٩٢٥ .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٦٩

معاهدة لندره الثانية

٢ ـ معاهدة لندن او لندره الثانية ، ابرمت في لندن على اثر انتصار مصر الحاسم على تركيا في معركة نصيبني بقيادة ابراهيم باشا سنة ١٨٣٩ وقضت على قوة تركيا العسكرية. وتلاها تسليم الاسطول التركي ابرمها كل من بريطانيا وروسيا والنسما وبروسيا وتركيا ، وهدفهم جميعاً القضاء على قوة مصر العسكرية البرية والبحرية الكبرى في الشرق الأوسط ثم التوقيع على المعاهدة ١٥ يوليه (تموز) سنة ١٨٤٠ .

القاموس السياسي . دار النهضة ، ط ٣

معاهدة لندره

يطلق اسم معاهدة لندن او لندره على معاهدتين وقد عقدت الاتفاقيتن بين عدد من الدول الاوروبية للحد من القوة المصرية المتصاعدة ابان حكم محمد علي الكبير خلال القرن التاسع عشر .

١) معاهدة لندن او لندره الاولى واشتركت فيها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا مهدت هذه المعاهدة لوقعة نافارين البحرية التي فقدت مصر نتيجة لها معظم اسطولها .

القاموس السياسي . دار النهضة العربية ، ط. ٣ ، ص ١٠٦٥

معاهدة وستفالي

وستفاليا ، صلح : ١٦٤٨ . تسوية اوروبية عامة انهت حرب الثلاثين عاما . وكانت المفاوضات قد بدأت ١٦٤٤ في مؤتمرين عقدا في وقت واحد في مونستر واوزونا بروك ، وانتهتا بابرام معاهدتين كونتا تسوية الصلح . اهم الدول المشتركة في المفاوضات الحليفتان فرنسا والسويد ، وخصومهما اسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة ، والدويلات التابعة للامبراطورية وهولندا .أرضت المعاهدتان (وقعتا سنة ١٦٤٨) المطالب الفرنسية والسويدية واضعفتا سلطة ونفوذ الامبراطورية وآل هابسبرغ وصارت الامبراطورية مجرد اتحاد تعاهدي يتألف من دول ذات سيادة وظفرت فرنسا بمعظم الالزاس وبعض المدن المحصنة على الحدود وحصلت السويد على غ بومرانيا واسقفيتي بريمن وفردن . وحصلت السويد والاقاليم المتحدة للاراضي المنخفضة (هولندا) على استقلالهما التام . ولكن فرنسا التي خرجت دولة مظفرة قوية الجانب من الحرب . واصلت القتال ضد اسبانيا حتى صلح البرانس ١٦٥٩ .

الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٩٥١

مؤتمر فينا :

١) عقد عام ١٨١٥ ، وانهى حروب نابليون ، واعاد تقسيم اوروبا .
٢) بروتوكول اولائحة فينا ، وقعت عام ١٨١٥ ايضا ، لوضع نظام خاص بالدبلوماسيين .
القاموس السياسي . دار النهضة العربية ط. ٣ ص ٩٠٦

مؤتمر برلين :

دعت اليه الدول الموقعه على معاهدة باريس (١٨٥٦) (انظر مؤتمر باريس ١٨٥٦) لاعادة النظر في شروط معاهدة سان ستيفانو التي فرضتها روسيا على الامبراطورية العثمانية ١٨٧٨ ، وكانت بريطانيا والنمسا قد اصرتا على التعديل ، ووافقت روسيا بعد التهديد بالحرب : رَئِس المؤتمر بسمارك . عدلت معاهدة برلين معاهدة سان ستيفانو تعديلا كبيراً ، اعترف باستقلال الجبل الاسود ،وصربيا ورومانيا . الا ان رومانيا ارغمت على التنازل على بسارابيا الجنوبية لروسيا مقابل دوبرجيا . وقسمت بلغاريا الخ .

واعطيت البوسنة والهرسك ، وهي السبب الاصلي في الحرب الروسية التركية للنمسا والمجر لتقوم بادارتها واحتلالها . وحصلت روسيا علىممتلكات في آسيا ، وانتقلت قبرص الى بريطانيا باتفاق منفصل ، وتضمنت الشروط الاخرى تعديلاً هاماً في الحدود اليونانية التركية ، ونزع السلاح من منطقة الدانوب الأسفل ، وحماية الأرض والاقليات الدينية الأخرى في تركيا .

الموسوعة العربية الميسرة .
ص ٣٥٢

مؤتمر الصلح في راج ١٨٦٦

حرب النمسا وبروسيا ١٥ يونيه ـ ٢٣ اغسطس ١٨٦٦ بين بروسيا المتحالفة مع ايطاليا وبين النمسا . تؤيدها بافاريا وفرتمبورغ وسكسونيا وهانوفر وبادن وبعض الولايات الالمانية الصغيرة . اثارها بسمارك لطرد النمسا من الاتحاد الالماني . وكان الخلاف بين النمسا وبروسيا على ادارة شلزويج ـ هو لشتين ذريعة للحرب . فاخترقت بروسيا الولايات الالمانية سريعاً ، وهزمت النمسويين في سادوه ، وكانت انتصارات النمسا على ايطاليا في كستوزاوليسا،دون جدوى في صلح براج (٢٣ اغسطس ١٨٦٦) ونزلت النمسا عن البندقية لايطاليا ، ولم تطالب بروسيا النمسا بأية ارض ، ولكنها ضمت هس ـ كاسل وهانوفر وفرانكفورت ، وتأسس الاتحاد الالماني الشمالي الجديد بزعامة بروسيا ، ومهدت هذه الحرب لقيام الامبراطورية الالمانية ١٨٧٠ . تعرف ايضا بحرب الاسابيع السبعة .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٠٣

معركة سادوفا

سادوفا قرية تشيكية ، تقع في بوهيميا . دارت فيها معركة فاصلة بين بروسيا والنمسا ، هزمت فيها النمسا ، وكان ذلك سنة ١٨٦٦ . (انظر مؤتمر الصلح في براغ) .
الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٤٢

معركة واترلو

وقعت في حزيران ١٨١٥ جنوبي بلجيكا . واجه فيها نابليون قوات اوروبة المتحالفة . وكان نابليون يأمل ان يهزم القوات البريطانية والبروسية قبل التحامه بالنمساويين القوات الاخرى . وقد هزم بلوخر قائد الجيش البروسي يوم ١٨١٥/٦/١٦ ، وانضمت قواته الى القوات الفرنسية الاخرى التي كانت تواجه قوات ولنجتون . فانسحب ولنجتون الى موقع جنوب واترلو وانتظر هجوم الفرنسيين . وحين هاجم نابليون في ١٨١٥/٦/١٨ ، قاومه الانجليز بنجاح ، وأعاد بلوخر تجميع قواته وشارك في القتال ، فانهزمت القوات الفرنسية ، وتخلى نابليون عن السلطة يوم ١٨١٥/٦/٢٢ .

غاليبولي (حملة)

حملة غاليبولي ، هي احدى مراحل الحرب العالمية الاولى ، التي غيرت وجهها فترة طويلة ، ينسب اسمها الى شبه جزيرة غاليبولي التي يمثل ساحلها الجنوبي ، الشاطىء الاوروبي لبوغاز الدردنيل ، وهو المدخل الجنوبي الى بحر مرمره ومن ثم الى البوسفور والقسطنطينية (اسطنبول) . جرت احداث هذه الحملة سنة ١٩١٥ .

القاموس السياسي . دار النهضة العربية ط . ٣ ص ٨٣٠

فهرس الاماكن

ابازيا (ابهازيا)

جمهورية سوفيتية اتونومية ،اي ذات استقلال داخلي في جمهورية جورجيا ، مساحتها ٨٦٠٠ ك . م. م وتشمل شقة من الأرض تطل على البحر الاسود . العاصمة سوخومي . انضمت ابهازيا الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢١ ، واعترف بها جمهورية اوتونومية عام ١٩٣٠ .

ادرنه :

اسم يطلق على ولاية تركية اوروبية ، كما يطلق على عاصمتها . يبلغ عدد سكان الولاية (احصاء) ١٩٦٠ ، ٢٧٦ الفاً . تقع ادرنه المدينة بالقرب من الحدود البلغارية ، وهي مركز لعدة صناعات تقليدية . وكان سقوط ادرنه في ايدي العرب والبلغار سنة ١٩١٣ من اهم احداث حرب البلقان الاولى . وادرنه هي اكبر المدن التركية الاوروبية بعد اسطنبول

القاموس السياسي . دار النهضة العربية . ط. ٣ ، ص ٣٣

أنطاكية

٣٠,٣٨٥ نسمة ج . تركيا على نهر العاصي عند سفح جبل سيلبيوس . انشأها سلوقوس الأول ٣٠٠ ق. م. تقع عند ملتقى الطرق الممتدة من الفرات الى البحر المتوسط ، من البقاع الى آسيا الصغرى ، ومن ثم صارت من اهم المراكز التجارية في العالم . اصبحت بعد انتشار المسيحية مقراً للبطريركية وبها ثلاثة بطاركة للمذاهب الملكانية والمارونية واليعقوبية . سقطت في يد الفرس ٥٣٨ وفتحها العرب ٦٣٧ وخضعت للامبراطورية البيزنطية (٩٦٩ ـ ١٠٨٥) ، وللسلاجقة (١٠٨٥ ـ ١٠٩٨) استولى عليها الصليبيون ١٠٩٨ واصبحت اقطاعاً في مملكة بيت المقدس اللاتينية تحت حكم بوهمند الأول وخلفائه . استولى عليها المماليك المصريون ١٢٦٨ والعثمانيون ١٥١٦ انتقلت الى سورية ١٩٢٠ لكنها اعطيت لتركيا ضمن سنجق الاسكندرونة ١٩٣٩ تشغل انطاكية اليوم جزءاً من المدينة القديمة وما زالت بقايا من اسوارها وقناطرها ومسرحها وقلعتها باقية .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٤٥

افغان (افغانستان)

دولة آسيوية قارية لا شواطىء لها ، تحيط بها ايران وباكستان ، ثم جمهوريات اوزبكستان

وتركمانستان وتاجيكستان السوفيتية . تبلغ مساحتها ٢٥٠ الف م . م . اي اكثر من مساحة فرنسا .
القاموس السياسي . دار النهضة العربية . ط ٣ ص ٩٢ وص ٩٣

استرالية

الاسم القومي : الكومنولث الاسترالي . دولة فيدرالية تشمل قارة استرالية . وهي عضو في الكومنولث البريطاني وهيئة الامم وحلف جنوب شرق آسيا ومجموعة دول مشروع كولومبو .

تكون الكومنولث الاسترالي سنة ١٩٤٩ ، ويضم ست ولايات وعدداً من الأقاليم والمقاطعات والجزر التي تتبع الاتحاد .

العملة الجنيه الاسترليني .

القاموس السياسي . دار النهضة العربية . ط. ٣

البحر الاسود :

اسمه في الجغرافية القديمة « بحر ابنطس » ، وكان العرب يسمونه « بحر طرابزنده وبحر القرم وبحر الروس وبحر الخزر . وقد سماه ابو الفداء في تقويم البلدان : البحر الاسود . كان مغلقاً في وجه التجارة ، حتى فتح في النصف الاخير من القرون الوسطى للتجارة الاوروبية اثناء حكم الاسرة الكومنينية والباليوغية .

وقد اغلقه الاتراك عند فتح القسطنطينية ، الى ان فتح للتجارة الروسية بموجب معاهدة كوجوك قينارجة سنة ١٧٧٤ ، ثم للتجارة النمساوية بعد عشرة اعوام وللتجارة البريطانية سنة ١٨٩٩ . وعقدت سنة ١٨٢٧ آخر معاهدة خاصة بهذا الموضوع . ولم يكن مسموحاً للسفن الحربية بأن تعبر المضيقين للذهاب الى البحر الاسود ، الا انه سمح بعد ذلك .

٢٧١ ـ ٢٧٤ الجزء السادس
دائرة المعارف الاسلامية الطبعة العربية .

بحر البلطيق

البحر البلطي : ذراع من المحيط الاطلنطي . يمتد في شمال اوروبا ويحيط به : السويد وفنلندا ، والاتحاد السوفيتي (بما في ذلك الدول البلطية) . وبولندا ، والمانيا . ودنمارك مساحته ٤١٤٤٠٠ كم٢ تقريبا (يدخل في ذلك خلجان بوتينا وفنلندا وريجا) وبه جزر عديدة . يتصل ببحر الشمال . وكذلك بالبحر المتوسط عبر قناتين ونهر الفولغا والبلطي بحر ضحل في معظمه ويتجمد بعضه في الشتاء . يقل من ملوحته الانهار الكثيرة التي تصب فيه .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٢٩

بحر مرمره

مرمرة : بحر اسمه قديما : بروبنتس ، شمال غربي تركيا . يقع بين اوروبا وآسيا ، طوله ٢٧٦ كم ، ومساحته ١١٣٧ كم٢ ، يصله البوسفوربالبحر الاسود ، كما يصله الدردنيل ببحر ايجه. يحتوي على عدة جزر اهمها :

مرمرة في الغرب ، والامراء بالقرب من استانبول .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٨٨

البندقية (فينيسيا) :

مدينة ايطالية تقع في الشرق على جزر متعددة بالطرف الشمالي للبحر الادرياتيكي . لها تاريخ عريق تجاري وسياسي في البحر الاوسط وخاضت حروبا طاحنة مع جيرانها ومنافسيها وسيطرت طويلا على البحر المتوسط حتى فقدتها بعد سقوط قبرص ١٥٧١ وكريت ١٦٦٩ والمورة ١٧١٥ . استولت عليها النمسا سنة ١٧٩٧ ولكنها ظلت تقاتلها للحصول على استقلالها دون جدوى . ضمت الى ايطاليا عام ١٨٦٦ .

بوخارست :

عاصمة رومانيا واكبر مدنها تقع على نهر دامبوفينا رافد نهر الدانوب . برزت المدينة في القرن ١٤ عندما توطن فيها الامراء الولافيون . احتلتها المانيا وحلفاؤها (١٩١٦ ـ ١٩١٨) دخلتها القوات الروسية ٣١ اغسطس ١٩٤٤ .

بورت آرثر .

مدينة تقع في شبه جزيرة كياتونج في منشوريا قاعدة مجرية على النهر الأصفر في اقليم كياوتنج الحرة (١٨٩٨ ـ ١٩٤٥) تحولت الى قاعدةبحرية سوفيتية صينية مشتركة (١٩٤٥) . اعيدت للادارة الصينية عام ١٩٥٢ .

بوقوفينا

بوكوفينة : منطقة بأوروبا الشرقية في غربي اوكرانيا وشرق رومانيا . المدينة الرئيسية فيها تشرنوفتسي (بأوكرانيا) ، تخترقها جبال الكربات ونهر بروث تنتج الاخشاب والحبوب والماشية سكانها خليط من الرومانيين والاوكرانيين والروس واليهود والماجيار وكانت المنطقة نواة امارة مولدافيا القديمة نزلت عنها تركيا للنمسا (١٧٧٥) ولرومانيا (١٩١٩) وفي ١٩٤٠ نزلت رومانيا للاتحاد السوفياتي عن الجزء الشمالي منها ٥١٨٠ كلم٢ ونحو ٤٦٠,٠٠٠ نسمة ، في ١٩٤١ ـ ١٩٤٤ احتلته رومانيا من جديد ثم نزلت عنه للاتحاد السوفياتي ١٩٤٧ ـ اما الجزء الجنوبي نحو ٥١٨٠ كلم٢ سكانه ٣٠٠,٠٠٠ نسمة فيكون احدى مقاطعات رومانيا التاريخية .

البوسنة والهرسك

احدى الجمهوريات المكونة لجمهورية يوغسلافية الاتحادية ، تبلغ مساحتها ٥١,١٢٩ م. م. عاصمتها ساراجيفو تتجمع الجالية الاسلامية في يوغسلافية في هذه الجمهورية وتقدر بنحو ١٢,٣٪ من مجموع سكان الاتحاد وتعتبر ساراجيفو مركزاً للثقافة الاسلامية .

القاموس السياسي . دار النهضة العربية ط ٣ ص ٢٣٤

بيزا :

مدينة ايطالية ، تقع في وسط ايطاليا . نمت في ظل الحكم الروماني واصبحت جمهورية بحرية قوية . حاربت العرب في المتوسط في القرن ١١ ، ونافست جنوه وفينيسيا وخاضت حروبا لذلك . سقطت في قبضة فلورنسا عام ١٤٠٦ . تشتهر بأبنيها الأثرية وبرجها المائل .

ترانسلفانيا

مقاطعة بوسط رومانيا مساحتها ٦٢١٨٠ كلم٢ سكانها ٣٤٢٠٨٢٩ نسمة . اهم مدنها كلوج وبراسوف وسيبيو . الدين هو بروتستانتي كان الأقليم من داشيا القديمة وآل بعد غزوات عديدة الى

المجر القرن ١١ . وبوصول الزمكي وهم اتراك وصلت الماجيار او قبلهم واتخذت لغتهم اصبح الماجيار يؤلفون امم ترانسلفانيا الثلاث ذات الامتياز اما الرومانيون من رومانيا ويسمون الفلاخ او الولاش فقد بدأ وصولهم في القرن ١٣ وكونوا غالبية عبيد الأرض بالأقليم . وحكم آل ملكي « فويفود » ولايات ترانسلفانيا السبع في ظل التاج المجري وبعد ١٥٢٦ طالب الفويفود جون زابوليا بالعرش المجري من الامبراطور فردناند الأول ، وسمى جون نفسه جون الأول . وفي تقسيم المجر الثلاثي الذي تلا ذلك اصبحت ترانسلفانيا امارة شبه مستقلة تغيرت تبعتيها للاباطرة والسلاطين اكثر من مرة . انتقلت ترانسلفانيا لحكم آل هابسبورغ المباشر . وفي ظل الامبراطورية النمساوية المجرية عادت سيطرة المجريين التامة على الأقليم ، مما كان وبالاً على الفلاحين الرومانيين بعد الحرب العالمية الأولى استولت رومانيا على ترانسلفانيا وتنازلت المجر رسمياً عن الأقليم سنة ١٩٢٠ وانتزعت املاك كبار الملاك المجريين ووزعت ضياعهم على الفلاحين .

الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٠١

جتالجة :

العاصمة التراقية لأكثر الأقضية السبعة عشر الريفية في ولاية استانبول ، وتبعد ٥٦ كيلو متراً على الطريق الاسفلتي : وتحف جتالجة بنهر قره صو على ارتفاع ٢٥٥ قدماً بالقرب من قاعدة سلسلة من التلال هي العمود الفقري لخطوط جتالجة المحصنة الممتدة من البحر الاسود الى بحر مرمرة . انتزع مراد الأول جتالجة من البيزنطيين سنة ١٣٧٣ ، واقيمت حصونها اثناء الحرب بين روسيا ـ وتركية (١٨٧٧ ـ ١٧٣٠) . اجتازها الروس دون قتال في تقدمهم نحو سان استفانو . ومنها انطلق محمود شوكت لاخماد القوى المضادة للثورة سنة ١٩٠٩ . وردت القوات التركية فيها هجوم البلغار . وقد اعيد تنظيم الحصون ، ولكنها لم تشهد اي قتال في الحربين العالميتين .

دائرة المعارف الاسلامية الطبعة العربية
١٠١ ـ ١٠٢ الجزء ١١

جنوة :

مدينة ايطالية . ميناء رئيسي منافس لمرسيليا . اصبحت في القرن ١٠ كومونة حرة يحكمها القناصل . استمرت في نزاع مع جيرانها حتى وقعت تحت الاحتلال . انتهى حكم الارستقراطيين فيها وتكونت جمهورية ضمها نابوليون الى فرنسا عام ١٨٠٥ . انجبت بعض مشاهير البحارة اشهرهم كولومبوس .

صوفية :

مدينة . عاصمة بلغارية . تقع في واد قرب ملتقى جبال البلقان بجبال رودوبي . موقعها ذو اهمية تجارية وحربية . فهي ملتقى عدة طرق طبيعية .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٣٧

ڤينيا :

عاصمة جمهورية النمسا ، وتقع على الضفة اليمنى لنهر الدانوب ، وهي كذلك اسم يطلق على احدى الولايات التسع التي تتألف منها النمسا .

قسمت الى اربع مناطق دولية ، بعد استيلاء الحلفاء عليها في الحرب العالمية الثانية تحت إشراف

كل من بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي وفرنسا ، دام الاحتلال العسكري الرباعي حتى سنة ١٩٥٥ .

القاموس السياسي . دار النهضة العربية ط . ٣ ص ٩٠٦

كريت

كريت ، اكبر جزيرة باليونان ٨٣٨٠ كم٢ تقع في ق البحر المتوسط على بعد ٩٦ كم من صلب اليونان عاصمتها كانيا تمتد ٢٥٧ كم من الشرق للغرب وتعتبر الحد الجنوبي لبحرايجه واكبر مدنها كانديا . وكريت جزيرة جبلية الى درجة كبيرة . ترتفع الى ٢٤٥٨ م في جبل ايدا .
استولى عليها الرومان ٦٨ ـ ٦٧ ق: م. الخ ...

الموسوعة العربية الميسرة . ص ١٤٥٨

ميديا

ميديا : مملكة قديمة بغربي آسيا ، كانت تشغل مساحة يمثلها الآن الشمال الغربي ، وتمر بداران وجنوب جمهورية اذربيجان السوفيتية الاشتراكية امتدت حدودها من بحر قزوين الى جبال زغروس . قسمها الرومان الى ميديا اثروباتية (اذربيجان الآن) وميديا ماجنا . وكانت تضم القسم الجنوبي والاكبر ، وعاصمتها اكباتان (همذان الآن) .

الموسوعة العربية الميسرة. ص ١٧٩٩

مكدونية :

أقليم ج. ش أوروبا ويمتد شمالاً من بحر ايجه بين ايبروس وتراقيا . ينقسم الأقليم من الناحية السياسية الى مقدونية اليونانية ، وعاصمتها سالونيك ، وجمهورية مقدونية اليوغسلافية المتمتعة بالحكم الذاتي ، وعاصمتها سكوبليي ، ومقدونية البلغارية . كانت مقدونية في العصور الوسطى خاضعة للاباطرة البيزنطيين وكانت باستمرار فريسة للغزاة وخاصة البلغار . فتحها ستيفن دوشان ملك صربيا في القرن الرابع عشر وبعد موته فتحها الترك . صارت مقدونية رقعة خليطة من الأديان ولقوميات من المسيحيين والمسلمين واليهود والعرب والبلغار واليونانيين . وحينما اخذت الامبراطورية العثمانية تتفكك في القرن التاسع عشر ادعت كل من اليونان وصربيا وبلغاريا حقها في تملكها واعطت معاهدة سان ستفانو الجانب الاكبر الى بلغاريا ولكن مؤتمر برلين ١٨٧٨ اعاد الحكم التركي المباشر لها . وكونت منظمات سرية ارهابية للعمل على تحرير مقدونية من نير تركيا . ونالت هذه المنظمات تأييد بلغاريا التي ظفرت بنصيب كبير من مقدونية في حرب البلقان الأولى ١٩١٢ ـ ١٩١٣ . لكن اليونان وصربيا وبلغاريا هزمت في حرب البلقان الثانية ١٩١٣ وحصلت على حدودهما الحالية تقريباً . ونتج عن تبادل السكان بعد ١٩٢٣ احلال اللاجئين اليونانيين الذين نزحوا من آسيا الصغرى مكان معظم العناصر البلغارية والتركية في مقدونية اليونانية . ومع ذلك استمرت بلغاريا تطالب بنصيب اكبر من مقدونية اليونانية ووقعت مقدونية في الحرب العالمية الثانية في قبضة البلغار لفترة قصيرة ١٩٤١ ـ ١٩٤٤ ولكن معاهدة الصلح ١٩٤٧ أعادت الحدود السابقة .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٣٠

منشوريه

احد الاقاليم الصينية الكبرى ، ويقع في الشمال الشرقي من جمهورية الصين ، تحيط بها كوريا الشمالية من الشرق . ومن الشمال الغربي جمهورية منغوليا ، ويطل ساحلها الجنوبي على خليج ليوتونج ،ويعتبر نهر أمور حدها الشمالي مع الاتحاد السوفيتي . اهم موانيها لوشون ـ تالين التي كانت تعرف قبلاً باسم بورت ارثر ـ دارين واهميته انه لا تتجمد مياهه شتاء.تقدر مساحة منشوريا بنحو ٥٠٣ الف م. م . ومنذ عام ١٩٦١ اعيد التقسيم الاداري للصين ، فاختفى اسم منشوريا بدخولها في احدى الوحدات الست الكبرى .

القاموس السياسي . دار النهضة العربية . ط. ٣. ص ١٢٣١

الفهـرس

تقديم : بقلم ناجي علوش ٥
الجزء الأول :
مقالات موقعة باسم عبد الغني العريسي الصريح ٣٧
الجزء الثاني :
مقالات غير موقعّة يُظن انها لعبد الغني العريسي ١٦٥

الفهارس ٢٧٣

قام المؤلف بجمع وتقديم الاعمال التالية :

١) بدر شاكر السياب : المجلد الأول ـ جمع وتقديم ـ أدبه
٢) بدر شاكر السياب : المجلد الثاني ـ جمع وتقديم ـ سيرته .
٣) انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي ـ تقديم .
٤) أديب اسحق : الكتابات السياسية والاجتماعية ، جمع وتقديم .

الـتراث العـربي المعـاصِر

- أديب اسحق: الكتابات السياسية والاجتماعية

  جمعها وقدم لها ناجي علوش
- خير الدين التونسي: مقدمة كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك

  تحقيق ودراسة د. معن زيادة
- بندلي صليبا الجوزي: دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب
- فرح انطون: ١ـ المؤلفات الروائية:

  الدين والعلم والمال، الوحش، أورشليم الجديدة

  جمعها وقدم لها: د. أدونيس العكره
- سليمان البستاني: عبرة وذكرى، أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده

  تحقيق ودراسة: خالد زيادة
- رشيد رضا: مختارات سياسية من مجلة «المنار»

  تقديم ودراسة: وجيه كوثراني

- ابن رشد وفلسفته

  فرح انطون

  قدم لها: د. أدونيس العكره
- المرأة في الاسلام وفي الحضارة الغربية

  محمد جميل بيهم

  تقديم: جورج طرابيشي

٣٠٠٠/٨١/٨٥٣

هذا الكتاب

□ عبد الغني العريسي أحد الذين أعدمهم الاستعمار التركي في سنة ١٩١٦ ولم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين من العمر . وعلى الرغم من أنه استشهد صغيراً ، فأن عبد الغني العريسي ، المناضل والمفكر القومي العربي ، ما زال مجهولاً للكثيرين منا ، وما زالت كتاباته ومقالاته ، وخاصة تراثه غير المنشور ، بحاجة لدراسة معمّقة ومتأنية ، لاسيما وأن الدور الذي لعبه هذا الرجل في نهضتنا القومية الحديثة لم يكن بالأمر الهيّن . فقد أسهم في بلورة الفكر القومي العربي وطرح الفكرة القومية العربية جلية واضحة . كما أدلى بقسط هام في التعبئة المستمرة لنهضة الامة العربية وتحررها من الاستعباد العثماني والاستعمار الاوروبي على حد سواء . وعلى حد قول عوني عبد الهادي ، كان عبد الغني العريسي بحق « مفكر الحركة العربية وكاتبها ونابغتها » .

□ هذا الكتاب يعرّف بسيرة عبد الغني العريسي ويدرس عصره وأفكاره السياسية دراسة أوليّة ، ضمن إطار « سلسلة التراث العربي المعاصر » التي تحرص « دار الطليعة » على اصدارها تباعاً ، وذلك تعريفاً بالعديد من كتّابنا ومفكرينا القوميين والنهضويين الذين لم يوفوا حقهم من الدراسة حتى الآن .

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٣٠ ل. ل.
او ما يعادلها